الجليس الصالح الكافي

والأنيس الناصح الشافي

لأبي الفرج

المعافى بن زكريا النهرواني الجريري

٣٠٣ - ٣٩٠هـ

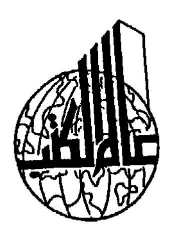
دراسة وتحقيق

الدكتور محمد مرسي الخولي

الجزء الثاني

عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م



بيروت - المزرعة، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣-١١
تلفون: ٣٠٦١٦٦-٣١٥١٤٢-٣١٣٨٥٩-برقيا: نابعلبكي - تلكس: ٢٣٣٩٠ ALAMKO


الجليس الصالح الكافي
والأنيس الناصح الشافي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المجلس السادس والعشرون

[أصل المعانقة والمصافحة]

حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ، أبو سعيد الخوارزمي ، حدثنا يوسف بن محمد الطويل ، حدثنا محمد بن حاتم الجَرْجَرائي ، حدثنا سلمة ابن صالح الأحمر ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، عن أبي سفيان ، عن تميم الداري ، قال : « سُئل رسولُ الله صلى اللّٰه عليه وعلى آله وسلم ، عن معانقةِ الرَّجُلِ الرجلَ إذا لَقِيَه ؟ قال : كان تحيةَ الأمم وخالِصَ وُدِّهِم العِناق ، وإنّ أَوَّلَ مَنْ عَانق خليلُ الرحمن إبراهيمُ ﷺ ، فإنه خرج يرتادُ لِمَاشِيتِهِ بجبلٍ من جبالِ بيت المقدس ، إذْ سمع صوتَ مُقَدِّسٍ يُقَدِّسُ الله عزَّ وجلّ ، فذُهِل عما كان يطلب ، فقصد ذلك الصوت ، فإذا هو بشيخ طوله ثمانية عشر ذراعاً ، فقال له إبراهيم : يا شيخُ ! من ربُّك ؟ قال : مَنْ في السماء ، قال : فمن ربُّ من في الأرض ؟ قال : الذي في السماء ، قال : ألها رَبٌّ غيرُه ؟ قال : ما لها ربٌّ غيره ، وهو ربُّ من فيها وربُّ مَنْ تَحْتَها ومَنْ فوقها ، لا إله إلاّ الله وحده ، قال إبراهيم : أين قِبْلَتُك ؟ فأومأ إلى الكعبة ، فسأله عن طعامه ، قال : أَجْمَعُ من هذا التمر في الصيف

فآكله في الشتاء ، فقال : ما بقي معك من قومك أحدٌ ؟ قال : لا أعلم أحدٌ بقي من قومي غيري ، قال له إبراهيم عليه السلام : أين مَنْزِلُك ؟ قال : في تلك المغارة قال : أَفَتُرِينا بيتَك ، قال : بيني وبينه وادٍ لا يُخاض ، فقال إبراهيم : كيف تعبرُه ؟ قال : أَمْشِي عليه ذاهباً وأمشي عليه جائياً ، فقال له إبراهيم : فانطلق بنا لعلَّ الذي ذَلَّلَهُ لك أن يذلِّلَهُ لي ، قال : فانطلقا يمشيان حتى انتهيا إليه ، فمشيا عليه ، كلٌّ واحد يتعجَّبُ مما أُوتي صاحبُه ، فلما دخلا المغارة إذا قبلته قبلةُ إبراهيم عليه السلام ، فقال له إبراهيم : أيُّ يومٍ خَلَق الله تعالى أشدُّ ؟ قال الشيخُ : يومُ الدِّين ، يوم يضع كُرْسِيَّه ، يوم تُؤْمَر جهنم فتزفُر زفرةً فلا يبقى نَبيٌّ مُرْسل ، ولا مَلَكٌ مُقرب إلاّ تَهُمُّه نفسُه ، قال إبراهيم : يا شيخ ! ادعُ الله لي أن يُؤَمِّنِّي وإيّاك من هَوْل ذلك اليوم ، فقال الشيخ : وما تصنع بدعائي ، إنّ لي في السماء دعوةً محبوسةً منذ ثلاث سنين ، قال له إبراهيم : ألا أخبرك بما حَبَس دعوتك ؟ قال : بلى ، قال : إن الله تعالى إذا أحبَّ عبداً حَبَس دَعَواتِهِ لِحُبِّ صوته ، ثم يجيبُه من بعد ذلك ، وإن الله تعالى إذا أبغض عبداً عَجَّل له الحاجة وألقى اليأْسَ في صدره لبُغْض صوته ، ما دعوتُك يا شيخ التي في السماء محبوسة ؟ قال : مرَّ بي هاهنا شابٌّ في رأسه ذُؤابة منذ ثلاث سنين ومعه غَنَمٌ كأنها حَشْف ، وبقرٌ كأنها حفيت . . .

قال القاضي : هكذا في الحديث وأحسبه حفلت أي جُمِع اللبنُ في ضروعها وأُخِّر حِلابُها ، قلت : لمن هذه ؟ قال : لخليل الرحمن إبراهيم ، قلت : اللهم إن كان لـك في الأرض خليلٌ فارِنيه قبل خُروجي من الدنيا ، قال إبراهيم : قد أجيبتْ دعوتُك ، فاعتنقا ، فيومئذٍ كان أصلُ المعانقة ، وكان قبل ذلك السجود هذا لهذا وهذا لهذا ، ثم جاء الصِّفَاحُ مع الإسلام

فلم يَسْجُدوا ولم يعانقوا ، ولا تتفرَّقُ الأصابع حتّى يغفرُ الله لكلِّ مصافح[1] .

[التعليق على الخبر : الإِصْر ، الذراع]

قال القاضي : الحمد لله الذي وضع عنا الأصار ، والأصار : جمعُ إِصْر ، وهو العهد ، وأصله الثُّقل ، قال اللَّهُ عزَّ وجل : ﴿ رَبَّنا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنا إِصْراً كما حَمَلْتَهُ على الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾[2] يعني التشديد في العَبَادة ،[3] والتثقيل في الشريعة ، وقال تعالى ذكره : ﴿ وأَخَذْتُمْ عَلَى ذلكُمْ إِصْرِي ﴾[4] أي عَهْدي ، وقال جلّ ثناؤه : ﴿ ويَضَعُ عنهم إِصْرَهُمْ والأَغْلَالَ الَّتِي كانَتْ عليهم ﴾[5] يعني التثقيل فيما كُلِّفُوهُ وكُتب عليهم ، وقد قُرِىء : آصَارهم على الجَمْع[6] .

وفي هذا الخبر : أن الرجل الذي لَقِيَه إبراهيمُ عليه السلام كان طولُه ثمانيةَ عَشَرَ ذراعاً ، فجاء به على التذكير والأغلبُ فيه التأنيث[7] ، وفي تذكيره خلاف بين اللُّغويين ، وقد أجازه بعضهم وحكاه ، وقد استقصينا

---

(١) هذه العبارة هي معنى الحديث الشريف : « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا » ، انظره في ابن ماجة باب الأدب ١٥ ، والمسند ٤ / ٨٩ ، ٣٠٣ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٨٦ .

(٣) في ب : العناء .

(٤) سورة آل عمران الآية ٨١ .

(٥) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

(٦) وهي قراءة ابن عامر ، والجمع هنا باعتبار متعلقات الإصر إذ هي كثيرة ، انظر البحر المحيط ٣ / ٤٠٤ .

(٧) انظر اللسان ذرع ، وفيه أن الذراع هي ما بين طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى ، وهي مؤنثة عند سيبويه والأصمعي ، وروي عن الخليل تذكيرها ، والذراع : يقدر بها طول الأشياء كما هو معروف .

القول في هذا في موضع غير هذا ، وشرحناه وأوضحنا البيان عنه وبيّناه .

[حكم المصافحة والمعانقة والقيام للزائر]

وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه ندب إلى المصافحة وكان يفعلها ، وأنه سُئِل : أينحني الرجلُ لصاحبه ، فقال : لا ، قيل أفيعانقه ؟ قال : لا ، قيل : أفيصافحه ؟ قال : نعم[1] .

وقد ذكر استعمال القيام والمصافحة عن بعض السلف ، وليسا عندي بمحظورين ، أو لا أحد من أهل القُدْوة حَرّم ذلك ، غير أن الأخذ بما أدَّب به رسول الله ﷺ أُمّته أولى بذوي الألباب ، وأليقُ بوجه الحق والصواب .

[أصل اليمن ، ما هو]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، حدثنا السكن بن سعيد ، حدثنا يحيى بن عمارة ، عن الحسن بن موسى الأنصاري ، حدثنا أبو غُزَيَّة الأنصاريّ ، قال : حدثني قُرظَة المازني ، عن زياد بن عبدالله الحارثيّ ، وكان أميراً على المدينة في أيام المنصور[2] ، قال : خرجتُ وافداً إلى مروان بن محمد في جماعة ليس فيهم يمانٍ غيري ، فلما كنا ببابه دُفعنا إلى ابن هبيرة[3] وهو على شُرَطِهِ وما وراء بابه ، فتقدّم الوفدُ رجلاً رجلاً

(١) رواه أنس بن مالك ، عن رسول ﷺ بلفظ : « قلنا : يا رسول الله ! أينحني بعضنا لبعض ؟ قال : لا ، قلنا : أيعانق بعضنا بعضاً ؟ قال : لا ، ولكن تصافحوا » انظر سنن ابن ماجة ١٥ باب الأدب .

وروى بألفاظ متقاربة في الترمذي باب الإستئذان ٣١ ، والمسند ٣ / ١٩٨ .

(٢) هو زياد بن عبدالله بن عبدالمدان الحارثي ، ولاه أبو جعفر الحجاز منذ سنة ١٣٧ هـ ، انظر تاريخ ابن الأثير حوادث سنة ١٣٧ هـ .

(٣) هو يزيد بن عمر بن هبيرة ، أبو خالد ، أمير قائد ، من ولاة الدولة الأموية ، ولي قنسرين في =

كلهم يخطب ويُطنب في أمير المؤمنين وابن هُبيرة ، فجعل يبحثهم عن أنسابهم ، فكرهت ذلك ، وقلت : إن عَرَفني زادني ذلك عنده شرًّا ، وكرهتُ أن أتكلم فأُطْنب ، فجعلتُ أتأخر رجاءَ أن يَمَلَّ كلامَهم فيُمْسِك ، حتى لم يبق غيري ، ثم تقدمْتُ فتكلمت بدون كلامهم وإني لقادر على الكلام ، فقال : مِمَّن أنت؟ فقلت : من أهل اليمن ، قال : من أيِّها؟ قلت : من مِذْحج ، قال : إنك لتطمح بنفسك ، اختصر . قلت : من بني الحارث بن كعب ، قال : يا أخا بني الحارث! إن الناس ليزعمون أنّ أبا اليمن قردٌ[1] ، فما تقول في ذلك؟ قلت : وما أقول أصلحك اللَّهُ ، إن الحجة في هذا لغير مشكلة ، فاستوى قاعداً ، وقال : وما حجتك؟ قلت : تنظر إلى القرد أبا من يُكنَّى ، فإن كان أبو اليمن فهو أبوهم ، وإن كان يكنى أبا قيس فهو أبو مَنْ كُنِّيَ به . فنكس ونكت بظفره إلى الأرض ، وجعلت اليمانيّة تَعضّ على شفاهها تظن أن قد هَوِيتُ ، والقيسيَّةُ[2] تكاد أن تَزْدردني ، ودخل بها الحاجب إلى أمير المؤمنين ثم رجع ، فقام ابن هبيرة فدخل ثم لم يلبث أن خرج ، فقال الحارثي : فدخلت ومروان يضحك ، فقال : إيهٍ عنك وعن ابن هبيرة فقلت : قال : كذا فقلت كذا ،

عهد الوليد بن يزيد ، ثم جمعت له ولاية البصرة والكوفة سنة ١٢٨ في أيام مروان بن محمد ، ولما قامت الدولة العباسية ظل يحارب جيوشها حتى أمنه المنصور وكتب له السفاح كتاباً بذلك ، ولكن أبا مسلم عمل على الإيقاع به ، فنقض السفاح عهده له ، وبعث إليه من قتله بقصر واسط سنة ١٣٢ هـ .

انظر وفيات الأعيان ٢ / ٢٧٨ ، وأسماء المغتالين من الأشراف ٢ / ١٨٩ .

(١) انظر عيون الأخبار ١ / ٢١٧ ، فعندما فخر ناس من بني الحارث بن كعب اليمانيين عند أبي العباس السفاح ، رد عليهم خالد بن صفوان بقوله : ما عسى أن أقول لقوم بين ناسج برد ، ودابغ جلد ، وسائس قرد ، دل عليهم هدهد ، وغرقتهم فأرة وملكتهم امرأة .

(٢) القيسية : أي أبناء قيس بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، وكان يزيد بن عمر بن هبيرة منهم ، انظر جمهرة أنساب العرب .

فقال : وايم الله لقد حَجَجْتَه ، أو ليس أمير المؤمنين الذي يقول[1] :

تمسَّك أبا قَيس بفضل هَنَاتِها   فليس عليها إن هلكتَ ضمانُ
فلم أر قرداً قبلها سَبَقَتْ به   جيادَ أميرِ المؤمنين أتانُ

قال زياد : فخرجتُ واتَّبعني ابنُ هبيرة فوضع يده بين مِنكبي ، ثم قال : يا أخا بني الحارث ، واللَّهِ ما كان كلامي إيّاك إلاّ هفوة ، وإن كنت لأربأ بنفسي عن ذلك ، ولقد سرّني إذ لُقِّنْتَ عليَّ الحجة ليكون ذلك لي أدباً فيما أسْتقبل ، وأنا لك بحيث تُحِب ، فاجعلْ منزلك عليَّ ، ففعلتُ فأكرمني وأحسن منزلي .

قال ابن دريد : والبيتان ليزيد بن معاوية ، وذلك أنه كان حمل قرداً على أتانٍ وحشية فسبق بينها وبين الخيل .

[وعلى ذكر القرد]

حدثنا أحمد بن كامل ، قال : حدثني داود بن محمد بن نجيح أبي مضر ، وقال : هو نجيح بن عبد الرحمن ، قال : حدثني أبي ، عن جدّي ، قال : خطب عبدالله بن الزبير فقال من خطبته : يزيد القرد وشارب الخمر ، قال : فبلغت يزيدَ بن معاوية ، فما بات في ليلته حتى

---

(١) البيتان التاليان ، قالهما يزيد بن معاوية كما ورد في الحيوان ٤ / ٦٦ ، والموفقيات ٣٤٦ ، وهما واردان في نهاية خبر يقول : إن يزيد بن معاوية في مجونه نادم قرداً وكان يكنيه أبا قيس ويحضره مجلس شرابه ويطرح له متكأ ، ويسقيه فضلة شرابه ، واتخذ له أتاناً وحشية قد ريضت وذللت له ، فأخذه يوماً فحمله عليها وشده رباطاً ، ثم أرسل الخيل في أثرها حتى كسرتها فماتت الأتان ، فقال يزيد في ذلك ، وينسب البيتان لبعض شعراء الشام كما في غرر الخصائص الواضحة ٦٢ .
وتختلف رواية البيتين في كل مرجع عنها في المرجع الآخر .

جَهّز عشرين ألفاً ، وجلس والشمعُ بين يديه وعليه ثياب مُعَصْفرة وهو يرتجزُ ، ويقول :

أبلغْ أبا بكرٍ[1] إذا الأمرُ انْبَرىَ
وأخذ الجيشُ على وادي القرى
عشرون ألفاً بين كهلٍ وفَتى
أجَمْعَ سكرانٍ من القوم تَرَى[2]

[في أول لقاء بين أبي نواس وأبي العتاهية]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني محمد بن المرزبان ، ثنا أحمد بن منصور المروزي ، حدثنا عمر بن يحيى ، حدثنا إسحاقُ بن إبراهيم الموصلي ، قال : اجتمع عندي أبو نواس وأبو العتاهية ، وكلُّ واحد منهما لا يعرفُ صاحبَه ، فعرَّفْتُ أبا العتاهية أبا نُوَاس فسلَّم عليه ، وجعل أبو نُواسٍ ينشدُ من شَغْشَاف شعره ، فاندفع أبو العتاهية فأنشد ، فقال له أبو نواس : هذا والله هو المُطْمِعُ الممتنع ، فقال له أبو العتاهية : هذا القولُ منك ـ والله ـ أحسنُ من كلٍّ ما أنشدتَ ، كيف البيت الذي مدحتَ به الرشيدَ أو الرَّبيعَ[3] :

قـد كنتُ خفتُك ثم آمَنَني ... مِنْ أنْ أخَافَك خَوْفُك اللَّهَ

لوددتُ أني كنت سبقتُك إليه .

---

(١) أبو بكر : هي كنية عبدالله بن الزبير .
(٢) انظر هذا الخبر في تهذيب ابن عساكر ٧ / ٢٩٦ ، نقلاً عما هنا .
(٣) هذا البيت وما يلي بعده في مدح الربيع بن يونس ، انظرها في ديوان أبي نواس ١ / ٢٤٨ ، مع اختلاف في الترتيب ، وبعض ألفاظ الرواية .

قال أبو بكر بن الأنباري : وأنْشدني أبي هذه الأبيات لأبي نواس في الفضل بن الربيع بغير هذا الإسناد :

ما من يدٍ في الناس واحدةٍ إلّا أبو العباس مولاها
نام الثقاتُ وطال نومُهُمُ وسَرَى إلى نفسي فأحْيَاها
قد كُنْتُ خفتُكَ ثم آمنني من أن أخافَكَ خوفُكَ اللّهَ
فغفوتَ عنّي عفوَ مقتدرٍ حَلّتْ له نِقَمٌ فألْغَاها

[هشام بن عبد الملك يسترضي الأبرش الكلبي]

حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر الأزدي ، ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، قال : حدثني الحسين بن عبد الرحمن ، عن أبي عبد الرحمن الطائي ، عن عبدالله بن عباس ، قال : حدثني الأبرشُ بن الوليد الكلبي[1] ، قال : دخلت على هشام بن عبد الملك فسألته حاجة فامتنع عليّ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! لا بدّ منها ، فإنّا قد ثَنَيْنا عليها رِجْلاً ، قال : ذلك أضعفُ لك أن تَثْنِيَ رِجْلَك على ما ليس عندك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! ما كنتُ أظنُّ أنّي أمدُّ يدي إلى شيء مما قِبَلك إلاّ نلتُه ، قال : وَلِمَ ؟ قلت : لأني رأيتُك لذلك أهلاً ورأيتُني مُستحقَّهُ منك ، قال : يا أبرشُ ! ما أكثر من يرى أنه يستحقُّ أمراً ليس له بأهل ، فقلت : أُفٍّ

(١) كان آنس الناس بهشام بن عبدالملك ، وكان مصاحباً له قبل الخلافة ، فلما أفضت إليه سجد وسجد من كان معه من جلسائه ، والأبرش شاهد لم يسجد ، فقال له : ما منعك أن تسجد يا أبرش ؟ قال : ولِمَ أسجد ، وأنت اليوم معي ماشياً وغداً فوقي طائراً ؟ قال : فإن طرت بك معي ؟ قال : أتراك فاعلاً ؟ قال : نعم ، قال : فالآن طاب السجود ، انظر البيان ١ / ٣٤٥ ، ٢ / ٢٣٩ ، وانظر البرصان والعرجان ، وتدل بعض الحكايات التي أوردها أبو الفرج في الأغاني ١١ / ١٩٤ ، ٢١ / ٣٣٦ أنه كان واسع النفوذ لدى هشام .

لك ، إنك ـ واللّهِ ما علمتُ ـ قليلُ الخير نَكِدُهُ ، والله إنْ نُصِيبُ منك الشيءَ إلاّ بعد مسألة ، فإذا وصل إلينا مَنَنْتَ به ، والله إنْ أصبنا منك خيراً قَطُّ ، قال : لا ، والله ، ولكنّا وجدنا الأعرابيَّ أقلَّ شيءٍ شُكراً ، قلت : والله إني لأكره للرجل أن يُحْصِيَ ما يُعطي .

ودخل عليه أخوه سعيدُ بن عبد الملك[1] ونحن في ذلك ، فقال : مه يا أبا مُجَاشِع ، لا تقل ذلك لأمير المؤمنين ، قال : فقال هشام : أَتَرْضَى بأبي عثمان بيني وبينك ؟ قلت : نعم ، قال سعيدٌ : ما تقولُ يا أبا مُجاشع ؟ فقلت : لا تَعْجَلْ ، صَحِبْتُ ـ واللّهِ ـ هذا وهو أرْذَلُ بني أبيه ، وأنا يومئذٍ سَيِّدُ قَومي وأكثرُهُمْ مالاً وأوجَهُهُمْ جاهاً ، أُدْعَى إلى الأمورِ العظام من قِبَلِ الخُلَفاء ، وما يَطْمع هذا يومئذٍ فيما صار إليه ، حتى إذا صار إلى البحر الأخْضَر غَرَفَ لنا منه غَرْفَةً ثم قال : حسبُ .

فقال هشام : يا أبرشُ ! اغْفِرها لي ، فواللّهِ لا أعودُ لشيءٍ تكرهه أبداً ، صدق يا أبا عثمان .

قال : فواللّه ما زال مُكرماً لي حتى مات .

[الفرزدق يُؤَجِّل ثلاثاً]

حدثنا أبِي رحمَهُ الله ، حدّثنا أبو أحمد الحُتَلِّي ، أخبرنا أبو حفص

(١) هو سعيد بن عبدالملك بن مروان ، ويكنى سعيد الخير ، أمير من بني مروان ، وكان حسن السيرة متعبداً ، ولي الغزو في خلافة أخيه هشام ، وولى فلسطين للوليد ، وكان عاملاً على الموصل وتنسب إليه سوق سعيد بها .
وهو الذي حفر نهر سعيد بقرب الرقة ، وأقام العمران فيها حوله .
قتل يوم نهر أبي فطرس قرب الرملة بفلسطين ، وبه كانت وقعة أبي فطرس التي انتصر فيها عبدالله بن علي العباسيّ على بني أمية سنة ١٣٢ هـ .
انظر تهذيب ابن عساكر ٦ / ١٥٣ ، والكامل لابن الأثير ٥ / ١٦١ .

النسائي ، قال : حدثني عبدالله بن عمرو بن بشر ، قال : حدثني أحمد بن عمرو الزهري ، قال : حدثني عمرو بن خالد العُمَاني ، قال : قدم الفرزدقُ المدينةَ في سَنَةٍ جَدْبةٍ حَصْباء ، فمشى أهلُ المدينة إلى عمر بن عبد العزيز ، وهو يومئذ أميرها فقالوا له : أصلح الله الأمير ، إنّ الفرزدقَ قدم مدينتنا هذه في هذه السنة الجَدْبة التي قد خَلَتْ أموالها ، وليس عند أحدٍ منهم ما يُعطيه ، فلو أن الأمير بعث إليه فأرضاه وتقدّم إليه ألاّ يَعْرض لأحدٍ بمدحٍ ولا هجاء ، قال : فبعث إليه عمر بن عبد العزيز ، فقال : يا فرزدقُ ! إنك قَدِمْتَ مدينتنا في هذه السنة الجدبة ، وليس عند واحد منا ما يُعطي شاعراً ، وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم ، فخُذْها ولا تَعْرِض لأحدٍ بمدح ولا هجاء .

قال : فأخذها الفرزدقُ ومرّ بعبدالله بن عَمْرو بن عثمان وهو جالس في سقيفةِ داره وعليه مِطْرَفٌ وعمامةُ خَزٍّ حمراء وجُبَّةُ خَزٍّ حمراء ، فقال :

أعَبْـدَاللَّهِ أنـتَ أحقُّ مـاشٍ وسـاعٍ بـالجَمَـاعيـر الكبـارِ
فلِلْفَـارُوقِ أمُّـكَ وابنُ أرْوَى أبـوك وأنت مُنْصَـدِعُ النهـارِ
هما قمرُ السَّماءِ وأنت نَجْمٌ به في الليل يُدْلِجُ كلُّ سارِ

قال : فخلع عليه جُبَّتَه والمِطْرَفُ والعِمامة ودعا له بعشرة آلاف درهم . قال : فخرج رجلٌ كان عند عبدالله بن عمرو بن عثمان ، وقد حضر الفرزدق عندما أعطاه عمر بن عبد العزيز وتقدم إليه فأخبر عمر بن عبد العزيز الخبر ، فبعث إليه عمر : ألم أتقدّم إليك يا فرزدقُ ألاَّ تَعْرِض لأحدٍ بمدحٍ ولا هجاء ، اخرج فقد أَجَّلْتُك ثلاثاً ، فإن وجدتُك بعد ثلاث نَكَّلْتُ بك ، قال : فخرج الفرزدق وهو يقول :

أأَوْعَـدَنِـي وأَجَّـلَنِـي ثـلاثـاً كما وُعِدَتْ لمَهْلِكها ثَمُودُ ؟

[قد يُصْلحُ العشقُ الفتيانَ][1]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، ثنا عيسى بن محمد بن ناظرة السدوسي ، قال : حدثني قبيصةُ بن محمد المهلبي ، قال : أخبرني اليمانُ ابن عمر مولى ذي الرِّيَاسَتين قال : كان ذُو الرِّياستين[2] يَبْعثُني وأحداثاً من أحداث أهله إلى شيخ بخراسان[3] له أدبٌ وحُسْنُ معرفةٍ بالأمور ، ويقول لنا : تعلَّموا منه الحكمة فإنه حكيم ، فكنّا نأتيه ، فإذا انصرفنا من عنده سَأَلَنا ذو الرياستين واعترض ما حفظناه فنُخْبِرُه ، فصرنا ذات يوم إلى الشيخ فقال لنا : أنتم أدباءُ وقد سمعتم الحكمة ، ولكم خَيْرَاتٌ ونِعَمٌ ، فهل فيكم عاشق ؟ فقلنا : لا ، فقال : اعشقوا فإن العشق يُطلق اللسانَ الغبيَّ ، ويفتح حيلة البليد والبخيل ، ويبعث على التنظُّفِ ، وتحسين اللِّباس ، وتَطْيِيبِ المَطْعم ، ويدعو إلى الحركة والذكاء . ويُشْرِفُ الهِّمَة ، وإيّاكم والحرامَ .

فانصرفنا من عنده إلى ذي الرياستين ، فسألنا عمّا أفدناه في يومنا ذلك ، فهِبْناهُ أن نُخْبِره ، فغرم علينا ، فقلنا له : أَمَرَنَا بكذا وكذا ، وقال لنا كذا وكذا ، قال : صدق واللّهِ ، أتعلمون من أين أخذ هذا ؟ قلنا : لا ،

---

(١) ترد القصة التالية في المستطرف ٢ / ٣٤ ، ومصارع العشاق ١٨٣ .

(٢) ذو الرياستين هو الفضل بن سهل السرخسي ، أبو العباس ، وزير المأمون ، وكان مجوسياً وأسلم على يده سنة ١٩٠ هـ ، وصحبه قبل أن يلي الخلافة ، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش معاً ، فكان يلقب بذي الرياستين ، مولده ووفاته بسرخس ، قتله جماعة بالحمام ، وقيل : إن المأمون دسهم عليه وقد ثقل عليه أمره ، وكان حازماً عاقلاً من الأكفاء .

انظر : وفيات الأعيان ، وتاريخ بغداد ١٢ / ٣٣٩ ، والكامل لابن الأثير ٦ / ٨٥ و١١٨ .

(٣) في عيون الأخبار ٢ / ١٦٠ أن اسم هذا الشيخ كان سليمان بن عمرو ، كما يرد فيها ما ذكره ذو الرياستين من خبر عن بهرام جور .

قال ذو الرياستين : إن بهرام جُور كان له ابنٌ وكان قد رَشَّحَه للأمر من بعده ، فنشأ الفتى ناقصَ المروءة ، خاملَ النفس ، سيِّىءَ الأدب ، فغَمَّهُ ذلك ، ووكَّل به من المؤدبين والمنجمين والحكماء من يُلَازمه ويعلِّمه ، وكان يسألهم عنه فيحكون له ما يَغُمُّه ، من سوء فهمه وقلة أدبه ، إلى أن سأل بعضَ مؤدِّبيه يوماً ، فقال له المؤدب قد كُنّا نخاف سُوءَ أدبه فحَدَثَ من أمْرِه ما صِرْنا إلى اليأس من فَلَاحه ، قال : وما ذاك الذي حدث ؟ قال : رأى أَمَةَ فلانٍ المَرْزُبَانِ فعشِقها حتى غلبتْ عليه ، فهو لا يَهْذِي إلّا بها ، ولا يتشاغلُ إلّا بذكرها ، فقال بهرام : الآن رجوتُ فَلَاحَه .

ثم دعا بأبي الجارية ، فقال : إنِّي مُسِرٌّ إليك سِرًّا فلا يَعْدُوَنَّكَ ، فضمِن له سِرَّه ، فأعلمه أن ابنَهُ قد عشق ابنتَه ، وأنه يريد أن يُنكحها إيّاه ، وأمرَهُ أن يأمرها بإطماعه في نفسها ، ومراسلته من غير أن يراها ، أو تقع عينه عليها ، فإذا استحكم طمعُهُ فيها تَجنَّتْ عليه وهجرته ، فإن استعتبها أعلمتْهُ أنها لا تصلُح إلّا لملكٍ ومَنْ همَّته همَّةُ مَلِك ، وأنه يمنعها من مواصلته أنه لا يصلُحُ للمُلْكِ ، ثم ليُعْلِمْهُ خبرَها وخَبَرَه ، لا يطلعها على ما أسرّ إليه .

فقبل أبوها ذلك منه ، وفعلت المرأة ما أمرها به أبوها ، فلما انتهت إلى التجنّي عليه ، وعلم الفتى السَّببَ الذي كرهته ، أخذ في طَلبِ الأدب والحكمة ، والعِلم والفروسيّة ، والرِّماية وضَرْب الصَوَالِجة ، حتى مَهَر في ذلك ، ثم رفع إلى أبيه أنه يحتاج من الدوابِّ والآلات والمطاعم والملابس والندماء إلى فوق ما يُقَدَّرُ له ، فسُرَّ بذلك وأمر له به .

ثم دعا مُؤدِّبَهُ فقال له : إن الموضعَ الذي وَضَع ابني نفْسَه من حُبِّ هذه المرأة لا يُزْري به ، فتقدَّم إليه أن يرفعَ إليَّ أمْرَها ، ويسألَني أن أزَوِّجَه

إياها ففعل ، فرفع الفتى ذلك إلى أبيه ، فدعا بأبيها فزوَّجه إياها ، وأمر بتعجيلها إليه ، وقال له : إذا اجْتَمَعْتَ وهي فلا تُحْدِثْ شيئاً حتى أصيرَ إليك ، فلما اجتمعا صار إليه ، فقال : يا بُني ! لا يَضَعَنَّ مِنْها عندك مراسلَتُها إياك وليستْ في حِبَالِك ، فإنِّي أنا أمَرْتُها بذلك ، وهي أعظمُ الناس مِنَّةً عليك بما دَعَتْك إليه من طلب الحِكمة ، والتَخَلُّق بأخلاق الملوك ، حتى بلغتَ الحدَّ الذي تَصْلُح معه للمُلْكِ من بعدي ، فزِدْها من التشريف والإكرام بقدر ما تستحقُّ منك ، ففعل الفتى وعاش مسروراً بالجارية ، وعاش أبوه مسروراً به ، وأحسن ثوابَ أبيها ، ورفع مرتبتهُ وشَرَفه ، بصيانته سِرَّهُ وطاعتِه ، وأحسنَ جائزة المؤدِّبِ بامتثاله ما أمَرَهُ به ، وعقد لابنه على المُلْك من بعده .

قال اليماني مولى ذي الرياستين ، ثم قال لهم ذو الرياستين : سَلُوا الشيخ الآن لِمَ حَمَلَكُمْ على العِشق ؟ فسألناه ، فحدثنا حديث بهرام جور وابنه .

[الآن ظرف ولَطُف]

قال القاضي : وقد حَكى لي بعضُ ذوي الفضل والأدب أنه أُخْبِر عن فتًى من خاصَّةِ أهله أنه عَشِق ، على وجه الزِّرَاية عليه ، فقال : الآن ظَرُف ولَطُف ونَظُف[1] .

[من التلطف في ترقية المرء إلى المعالي]

ومما يضارع خبر بهرام جور في السياسة والتدبير والتلطُّفِ

---

(١) انظر عيون الأخبار ٢ / ١٦١ .

والإحتيال ، في ترقية المرء من الدناءة إلى معالي الأحوال ، ما حدَّثني به بعضُ إخواننا من أهل الأدب عمّن ذكره من نُظرائه ، أن بعض الحكماء حَضَّ أصحابَهُ على طلب العلم ، وذكر لهم عِظَمَ فضله وشَرَفَ أهله ، وقصَّ عليهم فيه قصصاً ، وضرب لهم أمثلة ، فكان مما قاله لهم : إنّ الرَّجُل قد يبلغُهُ الكِبَر ، فَتَكِلُّ أدواتُه ، وتضعُف آلاته ، وتنقطعُ لَذَّاته ، فلا يحفلُ بشيءٍ من أمْر الدنيا إلا بأن يُثْنَى عليه بالمعرفة ، ويُعَظَّمَ بأن يُشارَ إليه بالعلم والحكمة ، فجِدُّوا في طلب العلم ، ولا تيأسوا من إدراكه .

فقد بلغني أن رجلًا قرأ في صحيفة : أنه من أراد شيئاً وسعى في طلبه ناله أو شيئاً منه ، فقال في نفسه : أريدُ أتزوج فُلانة ـ يعني مَلِكَةً كانت في زمانه ، وأخذ في طلب ذلك ، فتوجَّه إلى بلادها وأتى قصرها ، ورأى الحاشية المحيطة ببابها ، وكان يأتي الباب في كل يوم فيجلسُ في فنائه ، وصار بينه وبين الحاشية بعضُ الأنْس لكثرة تردداه ، وكان يحدثهم ويحدثونه ، وربما سألوه عن حاجة إن كانت له فلا يجيبهم بشيء ، إلَّا أنه بَعْدُ قال : لي حاجةٌ إلى الملكة ، فقالوا له : أخْبِرنا بها فإنّ وراءنا خدماً ومن بعدهم جَوارٍ ووصائفَ بحضرتها ، ومن قِبَلِهِنَّ تنتهي الأخبار إليها ، فقال : لا أذكر حاجتي إلّا لها ، فأمسكوا عنه ، وكانت الملكةُ تشرِفُ من بعض مُسْتشرفاتها على فناء قصرها ، وترى من يَحْضُرُ ببابها ، فأرسلتْ بعد سَنَةٍ من مصير ذلك الرجل إلى حضرتها إلى مَنْ بالباب : إني أرى منذُ سَنة رجلًا غريباً يأتي في كلّ يوم ، فانظروا ما شأنه ، فإن كان مظلوماً نصرناهُ ، وإن كان مُسْتميحاً أعطيناه ، وإن خطب عملاً يصلُحُ لمثله ولّيناه ، فأرسلوا إليها بما خاطبهم به إذ سألوه عن حاله ، فأمرت بإدخاله إليها ، فلما وقف بين يديها سألته عن حاجته ، فقال : لا أذكرها وأحدٌ يسمعُ ما أذكره ، فأمرت جواريها بالتباعد ، ثم قالتْ له : قُل ، فقال : قصدتُ الملكة خاطباً

لها ، أتزوَّجُني نفسها ؟ فقالت : إنك لست بمَلِكٍ ولا من وَلَدِ الملوك ، ومتى تزوجتُكَ سقطَتْ منزلتي ، وزال مُلكي ، ولكن ما الذي جَرَّأك على أن خاطبتني بهذا ؟ فأخبرها بما خطر له حين قرأ الصحيفة ، فقالت له : فإنني أرى أن تطلب الحكمة ، وتتعلم العلم حتى تصير رأساً فيه ، وتشتهر في الناس منزلتك منه ، فإن منزلة العلم أشرفُ من منزلة المُلْك ، فإذا صرتَ فرداً في الحكمة حَسُن منك أن تخطبني وحَسُن بي أن أتزوَّجك ، وأن أسمع أهل مملكتي فأقول لهم : قد طالتْ أيّامُ مُلكي وليس في أهل بيتي من يقوم به بعدي ، وقد رأيت أن أتزوج إلى هذا وأرجع إلى رأيه في حياتي ، لفضل علمه وظهور حكمته ، ويقوم مقامي بعد وفاتي ، فلا ينكرُ ذلك أحدٌ من رعيتي .

وفي هذه المدينة دارٌ يجتمع فيها أهل الحكمة ورؤساء الفلاسفة ، ويجتمع الناس إليهم للقراءة عليهم والتعلُّمِ منهم ، وأنا أتقدَّم إلى المتقدم منهم بالتقديم لك والإقبال عليك ، فاجتهدْ في التَّعَلم ، واقطعْ ليلك ونهارك باقتباسه ، فإذا بلغتَ منه رتبةً عالية فحينئذ تنالُ ما أنت راغبٌ فيه من جِهتي ، ففعل ذلك وصار إلى الدّار وأقبل على التعلُّمِ ، وكان ذا ذكاءٍ وفطنة ، وكان يأخذُ في المدة اليسيرة ما يأخذُ غيره في المدة الطويلة ، إلى أن لحق بمن هنالك من متقدِّمي الحكماء ، ثم تقدَّمهم إلى أن صار فرداً فيهم ، واشتهر في الناس فضلُه ، وعَظَّموه لِسَعَةِ علمه وظهور حكمته ، وصار مقصوداً للإستفادة منه ، فخطر ببال الملكة ذكره ، فسألتْ عنه فأُخْبِرت بما انتهى إليه أمره ، فأمرت باستدعائه فحضر ، فقالت له : قد بَلَغني ما أصبتَه من الحكمة ، فهل لك فيما كنت سألتنيه ؟ فقال : لا حاجَة لي في ذلك ، فقالت : وَلِم ، وقد كنتَ حريصاً عليه ؟ فقال : رغبتُ في هذا وأنا أرى أنه أفضلُ ما يبلغه الإنسان في دنياه ، فلما نِلتُ ما نلته من

الحكمة ، وعلمتُ ما علمتُ من أفانين العلم ، تبينتُ ما بين العلم والمُلْك من الفضل ، فرغبتُ بعلمي عن مُلْكِ الدنيا ، فقالت له : لهذا أمرتُك بما أمرتك به ، ورأيتُ أنك إن لم تبلغ الغاية في العلم لم تَعُد إلي ، وإن عَلَتْ طبقتُك فيه رغبتَ بنفسك عن أمور الدنيا ، وعلمتَ أن ما ظفرتَ به أفضلُ مما كنتَ التمسته .

وصَرَفَتْه ولم تَزَلْ مُكْرِمةً له .

[ودرسٌ من أفلاطون للحث على التعلّم]

وقد حكى لي بعضُ المَفَلْسِفين بأنّ فتًى كان يحضرُ مجلسَ أفلاطون ويحبُّه ويعظمه ، ويُؤثر استماع كلامه ، ولا يقرأُ عليه شيئاً ، ولا يتعلم منه كما يتعلم غيره ، وأن هذا الفتى قال لأفلاطون يوماً : قد أحببتُ أيها الحكيمُ أن تحضرَ اليوم منزلى وتأكل من طعامي ، وتكرمني بالمُشَاربة والمنادمة ، فأجابه ، فلما صار إلى منزله أكلا وأخذا في تناول الشَّراب واستماع الملاهي ، ثم إن أفلاطون بصق في وجهه - يعني الفتى - فارتاع لذلك ، وقال : ما هذا أيها الحكيم ؟ فقال : إنّه عُرِض لي هذا الذي نفثته كما يعرض لسائر الناس فيلقونه في أهون الأماكن وأخَسِّها ، ورأيتُ منزلك وفرشك وآنيتَك ، فلم أر موضعاً أخَسَّ من نفسك ، فنبذتُ هذا الأذى فيه ، فقال : قد وَعَظْتَ أيها الحكيمُ فأبلغْتَ ، ونصحتَ فأحسنتَ ، وأنا منذ الآن أسعى في تشريف نفسي بدراسة العِلم وطلب الحكمة .

ثم صار من أشدِّ حاضري مجلس أفلاطون حِرصاً على اكتساب الحكمة ، وأحسنهم للعلم أخذاً .

المجلس السابع والعشرون

[مَذَق فمُذِق له]

حدثنا أبي رحمه الله ، ثنا أبو عبدالله محمد بن العباس مولى بني هاشم ، قال : حدثني محمد بن أبي السريّ ، حدثنا علي بن عاصم ، عن حميد الطويل ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله ﷺ[1] :

« بينا رجلٌ ممّن كان قبلكم يَتَّجِرُ بالخمر في البحر إذ فكَّر في نفسه ، فقال : إنّي آتي قوماً لا معرفة لهم بجيّد الخمر من رديئه ، فلو أنّي مَزجتُ الخمر أُضْعِفَ لي في الثمن ، فأمْهَل حتى اسْتَعْذبوا الماء ، فعمد إلى أوانيه فنصَّفها من الخمر ثم مَزَجَهُ بالماء حتى ملأها ، ثم أتى الموضع فباع بضعْفِ ما كان يبيع ، فلما انصرف رأى في طريقه قِرْدَةً فاستحسنها فاشتراها . وحملها معه في سفينته ، فلما لَجَّجُوا عَدَتِ القردةُ على كيسه فأخذتْه وصعدت الدَّقَل[2] ، فأقْعَتْ عليه والكيسُ بين رجليها ، فصاح بها

(١) الحديث الشريف التالي في مسند الإمام أحمد ٢ / ٣٠٦ ، ٤٧٠ ، وعيون الأخبار ١ / ٢٥٣ .

(٢) الدقل : خشبة طويلة تشد في وسط السفينة يمد عليها الشراع ، ومنه في الحديث : فصعد القرد الدقل ، انظر اللسان « دقل » .

أهلُ السفينة ، فقال لهم : لا تفعلوا فإني أخافُ أن تَقْذِفَ بنفسها والكيسَ في البحر ، فتركوها ففتحت الكيسَ ثم أقبلت تُخرِجُ ديناراً فترمي به في السفينة وديناراً في البحر ، ودرهماً في السفينة ودرهماً[1] في البحر ، حتى أتت على جميع ما في الكيس ثم نزلتْ في السفينة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « مَذَقَ فمُذِق له » .

قال القاضي : في هذا الخبر ما أوجب مجانبة الغِشِّ ، وتدليس العيب في البيع ، وظلم الناس في أموالهم ، وبخسهم أشياءهم ، وتخويف لذوي الألباب بتعجيل العقوبة لهم ، وسوء العاقبة في أموالهم ، وسلبهم ما طمعوا أن يتمتعوا به في دنياهم ، وينتفعوا به في معايشهم مع التعرض للإثم في معادهم ، وحلول ما لا قبل لهم به من عقوبة ربهم .

وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « مَذَقَ فَمُذِقَ له » أي مزج سلعته بغيرها غِشًّا للنّاس إرادةَ تثمير ماله وغِشِّ غيره ، فجُوزي بسلبه الفضل الذي ظَلَم بأخذه ، فسُمِّيتْ مجازاته مَذْقاً ، إلحاقاً لها بالممذُوقِ في حقيقة اللغة من جهة التسمية ، وهذا ضرب من فصيح كلام العرب ، ومُسْتَحْسَنِ خطابها ، كما قال الله تعالى : ﴿ وإنْ عَاقَبْتُمْ فعاقِبُوا بمثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾[2] ، فسَمَّى المبتدأ باسْم الجزاء ، وإن كان الإبتداءُ لا يسمى عقوبة في انفراده ، طلباً للائتلاف ، واتفاق ألفاظ الجملة في الخطاب ، وهذا كثير في القرآن وألفاظ الشريعة ، ومنثور كلام العرب ومنظومه ، من ذلك قول عمرو بن كلثوم :

(١) في ب : ودرهم في الموضعين .
(٢) سورة النحل ، الآية ١٢٩ .

ألَا لَا يَجْهَلَنْ أحـدٌ علينـا فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا[١]

وأصلُ المَذْقِ فيما ذكرنا : الخَلْطُ والمزج ، يقال : لَبَنٌ صِرْفٌ وصَرِيفٌ وممذوقٌ ، ويقال له أيضاً : مَذْق ، فيسمى باسم المصدر ، كما قال الشاعر[٢] :

لم يَسْقِهـا مَـذْقٌ ولا نَصِيفُ ولا تُمَيْـراتٌ ولا تَعْجِيفُ[٣]

لكن غَذَاهَا المَذْقُ والصَّرِيفُ[٤]

وقد استعار هذا المعنى بعضُ المحدثين ، فقال :

وأراك تَـشْـرَبُني وتَـمْـذُقُـني ولقـد عهدتُـك شاربي صِـرْفا

وقال صالح بن عبد القدوس ، وبعضهم يرويه لسابق البربري :

إن الكـريم إذا أحبَّـكَ قلبُـهُ أعـطاك منه مـودةً لا تُمْـذَقُ

وقال أبو معدان مولى آل أبي الحكم :

جَـرَّعَانِي ممـذوقـةً وامْـزُجَـاهـا ليس صِرْفُ الشرابِ كالممذوقِ

وهذا النحو كثير واسع .

---

(١) البيت من معلقته المشهورة ، انظرها في شرح القصائد العشر للتبريزي .

(٢) أبيات الرجز التالية في اللسان « نصف » برواية أخرى ، هي :

لم يغـذهـا مـذق ولا نصيف ولا تميـرات ولا تعـجيـف
لكن غـذاهـا اللبن الخـريـف المحض والقـارص والصـريـف

ونسبها لسلمة بن الأكوع .

(٣) النصيف : هو ما بلغ نصف جزءي الكمال من أي شيء ، والتعجيف : هو أن يحبس المرء نفسه عن الطعام وهو مشته له ليؤثر به غيره ، ولا يكون إلا على الجوع والشهوة ، وهو هنا أيضاً الأكل دون الشبع .

(٤) الصريف : اللبن الذي ينصرف به عن الضرع حارًا ، والخالص غير المختلط ، ورواية هذا البيت هنا فيها تكرار لكلمة المذق ، ولعل رواية اللسان أصح .

[يصارح الحجاج برأيه في أخيه][1]

حدثنا محمد بن الحسن بن دُريد ، أنبأنا عبد الرحمن ، عن عمه ، قال : بلغني أن طاوُوساً كان يقول : بينا أنا جالس مع الحَجَّاجِ بمكة إذ مرّ رجلٌ يُلَبِّي حول البيت ، فرفع صوته بالتلبية ، فقال الحجاج : عليَّ بالرجل ، فأُتِيَ به ، قال : ممن الرجل ؟ قال : من المسلمين ، فقال : ليس عن هذا سألتُك ، قال : فَعَمَّ سألت ، قال : عن البلد ، قال : من أهل اليمن ، قال : كيف تركتَ محمد بن يوسف ؟ قال : تركته عظيماً جسيماً ، رَكَّاباً خَرَّاجاً ولَّاجاً ، قال : ليس عن هذا سألتُك ، قال : فعمّ سألت ؟ قال : عن سيرته ؟ قال : تركته ظَلُوماً غَشُوماً ، مُطيعاً للمخلوق ، عاصياً للخالق ، قال : فما الذي حملك عليَّ بهذا فيه ، وأنت تعرف مكانَهُ مِنِّي ؟ قال : أتراه بمكانه منك أعز بمكاني من الله عزّ وجل وأنا قاضي دَيْنَهُ ، ووافدُ بيته ، ومصدق نبيِّه صلى الله عليه وآله وسلم ، فسكت الحجاج فما أحار جواباً ، وقام الرجل فدخل الطواف .

فاتَّبَعْتُه فإذا هو في المُلْتزم ، وهو يقول : اللهم إنّي أعوذُ بك ، اللهم فاجعل لي في الكهف إلى جُودِك ، والرِّضا بضمانك ، مندوحةً عمّن سواك الباخلين ، وغِنىً عما في أيدي المُسْتأْثِرين ، اللهمّ فَرَجَكَ القريب ، ومعروفَك القديم ، وعادتَك الحسنة ، فلما كان عَشِيَّةَ عَرَفَةَ ، رأيتُهُ واقفاً على الموقف فدنوتُ منه ، فسمعته يقول : اللهم إن كنتَ لم تقبلْ حَجِّي وتَعَبِي ونَصَبِي ، فلا تَحْرِمَنِّي الأجرَ على مصيبتي بِتَرْكِكَ القبولَ مني ،

(١) الخبر التالي في محاضرة الأبرار ١ / ٤١٢ ، والعقد الفريد ٤ / ٣١٠ ، وانظر عيون الأخبار ٢ / ١٥٦ .

قال : فلما كان غَدَاةَ جَمْعٍ أفاضَ مع الناس ، فسمعتُه يقول : يا سَوْءَتاهُ منك يا ربّ وإن غفرت .

ثم لم أره بعد ذلك .

[معنى المندوحة والمستأثرين]

قال القاضي : قوله : مَنْدُوحة ، المندوحة : السَّعَةُ والفُسْحة ، كما قال تميم بن أبيّ بن مُقْبل :

سَرَّ عامر قومي ومن يَكُ قَوْمُهُ كقـومي يكنْ لَهُ بِهم مُنْتَدَح[1]

يعني غُنْيةً ومُتَّسَعاً .

وقوله : عما في أيدي المستأثرين ، المستأثرون : هم الذين يستبِدُّون بما في أيديهم ، يقال : استأثر فلان بما عنده أي استبدَّ بما في يده وتَفَرَّد به ، قال أعشى بني قيس بن ثعلبة[2] :

تَـمَـزَّزْتُهـا غـيـرَ مُـسْـتـأثـرٍ على الشَّرْبِ أو مُنْكِرٌ ما عُلِمْ

ويروى :

غير مُسْتَدْبِرٍ . . . عن الشَّرْبِ

ومن أمثال العرب : إذا اسْتَأْثَر اللَّهُ بشيءٍ فَالْهُ عنه[3] .

---

(١) البيت التالي في ديوانه ٤٢ .

(٢) هو الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، وبيته التالي في الديوان ١٩٧ برواية : غير مستدبر ، وهي رواية سوف يذكرها المؤلف .

(٣) انظر اللسان « أثر » .

وفي الخبر : « أو اسْتَأْثرتَ به في علم الغَيْب عندك »[1] .

ويقال في الذَّمِّ : استأثَرَ فلانٌ بِمالِهِ أنْ يُخرجَهُ في حَقِّه .

وفي المدح : « آثَرَ بما عنده » إذا آثر غيره على نفسه ، وإذا آثر غيره مع حاجته كان أوْلى بالمدح والثَّناء ، وأبعدَ من الذَّمِّ والهِجاء ، قال الله جلّ اسمه : ﴿ ويُؤْثِرُون على أنْفُسِهِم ولو كان بِهِمْ خَصَاصَة ، ومن يُوقَ شُحَّ نَفْسِه فأولئك هُمُ المُفْلِحُون ﴾[2] ، فَبيْنَ المؤثرين والمستأثرين ما بين الأجواد والباخلين ، والمانعين والباذلين ، وأهل هاتين المنزلتين في استحقاق الحمد والذم ، والتفريط والقَصْد ، على رُتْبة من التَّفَاوُتِ بحسب ما تقرَّر في الدِّين ، وثبت في عُرْفِ المسلمين ، وقد قال الله عَزّ وجلّ : ﴿ والَّذِين إذا أنْفَقُوا لم يُسْرِفُوا ولم يَقْتُرُوا وكان بين ذلك قَوَاماً ﴾[3] ، وقال تعالى ذكرُه : ﴿ ولا تجعلْ يَدَكَ مَغلُولَةً إلى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْها كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدُ مَلُوماً مَحْسُوراً ، إنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لمنْ يَشَاءُ ويَقْدِرُ ، إنَّه كان بِعِبَادِه خَبِيراً بَصِيراً ﴾[4] ، وقال تقدَّسَتْ أسماؤه : ﴿ وآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ والمِسْكِينَ وابْنَ السَّبِيلِ ولا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ، إنّ المُبَذِّرين كانوا إخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ، وكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً ﴾[5] .

فقد أبان لنا ربُّنا بفضله وإنعامه علينا في هذا الباب قَصْدَ السبيل ، وأوضح لنا محجَّة الإقتصاد والتَّعْدِيل ، وبيّن أنّ بين الإسراف والتبذير طريقاً

---

(١) انظر المسند للإمام أحمد ١ / ٣٩١ ، ٤٥٦ .
(٢) سورة الحشر ، الآية ٩ .
(٣) سورة الفرقان ، الآية ٦٧ .
(٤) سورة الإسراء ، الآيتان ٢٩ ، ٣٠ .
(٥) سورة الإسراء ، الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

أَمَماً ، وصِراطاً قِيَماً ، فإيّاه نسألُ توفيقاً لسُنَن أولى الفضل ، وهدايتنا سواءَ السَّبيل ، وهو حَسْبُنا ونعم الوكيل .

وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أنه قال : « لا يَعِيلُ أحدٌ على قَصْد ، ولا يَغْنَى أحَدٌ على سَرَفٍ كبير » .

معنى يَعِيلُ هاهنا[1] : يفتقر ، يقال : عال الرجل يَعيلُ عَيْلَةً إذا افتقر ، قال الشاعر[2] :

فمـا يَدْرِي الفقيـرُ متى غِنَاهُ   ولا يـدري الغنيُّ متى يَعِيلُ

وجاء عن النبيّ صلَّى اللَّه عليه وعلى آله وسلّم ، أنه قال : « إنّ المؤمن آخِذٌ عن رَبِّهِ أَدَباً حسناً ، فإذا وَسَّعَ عليه وَسَّع ، وإذا أمسك عليه أمسك » .

حدثنا علي بن محمد بن عبيدالله البزاز ، حدَّثنا جعفر بن محمد التَّمار ، حدثنا إبراهيم بن بشير أبو إسحاق المكي ، حدثنا معاوية بن عبد الكريم الضَّال ، وإنما سُمِّيَ الضال لأنه خرج يريد مكة فضَلَّ الطريق ، قال : سمعت أبا حمزة الضَّبعيّ ، قال : سمعت ابن عمر ، يقول :

قال رسول الله صلَّى اللَّه عليه وآله وسلم : « إنّ المؤمن أَخَذَ عن رَبِّه

---

(١) قوله ها هنا معناه أن يعيل بها معان أخرى في غير هذا السياق ، وهو أمر مفهوم بداهة ، أما معانيها الأخرى فهي كثيرة ، فقد تأتي بمعنى يتكبر ويتبختر كقولهم عال في مشيه يعيل عيلاً : تبختر وتمايل ، وأعال الذئب والأسد والنمر يعيل إعالة إذا التمس شيئاً ، والعيل منهن : الملتمس الباحث ، والجمع عيابيل على غير قياس، أنشد سيبويه :

فيها عيابيل أسود ونمر

إلى غير ذلك من المعاني ، التي يمكن أن ترجع إليها في لسان العرب « عيل » .

(٢) البيت لأحيحة بن الجلاح ، انظره في اللسان ضمن أربعة أبيات، في المادة السابقة .

أدباً حسناً ؛ فإذا وسَّعَ عليه وسّع على نفسه ، وإذا أمسك عليه أمسك » .

[تشدد القضاة في الحق ، وتقدير الخلفاء لهم]

حدثنا محمد بن مَزْيَد البُوشَنْجي ، حدثنا الزبير ، قال : حدثني عمر ابن أبي بكر الموصلي ، عن نمير المدني ، قال[1] :

قَدِم علينا أميرُ المؤمنين المنصُورُ المدينة ، ومحمد بن عمران الطَّلْحي[2] على قَضائِه وأنا كاتبه ، فاستعدى الحَمَّالُون على أمير المؤمنين في شيء ذكروه ، فأمرني أن أكتب إليه كتاباً بالحضور معهم أو إنصافهم ، فقلت : تُعْفِيني من هذا فإنه يَعرفُ خَطِّي ، فقال : اكتُب ، فكتبت ثم ختمه وقال : لا يمضي به والله غَيْرُك ، فمضيتُ به إلى الرَّبيع[3] وجعلت أعتذر إليه ، فقال : لا بأس عليك ، فدخل عليه بالكتاب ، ثم خرج الربيعُ فقال للناس - وقد حضر وجوهُ أهل المدينة والأشراف وغيرهم - : إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : « إنّي قد دُعِيتُ إلى مجلس الحكم ، فلا أعلمنّ أحداً قام إليّ إذا خرجتُ أو بدأني بالسلام » ، ثم

ص ٢٣

(١) القصة التالية في الوزراء والكتاب للجهشياري ، وأخبار القضاة لوكيع ١ / ١٩٣ ، ومحاضرات الأبرار ١ / ٢٩٨ .

(٢) هو محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبدالله التيمي ، وكان آخر قضاة بني أمية بالمدينة ، واشتهر بأنه من رفعاء الناس وذوي أقدارهم ، وله فقه وعلم وأدب ، وروى عنه شيء من الحديث ، كما عرف بالتشدد في الحق والعدل ، وأخباره كثيرة ، انظرها في أخبار القضاة ١ / ١٨١ - ١٩٩ .

(٣) هو الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة كيسان ، أبو الفضل ، من موالي بني العباس ، وزير المنصور والمهدي ، وكان من العقلاء الموصوفين بالحزم ، مهيباً ، محسناً إدارة الشئون ، صرفه الهادي عن الوزارة وأقره على دواوين الأزمة ، فلم يزل عليها ، إلى أن توفي سنة ١٦٩ هـ .

انظر وفيات الأعيان ١ / ١٨٥ ، وتاريخ بغداد ٨ / ٤١٤ .

خرج والمسيَّب[1] بين يديه والربيع وأنا خلفه ، وهو في إزارٍ ورداءٍ ، فسلّم على الناس فما قام إليه أحد ، ثم مضى حتى بدأ بالقبر فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم التفت إلى الربيع فقال : يا ربيع ! ويْحك أخشى إن رآني ابن عمران تدخلُ قلبه هيبةٌ فيتحول عن مجلسه ، وبالله لئن فعل لاوُلِيَ لي ولايةً أبداً ، فلما رآه وكان متكئاً أطلق رداءه عن عاتقِهِ ثم احْتَبى به ، ودعا بالخصوم الحَمّالين ، ثم دعا بأمير المؤمنين ، ثم ادَّعى عليه القومُ فقضى لهم عليه ، فلما دخل الدار قال للربيع : اذهب فإذا قام وخرج مَنْ عنده مِنَ الخصوم فادْعُه ، فقال : يا أمير المؤمنين ما دعاك إلاَّ بعد أن فرغ من أمرْ الناس جميعاً ، فدعاه فلما دخل عليه سلَّم ، فقال : جَزَاك اللّهُ عن دينك وعن نبيِّك وعن حَسَبِك وعن خليفتك أحسن الجزاء[2] ، قد أمرتُ لك بعشرة آلاف دينار فَاقْبضها ، فكانت عامَّةُ أموال محمد بن عمران من تلك الصِّلة .

[البر بالقُصَّادِ وكيف يكون]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، حدثنا أبو عبدالله الفضل بن

---

(١) هو المسيّب بن زهير بن عمرو الضبي ، أبو مسلم ، قائد من الشجعان ، كان على شرطة المنصور والمهدي والرشيد ببغداد ، وولاه المهدي خراسان مدة قصيرة .
توفي في منى سنة ١٧٥ هـ .
انظر المعارف ١٨١ ، تاريخ بغداد ١٣ / ١٣٧ .

(٢) تختلف رواية هذا الجزء في أخبار القضاة عنها هنا ، فعلى حين يذكر المؤلف هنا أن المنصور دعا له بهذه الدعوات إذ نرى وكيعاً في كتابه يذكر أن المنصور وجّه إليه هذه الأسئلة : ما حملك على ما بلغني عنك؟ قال : ما هي ؟ قال : لا تسلم على الناس تيهاً ، قال : وماذا ؟ قال : ولك مكيال ناقص قال: وماذا ؟ قال : لا تشهد الصلاة في جماعة . قال : أما تركي السلام على الناس ، فإن القاضي إذا سلم على الناس ذهبت هيبته ، وأما مكيالي الناقص فإني لا أبيع به ولا أشتري ، وإنما أقوت به عيالي ، وأما تركي الصلاة في جماعة فإني رجل مثقل البدن ، فإذا صليت في جماعة لم يتم لي ، أخرجت منها ؟ قال : نعم ، وأمر له بمال جليل بقي في أيدي ورثته زماناً .

الحسن الأهوازي ، قال : قدم إلى الأهواز رجلٌ من ولد الحسن بن سهل[1] ، حسن الهيئة والأدب ، فأخبرنا جماعةٌ من العراقيِّين أنه كان في نعمةٍ واسعةٍ فزالتْ عنه ، وكان قَصْدُه لأحمد بن دينار ، فقبله أحمد وقال : الْزَمْني ووَعَدَهُ الإحْسَان ، وأجرى عليه وعلى غلام كان معه نُزُلاً[2] من خُبْز ولَحْمٍ وتَوَابِلَه مقدار ثلاثة دراهم ، وقال له : تمهَّلْني فإنِّي في شُغُلٍ ، فإذا انكشف وجهي بَلَغْتُ لك ما تحبّ ، فطال مقامه وأُخْلِقَتْ أثوابُه ، فكتب إليه :

صَحِبتكُمُ عَامَيْن في حالِ عُسْرةٍ ... أُرَجِّي نَـداكُمْ والظُّنُـونُ فُنُـونُ
فما نلتُ منكم طائلاً غير أنني ... تعلمتُ حال الفقر كيف تكون

فوصلت الرقعة إلى أحمد بن دينار ، وكان يعقوب بن إسحاق اليزيدي حاضراً ، فقال : لِمَنْ هذا ؟ فقال : لِرَجُلٍ من ولد الحسن بن سهل ، قال له : وهو مقيمٌ عندك نحواً من حَوْلين ، قال : قريب من ذلك ، فانصرف أبو يوسف ووجّه إلى الرجل فأحضره ودفع له بمائة دينار ، وقَسَّط له على جماعة من الوجوه أربعة آلاف درهم ، وكتب له إلى بَزَّازٍ كان يعامله بكُسْوةٍ بألف درهم ، ووجّه من اكترى له زَوْرقاً إلى مدينة السَّلام ، وزوَّدَهُ زاداً كبيراً حسناً ، وقال له : اخْرُج لا تَلْقَ مَنْ قَصَدْته ، فقال : والله لأضْرِبَنّ جُودَكَ على نائلٍ يكون منه ، ولأُفْرِدَنَّ الشكر لك دونه ، ولأتجهنَّ

---

(١) هو الحسن بن سهل بن عبدالله السرخسي ، أبو محمد ، وزير المأمون وأحد كبار القادة والولاة في عصره ، اشتهر بالذكاء المفرط والأدب والفصاحة والكرم ، وهو والد بوران (زوج المأمون) وكان المأمون يجلة ويبالغ في إكرامه ، وللشعراء فيه أماديح .
توفي في بلده سرخس من نواحي خراسان سنة ٣٣٦ هـ ، عن سبعين عاماً .
انظر : تاريخ بغداد ٧ / ٣١٩ ، وفيات الأعيان ١ / ١٤١ .

(٢) النزل : ما يهيأ للضيف من إكرام .

إلى الله تعالى في صيانتك عن كلِّ دناءةٍ ومَعَرَّةٍ كما صُنْتني عنها ، وانصرف .

وبلغ الخبرُ ابن دينار ، وكان ذلك سَبَبَ وَحْشةٍ عظيمةٍ صارت بينهما

[من سخاء المهديّ]

حدثنا أحمد بن العباس العسكريّ ، حدثنا عبدالله بن أبي سعد ، وحدثني أبي رحمه الله ، حدثنا أبو أحمد الختلي ، قال : حدثني عبدالله ، قال : حدثني عبدالله ابن هارون ، وموسى الفَرَوِي ، قال : حدثني عبد الملك بن عبد العزيز ، عن أبيه ، قال : سألني المهديُّ أميرُ المؤمنين ، فقال : يا ماجشون[1] ! ما قلت حين فُقد أصحابك ، يعني الفقهاء ، قال : قلت :

يا مَنْ لِبَاكٍ على أصحابه جَزِعَا قد كنتُ أَحْذَرُذا مِنْ قَبْلِ أن يَقَعَا
إنّ الزمان رأى إلْفَ السُّرور بنا فدَبَّ بالهَجْرِ فيما بينَنَا وسَعَى
فليصْنَعِ الدَّهْرُ بي ما شاءَ مُجْتَهداً فلا زيادَةَ شيءٍ فوق ما صَنَعَا

فقال : واللّهِ لأُغْنِيَنَّك ، فأجازه بعشرة آلاف دينار فقدم بها المدينة فأكلها في السخاء والكرم[2] .

---

(١) الماجشون بتثليث الجيم والأغلب الفتح ، لقب أطلق على جد هذه الأسرة ، أبي سلمة لحمرة وجهه ثم أطلق على بنيه ، وهي تعريب ماه كون أي لون القمر ، والماجشون الذي في هذا الخبر هو عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة التيمي مولاهم المدني ، أبو عبدالله ، وهو فقيه ومن حفاظ الحديث الثقات ، كان وقوراً عاقلاً ثقة ، أصله من أصبهان ونزل المدينة ثم رحل إلى بغداد وتوفي بها عام ١٦٤ هـ وصلى عليه الخليفة المهدي إعظاماً له .
انظر تذكرة الحفاظ ١ / ٢٠٦ ، وتاريخ بغداد ١٠ / ٤٣٦ ، والأعلام ٤ / ١٤٦ ، وانظر هامشه .

(٢) انظر هذا الخبر في ثمرات الأوراق ٢ / ٢٨٧ .

[الأقوال في « بين »]

قال القاضي : فيما بينَنَا بالنصب ، هكذا رُوِي على الظَّرْف ، وقد حكى بعضُ النحْويِّين عن العرب : أتاني سِوَاءَك ودُونَك ، وذُوكِرْتَ ابروايته بالجرّ هل تَجُوز ؟ وما وجه جوازها ؟ ووجهُ الجرِّ في هذا أن يكون معنى البَيْن هاهنا : الوصلَ[1] ، والمعنى : فدبَّ في وصلنا ، فيكون لها وجهان : أحدهما أن تكون [ما][2] حشواً زائداً كما قيل مثل هذا في قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ من اللَّهِ ﴾[3] ، ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ ﴾[4] ، وروي مثل هذا في قول الشاعر :

فلو أنَّ نَفْساً أَخْرَجَتْها مَخَافَةٌ　　لأخرجَ نفسِي اليومَ ما قال خالدُ

المعنى : قَولُ خالد وقِيلُ خالد ، فقَوْلٌ وقَالٌ ، مثل : عَيْبٍ وعَاب ، وذمٍّ وذامّ ، وقيلٌ وقَالٌ : مثل : قَيْرٍ وقَار .

والوجه الثاني : أن تكون (ما) بمعنى شيءٍ أتتْ للإبهام في النوع أو القدر ويبدل منها ما بعدها ، كأنه قال في البيت : فدبّ فيّ شيء مّا ، ثم فسّره بقوله : بيننا وجرّه على البَدَل منه ، ومثل ما هاهنا قول ذي الرُّمة :

أَشْبَهْنَ من بَقَرِ الخَلْصَاءِ أعْيُنَها　　وهُنّ أحسنُ منها بَعْدَهَا صُوَرا[5]

---

(١) فتكون من الأضداد ، كما في اللسان « بين » .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩ .

(٤) سورة المائدة ، الآية ١٣ .

(٥) البيت في ديوانه ٢٦١ ، وفيه : وهن أحسن من صيرانها صوراً ، ولكنه ذكر الرواية التي هنا على أنها واردة في بعض نسخ الديوان .

المعنى : أحسن منها صُوُرا ، ومن البين بمعنى الوصل قول الشاعر :

لقد كَذَّبَ الواشِينُ بَيْني وبَيْنُها فقرَّتْ بذاك البَيْنِ عَيْني وعينُها[1]

وقال الآخر[2] :

لَعَمْرُكَ لولا البينُ لانْقَطَعَ الهوى ولولا الهَوَى ما حَنَّ للبينِ آلِفُ

ومما أتى بالرفع في بين بالفعل[3] قول الشاعر :

إذا هي قامتْ تَقْشَعِرُّ شَوَاتُها ويُشْرقُ بَيْنُ اللَّيْتِ منها إلى الصُّقْلِ[4]

وقد اختلفت القراء في قراءة قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنكمْ ﴾[5] ، فقرأ ذلك كثيرٌ من قُرَّاء المدينة والشام وبعضُ أهل الكوفة (بينَكُم) بالنصب[6] ، وقرأ كثير من أهل الحجاز والعراق وغيرهم[7] (بينُكُم) بالرفع والنَّصْب ، واحتج كلُّ واحدٍ من الفريقين به ، وهو قوله :

---

(١) بيني وبينها أي وصلي ووصلها ، والبيت في اللسان « بين » برواية : فرق الواشين .

(٢) هو قيس بن ذريح كما في اللسان أيضاً ، والرواية فيه : لا يقطع بالبناء للمفعول .

(٣) بالفعل أي تكون (بين) فاعلاً فيكون العامل فيها الفعل ، وبين هنا ظرف متمكن يحتمل معناه الأصلي ولا علاقة له بالوصل أو الافتراق .

(٤) شواتها : أي ظاهر جلدها ، وبين الليت إلى الصقل : أي من أصل الأذن إلى الخاصرة ، وانظر البيت في اللسان شوى ، وقد مرّ الاستشهاد به فيما سبق .

(٥) سورة الأنعام ، الآية ٩٤ .

(٦) الذي قرأ بذلك نافع والكسائي وحفص ، وخرجه الأخفش على أن (بين) فاعل ولكنه مبني على الفتح حملاً على أكثر أحوال هذا الظرف ، أو يمكن أن يقال : لإضافته إلى مبني كقوله تعالى : ﴿ ومنا دون ذلك ﴾ ، وخرج غيره النصب على أنه منصوب على الظرف ، وفاعل تقطع : التقطع ، وفي هذا الرأي خلاف كبير ، انظره في البحر المحيط ٤ / ١٨٢ .

(٧) قرأ بالرفع القراء السبعة ، وذلك بناء على أنه اتسع في الظرف وأسند الفعل إليه فصار اسماً ، كما استعملوه اسماً في قوله تعالى : ﴿ ومن بيننا وبينك حجاب ﴾ أو على أنه أريد بالبين الوصل ، أي لقد تقطع وصلكم ، وبه قطع المفسر الكبير ابن عطية ، وزعم أنه لم يسمع من

كــأنّ رمـاحَهُمْ أشْـطَانُ بِئْـرٍ بعيـدٍ بَيْنُ جَـالَيْهـا جَـرُورِ[1]

وقد عاب بعضُ أهل العربية ممن يتكلّم في القراءات واخْتَار منها قراءة لنفسه[2] ، وهي القراءة بالنصب في هذا الحرف ، وزعم أن من اختارها حَذَف الموصول وأبقى الصلة واسْتُنْكِرَ هذا إذ[3] كانت الصلة تماماً للموصول ، وكأن الذَّاهب إليه أتى ببعض جملة الاسم دون باقيها كالدَّال من زيد ، وليس هذا كالصفة القائمة مقام الموصوف لأن كل واحدٍ من الموصوف والصفة كلمة تامة في نفسها ، وجعل المعنى هذا القائل : لقد تقطع ما بينكم ، وكأن العائب لهذه القراءة [يعرف] للنصب فيها وجها غير الذي ذكره فطعن فيه وأنكره[4] .

وفي هذا عندي ـ بعد الذي قدمت ذكره في أول هذا الفصل ـ وجه آخر لم أر أحداً قبلي أتى به ، وهو أن يكون تأويل الكلام لقد تقطع ما كنتم

العرب البين بمعنى الوصل وإنما انتزع من هذه الآية .

والتوجيه الثالث أن يراد بالبين الافتراق ، وذلك مجاز عن الأمر البعيد ، والمعنى لقد تقطعت المسافة بينكم لطولها ، فعبر عن ذلك بالبين .

أنظر البحر المحيط ٤ / ١٨٢ .

(١) البيت في اللسان (بين) برواية : كأن رماحنا ، وأشطان البئر : حباله التي ترفع بها الدلاء ، وجاليها : أي جانبيها من أسفلها إلى أعلاها ، مفرده جال وجيل وجول ، انظر اللسان (جول) ، والجرور : البعيدة القعر ، ويقول الأصمعي : بئر جرور هي التي يُستقىٰ منها على بعير ، وإنما يقال لها ذلك لأن دلوها يجرَ على شفيرها لبعد قعرها . اللسان (جرر) .

(٢) في هذه الجملة بعض اضطراب ، ولعله يريد أن يقول : وقد عاب بعض أهل العربية ممن يتكلم في القراءات (هذه القراءات) واختار منها . . . الخ .

والواقع أن هذا العائب لم يعب القراءات وإنما عاب توجيهها فقط كما سيأتي في العبارة ، فتأمل .

(٣) في ب : إذا .

(٤) يعيب الإمام اللغوي أبو حاتم السجستاني توجيه هذه القراءة التي حذف فيها الموصول وبقيت صلته ، وقد رد عليه برد فيه طول ، انظره في القرطبي والبحر المحيط واللسان .

تزعمون بينكم وضلَّ عنكم ، كأنه قال : الذي كنتم تزعمون تقطع بينكم فلم ينتظم لكم ويَصْلُحْ به أمرُكم ، وهذا قوله تعالى : ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِم الأَسْبَابُ ﴾[1] .

[يتخلص من الولاية ببيت شعر][2]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، أنبأنا أبو عثمان ، قال : حدثني العُتْبي :

قال : ولّى عمرُ بن عبد العزيز رجلاً فكره الولايةَ ، فكتب إلى عمر : بسم اللّه الرَّحمن الرَّحيم ، لعبدالله عمر أمير المؤمنين ، أما بعد :

فـاسْقِنِي شَـرْبَــةً أَلَـذُّ عَلَيْهـا ثم عِدَّ مِثْلَ شَرْبَتِي لِهِشَامِ[3]

فكتب إليه عمر : اعتزلْ عملي ، فاعتزل ثم كتب إليه :

عَسَـلاً سَـائِغـاً وَمَـاءً قُـرَاحـاً إنَّني لا أُحِبُّ شُرْبَ المُدَامِ

فكتب إليه عمر : عُدْ إلى عملك ، فكتب إليه : لا حاجة لي في عملكم .

[أنت أسْوَدُ أم حاتمٌ]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباريّ ، أنبأنا أبو العباس أحمد بن

---

(١) سورة البقرة الآية ١٦٦ .

(٢) القصة التالية في أخبار الأذكياء ١١٩ ، ١٢٠ بتحقيقنا ، وفيه أنها كانت بين رجل من قريش وعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأن الرجل قال البيت الأول فاستقدمه عمر فقال البيت الثاني فأبقاه ولم يعزله .

(٣) في أخبار الأذكياء : واسق بالله مثلها ابن هشام .

يحيى ، عن محمد بن سلام ، قال[1] :

قيل لأوس بن حارثة ، وهو أوس بن سَعد الطائيّ : أنتَ أسْوَدُ أم حاتم ؟ وكان أوسُ يَمْشي في ثلاثين[2] من ولده ، فقال : لو أنني وَوَلَدِي لحاتم لأنْهَبَنَا في غَدَاة .

وقيل لحاتم : أنت أسْودُ أم أوْس ؟ فقال : بعضُ وَلَدِ أوْسٍ أسْودُ منّي .

[يُصْلِح بين عبد الملك وزَوْجِه فينالُ حُكمه]

حدثنا الحسن بن أحمد الكلبي ، حدثنا محمد بن زكريا ، حدثنا عبدالله بن الضحاك المصري ، قال : حدثنا الهيثم بن عدي الطائي ، قال : حدثني أبي .

أن عبد الملك بن مروان كان من أشدّ الناس حُبًّا لامرأته عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، وأمُّها أم كلثوم بنت عبدالله بن عامر بن كُرَيْز ، قال : فَغَضِبَتْ عليه - يعني على عبد الملك - وكان بينهما باب فحجبتْه وأغلقَتْ ذلك الباب ، فشقَّ على عبد الملك فشكا إلى خاصته ، فقال له عمر بن بلال الأسديّ : مالي عندك إن رَضِيَتْ ؟ قال : حُكْمُك ، قال : فأتى عُمَرُ ابن بلال بَابَها باكياً ، فخرجتْ إليه حاضنتُها ومواليها وجواريها ، فقلن : مالك ؟ فقال : فزعتُ إلى عاتكة ورجوتُها ، فقد عَلِمَتْ مكاني من أمير المؤمنين معاوية ومن يزيد بعده ، فقلن : مالك ؟ قال : كان لي ابنان لم

---

(١) الخبر التالي في عيون الأخبار ٢ / ٢٣ ، وفيه أن النعمان بن المنذر قال لجلسائه : والله لأفسدن ما بينهما ، قالوا : لا تقدر ، قال : بلى ، فقلما جررت الرجال في شيء إلا بلغته . . . الخ .

(٢) في عيون الأخبار أن حاتماً قال : إن لأوس عشرة ذكور . . .

يكن لي غيرهما فَقَتَلَ أحدُهُما صاحبه ، فقال أمير المؤمنين : أنا قاتلُ الآخَر ، فقلت : أنا الوليّ وقد عفوتُ .

فقال : لا أعوّد الناس هذه العادة .

ورجوت الله تعالى أن يحيا ابني هذا ، فدخلْنَ عليها فذكرن لها ذلك ، فقالت : فما أصنع مع غضبي عليه ، وما أظهرت له ؟ فقلن : إذاً والله يقتل ابنه .

فلم يزلن بها حتى دَعَتْ بثيابها فلبستْها ، ثم خرجت إليه من الباب ، فأقبل خديج الخادم ، فقال : يا أمير المؤمنين ! عاتكة قد أقبلتْ ، فقال : ويلك ! ما تقول ؟ قال : قد ـ والله ـ طَلَعَتْ .

قال : فأقبلتْ فسلَّمتْ فلم يردَّ ، فقالت : أمَا ـ والله ـ لولا عُمرُ بن بلال ما جئتُ قطُّ ، فلا بدَّ أن تَهَبَ لي ابنَه ، فإنه الوليُّ وقد عَفَا .

قال : إني أكرهُ أن أُعَوِّدَ الناسْ هذه العادة .

فقالت : نَشَدْتُك الله يا أمير المؤمنين ، فقد عرفتَ مكانه من أمير المؤمنين معاوية ومن يزيد .

فلم تزل به حتى أخذت رجله فقبّلتها ، فقال : هو لك . فلم يبرحا حتى اصطلحا .

قال : ثم راح عمر بن بلال إلى عبد الملك ، فقال له : رأينا ذلك الأمر ، حاجتَك ؟

قال : مزرعةً بعَبيدِها وما فيها ، وألْفَ دينارٍ ، وفَرَائضَ لولدي وأهلِ بيتي ، وإلْحاقَ عُمَّالِي .

قال : ذلك لك .

المجلس الثامن والعشرون

[أنت صاحب الجُبَيْذة بالأمس ؟]

حدثنا محمد بن عبدالله بن الحسين المُسْتَعيني ، حدثنا إسماعيل بن عبدالله بن ميمون ، حدثنا الأسود بن عامر ، حدثنا هَرْثَمُ بن سفيان ، عن بَنان ، عن قُعَين ، عن أبي سَهم ، قال :

كنتُ بالمدينة فمرَّتْ بيَ امْرأةٌ فأخَذْتُ بكَشْحِهَا ، وأصبح رسولُ الله صلّى اللّه عليه وآله وسلم يُبايعُ الناسَ ، فأتيتُه فلم يُبايعْني ، فقال : أنت صاحبُ الجُبَيْذَةِ بالأمس ؟ فقلت : يا رسول الله ! لا أعُودُ ، قال : فَبايَعَنِي[1] .

[تعليق لغوي : الكشحُ والجبيذة]

قال القاضي : الكَشْحُ : الخاصرة ، كما قال زهير[2] :

---

(١) الحديث الشريف في مسند الإمام أحمد ٥ / ٢٩٤ .
(٢) البيت في ديوانه .

وكان طَوَى كَشْحاً على مُسْتَكَنِّهِ   فلا هُوَ أبْداها ولم يَتَندَّمِ

وقوله : الجُبيذة : تصغيرُ جَبْذَة ، والجَذْبةُ ، يقال : جَبَذْتُ الشيء وجَذَبْته إذا شددتُه إليك ، ونحو هذا من كلام العرب : صَاعِقَةٌ وصَاقِعَة ، وما أطْيَبَهُ وما أيْطَبَه ، ويبتغي بي الدم ويتبغّى في كثير من الكلام أتى كذلك ، وسمى اللغويُّون هذا النوع « باب القلب » ، وقد جمع بعضهم هذا الضرب أو ما انتهى إليه منه .

[وسيلةٌ مؤكدة]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد : أنبأنا أبو حاتم ، عن العتبي ، قال :

قال بعض خلفاء بني أمية ـ ولم يسمّه[1] ـ ما توسل إليّ أحدٌ بوسيلة ، ولا تذرّع بذريعةٍ هي أقرب إلى ما يحبُّ منّي من يَدٍ سبقتْ منّي إليه أُتْبِعُها أختَها لِيُحْسِنَ حفظها ، لأن مَنْع[2] الأواخر يقطعُ لسانَ شكر الأوائل ، وما سمحتْ نفسِي بِرَدٍّ بِكر الحوائج[3] .

[تشدُّد شريك بن عبدالله[4] في إحقاق الحق]

حدثنا محمد بن يزيد الخزاعي ، حدثنا الزبير ، قال : حدثني

(١) ورد هذا الكلام منسوباً ، للإمام الجليل جعفر بن محمد الصادق ، في عيون الأخبار ٣ / ١٧٦ .

(٢) في ب : صنع .

(٣) لم ترد هذه الجملة في عيون الأخبار .

(٤) شريك بن عبدالله بن الحارث النخعي الكوفي ، أبو عبدالله ، فقيه ، حافظ للحديث ، اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته ، اختاره أبو جعفر المنصور قاضياً على الكوفة سنة ١٥٣ هـ ، =

عمّي ، عن عمر بن الهيام بن سعيد ، قال[1] :

أتته امرأةٌ يوماً - يعني شريكاً - من وَلَدِ جرير بن عبداللّهِ البَجَلِيِّ صاحب النبي ﷺ وهو في مجلس الحكم ، فقالت : أنا بالله ثم بالقاضي ، امرأةٌ من ولد جرير بن عبداللّه صاحب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلّم ، وردَّدت الكلام ، فقال : إيهاً عنك ، الآن من ظلمك ؟ قالت : الأميرُ عيسى بن موسى[2] ، كان لي بستانٌ على شاطىء الفُرات ، لي فيه نخلٌ ، ورثْتُه عن آبائي ، وقاسمتُ إخوتي ، وبنيتُ بيني وبينهم حائطاً ، وجعلتُ فيه رجلاً فارسيًّا[3] في بيتٍ يحفظُ لي النَخْلَ ويقومُ بِبُسْتاني ، فاشترى الأميرُ عيسى من إخوتي جميعاً وسَامَنِي فأَرْغَبَنِي فلم أبِعْهُ ، فلما كان في هذه الليلة بعث خمسمائة فاعلٍ فاقتلعُوا الحائط ، فأصبحتُ لا أعرف من نَخْلي[4] شيئاً واختلط بنخل إخوتي . قال : يا غلام ! طينَة ، فختم لها خَاتماً ، ثم قال لها : إمْضِي به إلى بَابِه حتى يحضرَ معكِ .

فجاءت المرأة بالطينة فأخذها الحاجبُ ودخل على عيسى ، فقال

ثم عزله ، وأعاده المهدي ثم عزله ، توفي بالكوفة عام ١٧٧ هـ ، عن اثنين وثمانين عاماً .
ترجمته في تاريخ بغداد ٩ / ٢٧٩ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٢١٤ ، أخبار القضاة ٣ / ١٤٩ - ١٧٥ .

(١) القصة التالية في أخبار القضاة ١ / ١٧٠ .

(٢) عيسى بن موسى بن محمد العباسي ، ابن أخي السفاح ، أمير من الولاة القادة ، ولاه عمه الكوفة حينما آلت إليهم الدولة سنة ١٣٢ هـ وجعله ولي عهد المنصور ، وكان من ذوي النجدة والرأي ، استنزله المنصور عن ولاية العهد نظير مال وفير وجعله ولي عهد ولده المهدي ، ثم طلب المهدي أن ينزل أيضاً لولده الهادي فلم يقبل ، وتوفي معتكفاً بالكوفة سنة ١٦٧ هـ .
أنظر الكامل لابن الأثير ٦ / ٢٥ ، والطبري ١٠ / ٨ .

(٣) في أخبار القضاة : فارساً .

(٤) في أخبار القضاة : محلتي .

له : أَعْدِيَ شريكٌ عليك ، قال له : أدْعُ لي صاحبَ الشرطة ، فدعا به ، فقال : امْضِ إلى شريك فقل له : يا سبحان الله ! ما رأيتُ أعجبَ من أمْرِك ، امرأةٌ ادَّعتْ دَعْوى لم تصحَّ ، أَعْدَيْتها عليَّ ؟ فقال : إن رأى الأميرُ أن يُعفِيَني فَلْيفعل ، فقال : امضِ وَيْلَك .

فخرج فأمر غلمانه أن يتقدّموا إلى الحبس بفراشٍ وغير ذلك من آلة الحبس ، فلما جاء وقف بين يدي شريكٍ القاضي فأدّى الرسالة ، فقال لصاحبه : خُذْ بيده فضعْهُ في الحبس ، قال : قد ـ والله يا أبا عبدالله ـ عرفتُ أنك تفعلُ بي هذا ، فقدَّمتُ ما يُصْلحني إلى الحبس .

قال : وبلغ عيسى بن موسى ذلك فوجَّه بحاجبه إليه ، فقال : هذا من ذاك ، رسولُ أي شيءٍ أنت ؟ فأدَّى الرسالة ، فألحقه بصاحبه فحُبس .

فلما صلَّى الأميرُ العصرَ بعث إلى إسحاقَ بنِ صَباحِ الأشْعَثيِّ[1] وإلى جماعة من وجوه الكوفةِ من أصدقاءِ شريك ، فقال : أمْضُوا إليه وأبلغوه السَّلامَ وأَعْلمُوه أنه قد استخفَّ بي ، فإنِّي لستُ كالعَامَّة .

فمضَوْا وهو جالسٌ في مسجده بعد العصر ، فدخلوا إليه فأبلغوه الرسالة ، فلما انقضى كلامُهم ، قال لهم : مالي لا أراكُم جئتم في غيره من الناس ؟ ! من هاهنا من فتيان الحيِّ ؟ فابتدرُوهُ ، فقال : يأخذْ كلُّ واحد منكم بيدِ رجلٍ من هؤلاء فيذهبْ به إلى الحبس ، لا بِتُّمْ ـ والله ـ إلّا فيه ، قالوا : أجادٌّ أنت ؟ قال : حقًّا ، حتى لا تعودوا تَحملُوا رسالةَ ظالم ، فحبسهم .

---

(١) كان صاحب شريك ووكيله على النظر في المحارم ، ثم تولى قضاء الكوفة من بعده ، انظر أخبار القضاة ٣ / ١٧٣ ، ١٧٥ .

فركب عيسى بن موسى في الليل إلى باب الحَبْس ففتح الباب وأخذهُم جميعاً ، فلما كان من الغَدِ وجلس شريكٌ للقضاء ، جاء السَّجَّان وأخبره ، فدعا بالقِمَطْرِ فختمها ووَجَّه بها إلى منزله ، وقال لغُلامه : إلْحقْني بثَقَلِي[1] إلى بغداد ، والله ما طلبنا هذا الأمرَ منهم ، ولكنْ أكرهُونا عليه ، ولقد ضَمِنُوا لنا الإعزازَ فيه .

ومضى نحو قنطرة الكوفة يريد بغداد ، وبلغ عيسى بن موسى الخبرُ ، فركب في موكبه فلحقه وجعل يناشده الله ويقول : يا أبا عبدالله ! تَثَبَّتْ ، انْظُر إخوانَك تحبسْهم ؟ دَعْ أعْواني ، قال : نعم ، لأنَّهُم مَشَوْا لك في أمرٍ لم يَجِبْ عليهم المشْيَ فيه ، ولستُ ببارح أو يُردُّوا جميعاً إلى الحبس ، وإلَّا مضيتُ من فوري إلى أمير المؤمنين فاستعفيتُه فيما قَلَّدني .

فأمر بردِّهم جميعاً إلى الحبس ، وهو ـ والله ـ واقفٌ مكانه حتى جاءه السَّجَّان ، فقال : قد رجعوا إلى الحبس ، فقال لأعوانه : خُذُوا بلجامه قُودُوه بين يَدَيَّ إلى مجلس الحكم ، فَمَرُّوا به بين يديه حتى دخل المسجد ، وجلس مجلس القضاء ، ثم قال : الجَرِيرِيَّةُ[2] المُتَظَلِّمةُ من هذا ؟ فجاءت ، فقال : هذا خَصْمُكِ قد حضر ، فلمّا جلس معها بين يديه قال : يَخْرجُ أولئك من الحبس قبل كلِّ شيءٍ ، ثم قال : ما تقولُ فيما تَدَّعِيه هذه ؟ قال : صَدَقَتْ ، فقال : تَرُدُّ جميعَ ما أُخِذَ منها إليها وتَبْنِي حائطَها في أسْرع وقت ، كما هدم ، قال : أَفْعَلُ ، أَبَقِيَ لَكِ شيءٌ ؟ قال : تقول المرأةُ : نعم ، وبيتُ الفارسيِّ ومَتاعُه ، قال : وبيتُ الفارسيِّ ومتاعُه ، فقال شريك : أَبَقِيَ شيءٌ تَدَّعينه عليه ؟ قالت : لا ، وجَزَاكَ اللَّهُ

---

(١) الثقل : متاع المسافر وغراضه التي تلزمه في سفره .
(٢) في ب : الجويرية .

خيراً ، قال : قُومي ، وَزَبرها ، ثم وثب من مجلسه فأخذ بيد عيسى بن موسى فأجْلَسَه في مَجْلِسِه ، ثم قال : السلام عليك أيها الأمير ، تأمرُ بشيء ؟ قال : بأيِّ شيءٍ آمُر ؟ وضحك .

[من بلاغة خالد بن صفوان[1] وحُسْنِ كلامه]

حدثنا أبي ، حدثنا أبو أحمد الختلي ، أنبأنا أبو حفص النسائي ، قال : حدثني محمد بن عمرو ، عن الهيثم بن عديّ ، قال :

خرج هشامُ بن عبد الملك ومعه مَسْلَمةُ أخوه إلى مصانعَ[2] قد هُيئتْ له وزُيِّنت بأنواع النَّبت ، وتَوافى إليه بها وفودُ أهل مكة والمدينة وأهل الكوفة والبصرة ، قال : فدخلوا عليه وقد بُسِطَ له في مجالسَ مُشْرِفَةٍ ، مُطلّةٍ على ما شُقَّ له من الأنهار المحفَّةِ بالزيتون في سائر الأشجار ، فقال : يا أهل المدينة ! هل فيكم مثلُ هذه المصانع ؟ قالوا : لا ، غير أنّ فينا قبرَ نبيِّنا المُرْسَل صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم ، ثم التفت إلى أهل الكوفة ، فقال : أفيكم مثلُ هذه المصانع ؟ قالوا : لا ، غير أنّ فينا تلاوة كتاب الله

---

(١) ابن الأهتم التميمي المنقري ، من فصحاء العرب المشهورين ، حتى لقد جمع بعض كلامه في كتاب ، وكان يجالس عمر بن عبدالعزيز وهشام بن عبدالملك ، وله معهما أخبار ، ولد ونشأ بالبصرة وكان أيسر أهلها مالاً ، وقد عاش حتى أدرك خلافة السفاح ،حظي عنده ، وكان لفصاحته أقدر الناس على مدح الشيء وذمه عمي في أواخر عمره ، وتوفي سنة ١٣٣ هـ .
انظر وفيات الأعيان ١ / ٢٤٣ في أثناء ترجمة أبي بردة الأشعري ، وأمالي المرتضى ٤ / ١٧٢ ، ونكت الهميان ١٤٨ ، والبيان والتبيين ، والحيوان في أكثر من موضع .

(٢) المصانع : المصانع في قوله تعالى ﴿ وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ﴾ قيل إنها الأبنية ، وقيل : هي أحباس الماء ، وقال الأصمعي : هي مساكات لماء السماء يحتفرها الناس فيملؤها ماء السماء يشربونها ، وقال الأصمعي أيضاً : العرب تسمي القرى مصانع ، والمصانع أيضاً : الحصون . انظر في هذه المعاني : اللسان (صنع) .

المنزَّل ، ثم التفت إلى أهل البصرة ، فقال : أفيكم مثل هذه المصانع ؟ قال : فقام إليه خالد بن صفوان : فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، إن هؤلاء قد أقرُّوا على أنفسهم ، ولو كان فيهم من له لسانٌ وبيانٌ لأجاب عنهم ، فقال له هشام : أفعندك غير ما قالوا ؟ قال : نعم ، أصِفُ بلادي ، وقد رأيتُ بلادَك نَفْسَها ، فقال : هاتِ ، فقال : يَغْدُو قانِصُنا فيجيء هذا بالشَّبُّوط والشِّيم[1] ، ويجيء هذا بالظَّبْي والظَّلِيم ، ونحن أكثرُ الناس عاجاً وساجاً ، وخزًّا وديباجاً ، وخريدة مِغْنَاجاً ، وبِرْذَوْناً هِمْلاجاً ، ونحن أكثر الناس فَيْداً[2] ونقداً ، ونحن أوسعُ الناس بَرِّيَّةً ، وأريفهم بحريَّة[3] ، وأكثرهم ذُرِّيَّة ، وأبعدُهُم سَرِيَّة ، بيوتنا ذهب ، ونهرنا عجب ، أوله رُطب ، وآخرهُ عِنَب ، وأوسطُه قَصَب[4] .

---

(١) الشبوط : نوع من السمك يكثر في نهر دجلة ، عريض الوسط ، دقيق الذنب ، لين المس ، انظر المعجم الوسيط .

أما الشيم فقد ذكر في اللسان (شام) أنه ضرب من السمك ولم يعينه ، ثم ذكر بيت شعر هو :

قـل لطغـام الأزد لا تبطروا   بـالشيـم والجـريث والكـنعـد

(٢) الفيد : يعني به الفائدة وهي ما منحه الله تعالى للعبد من خير يستفيده ويستحدثه .

(٣) أريفهم بحيرة : أي أكثرهم ريفاً ، والريف الأرض التي فيها الزرع والخصب ، وذلك حيث يكون الماء متوفراً ، فهو يعني أنهم أكثر الناس ماءً ولذا فهم أكثرهم ريفاً وخضرة .

(٤) ورد جزء من هذه المحادثة في عيون الأخبار ١ / ٢١٧ ، والبيان والتبيين ٢ / ٩٤ ، وهي مفاخرة بين الكوفة والبصرة تدور بين خالد بن صفوان والأحنف وأبي بكر الهذلي على النحو التالي :

سئل خالد عن الكوفة فقال : نحن منابتنا قصب ، وأنهارنا عجب ، وثمارنا (سماؤ نا) رطب ، وأرضنا ذهب ، قال الأحنف : نحن أبعد منكم سرية ، وأعظم منكم بحرية ، وأعذى منكم برية ، وقال أبو بكر الهذلي : نحن أكثر منكم ساجاً وعاجاً وديباجاً وخراجاً ونهراً عجاجاً . . .

وتدل عبارة وردت بين ابن عباس وأبي بكر الهذلي أن هذه المفاخرة قد كانت أمام أبي العباس السفاح ، انظر عيون الأخبار ١ / ٢٢٠ .

أما مقدمة الخبر فلعلها تكون قد حدثت بين هشام وابن صفوان ، وقد قام ابن صفوان آنذاك مقام الواعظ لأمير المؤمنين ، انظر العيون ٢ / ٣٤١ .

فأمّا نهرهُ العجبُ ، فإنّ الماءَ يُقبل وله عُبَاب ونحن نيامٌ على فُرُشِنا ، حتى يدخل بأرضنا ، فيغْسِل آنيتَها ، ويَعْلُو مَتْنَها ، فنبلغ منه حاجاتِنا ، ونحن على فرشنا ، لا نُنافِسُ فيه من قِلَّة ، ولا نُمنَعُ منه لِذِلَّة ، يأتينا عند حاجتنا إليه ، ويذهب عنا عند رِيِّنا منه ، وغناءنا عنه .

النخلُ عندنا في منابته ، كالزَّيتون عندكم في منازله ، فذلك في أوانه ، كهذا في إبّانه ، ذاك في أفنانه ، كهذا في أغصانه ، يخرجُ أَسْفَاطاً عِظاماً وأوساطاً ، ثم ينغلقُ عن قضبان الفِضَّة منظومة بالزبرجد الأخضر ، ثم يصير أصفر وأحمر ، ثم يصير عسلاً في شَنِّه ، مرتتجاً بِقَرَبِـه ، ولا إناء حولها المذاب ، ودونها الحراب ، لا يقربها الذباب ، مرفوعة عن التراب ، من الرَّاسِخاتِ في الوَحْل ، المُلْقَحَاتِ بالفَحْل ، المُطْعِمَاتِ في المَحْل .

وأمّا بيوتُنا الذهب فإنّ لنا عليهن خَرْجاً في السنين والشهور نأخذه في أوقاته ، ويدفع الله عنه آفاته ، وننفقه في مرضاته .

قال : فقال هشام : وأنّى لكم هذا يا ابن صفوان ولم تسبقوا إليه ، ولم تغلبوا عليه ؟ فقال : ورثناه عن الآباء ونَغْمُرهُ للأبناء ، ويدفعُ لنا عنه ربُّ السماء ، فمثلُنا فيه كما قال أوسُ بن مَغْراء الشاعر :

فمهما كان مِنْ خَيْرٍ فإنَّا وَرِثْنَاهُ أَوَائِلَ أوَّلِينَا
ونحنُ مُوَرِّثُوه كما وَرِثْنا عن الآباءِ إن مِتْنا بَنِينَا

قال : فقال هشام : لِلَّهِ دَرُّكَ يا ابن صفوان ، لقد أُوتيتَ لساناً وعِلْماً وبياناً ، فأكرمَهُ وأحسنَ جائزته وقَدَّمه على أصحابه .

[السبب في عزل شريك بن عبدالله القاضي][1]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني محمد بن المرزبان ، قال : حدثني أبو بكر العامري ، حدثنا مُصعب بن عبداللَّه الزُّبَيري ، قال : حدثني أبي ، قال : تقدَّم إلى شريك بن عبداللَّه وكيلٌ لمُؤْنِسَةَ مع خَصْمٍ له ، فجعل يستطيل على خَصْمه إدْلالاً بموضعه من مُؤْنِسَة .

فقال له شريكٌ : كُفَّ لا أبا لَكْ .

فقال : أتقولُ هذا لي وأنا وكيلُ مُؤنسة ؟ !

فأمَرَ به فصُفِعَ عَشْرَ صَفَعَاتٍ .

فانصرف يجري ودخل على مُؤْنِسة وشَكَالها ، فكتبتْ مُؤنِسَةُ إلى المهديِّ فعزل شَرِيكاً .

وكان قبلَ هذا بيسيرٍ قد دخل شريكٌ على المهديِّ ، فقال له : ما ينبغي لك تَقَلُّدُ الحِكم بين المسلمين ، قال : ولم ؟ ! قال : لخلافك على الجماعة ، وقولك بالإمامة .

قال : أمّا قولك : لخلافك على الجماعة ، فعن الجماعة أخذتُ ديني ، فكيف أخرج عنهم وهم أصلي في ديني ؟ وأما قولك : بالإمامة ، فما أعرف إماماً إلاّ كتاب الله وسنة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم ، وأما قولُك : مثلك لا ينبغي له الحكمُ بين المسلمين ، فهذا شيءُ أنتم فعلتموه فإن كان خطأً فاستغفروا اللَّهَ منه ، وإن كان صواباً فأمسكوا عليه .

---

(١) انظر هذا الخبر في تاريخ بغداد نقلاً عما هنا.

قال : ما تقولُ في عليٍّ بن أبي طالب ؟

قال : ما قال عنه جَدَّاك العَبَّاسُ وعبدُ الله .

قال : وما قالا عنه ؟

قال : أما العباسُ فمات وعليٌّ عنده أفضل الصحابة ، وقد كان يرى كبراء المهاجرين يسألونه عما ينزل من النوازل ، وما احتاج هو إلى أحدٍ حتى لحق بالله تعالى ، وأما عبدالله فإنه كان يَضْربُ بين يديه بسيفين ، وكان في حروبه رأساً مُتَّبعاً وقائداً مطاعاً ، فإن كانتْ إمامةُ عليٍّ جَوْراً لكان أوَّلَ من يقعدُ عنها أبوك لعلمه بدين اللَّهِ تعالى وفقهه في أحكام الله .

فسكت المهديُّ وأطرق ، ولم يَمْضِ بعد هذا المجلس إلاّ قليلٌ حتى عَزَل شريك .

[لطيفة بين خالد بن عبدالله[1] وأعرابي قصده]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، حدثنا محمد بن كثير العبدي ، حدثنا عبدُ الملك بن قُرَيْب الأصمعي ، قال : حدثني عمر بن الهيثم ، قال[2] :

---

(١) يعني به عبدالله بن خالد القسري بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ، وكان يزيد بن أسد جده قد وفد على النبي ﷺ فأسلم ونزل الشام وأصله يماني ، ثم اشترى حفيده عبدالله خططاً بالكوفة ، حين ولي العراق لهشام بن عبدالملك ـ وابتنى بها ، وله عقب كثير بها وعدد ، وكانت أمه نصرانية .

وهو من الأجواد المعروفين ، أقام والياً على العراقين الكوفة والبصرة خمسة عشر عاماً حتى عزل بيوسف بن عمر سنة ١٢٠هـ ، فحاسبه هذا ثم قتله سنة ١٢٦ هـ .

أنظر المعارف ٣٩٨ ، وتاريخ ابن الأثير ٤ / ٢٠٥ .

(٢) انظر الخبر في تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٥ / ٦٧ نقلاً عما هنا ، والأغاني ١٩ / ٥٩ .

بينما خالد بن عبدالله بظَهْرِ الكُوفة مُتَنَزِّهاً إذْ حضره أعرابيٌّ ، فقال : يا أعرابي ! أين تريد ؟ فقال : هذه القرية - يعني الكوفة - قال : وماذا تحاولُ بها ؟ قال : قصدتُ خالد بن عبدالله متعرِّضاً لمعروفه ، قال : فهل تعرِفُه ؟ قال : لا ، قال : فهل بينك وبينه قرابة ؟ قال : لا ، ولكنْ لِما بَلَغنِي من بَذْله المعروفَ ، وقد قلتُ فيه شعراً أتقرَّبُ به إليه ، قال : فأنشِدْني مما قلتَ فيه ، فأنشأ يقول :

إليكَ ابنَ كُرْزِ الخَيْر أقبلتُ راغباً ... لتجبُـرَ منّي مـا وَهَى وتبـدَّدا
إلى الماجد البُهْلول ذي الحلم والنَّدى ... وأكرمِ خَلْقِ اللّهِ فَرْعاً ومَحْتَدَا
إذا ما أناسٌ قصَّرُوا في فَعَالِهِمْ ... نَهَضْتَ فلم يُلْفَى هنالك مَقْعَدَا
فيا لك بحراً يَغْمُرُ النَّاسَ مَوْجُهُ ... إذا يُسْأَلُ المعروفُ جاشَ وأزْبدا
بلوتُ ابن عبداللّهِ في كلِّ موطنٍ ... فألفيتُ خير الناس نَفْساً وأمْجدا
فلو كان في الدنيا من الناس خالدٌ ... لجُـودٍ بمعروف لكنت مُخَلَّدا
فلا تَحْرِمَنِّي منك ما قد رجوتُهُ ... فيصبحَ وجهي كَالِحَ اللَّونِ أرْبَدا

فحفظ خالد الشعر ، وقال له : انْطَلِقْ ، صَنَعَ الله لك .

فلما كان من غدٍ ودخل الناسُ إلى خالدٍ واسْتوى السِّماطانِ بين يديه ، تقدَّمَ الأَعْرابي وهو يقول : إليكِ ابنَ عبدِالقيس ، فأشار إليه خالدٌ بيده أن اسكت .

ثم أنشد خالد بقية الشعر ، وقال له : يا أعرابيُّ ! قد قيل هذا الشعر قبل قولك ، فتحيَّر الأعرابيُّ وورد عليه ما أدْهَشَه ، وقال : والله ما رأيتُ كاليوم سَبَباً لخيبةٍ وحِرْمان ، فانصرفَ وأَتْبَعَهُ خالدٌ برسولٍ ليسمعَ ما يقول ، فسمعه الرسولُ يقول :

ألا في سبيل اللّهِ ما كنتُ أرْتَجِي ... لديْهِ وما لاَقَيْتُ من نَكَدِ الجَدِّ

دخلْتُ على بَحْرٍ يجودُ بمالِهِ ... ويُعطِي كثيرَ المالِ في طلب الحَمْدِ
فحالَفَنِي الجَدُّ المشومُ لِشِقْوتِي ... وقارنني نَحْسِي وفارَقَني سَعْدِي
فلو كان لي رزقٌ لديه لَنِلْتُهُ ... ولكنه أمرٌ من الواحد الفَـرْدِ

فقال له الرسولُ : أجب الأمير ، فلما انتهى إلى خالدٍ ، قال له : كيف قلت فأنشده ، ثم استعاده فأعاده ثلاثاً إعجاباً منه به ، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم .

[تعليق نحْوي]

قوله : فلم يُلْفَى ، والوجه : لم يُلْفَ ، ولكنه اضْطُرَّ فجاء به على الأصل ، كما قال الشاعر :

أَلَمْ يـأتِيـكَ والأَنْبـاءُ تَنْمِي ... بما لاقتْ لَبُـونُ بني زيَـادِ

وقد استقصينا هذا الباب في غير هذا الموضع .

[اعفني من أربع]

حدثني عبيدالله بن محمد بن الأزدي ، حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، قال : حدثني أبي ، قال : أخبرنا بعض أصحابنا ، قال[1] :

كان عبدالملك بن مروان إذا دخل عليه رجلٌ من أفقٍ من الآفاق ، قال له : اِعْفني من أربع ، وقُلْ بعدَها ما شئتَ أَلَّا تكْذِبْني فإنّ الكَذُوب لا

(١) في بهجة المجالس ١ / ٣٤٣ أن عبدالملك وكان يخاطب الشعبي قال له : جنبني ثلاثاً وأورد على ما شئت ، لا تطرني في وجهي فأنا أعلم بنفسي ، وإياك أن تغتاب عندي أحدا ، واحذر أن أجد عليك كذبة فلا أركن إلى قولك أبداً .

رَأْيَ له ، ولا تُجِبْنِي فيما لا أسألُك عنه ، فإن في الذي أسألك عنه شُغُلاً عمّا سِوَاه ، ولا تحملْني على الرعية ، فإنهم إلى مَعْدَلَتِي ورأفَتي أحْوَج .

[الزَّرع والجراد]

حدثنا الحسين بن علي بن المرزبان النحْوي ، قال : حدثني أبو الحسن الأسدي أحمد بن عبدالله بن صالح بن شيخ بن عميرة ، حدثنا عبدالرحمن بن أخي الأصمعي ، عن عمه الأصمعي ، قال :

قيل لأعرابيٍّ : أكان لك زَرْعٌ ؟ قال : نعم ، ولكن أتانا رِجْلٌ[1] من جَراد ، تَنَبَّل مناجل الحَصاد ، فسُبحان مُهْلِكُ القويِّ الأكُول ، بالضَّعيفِ المأكُول .

[المتفضِّلُ جاوز حدَّ المنصف]

حدثنا عبيدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن عيسى بن خلف السُّكري ، حدثنا أبو يعلى زكريا بن يحيى بن خَلَّاد المِنقري البَصري الصيرفي ، ثنا الأصمعي ، عمن أخبره[2] :

أن أبا جعفر المنصور حين عَفَا عن أهل الشام ، قال له رجلٌ : يا أمير المؤمنين ! الانتقامُ عَدْلٌ والتجاوزُ فَضْل ، والمُتفضِّلُ قد جاوز حَدَّ المُنْصِف ، فنحن نُعِيذُ أمير المؤمنين بالله عز وجل من أن يَرْضى لنفسه بأوْكَسِ النَّصِيبين ، وألاّ يرتفعَ إلى أعلى الدَّرَجتين .

---

(١) الرجل : بكسر الراء ، الطائفة العظيمة من الجراد .

(٢) الخبر التالي في البيان والتبيين ٢ / ١١٠ .

المجلس التاسع والعشرون

[الناس سواء كأسنان المشط]

حدثنا إبراهيمُ بنُ المفضَّلِ بن حيّان الحُلْوَانيّ ، حدثنا أبو حمزة إدريس بن يونس الفَرّاء ، حدثنا عليُّ بن عثمان بن عمر بن ساج ، حدثنا سليمان بن عبدالله ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، قال :

قال رسول الله ﷺ : « النَّاسُ سَوَاءٌ كأَسْنانِ المُشْط ، وإنما يتفاضَلُون بالعافية ، والمرءُ كثيرٌ بأخيه ، ولا خَيْرَ لك في صُحْبةِ من لا يَرَى لك مِثل ما تَرَى له »[1] .

قال القاضي : وقد تضمَّن هذا الخبر بألفاظه اللطيفة الجامعة ، ومعانيه الشريفة النافعة ، حِكَماً متقبَّلةً في العقل ، ثابتةً في الفضل ، راجحةً في ميزان العدل .

وقوله عليه السلام : « الناسُ سَواءٌ كأسْنان المُشْط » من أَبْيَنِ الكلام

(١) الحديث الشريف في الجامع الكبير ، مروياً مرتين عن سهل بن سعد ، الجزء أول ص ٤٥٠ .

النَّبيه ، وأحسن التمثيل والتَّشبيه ، وقد قال الشاعر :

سَــواسِيةٌ كـأسْنان الحِمَار[1]

فنحا هذا النحوَ في العبارةِ من التَّساوي والتشاكُل ، والاشتباه والتماثُل .

فأمّا قول هذا الشاعر : سواسية . . . فإن بعضَ علماءِ أهل اللُّغة ذكر أنّ السَّواسية هم المتساوون في الشَّبَه ، وأن هذا القول إنما يُستعمل في الذَّم[2] ، وقولُ النبي ﷺ : « الناسُ سواءٌ كأسْنان المشط ، وإنما يتفاضلون بالعافية » ، تأديب لهم وحَضٌّ لهم على تفكُّرِهِم في أنفسهم ، وأنهم يتساوون في الأصل ، ويتفقون في الخَلْقِ والجِبِلّ ، ويتفاوتون في منازل الفضل ، ليرجعوا إلى المعرفة بأنفسهم ، ويتنزهوا عن المنافسة التي تُفْسِدُ

---

(١) عجز بيت وصدره :

شــبــابهــم وشــيــبــهــم ســواء

انظره دون نسبة في اللسان (سوا) .

(٢) انظر اللسان ، قال : وحكى ابن السكيت في باب رذال الناس في الألفاظ : قال أبو عمرو : يقال : هم سواسية إذا استووا في اللؤم والخسة والشر ، ثم ساق عدداً من الأبيات التي تؤيد هذا الرأي .

أقول : وهذا في الغالب فقط ، فقد ورد الحديث الشريف أيضاً بلفظ سواسية ، كما وردت كلمة سواء وهي مستعملة في اللؤم والخسة والشر ، كقول كثير أو ابن أحمر :

سواء كأسنـان الحمار فـلا ترى لذي شيبة منهم على ناشىء فضلا

وقول الآخر :

شـبـابهـم وشـيـبـهـم سـواء فهم في اللؤم أسنـان الحمـار

ولقد حكى الجاحظ رأياً في الموازنة بين قول الرسول الكريم : سواء كأسنان المشط وقول الشاعر سواء كأسنان الحمار ، فقال : « وإذا حصلت تشبيه الشاعر وحقيقته ، وتشبيه النبي ﷺ وحقيقته ، عرفت فضل ما بين الكلامين » أنظر البيان والتبيين ٢ / ١٩ . وأنا أظن بأنه أرجع ذلك إلى جمال التشبيه في أسنان المشط وأسنان الحمار ، ولم يرجعه إلى الفرق بين سواء وسواسية ، فتأمل .

ذاتَ بَيْنِهم ، ويجتنبوا البَغْيَ والتفاخُرَ ، والاستطالة بالتكاثُرِ ، وليشكُرِ المُفَضَّلُ منهم ربَّه عزّ وجلّ ، إذ أَبَانَهُ بالفضل على من سواه ، وخصّه بنعمته دون كثير ممن عداه ، ويُؤدي حقَّ مولاه فيما أولاه وأبلاه ، فإن الناس على ما جاء في الأثر مُعَافىً ومُبْتلى ، وقد أحسن الذي يقول :

النَاسُ أشْكالٌ وشَتَّى في الشِّيَمْ   وكُلُّهُمْ يجمَعُـهُ بيتُ الأَدَمْ[1]

وقوله عليه السلام : « المَرْءُ كثيرٌ بأخيه » من بليغ الكلام ونفيس الحكم ؛ لأن المرء يَشُدُّ أخاه ويُؤازره ، ويُعَضِّدُه ويناصره ، وقد أتى الخبر في الأُمَّةِ الهادية أنَّها كالبُنْيان يَشُدُّ بعضُه بعضاً .

وجاء عن النبيِّ ﷺ ، أنه ذكر المؤمنين في تناصُرِهم وتواصلهم ، أنهمْ كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو من أعضائه ، تداعَى له سائرُ جسده بالسَّهر والحُمّى .

وقد حدثنا عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البَغَوي ، حدثنا محمد بن زياد بن بردة ، حدثنا أبو شهاب ، عن الحسن ، وعمرو ، عن الشَّعْبي ، عن النُّعمان بن بشير ، قال :

قال رسول الله ﷺ : « المسلمون كَرَجُلٍ واحد ، إذا اشتكى عضوٌ من اعضائه تَدَاعى له سَائِرُ جَسَده »[2] .

وفي استقصاء ما جاء في التعاطف والتواصل ، والمصافاة والتباذل ، من الروايات والآثار ، والحكايات والأخبار ، وتُنُوشد من منظوم الأشعار ،

---

(١) البيت في اللسان (أدم) ، والرواية فيه « أضياف » مكان أشكال ، ويجمعهم مكان يجمعه ، وقال : قيل : أراد آدم ، وقيل : أراد الأرض .

(٢) انظر الحديث الشريف في الجامع الكبير للسيوطي ١ / ٤٤١ ، نقلاً عن المسند للإمام أحمد .

طولٌ ليس هذا من مواضعه ، واشتهارُه عند العامّة والخاصة ، يغني عن الإسهاب فيه ، والإطناب في ذكره ، وإحضار جميع ما قيل فيه ، وما خالفه ، وإني لأستحسنُ ما أنشدتُه عن عبداللّهِ بن المُعْتَزّ وهو[1] :

لِـلّهِ إخـوانٌ صَـحِـبْـتُـهُـمُ لا يـملِكُـونَ لِسَـلْوةٍ قَـلْبـا
لـو تستطيـعُ نفـوسُهُمْ بَعُـدتْ أجْسـامُهُـمْ فتـعـانقـتْ حُبّـا

وقوله في الخبر : « ولا خَيْر لك في صُحبة من لا يرى لك مثلَ ما ترى له » . من أفصح لفظٍ ، وأوضحِ معنىً .

وتأويله عندي : أنّه لا خير لامرىء في صُحبة من لا يرى لأخيه من المناصحة والمكافأة والمخالصة ، وأخذ نفسِهِ له بالإنصاف والمساعدة ، والإسعاف والمرافدة ، مثلَ الذي يراه له أخوه من ذلك ، ومن كان لأخيه الصَّادِقِ في مؤاخاته بهذه المنزلة فهو بالعدوِّ أشبهُ منه بالوليِّ .

وقد اختلف ذَوُو الفَحْص والتفتيش من أصحاب المعاني ، في قول الشاعر :

وإنّي لأسْتَحيِي أَخِي أنْ أرَى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الحَقّ الذي لا يَرَى لِيَا[2]

فقال بعضهم : معناه أنه لا يرى أنّ لي عليه حقّاً حسب ما أرى له من وجوب حقّه عليّ ، ووجَّهُوه إلى نحو ما تأوّلناه .

وقال بعض المحققين من هذه الطائفة والمتحققين بتحصيل معانيها : بل المعنى إني أستحيي أخي أن أرى له عندي من فضلٍ سابقٍ منه ، ما لا

(١) البيتان في ديوانه .

(٢) البيت لسيار بن هبيرة ، انظره في النوادر (ذيل الأمالي للقالي) صفحة ٧٤ .

يرى لي عنده من فضل ، فيكون قد ثَبَّت عندي حقّاً لم أُثَبِّتْ لنفسي عنده من الحقّ مثلَه .

وهذا أصح التأويلين ، وأصوب المعنيين ، وقوله : وإني لأستحيي أخي أن أرى له . . . ، يشهدُ بصحة هذا التأويل ؛ لأن قائلاً لو قال لآخر : إني لأستحييك أن آتي من حُسْن عِشْرتك ما لا يأتي مثلُه في معاشرتي ، لكان من الكلام الركيك الذي يُسْتهجن ولا يُسْتَحسن ، ولو قال له : إني لأستحييك أن تعاشرني من النُّبْل ما لا أعاشرك بمثله ، لكان من أبين الكلام وأفْصَحِه ، وأحسن معنى وأوضحه .

فأمّا قولُ النبيِّ ﷺ في الخبر : « ولا خيرَ لك في صُحبة من لا يرى لك مِثْلَ ما تراه له » ، فهو جارٍ على عكس هذه الطريقة بحسب ما بيّناه ، وإنما يصحُّ حملُه على النحو الذي حملنا عليه تفسير البيت ، لو كان قيل فيه : ولا خير لمن صُحبته في صحبتك إذا لم تَرَ لَهُ من الحقّ مثل الذي يرى لك ، على ما تقدم من تلخيصنا .

[خبر من فتح القسطنطينية]

حدثنا محمد بن الحسن بن دُرَيد ، أنبأنا أبو حاتم ، عن العتبي ، قال :

كتب مَسْلمةُ بن عبدالملك[1] إلى أبيه ، وهو بالقسطنطينية[2] :

(١) هو مسلمة بن عبدالملك بن مروان ، أمير قائد من أبطال عصره ، له فتوحات شهيرة ، وكان قد سار في مائة وعشرين ألفاً لغزو القسطنطينية سنة ٩٦ ، ثم ولاه أخوه يزيد إمرة العراقين ثم أرمينية ، فغزا الترك والسند سنة ١٠٩ هـ ثم مات بالشام سنة ١٢٠ هـ .
هاجر أبناؤه إلى مصر وأقاموا بها وكانت منازلهم في بلاد الأشمونين .
انظر نسب قريش ١٦٥ ، ونهاية الأرب للقلقشندي ٣٣٩ ، دول الإسلام ١ / ٦٢ .
(٢) الخبر والأبيات في معجم البلدان ٣ / ٥٥٥ ، وفيه أن مسلمة كتب الأبيات إلى أخيه الوليد .

أرِقتُ وصحراءُ الطُّوانَةِ مَنْزِلي   لبرقٍ تَلالا نحو عُمْرَةَ يَلْمَحُ[1]
أُزَاوِلُ أمراً لم يَكُنْ لِيُطِيقَهُ   من القوم إلّا القُلَّبِيُّ الصَّمَحْمحُ[2]

فكتب القعقاع بن خُلَيْد العَبْسي إلى عبدالملك :

فأبْلغ أميرَ المؤمنين بأنَّنا   سِوَى ما يَقُولُ القُلَّبِيُّ الصَّمَحْمَحُ
أكلْنا لحومَ الخيل رَطْباً ويابساً   وأكبادُنا من أكْلنا الخيلَ تَقْرَحُ
ونحْسبُها نحو الطوانة ظُلّعا   وليس لها حَوْلَ الطوانةِ مَسْرَحُ
فليت الفَزَارِيَّ الذي غشَّ نفسَهُ   وَخَانَ أميرَ المؤمنين يُسَرَّحُ[3]

وكان أصابتُهم مجاعةٌ حتّى أكلوا الخيْلَ ، فكتم ذلك مَسْلمةُ بن عبدالملك ، وكتب مع رجل من بني فزارة ، فذلك معنى قوله :

فليت الفزاريَّ الذي غَشَّ نفسَه

[معنى بعض الكلمات ووزنها]

قال القاضي : القُلَّبِيُّ : الذي يعرف تَقَلُّبَ الأمور وتدبيرها ، ويتصفَّحُها فيعلم بمجاريها ، يقال : رجلٌ قُلَّبِيٌّ حُوَّلِيٌّ : لمحاولته وتقلبه ، وتدبيره ، ويقال له أيضاً: حُوَّلٌ قُلَّب ، كما قال الشاعر :

حُـوَلٌ قُـلَّبٌ مِعَـنٌّ مِفَـنٌّ   كُـلُّ داءٍ لـه لـديـه دَوَاءُ

وقوله : الصَّمَحْمح : أراد به وصفه بالشدة والقوة ، وبين أهل العلم

(١) الطُّوانة بضم أوله وبعد الألف نون منزل بثغور المصيصة ببلاد الشام ، انظر معجم البلدان ، وفي الأصول بالطواية تحريف ، وفي المعجم نحو غمرة بدل عمرة .
(٢) في ب : إذا ورد أمر ، وفي المعجم : اللوذعي بدل القلبي .
(٣) في المعجم : وغش أمير المؤمنين يبرح .

بكلام العرب اختلاف في معنى الصَّمحمح من جهة اللغة وفي وزنه من الفعل على الطريقة القياسية ، فأمّا اللُّغويون فاختلفوا في معناه ، فذهب سيبويه ومن قال بقوله : إنه الشديدُ الغليظ القصير وهو صفة ، ويقال أيضاً للغليظ الشديد : دَمَكْمَك ، وقال أبو عمرو الشيباني : الصَّمحمح : المحلوق الرأس[1] ، وأنشد :

صَمَحْمـحٌ قد لاَحَـهُ الهَـوَاجِـرُ

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى : الصَّمحمح : الأصلع .

واختلف النحويون في وزن صمحمح من الفعل[2] ، فقال سيبويه ومن يسلك سبيله من البصريّين : هو (فَعَلْعَل) ، وقال الفَرَّاءُ وأتباعُه من الكوفيِّين : (هو فَعَلَّل) مثل : سفرجل ، وكذلك دَمَكْمَك ، ولكلٍّ فريقٍ منهم اعتلالٌ في قوله ، وطعنٌ في مذهب خَصْمه .

فأمّا الفراءُ فإنه احتج بأن قال : لو جاز أن يكون صمحمح على فعلعل لتكرير لفظ العين واللام ، لجاز أن يكون صَرْصَر على فَعْفَع ، وسَجْسَج لتكرير لفظ الفاء ، فلما بَطَل أن يكون صرصر على فعفع بطل أن يكون صمحمح على فعلعل .

---

(١) وهذه أيضاً تروى عن السيرافي ، انظر اللسان ، والواقع أنه أورد فيه هذه المعاني للصمحمح دون نسبتها إلى أصحابها ، وهو يستعمل في ذلك لفظ قيل ، إلا ما كان من قوله هو المحلوق الرأس فقال : وهذه عن السيرافي ، وتفسير أبي العباس أحمد بن يحيى (ثعلب) للصمحمح بأنه الأصلع لم يقتصر فيه على هذه الصفة فحسب بل قال : أصلع غليظ شديد .
أقول وعلى ذلك فالخلاف الذي يذكره المؤلف في معنى هذه اللفظة بين اللغويين ليس خلافاً متباعداً ، بل هيناً قريباً ، وبقي له بعد ذلك أنه نسب كل معنى إلى صاحبه ، وصاحبه بالطبع لم يأت به من عنده بل مما حفظه من لغة العرب .

(٢) انظر هذا الخلاف بالتفصيل في الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري من ٧٨٨ ـ ٧٩٥ ، وشرح الأشموني بحاشية الصبيان ٤ / ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢١٥ .

والذي قاله سيبويه هو الصحيح الذي يشهدُ القياسُ بتصويبه، وذلك أنّ موافقة الحرف المتكرر الحرف المتقدم في صورته[1] يُوجب موافقته في الحكم على وزنه إذا استوفى في وزن الكلمة التي هي فاء الفعل وعينه ولامه ، ما لم يُلْجِىءْ إلى خلاف هذا حُجَّةٌ كالقصور عن استكمال هذه الحروف ، والحاجة إلى إتمام الكلمة باختصار حروف الفعل ، فلهذا قُضِيَ على (صَرْصَر) بأنه (فَعْلَل) ، ولم يَجُزْ حمله على (فَعْفَع) لأنه لو حُمِل على هذا بطل التَّمامُ لعدم اللاّم ، وإذا جعلت عين الفعل في صمحمح مكررة لم يفسد الكلام ، وتم مع إقامة القياس واستقام ، وقد قال بعض من احتجَّ بهذا من أصحاب سيبويه : ألا ترى أنّا نجعل إحدى الرَّاءين في احمرَّ زائدة ، ولا نجعل إحدى الرَّاءين في مَرَّ وكَرَّ زائدة لأنّا لو جعلنا أحدهما زائدة بطل عين الفعل أو لامه .

وقالوا : مما يُبطل قول الفَرَّاء ، قولهم[2] : (خُلَعْلَع) وهو الجُعَلُ ، لو سلكنا به مذهب (سَفَرْجل) لم يكن له نظيرٌ في كلام العرب ؛ لأنه ليس في كلامهم مثل سُفَرْجَل ، قالوا : وفي خروجه عن أبنية كلام العرب دليلٌ على زيادة الحرف فيه[3] .

وزعم الفَرَّاء أن اخْلَوْلق : افْعَوْعل ، فكرَّر العينَ ولم يجعله افعولل

---

(١) ففي صمحمح مثلاً تتفق الميم الثانية أي المتكررة مع الميم الأولى أي المتقدمة وكذلك الحاء .

(٢) أي قول الكوفيين والفراء أيضاً .

(٣) وعلى ذلك فقد جعلوه على وزن فُعَلْعَل ولم يجعلوه على وزن فُعَلّل لهذه الحجة التي ساقوها ، وكذلك فقد جعلوا مثل اخلولق واحدودب على وزن افعوعل فكرروا ، وهو ما أنكروه في مثل صمحمح ، فتأمل . وهذا هو ملخص هذه المسألة التي ذكرها المؤلف بإيجاز وسيقت بالعديد من الأمثلة والشواهد في الإنصاف ، وشرح الأشموني بحاشية الصبان ، وتصريح الشيخ الأزهري، واللسان ، ويمكنك الرجوع إليها إن أردت .

أو افعلَّل ، وقال بعض من احتج لسيبويه بهذا ، وأنكر قول الفراء إن قال قائلٌ : ليس في الأفعال افعلَّل ، قيل له : يلزم الفراء أن يجعلها افعلل ولا يجعله افعوعل ولا يكرر العين ، إذا كان قد أنكر تكرير العين فيما ذكرنا .

وفي استقصاء القول في هذه الكلمة ونظيرها وذكر اختلاف النحويين في أصل الباب الذي يشتمل عليها طولٌ يضيق عنه قدْرُ مجلسٍ بأسره من مجالس هذا الكتاب ، وله موضع هو أولى به يُؤتى به فيه إن شاء الله تعالى .

[تصميم قاضي الرقة على إنصاف المظلوم]

حدثنا محمد بن أبي الأزهر ، حدثنا أبو عبدالله الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوام بن أسد ، قال : حدثني عمي مصعب بن عبدالله ، قال[1] :

[illegible] عُبيداللّهِ بن ظَبْيان[2] قاضي الرَّقَّةِ ، وكان الرشيد إذ ذاك بها ، فجاء ر[illegible] فاستعدى إليه من عيسى بن جعفر[3] ، فكتب إليه ابنُ ظبيان :

---

(١) القصة التالية في أخبار القضاة لوكيع ٣ / ٢٨٧ مروية عن مصعب بن عبدالله الزبيري ، كما هنا .

(٢) في أخبار القضاة أنه علي بن ظبيان وليس عبيدالله ، وواضح أن ما هنا سهو من المؤلف ، يدل على ذلك أن وكيعاً صاحب أخبار القضاة كان يعرف هذا القاضي ويعرف أباه ، وهو يقول في معرض حديثه عنه : قلت لأبي علي بن ظبيان : كم مكث ابنك على القضاء ، قال : سبع سنين ، هذا والترجمة التي أفردها له هي باسم علي بن ظبيان العبسي .

(٣) هو عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور ابن عم الرشيد وأخو زوجته زبيدة ، ذكر ابن قتيبة في المعارف أنه ولي البصرة وكورها وفارس والأهواز واليمامة والسند ، ومات بدير بين بغداد وحلوان ، كما يذكر ذلك الخطيب في تاريخ بغداد ، ويقول : إن وفاته كانت سنة ١٨١ هـ ، ونقل ذلك الأستاذ هارون في تحقيقه للبيان ٣ / ١١٨ ، ذلك على حين يذكر ابن الأثير أن الرشيد بعثه عاملاً على عمان في ستة آلاف مقاتل ، ولكنه انهزم أمام جيش من الخوارج =

« أما بعد ، أبقى الله الأمير وحفظه ، وأتمَّ نعمته عليه ، أتاني رجلٌ يذكر أنه فلان بن فلان ، وأن له على الأمير ـ أبقاه الله ـ خمس مائة ألف درهم ـ فإن رأى الأمير ـ أبقاه الله ـ أن يحضر معه مجلس الحُكْم أو يوكِّل وكيلاً يُناظر خَصْمَهُ فعل » .

قال : ودفع الكتاب إلى الرجل ، فأتى باب عيسى بن جعفر فدفع الكتاب إلى حاجبه فأوصله إليه ، فقال له : كُلْ هذا الكتاب .

فرجع إلى القاضي فأخبره ، فكتب إليه : أبقاك الله وحفظك وأمتع بك ، حضر رجلٌ يقال له فلان بن فلان ، فذكر أن له عليك حقّاً فَصِرْ معه إلى مجلس الحكم أو وكيلك إن شاء الله .

ووجه بالكتاب مع عونين من أعوانه ، فحضرا باب عيسى بن جعفر ، ودفعا الكتاب إليه ، فغضب ورمى به ، فانطلقا إليه فأخبراه .

فكتب إليه : حفظك الله وأبقاك وأمتع بك ، لا بد أن تصيرَ أنت وخصمك إلى مجلس الحكم ، فإن أنت أبيتَ رفعتُ أمرك إلى أمير المؤمنين إن شاء الله .

ووجه بالكتاب مع رجلين من أصحابه العُدُول ، فقعدوا على باب عيسى بن جعفر حتى خرج ، فقاما إليه ودفعا إليه كتاب القاضي ، فلم يقرأه ورمى به ، فأبلغاه ذلك .

أرسله إليه إمام الأزد الوارث الخروصي ، فأسر وسجن في صحار ، ثم قتل في سجنه عام ١٨٥ هـ ، انظر تاريخ ابن الأثير ٦ / ٣ .
والأرجح أن معلومات ابن قتيبة عنه كانت قد وقفت عند حد معين ، وأن تاريخ الوفاة الذي ذكره مستنتج استنتاجاً .

فختم قِمَطْرَهُ وانصرف وقعد في بيته ، وبلغ الخبرُ الرشيدَ فدعاه فسأله عن أمره ، فأخبره بالقصة حرفاً حرفاً ، فقال لإبراهيم بن عثمان : صِرْ إلى باب عيسى بن جعفر فاختم عليه أبوابَه كُلَّها ، ولا يخرُجَنَّ أحدٌ ولا يدخلن أحدٌ عليه حتى يخرج إلى الرجل من حقِّه أو يصير معه إلى الحاكم .

قال : فأحاط إبراهيم بداره ووكَّل بها خمسين فارساً وأغلقت أبوابه ، وظن عيسى أنه قد حدث للرشيد رأيٌ في قتله ، فلم يَدْر ما سبب ذلك ، وجعل يكلم الأعوان من خلف الباب ، وارتفع الصياحُ من داره ، وصَرَخ النساءُ ، فأمرهن أن يَسْكُتن ، وقال لبعض غِلمان إبراهيم : أُدْعُ لي أبا إسحاق لأكلِّمَه ، فأعلموه ما قال ، فجاء حتى صار إلى الباب ، فقال له عيسى : ويْلك ما حالُنا ؟ فأخبره خبرَ ابنِ ظُبيان ، فأمر أن تحضر خمسمائة ألف درهم من ساعته ويُدفع بها إلى الرجل .

فجاء إبراهيم إلى الرشيد فأخبره ، فقال : إذا قبض الرجل ماله فافتح أبوابه .

[يُخَوِّف جارية بإهدائها للأصمعي]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، حدثنا محمد بن القاسم بن خلاد ، قال : قال الأصمعي :

دخلت على جعفر بن يحيى بن خالد يوماً من الأيَّام ، فقال : يا أصْمَعيٌّ ! هل لك من زوجة ؟ قلت : لا ، قال : فجارية ؟ قلت : جاريةٌ للمِهْنة ، قال : فهل لك أن أهبَ لك جاريةً نظيفة ؟ قلت : إنِّي لمحتاجٌ إلى ذلك .

فأمر بإخراج جاريةٍ إلى مجلسه ، فخرجتْ جاريةٌ في غاية الحسن والجمال والهيئة والظَّرْف ، فقال لها : قد وهبتُكِ لهذا ، وقال : يا أصْمَعِيُّ ! خُذْها . فشكرتُهُ . فبكت الجاريةُ وقالت : يا سيِّدي ! تدفَعُني إلى هذا الشيخ مع ما أرى من سَمَاجته وقُبْح منظره ؟ وجَزِعَت جزعاً شديداً .

فقال : يا أُصْمَعيُّ ! هل لك أن أعَوِّضَك منها ألف دينار ؟ قلت : ما أكرهُ ذلك ، فأمر لي بألف دينار ، ودخلت الجاريةُ ، فقال : يا أصمعيُّ ! إني أنكرتُ على هذه الجارية أمراً فأردتُ عقوبتها بك ثم رحمتُها منك . قلت : أيها الأمير ! فألاَّ أعلمتَني قبل ذلك فإنِّي لم آتِك حتّى سَرَّحْتُ لِحْيتي وأصلحتُ عِمَّتِي ، ولو عرفتُ الخبر لصِرْت إليك على هيئةِ خِلْقَتِي ، فوالله لو رأتْني كذلك لما عاودَتْ شيئاً تنكره منها أبداً ما بقيت .

[المرء في رتبة السلطان]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباريّ ، قال : حدثني أبي ، حدثنا أحمد بن عبيد ، قال : أخبرنا المدائني ، قال :

زعموا أنّ رجلاً من بني كنانة أتى نَصْرَ بن سَيَّار[1] وهو على خراسان ، وكان له صديقاً فوجده قد تغيَّر عن العهد ، فلما رأى الإعراض ، قال[2] :

---

(١) ابن رافع الليثي الكناني ، أبو الليث ، ولاه هشام بن عبدالملك خراسان عشر سنين حتى وقعت الفتنة وازدادت قوة المسودة (العباسيون) فجالدهم ما استطاع ، ثم خرج يريد العراق فمات في الطريق سنة ١٣١هـ ، وكان أميراً شجاعاً بطلاً ، غزا ما وراء النهر ففتح حصوناً وبلاداً كثيرة .
انظر المعارف ٤٠٩ ، وتاريخ ابن الأثير ٥ / ١٤٨ .

(٢) البيتان للفرزدق ، وهما في ديوانه ٩٢ ، وبهجة المجالس ١ / ٣٤٣ والتمثيل والمحاضرة ٧٠ ، =

قُلْ لنصرٍ والمرءُ في رُتْبة السُّلْـ ـطَانِ أعْمَى ما دام يُدْعى أميرَا
فـإذا زالـت الإمـارةُ عـنـهُ واستوى والرجـالُ عادَ بَصيـرَا

فبلغه ، فقال : أقسمتُ عليك إلاّ أنْشَدْتني البيتين ، فأنشده فقال : صدقت لَعَمْرُو الله ، وأثبتَه في صحابته ، وأحسن جائزته ، وجعله في سُمَّاره .

[تأكيد الضمير المرفوع المتصل ـ المفعول معه]

قال القاضي : هكذا في كتابي : واستوى والرجال بالواو ، ورفع الرجال عطفاً على الضمير الذي في استوى ، والفصيحُ من كلام العرب في مثل هذا أن يُؤكِّدُوه ثم يَعْطِفُوا عليه[1] فيقولوا : فاسْتوى هو والرِّجال ، وقد جاء في الشعر غيرُ مؤكَّد ، قال جرير :

ورَجَا الأُخَيْطِلُ من سفاهةِ رَأْيِهِ ما لم يكنْ وأبٌ لَهُ لِينَالاَ[2]

والبصريُّون من النحويين يستقبحون ترك التوكيد فيه ، والأمر فيه عند الكوفيين أيسرُ ، على أنهم يختارون التوكيد ويُؤْثرونه[3] ، وقد أنشد الفراء :

ونهاية الأرب ٣ / ٧٣ ، مع اختلاف في بعض ألفاظ الرواية عما هنا .

(١) انظر هذه المسألة في شرح الأشموني مع حاشية الصبان ٣ / ٩٩ ، وكتاب سيبويه ١ / ٣٨٩ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ٤٧٤ .

(٢) البيت وارد في ديوانه ٣٩٢ ، بالإضافة إلى المراجع السابقة ، والشاهد فيه قوله : ما لم يكن وأب له ، وعلى رأي البصريين كان يجب أن يقول ما لم يكن هو وأب له ، ولكنه أتى به من غير تأكيد لضرورة الشعر ، أما الكوفيون فيجيزون ذلك بلا قيد ولا يعتبرون في هذا البيت ضرورة ما .

(٣) الواقع أن الأمر على العكس من ذلك ، فهذه العبارة تفهم أن الكوفيين قد مالوا إلى رأي البصريين في وجوب التوكيد ، ولكن الحقيقة أن البصريين هم الذين مالوا إلى رأي الكوفيين =

ألم تَرَ أنّ النَّبْعَ يَصْلُبُ عُودُهُ   ولا يَسْتَوِي والخَرْوَعُ المتَقَصِّفُ

ولو قيل : فاستوى والرجال بمعنى مع الرجال كان حسناً ، وهذا من الباب الذي يسمى باب المفعول معه ، كقولهم : استوى الماءُ والخَشَبَة ، وجاء البَرْدُ والطَّيَالِسَة[1] ، كما قال الشاعر :

فكـونُـوا أنْتُـمُ وَبَنِـي أَبِيـكُمْ   مَكَانَ الكُلْيَتَيْنِ من الطُّحَالِ[2]

وقد يقال : استوى الماءُ بالخشبة ، وروي هذا البيت : واستوى بالرجال ، وجاء في الخبر : ذكر التَّبِيع في ولد البقر ، فقيل : هو الذي استوى قرناه بأذنيه[3] ، ومن هذا النحو قولهم : ما صنعتَ وأباك .

وهذا باب يتسع القول فيه من قِبَلِ صناعة النَّحو ومذاهب أهله ، وليس هذا من مواضع شرحه ، وقد ذكرناه في موضعه من كتبنا في النحو وعلوم القرآن الكريم ، وفي رسالةٍ أفردناها .

في تركه ، وذلك لكثرة الأمثلة الواردة في الكتاب والسنة على ذلك ومنها قوله تعالى : ﴿ ما أشركنا ولا آباؤنا ﴾ ، وقول عمر رضي الله عنه : (كنت وجار لي) برفع جار على أنه معطوف على الضمير المتصل المرفوع في كنت ، وقول عليّ رضي الله عنه : (كنت وأبو بكر وعمر) . وهاتان العبارتان وردتا في صحيح البخاري ، هذا فضلاً عن الأمثلة النثرية والشواهد الشعرية على ذلك ، ولهذا ذهب ابن مالك في شرح التسهيل إلى موافقة الكوفيين في هذا ، مع أنه بصري المذهب .

انظر الإنصاف ٤٧٦ وهامشه .

(١) أي استوى مع الخشبة ، والبرد مع الطيالسة ، والطيالسة جمع طيلسان كما لا يخفى .

(٢) البيت في الكتاب لسيبويه ١ / ٢٩٨ ، ومجالس ثعلب ١٢٥ ، دون نسبة ، وقال فيه : يحضهم على الائتلاف والتقارب في المذهب ، وضرب لهم مثلاً بقرب الكليتين من الطحال واتصال بعضهما ببعض ، وقال ثعلب : « أي تكون قد أخذتم الأمر بطرفيه » . انظر هامش الكتاب .

(٣) الصحيح أن يقول [illegible] استوى قرناه وأذنيه ليكون مفعولاً معه ، ولتطرد له الأمثلة التي يسوقها .

[حماد الراوية يحاول أن يغتنم غنيمة]

حدثنا المظفَّر بن يحيى بن أحمد المعروف بابن إلشرابي ، ثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن عبدالله المَرْثدي ، قال : أخبرني أبو إسحاق الطَّلْحِي ، قال : حدثني أحمد بن إبراهيم ، قال : حدثني خالد بن كُلْثُوم وغيره ، عن حماد الراوية(1) ، قال :

كنت عند الوليد يوماً فدخل عليه رَجُلَان كأنَّهما كانا مُنَجِّمَيْن ، فقالا : قد نَظَرْنا فيما أَمَرْتَنا به فوجدناك تملِكُ سَبْعَ سنين مُؤَيَّداً مَنْصوراً ، تستقيمُ لك الناس ، ويزكُو لك الخَرَاجُ .

قال حمّاد : فاغتنمتُها وأردتُ أن أخدعَه كما خَدَعاه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! كَذَبَا ، نحن أعْلمُ بالروايةِ والآثار وضُرُوبِ العُلُومِ منهما ، وقد نظرنا في هذا ونظر الناسُ فيه قديماً فوجدناك تملكُ أربعين سنةً في الحال التي وصفا .

قال : فأطرق الوليدُ ثم رفع رأسه إليّ ، فقال : لا ما قالَهُ هذان يَكْسِرُني ، ولا ما قُلْتَه يَقَرُّنِي ، واللّه لأُجْبِيَنَّ هذا المال من حِلِّهِ جبايةَ من

(١) حماد الراوية هو حماد بن سابور بن المبارك ، أبو القاسم ، كان أعجوبة في حفظ أيام العرب وأشعارها ، وهو الذي جمع السبع الطوال (المعلقات) ، وقد قال له الوليد بن يزيد الأموي يوماً : بم استحققت لقب الراوية ؟ قال : لأني أروي لكل شاعر تعرفه أو تسمع به يا أمير المؤمنين ، ثم لا ينشدني أحد شعراً قديماً أو حديثاً إلا حفظته وميزت القديم من المحدث ، قال : فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثير لا أحصيه ، ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات ، ومن شعر الجاهلية دون الإسلام . قال : سأمتحنك ، ثم جلس يستمع له حتى مل ، فأوكل به من يستمع له ويثق فيه ، فأنشده حماد ألفين وتسع مائة قصيدة للجاهلية ، فأخبر الوليد فأعطاه مائة ألف درهم . وقد أهمل أمره في زمن العباسيين حتى توفي سنة ١٥٥ هـ .
انظر نزهة الألباء ٤٣ ، وتهذيب ابن عساكر ٤ / ٤٢٧ ، والأغاني ٦ / ٧٠ .

يعيشُ للأبد ، ولأصرفنَّهُ في حقِّه صَرْف من يموتُ في غدٍ .

[كلمات حكيمة للخليل بن أحمد]

حدثنا محمد بن الحسن المقري ، أنبأنا عبدالله بن محمود المروزي بمرو ، أنبأنا يحيى بن أكثم ، أنبأنا النضرُ بن شُمَيل ، قال : سمعنا الخليلَ بن أحمد ، يقول :

التواني إضاعةٌ ، والحزمُ بضاعة ، والإنصافُ راحة ، واللجاجةُ وقاحة .

المجلس الثلاثون

[حديثُ سَوادِ بنِ قَارِب]

حدثنا عبدالباقي بن قانع ، حدثنا محمد بن زكريا الغَلَّابي ، حدثنا بشر بن حجر الشامي ، حدثنا عليُّ بن منصور الأنباري ، عن عمرو بن عبدالرحمن الوَقَّاصِي ، عن محمد بن كعب القرظي ،

قال : بينما عُمر بن الخطاب رضي الله عنه جالسٌ ومعه أصحابه إذ مرَّ به رجلٌ فسَلَّمَ عليه ، فقال رجل من القوم : يا أمير المؤمنين ! أتعرف هذا المُسَلِّم ؟ قال : لا ، قال : هذا سَوَادُ بن قارب[1] الذي أتاه رَئِيُّهُ[2] من الجِنِّ بظهور رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلم .

---

(١) الأزدي السدوسي أو الدوسي ، كاهن شاعر في الجاهلية ، صحابي في الإسلام ، له خبر عجيب يسوقه المؤلف هنا ، وقد توفي بالبصرة عام ١٥ هـ ، على الأرجح .
انظر الإصابة ، الترجمة ٣٥٧٦ ، وعيون الأثر ١ / ٧٢ ، وانظر الخبر الذي ورد هنا في محاضرة الأبرار لابن عربي ، السيرة لابن هشام ، والروض الأنف للسهيلي ، ودلائل النبوة للبيهقي .

(٢) الرئيّ : بفتح الراء وكسرها مع كسر الهمزة : الجني يعرض للإنسان ويطلعه على ما يزعم من الغيب .

فدعا عمرُ الرجلَ فقال : أنت سوادُ بن قارب ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : أنت كما كنتَ عليه من كَهَانتك ؟ قال : فغضب الرجل غضباً شديداً ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ! ما استقبلني أحدٌ بهذا منذ أسلمت ، فقال عمر : ما كنّا عليه من الشِّرك أعظمَ مما كنتَ عليه من كَهَانتك ، فأخبرني بإتيانك رِئْيُك بظهور رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وسلم ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ! بينا أنا نائمٌ ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رِئِييٌّ فضربني بِرجْله ثم قال : قم يا سَوَادُ بنُ قارب وافهم واعْقِل ، قد بُعِث رسولٌ من لُؤَيّ بن غالب يدعو إلى اللّه عزَّ وجلَّ وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجِبتُ للجِنّ وأخبارها وشَدِّها العِيسَ بأكْوارها
تَهوي إلى مكَّة تبغي الهُدَى ما مُؤْمِنُو الجِنِّ ككُفّارها
فارْحَل إلى الصَّفْوَةِ من هاشِمٍ بين رَوَابِيها وأحْجَارِها

فقلت : دَعْني أنام ، فإنّي أمسيتُ ناعساً .

فلما كان في الليلة الثانية أتاني فضربني برجله ، وقال : قُمْ يا سوادُ بن قارب فافهم واعْقِل إن كنت تَعْقل ، إنه قد بُعث رسولٌ من لُؤيّ بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عَجِبْتُ للجن وتَطْلاَبِها وشَدِّها العِيسَ بأقْتَابِها
تَهوي إلى مكة تبغي الهُدَى ما صادِقُو الجنِّ ككُذَّابِها
فارحلْ إلى الصفوةِ من هَاشِمٍ ليس قُدَاماها كأذْنَابِها

قال القاضي : وفي رواية أخرى :

.... واسْمُ بعينيك إلى بَابِها

فقلت : دعني أنام ، فإني أمسيت ناعساً .

فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله ، وقال : قم يا سوادُ بن قارب فافهم واعقل إن كنت تَعْقِل ، قد بُعث رسولٌ من لُؤي بن غالب ، يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبتُ للجِنِّ وتَحْسَاسِها وشَدِّها العِيسَ بأحْلاَسِها
تَهْوِي إلى مكَّةَ تَبْغِي الهُدَى ما خُيِّرُ الجِنِّ كأنْجاسِها
فارحل إلى الصفوة من هاشم واسْمُ بعينيك إلى رَاسِها

فلما أصبحتُ شَدَدْتُ على راحلتي رَحْلَها وصرتُ إلى مكة ، فقيل لي : قد سار إلى المدينة ، فأتيتُ المدينةَ فصرتُ إلى مسجد المدينة فعَقَلْت ناقتي ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، في جماعة من أصحابه ، فلما نظر إلي قال : هاتِ يا سَوَادَ بن قارب فقلت :

أَتَانِي رِئِيِّي بَعْدَ هَدْءٍ ورَقْدةٍ ولم يكُ فيما بَلَوْتُ بكاذبِ
ثلاثَ ليالٍ قولُه كلَّ ليلةٍ أتاك رسولٌ من لؤيٍّ بن غالِب
فشمّرتُ من ذيل الإزار ووسَّطت بِيَ الذِّعْلِبُ الوَجْنَاءُ بين السَّبَاسِب
فأشهدُ أن اللّه لا شيءَ غيرُهُ فَإِنّك مأمونٌ على كلِّ غائِب
وأنك أدْنى المُرسلين وسيلةً إلى اللّهِ يا ابن الأكرمين الأطايِب
فمُرْنا بما نَأْتِيه يا خيرَ من مَشَى وإن كان فيما جاء شيبُ الذوائبِ
وكن لي شفيعاً يوم لا ذُو شفاعةٍ سِوَاكَ بِمُغْنٍ عن سَوادِ بن قارب

قال : ففرح الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فرحاً شديداً .

قال : فقام إليه عمر رضي الله عنه فالتزمه وقَبَّلَهُ بين عينيه ، وقال :

لقد كنت أحبُّ أن أسمع هذا الخبر منك ، فأخْبِرْني : هل يأتيك رِئيُّك اليوم ؟ قال : أمّا منذُ قرأتُ كتاب الله تعالى فلا ، ونِعْم البغوضُ كتاب الله تعالى مِن الجن .

قال القاضي : قد رَوَيْنا خبر سواد بن قارب هذا من طُرُق عِدّة ، وفي بعض ألفاظه اختلاف ، ومعانيها متقاربة ، وقوله : فارْحل إلى الصفوة من هاشم : صفوة الشيء : خِيارُه وأخْلصه ، يقال : هذه صَفْوة المتاع وصِفوته ، والكسر أفصح اللّغات فيه ، فإذا نزعت الهاء فيه ، فقيل : هذا صَفْوُ الشيء بالفتح لا غير .

وقوله : الذِّعْلِبُ : السَّريعةُ ، والوَجْناءُ[1] : صفةٌ لها بغلظ الوَجْنة وسَعَتها وهو من علامات النجابة .

وفي هذا الخبر : ما دلَّ على نُبُوَّة النبِّي صلَّى الله عليه وآله وسلم ، وصِحة دعوته ، وهو أحدُ الأخبار التي تقدَّمت بالتبشير برسالته ، والإشارةُ إلى صفته ، والإيماء إلى نجومه ومخرجه ، وهو بابٌ واسعٌ كبير جداً يُتْعب إحصاؤه ، وقد ضمنته العلماءُ كتبَهُمْ وأخْبارهم .

وقوله في هذا الخبر : بين السَّباسِب ، وهي الأفضية الواسعةُ من الأرض ، وهي ما كان منها قَفْراً أملس ، واحدها سَبْسَب ، كما قال الشاعر :

نعم قد تركناهُ بأرضٍ بعيدةٍ مُقيماً بها في سَبْسَبٍ وأَكَامِ

ويقال في هذا بَسَابِس[2] .

---

(١) الوجنة : ما نتأ من لحم الصدغين وكنفي الأنف ، إذا وضعت يدك عليه وجدت حجمه ، ويقال ناقة وجناء : أي تامة الخلق غليظة لحم الوجنة صلبة شديدة ، وهي قد تكون على هذه الصفة مشتقة من الوجين التي هي الأرض الصلبة أو الحجارة ، انظر اللسان .

(٢) أي أن بسابس بمعنى سباسب ، لا فرق .

[كلمات حكيمة]

حدثنا محمد بن الحسن بن دُريد ، أنبأنا أبو حاتم ، عن العُتْبي ، عن أبيه ، قال :

كان رجلٌ من حنظلة يقول : إنه لينبغي لك أن يدُلَّكَ عَقْلُكَ على تَرْك القول في أخيك ، ففيه خلالٌ ثلاث : أمّا واحدةٌ فلعلَّك أن تَذكُرَهُ بما هو فيك ، أو لعلك تذكره بأمرٍ قد عافاك اللَّهُ منه ، فما هذا جزاءُ العافية أن تَجْحد الشكر عليها .

أو لعلَّك تذكُرُه بما فيك أعظمُ منه ، فذلك أشَدُّ اسْتحكاماً لمقْتِه إياك ، أمَا كُنْت تسمع : ارْحم أخاك واحْمَدِ الذي عَافَاك .

[عجيبة من العجائب : الزاغ أبو عجوة]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبيُّ ، قال : حدثني أبو علي مُحْرِز ابن أحمد الكاتب ، قال : حدثني محمد بن مُسْلم السَّعْدي ، قال[1] :

وَجَّه إليَّ يحيى بن أكثم يوماً فصرتُ إليه ، فإذا عن يمينه قِمَطْرٌ مجلَّدة ، فجلست فقال لي : افتح هذه القِمَطْرِ ، ففتحتُها فإذا شيءٌ قد خرج منها ، رأسُه رأسُ إنسانٍ ، وهو من سُرَّتِهِ إلى أسفل خِلْقَةُ (زاغ)[2] ، وفي ظهره وصَدْره سَلْعَتَان[3] ، فكبَّرتُ وهلَّلتُ وفَزِعْت ،

---

(١) الخبر التالي في مصارع العشاق ٤٣ ـ ٤٤ منقولاً عما هنا ، تحت باب : من مصارع عشاق الطير ، وقد ورد برواية أخرى تختلف في بعض ألفاظها في الباب نفسه ٤٤ .

(٢) الزاغ : قال في اللسان هو نوع من الغربان ، وقال في الوسيط : من أنواع الغربان ، يقال له : الغراب الزرعي وغراب الزيتون ، لأنه يأكله ، وهو صغير نحو الحمامة ، أسود ، برأسه غبرة وميل إلى البياض ، ولا يأكل جيفة ، وموطنه شرق أوربا والتركستان وإيران ، ويهاجر بعضه إلى فلسطين ومصر .

أقول : والأقرب أن هذا الزاغ كان ضرباً من الببغاوات المعلمة ، التي تلقن الكلام وتحاكيه ، وهي الوحيدة على حد علمنا من مخلوقات الله التي تستطيع ذلك .

ويحيى يضحك ، فقال لي بلسانٍ فصيح طَلْق ذَلِق :

أنا الزاغُ أبو عَجْوه   أنا ابنُ اللَّيْثِ واللَّبْوه
أُحِبُّ الرَّاحَ والرَّيْحا   نَ والنَّشْوةَ والقَهْوَة
فلا عَدْوَى يَدِي تُخْشَى   ولا تُحْذَرُ لي سَطْوَه
ولي أشياءُ تُسْتَطْرَفْ   بيوم[١] العُرسِ والدَّعْوَة
فمنها سَلْعَةٌ في الظهـ   ـرِ لَا تسترها الفَرْوَة
وأما السلعة الأخرى   فلو كان لها عُرْوة
لما شَكَّ جميعُ النَّا   سِ فيها أنَّها رِكْوَهْ[٢]

ثم قال : يا كهلُ ! أنشِدْني شِعراً غَزِلاً : فقال لي يحيى : قد أنْشَدَك الزاغُ فأنْشِدْه ، فأنشدْتُه :

أَغَرَّكِ أنْ أذْنَبْتِ ثم تَتَابَعَتْ   ذُنُوبٌ فلم أهْجُرْكِ ثم ذُنُوبُ
وأكثرتِ حتّى قلتِ ليس بصارِمِي   وقد يُصْرَمُ الإنسانُ وهو حَبِيبُ

فصاح : زاغ زاغ زاغ ، ثم طار ، ثم سقط في القمطر ، فقلت ليحيى : أعزَّ الله القاضي ، وعاشقٌ أيضاً ؟ ! فضحك ، قلتُ : أيها القاضي : ما هذا ؟ قال : هو ما تراه ، وجَّه به صاحبُ اليمن إلى أمير المؤمنين ، وما رآه بعدُ وكتب كتاباً لم أَفْضُضْهُ ، وأظن أنه ذكر في الكتاب شَأْنَهُ وحَالَه .

---

(٣) السلعة : ورم غليظ غير ملتزق باللحم يتحرك عند تحريكه ، وهو يقبل الزيادة لأنه خارج عن حد الجسم ، أو هو زيادة تحدث في الجسد في العنق وغيره ، تكون قدر الحمصة إلى البطيخة ، عن المعجم الوسيط .

(١) في الأصل : يوم ، ولا يستقيم معها الوزن .

(٢) الركوة بكسر الراء : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء ، عن المعجم الوسيط .

[عَدْلُ سَوَّار القاضي ، وانتصارُ الرشيد له]

حدثنا محمد بن أبي الأزهر ، حدثنا الزبير ، حدثنا محمد بن سَلَّام ، قال[1] :

كان حَمَّادُ بن موسى صاحبَ أمرِ محمد بن سليمان[2] والغالب عليه ، فحبس سَوَّارُ القاضي[3] رجلًا في بعض ما يَحْبِس فيه القُضاة ، فبعث حمادٌ فأخرج الرجل من الحبس ، فجاء خَصْمُه إلى سَوَّار حتى دخل ، فأخبره أن حماداً قد أخرج الرجل من الحبس .

وركب سَوَّارٌ حتى دخل على محمد بن سليمان وهو قاعدٌ للناس ، والناس على مراتبهم ، فجلس بحيث يراه محمد بن سليمان ، ثم دعا قائداً من قواده فقال له : أسامعٌ أنت أو قال : مُطيع ؟ قال : نعم ، قال : اجلس هاهنا ، فأقعده عن يمينه ، ثم دعا آخر من نظرائه ، فقال له كما قال للأول ، فأجاب مثل جواب الأول فأقعده مع صاحبه ، ففعل ذلك بجماعةٍ منهم ، ثم قال لهم : انطلقوا إلى حماد بن موسى فضعوه في الحبس ،

---

(١) الخبر التالي في أخبار القضاة لوكيع ١٥١ ـ ١٥٢ ، ببعض اختلاف في ألفاظ الرواية .

(٢) هو محمد بن سليمان بن علي العباسي ، أبو عبدالله ، أمير البصرة ، وليها أيام المهدي سنة ١٦٠ هـ ، وكان مضافاً إليه كور دجلة والبحرين وعمان وكور الأهواز وفارس ، ثم عزل عن ذلك سنة ١٦٤ هـ ، ثم ما لبث أن أعاده الرشيد وزوّجه أخته العباسية بنت المهدي سنة ١٧٢ هـ ، واستمر البصرة إلى أن توفي ، وكان شريفاً سرياً ، سمت نفسه إلى الخلافة وصده عنها قوة الخلفاء وعظمتهم ، ولد سنة ١٢٢ وتوفي سنة ١٧٢ هـ .
أنظر تاريخ بغداد ٥ / ٢٩١ ، والمحبر ٦١ ، ٣٠٥ ، والكامل لابن الأثير ٦ / ١٧ .

(٣) الواقع أن سوار القاضي لم تكن له صلة بهذه الواقعة فهو في الجيل الذي يلي ذلك إذ توفي سنة ٢٤٣ هـ انظر أخبار القضاة ، أما هذه القصة فقد حدثت مع شريك ابن عبدالله القاضي فهو قد عاصر محمد بن سليمان وتوفي سنة ١٧٦ هـ ، وقد نسبت في أخبار القضاة إليه لا إلى سوار .

فنظروا إلى محمد بن سليمان فأعلموه ما أمرهم به ، فأشار إليهم : أن افعلوا ما يأمركم به ، فانطلقوا إلى حَمّاد فوضعوه في الحبس ، وانصرف سَوَّارٌ إلى منزله ، فلما كان بالعشيِّ أراد محمد بن سليمان الركوب إلى سَوَّار ، فجاءتْه الرُّسُل فقالوا : إن الأميرَ على الركوب إليك ، فقال : لا ، نحنُ بالركوب أولى إلى الأمير .

فركب إليه فقال : كنتُ على المجيء إليك أبا عبداللّه ، قال : ما كنتُ لأُجشِّمَ الأميرَ ذاك ، قال : بلغني ما صنع هذا الجاهلُ حَمّاد ، قال : هو ما بلغ الأمير ، قال : فأحب أن تَهَبَ لي ذَنْبَه ، قال : أفعلُ أيها الأمير ، اردُدَ الرجل إلى الحبس ، قال : نعم ، بالصَّغَرِ له والقُمَاءَة[1] .

فوجّه إلى الرجل فحبسه وأطلق حماداً ، وكتب بذلك صاحبُ الخبر إلى الرشيد ، فكتب إلى سَوَّارٍ يُجرِّيه ويَحْمَدُهُ على ما صنع ، وكتب إلى محمد بن سليمان كتاباً غليظاً يذكُرُ فيه حَمَّاداً ويقول : الرَّافِضِيُّ ابنُ الرافضي[2] ، واللّهِ لولا أن الوعيدَ أمام العقوبةِ ما أدَّبْتُه إلاّ بالسيف ، ليكون عِظَةً لغيره ونَكَالاً .

يفتاتُ على قاضي المسلمين في رأيه[3] ، ويركبُ هواه لموضعِهِ منك ، ويَعْرِضُ في الأحكام استهانةً بأمر اللّهِ تعالى ، وإقداماً على أمير المؤمنين ، وما ذاك إلاّ بك ، وبما أرْخيتَ من رَسَنِه ، فأنا لِلّه لئن عاد إلى

---

(١) الصغر : الذلة والضعة ، والقماءة : الصغر والذل في الأعين ، والكلمتان غير واضحتين في الأصل .

(٢) الرافضي المنسوب إلى الرافضة ، وهم فرقة من الشيعة تجيز الطعن في الصحابة ، سموا بذلك لان إمام الشيعة زيد بن علي بن الحسين نهاهم عن الطعن في الشيخين أبي بكر وعمر فرفضوا ذلك .

(٣) افتات في الأمر : استبد به ولم يستشر من له الرأي فيه .

مثلها ليجِدنِّي أغضبُ لدين الله تعالى ، وأنتقمُ من أعدائه لأوليائه .

[أبياتٌ في ما يلاقيه المحبُّون]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، أنبأنا أبو العباس أحمد بن يحيى ، قال : قال : أبو سعيد عبدالله بن شبيب ، أنشدني عليُّ بن طاهر ابن زيد بن حُسَين بن زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السَّلام لبعض المحدثين[1] :

أَلَا رُبَّ مَشْغُوفٍ بمن لا يَنَالُه ... غَدَاةَ تُسَاقُ المُنْشآتُ إلى البحرِ[2]
غَدَاةَ تَوَافَى أهلُ جَمْعٍ وصُحْبَةٍ ... لَدَى الجَمْرةِ القُصْوَى أولُو الجَمَمِ الغُبْرِ[3]
ولِلرَّمْيِ أن تُبْدِي الحِسانُ أكُفَّها ... وتَفْتَرُّ بالتكبيـر عن شَنَبٍ غُرِّ
فيـا رُبَّ بـاكٍ شجـوَهُ ومُعَـوِّلٍ ... إذا ما رأى الأطنابَ تُنْزَعُ للنَّفْرِ

[تفسير : الشنب والغرّ]

قال أبو بكر : الشَّنب : الثغر البارد ، والشَّنب : بردُ الأسْنان ، والغُرُّ : البيض .

قال القاضي : ومن الشنب قولُ ذي الرُّمَّة :

---

(١) القصة التالية والأبيات في مصارع العشاق ١٨٠ رواية عما هنا ، وقال عن الأبيات : أنها لبعض المدنيين .

(٢) في مصارع العشاق : المشعرات إلى النحر ، وهي أمثل من رواية الأصل التي معنا .

(٣) الجمرة القصوى هي آخر الجمار الثلاث ، وأولو الجمم الغبر : الجمم : شعر الناصية المجتمع أو المنسدل على الكتفين ، والغبر : المُغبرة من أثر اتباع مناسك الحج من ترك الزينة وغسل الشعر ، وما إلى ذلك .

لمياءُ في شَفَتَيْها حُـوَّةٌ لَعَسٌ وفي اللَّثَاتِ وفي أنْيابِها شَنَبُ[1]

فَسَّره أهلُ اللغة أنه بَرْدٌ وعذوبةٌ في الأسنان ، وقوله في هذا الشعر :

وتَفْتَرُّ بالتكبيـر عن شَنَبٍ غُرِّ

يقال : شَنَبٌ وهو نعتٌ مُوَحَّدُ اللفظ ، كأنه قال : عن بارد ، ثم قال : غُرّ ، فأتى بلفظ الجمع ، لأنه أراد بالشَّنب جميع الثغر فهو عدد ، ولفظه مُوحد ، وعلى هذا الوجه قرأ من قرأ : ﴿ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٍ ﴾[2] لأن السُّنْدُسَ جَمْعٌ في جنسه واحدٌ في لفظه .

[عاقبة الإستخفاف]

حدثنا أبي ، قال : حدثني أبو أحمد الختلي ، قال : حدثني الحسين بن محمد بن خالد الحَنّاط ، قال : سمعتُ أبا عبدالله الخُرَاساني ، يقول :

من استخفَّ بالعلماء ذَهَبتْ آخرتُه ، ومن استخفَّ بإخوانه قلَّتْ معونته ، ومن استخفّ بالسُّلْطان ذهَبتْ دُنْياه .

---

(١) ديوانه ١٠٨ ، واللمياء الشفة أو اللثة اللطيفة قليلة الدم أو قليلة اللحم ، والحوة : حمرة في الشفة تضرب إلى سواد واللعس السواد حينما يصل إلى باطن الشفة ، والنساء وبخاصة الجميلات منهن في بلا‌ ـ ـبة والسودان يصنعن ذلك بالوشم فيكسبهن ملاحة وحسناً .

(٢) الآية ٢١ من سورة الإنسان أو الدهْر ، والشاهد في الآية قوله : خضر حيث وصف الواحد وهو قوله سندس بالجميع وهو خضر ، وكان حقه أن يقول (سندس أخضر) . ولكن مما يسوغ ذلك أن سندساً اسم جنس فهو يطلق على الواحد والجميع ولذا جاز وصفه بالجمع ولا يأتي هذا كثيراً ومنه المثل : أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض ، وبالطبع فهناك قراءات أخرى في الآية الكريمة انظرها في تفسير القرطبي ٦٩٣٧ .

[عِفَّةُ جرير ، وفجور الفرزدق]

حدثنا إبراهيمُ بن محمد بن عرفة الأزْديّ ، قال : أخبرني عبيداللّهِ ابن إسحاق بن سلام وأحمد بن يحيى ، وأبو العباس الأحول ، كلٌّ بِسَنَده :

أن جريراً قَدِم على عمر بن عبد العزيز وهو يتولّى المدينة ، فأنزله في دارٍ وبعث إليه بجاريةٍ تَخْدُمُه ، فقالت له : إني أراك شَعِثاً فهل لك في الغُسْل ؟ فجاءته بغِسْل وماء ، فقال : تَنَحَّيْ عَنِّي ، ثم اغتسل .

ثم قدم الفرزدق فأنزله داراً وبعث إليه بجاريةٍ فعرضت عليه مثل ذلك ، فوثب عليها فخرجتْ إلى عمر ، فنفاه عن المدينة وأجَّلَهُ ثلاثاً ، ففي ذلك يقول :

تـوعَّـدَنِي وأجَّـلني ثَـلاثـاً كمـا لَبِثَتْ لِمهلَكِهَـا ثَمُـودُ

وبلغ ذلك جريراً ، فقال :

نَفَاكَ الأَغَرُّ ابنُ عبـد العَزِيـز بِحَقِّـكَ تُنْفَى عن المسجـدِ
وشَبَّهْتَ نفسَـكَ أشْقَى ثَمُـودَ فقـالـوا : ضَلَلْتَ ولم تهتـدِ
وقد أُخِّرُوا حين حَلَّ العَذَابُ ثَـلاَثَ ليـالٍ إلى المـوعـدِ[1]

[تعليق لغوي]

قال القاضي : الغِسْل: ما يُغْسل به الرأسُ والجَسَدُ من خِطْمِيٍّ[2]

---

(١) سبقت هذه الأبيات مع حكاية أخرى للفرزدق مع عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه .
(٢) الخطمي: شجرة من الفصيلة الخبازية ، كثيرة النفع ، يدق ورقها يابساً ويجعل غسلاً للرأس فينقيه . (المعجم الوسيط) .

وغيره ، والغَسْلُ مصدر غَسَلْت[1] ، وأما الغُسْل بالضم فقد اختلف أهل العلم بالعربية فيه ، فقال بعضهم : هو الماء ، وقال بعضهم : الغَسْل والغُسْل لغتان بمعنى واحد ، كالرَّهْبِ والرَّعْبِ ، والرُّهْب والرُّعْب ، ومثله من الأسماء الأعيان : الحَشُّ والحُشُّ والرَّفْغ والرُّفْغ[2] .

وفي هذه الرواية : بحقِّك تُنْفَى ، وقد رَوَاهُ رَاوُون : وَحَقُّك ، واخْتُلِف في موضع تُنْفَى من الإعراب ، فقال بعضُهم : موضعه رفعٌ على أصل إعراب المُضارع ؛ إذْ لم يأتِ هاهُنا أن فتنْصِبَه ، وقال آخرون : موضعه نَصْبٌ وأضمروا أن وأعملوها مضمرة ، لأن المعنى : وحقُّك أن تُنْفَى ، وقد اختُلِف نحو هذا الإختلاف في بيت طَرَفة ، حيثُ يقول :

أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرُ الوَغَى   وأن أشْهَدَ اللَّذَّاتِ هل أنت مُخْلِدِي[3]

فروى : أحضرُ بالرفع والنَّصب على نحو ما وصفنا ، وروى على الوجهين أيضاً قول الشاعر :

يا لَيْتَني مِتُّ قبل أعْرِفكمْ   وصَاغَنَا اللَّهُ صيغةً ذَهَبَا

وقد قال الله تعالى ذكره : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ يَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ ﴾[4] فزعم

---

(١) وغسلت أي أزلت عنه الوسخ وطهرته بالماء ، أما الغسل بضم الغين فقيل : هو تمام غسل الجسد كله ، وقيل : هو الماء ، وقيل : هو ما يغسل به كالصابون والأشنان ونحوه ، انظر اللسان .

(٢) الحش بفتح الحاء وضمها من معانيه : البستان أو النخل المتجمع ، أو المتوضأ أو غير ذلك أيضاً . انظر اللسان .

أما الرفغ بفتح الراء وضمها : فهو أصول الفخذين من باطن ، أو أصول الإبطين ، اللسان .

(٣) البيت من معلقة طرفة وهو في ديوانه ٤٧ ، كما ورد في معظم كتب النحو ، انظر ما أورده منها في هامشه شارح الإنصاف في مسائل الخلاف ٥٦٠ .

(٤) سورة الزمر ، الآية ٦٤ .

الكوفيون أن المعنى[١] : تأمروني أن أعْبُدَ ، وأنكر البَصْريون هذا . وقالوا : تأمروني كلام أتى اعتراضاً بين الكلامين ، والمعنى : أفغير اللَّهِ أعبدُ ، كقولك : زيداً أرى لقيت ، ونحو هذا قول جرير يهجو عمر بن لجأ :

أبِالأَرَاجِيزِ يا ابْنَ اللُّؤْمِ تُوعِدُنِي وفي الأَرَاجِيزِ خِلْتُ اللُّؤْمَ والخَوَرَا[٢]

المعنى : وفي الأراجيز اللؤمُ والخَوَرُ فيما خلت .

وهذا عندنا من الكَلِم الذي اخْتُصِرت فائدتُه من الصيغة اللغوية ، وأُلْغِيَ عمله من الجهة النحوية .

ولهذا الفصل وما ذكرنا فيه ، موضعٌ من كلامنا في معاني القرآن وأبواب العربية ، وهو أَوْلَى به .

[الحديث الحسن ، أبقى اللَّذات]

حدثنا عمر بن الحسن بن عليّ بن مالك الشيباني ، حدثنا الغَلَّابي ، حدثنا ابن سلام ، حدثنا عبداللَّهِ بن مَعْبَد ، قال :

بعث عبد الملك بن مروان إلى الشَّعْبي ، فقال : يا شَعْبِي ! عَهْدِي

---

(١) أي تقدير الكلام بجعل أن مضمرة ، وقد أنكر البصريون أن تضمر (أن) دون بدل ، والبدل الذي يحل محلها حروف معنية هي فاء السببية وواو المعية وأو وحتى وذلك بشروط ، ورد الكوفيون على ذلك بأن المعنى يقتضي تقدير (أن) دون حرف من هذه الحروف ، إذ المعنى : أتأمروني بغير الله أن أعبده ، فأن المقدرة هي والفعل مصدر وهما بدل من غير ، والتقدير : أتأمروني بعبادة غير الله .
وقال البصريون : إن تأمروني كلام معترض ويمكن إسقاطه هنا أ تأخيره دون إخلال بالمعنى والتقدير: أفغير الله أعبد فيما تأمروني. وهذا هو ملخص الخلاف بتبسيط شديد.
انظر تفسير البحر المحيط ٦ / ٤٣٨ ، وتفسير القرطبي ٥٧٣٠ ، ومغني اللبيب ٦٤١ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ٥٦٠ .

(٢) البيت التالي ليس لجرير ولم أعثر عليه في ديوانه ولا في نقائضه هو والفرزدق .

بك وأنك الغلام في الكُتّاب فَحَدِّثْني ، فما بقي شيءٌ الآن إلاّ وقد مَلِلْتُه سوى الحديث الحَسَن ، وأنشد[1] :

ومَلِلْتُ إلاّ من لِقاءِ مُحَدِّثٍ حَسَن الحديث يَزيدُني تَعْليمَا

قال القاضي : ونظيرُ هذا قول ابن الرومي :

ولقد سئمت مآربي فكأنَّ طيِّبَها خبيثُ
إلاّ الحديثَ فإنّه مثلُ اسمِهِ أبداً حديثُ

[كيف عاد الزُّهْري إلى قول الحديث]

حدثنا محمد بن يحيى الصُّولي ، حدثنا الحارث بن أبي أسامة ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا الحسن بن عمارة ، قال :

أتيتُ الزُّهْرِيَّ بعد أن ترك الحديث فألفيتهُ على بابه ، فقلت : إن رأيتَ أن تُحدثني ، قال : أما علمتَ أنِّي قد تركتُ الحديث ؟ فقلتُ : إما أن تحدثني وإمّا أن أُحدثك ، فقال : حَدِّثْني ، فقلت : حَدَّثَني الحكمُ بن عُيَيْنة ، عن يحيى بن الجَزّار ، قال : سمعتُ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، يقول : « ما أَخَذَ اللَّهُ على أهْلِ الجهل أن يَتَعلَّمُوا حتى أَخَذَ على أهلِ العلم أن يُعَلِّمُوا » .

قال : فَحدَّثَني أربعين حَدِيثاً .

---

(١) هو محمد بن مسلم بن عبد الله المعروف بابن شهاب الزهري ، أبو بكر ، أول من دون الحديث ، وأحد كبار الحفاظ والفقهاء ، تابعي من أهل المدينة ، كان يحفظ ألفين ومائتي حديث ، ويقول أبو الزناد : كنا نطوف مع الزهري ومعه الألواح والصحف ويكتب كل ما يسمع .

نزل الشام واستقر بها ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله : عليكم بابن شهاب فإنكم لا تجدون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه .

توفي سنة ١٢٤ هـ ، انظر تذكرة الحفاظ ١٠٢/١ ، تهذيب التهذيب ٤٤٥/٩ ، وانظر الأعلام ٣١٧/٧ والمراجع التي فيه عنه .

المجلس الحادي والثلاثون

[أنا خَيْرُكُم بيتاً ، وخيرُكُم نَفْساً]

حدثنا إبراهيم بن محمد بن علي بن بَطْحا في آخرين ، واللفظ لإبراهيم ، حدثنا علي بن حرب الطائي ، حدثنا أبو فُضَيْل ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبدالله بن الحارث ، عن عبد المطلب بن ربيعة :

« أن ناساً من الأنْصار قالوا : يا رسولَ اللَّهِ! إنَّا نسمعُ من قومِك حتى يقولَ القائلُ منهم : إنّما مَثَلُ محمدٍ كمثلِ نَبْتٍ في كِبَا ، فقال النبي صلّى الله عليه وآله وسلم : أيُّها الناس ! مَنْ أنا ؟ قالوا : أنتَ رسولُ الله ، قال : أنا محمد بن عبداللَّهِ بن عبد المطلب - (ما سمعناهُ اسَمَّى قبلها) - إنّ اللَّهَ تعالى خَلَق خَلْقَهُ فجعلني من خير خَلْقِه ، ثم فرَّقهمُ فِرقَتين فجعلني من خير الفرقتين ، ثم جعلهم قبائلَ فجعلني من خَيْرهم قبيلة ، ثم جعلهم بُيُوتاً فجعلني خَيْرِهِمْ بيتاً ، فأنا خيركُم بيتاً وخيركُم نَفْساً »[1] .

---

(١) الحديث الشريف في مسند الإمام أحمد ١٦٦/٤ ، وانظر اللسان (كبا) ففيه رواية أخرى للحديث .

قال القاضي : قد أبان رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلم في هذا الخبر ما فضَّله الله تعالى به على العالمين ، وأرغم به أعداءَه الضَّالِّين المكذبين ، ولقد شرَّفه الله تعالى بفضله على سائر المسلمين ، وكَرَّمه بأن ختم به النَّبيين ، ورفع درجته في عليِّين ، فهنَّاه الله ما أعطاه ، وزاده فيما منحه وأولاه ، وتابع لديه مواهبه وعطاياه ، وأسعدنا بشفاعته يوم نَلْقاه ، وكافأه عنا وحاطه وأجزل مثوبته ، ورفع في أعلى عليين منزلته ، بما أدّاه إلينا من رسالته ، وأفاضه علينا من نصيحته ، وعَلَّمناه من كتابه وحكمته .

ومعنى قولِ مَنْ قال : نبتٌ في كِبا ، الكُبَا[1] بالقصر : المَزْبلة ، والكِبَاءُ بالمد : العُودُ والبَخُور ، قال المرقِّشُ الأَصْغر :

في كــلِّ يــوم لهــا مِقْــطَرَةٌ فيهــا كبَــاءٌ مُعَــدٌّ وحَمِيم[2]

والمقطرة : هي التي يجعل فيها القُطْر فيُتبخر به ، والقُطْر : العود الذي بِمَبْخَرِتِه كما قال امْرُؤُ القيس[3] :

كـأنَّ المُدَامَ وصَـوْبَ الغَمَـامِ وريـحَ الخُزَامَى ونَشْـرَ القُـطُرْ
يُـعَـلُّ بــه بــردُ أنْيــابـهــا إذا طَـرَّبَ الطائـرُ المُسْتَحِرْ[4]

---

(١) وهو يكسر الكاف أو ضمها ، فالمكسور جمع كبة بكسر الكاف ، والمضموم جمع كبة بضمها ، انظر اللسان .

(٢) سبق البيت فيما مر من صفحات .

(٣) البيتان التاليان في ديوانه ١٥٧ ، والمدام : قيل هي الخمر يدام شربها ، وقيل : هي التي أديمت في دنها ، والغمام : السحاب ، وصوبه : وقعه ، والخزامى : نلت طيب الرائحة ، والنشر : الرائحة أو الريح للتي تفوح منه .

(٤) يعل به : أي يسقي به ، وهو الشرب الثاني ، والشرب الأول يسمى النهل ، والطائر المستحر : المصوِّت بالسحر ، والمعنى أنها طيبة ريح الفم في الوقت الذي تتغير فيه الأفواه ، لأن الأفواه تتغير بعد النوم .

[من حسِّ معاوية وذكائه]

حدثنا محمد بن الحسن بن دُريد ، أنبأنا الرياشي ، عن ابن سلام ، قال : حُدِّثْتُ عن عبدالله بن الحسن ، قال :

قال معاوية لابن أبي أحمد : أُصَبْتَ لنا مَالاً أبتاعُه ؟ فأتاه فقال : قد أصبتُ لك مالاً ، قال : ما هو؟ قال : البَلْدة ، قال : لا حاجة لي بها ، قال : النخيل ، قال : لا حاجةَ لي فيه ، قال : وَدَعَان ، قال : لا حاجة لي فيه ، قال : الغابة ، قال : نعم ، اشْتَرِها ، قال له : يا أمير المؤمنين! سميتُ لك أموالاً تعرفُها فكرهتَها ، وأخبرتُك بما لا تعرف فاخْتَرْتَه ، قال : نعم ، سَمَّيت لي البلدةَ فتبلَّدت عليّ ، وسميت النُّخيل فكان مصغَّراً ، وسميت لي ودعان فنهتني نفسي عنها ، وسميت لي الغابة فعلمتُ أن بها كثرة الماء ، وقد قال الأوَّل :

إنْ كنتَ تبغي العِلْمَ أو مثْلَهُ ... أو شَاهِداً يُخْبِرُ عن غَائِبِ

فاعتبِرِ الأرضَ بأسْمائِها ... واعتبِرِ الصَّاحِبَ بالصَّاحِبِ

[أعِزَّ أمْرَ الله يُعزَّك الله][1]

حدثنا محمد بن مَزْيَد الخُزاعي ، حدثنا الزُّبير ، قال : حدثني عَمِّي مُصعب بن عبدالله ، عن عمرو بن الهياج بن سعيد ، حدثني مُجالد بن سعيد[2] ، قال :

---

(١) القصة التالية في أخبار القضاة لوكيع ٣/ ١٦٩ .

(٢) في أخبار القضاة : ابن أخي مجالد بن سعيد بدلاً من مجالد بن سعيد ، ومجالد بن سعيد بن عمر الهمداني كان راوية للحديث والأخبار ، من أهل الكوفة ، وقد اختلفوا في توثيقه ، لكن البخلري قال عنه إنه صدوق ، توفي سنة ١٤٤ هـ .

أنظر الاعلام ٤/ ١٦١ ، وقال في هامشه : تكررت الرواية عنه في أخبار القضاة لوكيع .

كنتُ من صحابة شَريك فأتيتُه يوماً وهو في منزله باكراً ، فخرج إليَّ في فَرْوٍ ما تحته قميصٌ وعليه كِسَاء ، فقلت : قد أضْحَيْتَ[1] عن مجلس الحكم ، قال : غسلتُ ثيابي أمس فلم تَجِفَّ فأنا أنتظر جُفُوفَها ، اجلسْ ، فجلستُ ، فجعلنا نتذاكرُ باب العَبْدِ يتزوَّجُ بغير إذن مواليه[2] ، فقال : ما عندك فيه ؟ وما تقول ؟ وكانت الخيزُرَانُ قد وجَّهت رجلاً نصرانيًّا على الطِّراز بالكوفة وكتبت إلى عيسى بن موسى ألا يعْصِيَ له أمراً ، فكان النصرانيُّ مطاعاً في الكوفة ، فخرج علينا ذلك اليومَ من زُقَاقٍ يخرجُ إلى النَّخَعِ[3] ومعه جماعةٌ من أصحابه ، عليه جُبَّةُ خَزٍّ وطيلسان ، على بِرْذَوْنٍ فَارِه ، وإذا رجلٌ بين يديه مكتوفٌ وهو يقول : واغَوْثَاهُ بالله ، أنا بالله ثم بالقاضي ، وإذا آثار السِّيَاطِ في ظهره ، فسلم على شَرِيك وجلس إلى جانبه ، فقال الرجل المضروب : أنا بالله ثم بك أصلحك الله ، أنا رجل أعمل لهذا الوَشْيَ ، أُجْرَةُ مثلي مائةُ درهم في الشهر ، أخذني هذا منذ أربعة أشْهرٍ واحتبسني في طرازٍ يُجْرِي عليَّ فيه القُوت ، ولي عيالٌ قد ضاعوا ، فأفلتُّ منه اليوم هارباً فلحقني ففعل بِظهري ما ترى .

فقال : قم يا نَصْرانيُّ واجلسْ مع خَصْمِك ، قال : أصلحك الله يا أبا عبدالله هذا من خَدَمِ السيدة ، مُرْ به إلى الحَبْس ، قال : قُمْ ويلك فاجلسْ معه كما يقال لك ، فجلس .

فقال له : ما هذه الآثار التي بظهر هذا الرَّجل ؟ مَنْ أثَّرَهَا به ؟ قال :

---

(١) في الأصل : أصبحت ، وما أثبتناه من أخبار القضاة ، وأصبحت أي تأخرت إلى الضحى .

(٢) في أخبار القضاة : سيده .

(٣) إلى النخع : أي إلى محلة النخع ، وهي القبيلة التي منها القاضي ، ويسكن فيها .

أصلح الله القاضي ، إنما ضربتُه أسْواطاً بيدي ، وهو يستحقُّ أكثر من هذا ، مُرْ به إلى الحبس .

فألقى شريكٌ كساءَهُ ودخل داره وأخرج سَوْطاً رَبَذِيًّا[١] ، ثم ضرب بيده إلى مجامع أثواب النصراني ، وقال للرجل : انْطَلِقْ إلى أهلك ، ثم رفع السوط فجعل يضرب به النصراني ويقول : بأصْبَحيٍّ قُدَّ من قَفَا جَمَل[٢] .

لا تضربْ ـ واللّه ـ المسلمين بعدها أبداً ، فَهَمَّ أصحابُ النصراني أن يخلِّصُوه من يده فقال : مَنْ هاهنا من فتيان الحي ؟ خُذُوا هؤلاء فاذهبوا بهم إلى الحبس ، فهرب القوم جميعاً وأَفْرَدُوا النصراني ، فضُرب أسواطاً فجعل النصرانيُّ يَعْصِرُ عينيه ويبكي ويقول : سَتَعْلم .

فألقى السَّوطَ في الدهليز ، وقال : يا أبا حفص ! ما تقولُ في العَبْد يتزوَّجُ بغير إذْن مواليه ، وأخذْنا فيما كُنّا فيه كأنّه لم يصنعْ شيئاً ، وقام النصرانيُّ إلى البرذون ليركبَه فاسْتعْصى عليه ، ولم يكنْ له من يأخذُ ركابه ، فجعل يضرب البرذون ، فقال له شريك : ارْفق به ويلك ، فإنه أطوعُ لله منك ، فمضى .

فالتفتَ إليَّ شريكٌ ، فقال : خُذْ بنا فيما كُنّا فيه ، قلت : ما لنا ولذا ؟ قد ـ واللّهِ ـ فعلتَ اليوم فَعْلةً ستكونُ لها عاقبة مكروهة ، فقال : أَعِزَّ أمْرَ اللّهِ تعالى يُعِزَّكَ اللّهُ ، خُذْ فيما نحنُ فيه .

وذهب النصرانيُّ إلى عيسى بن موسى فدخل عليه ، فقال : من

---

(١) الربذي ذو الربذ ، وهو السوط الذي به سيور عند مقدم جلده .

(٢) في أخبار القضاة : يا طبجي قد من فاجمل ... وهي شديدة التحريف كما نرى .

بك ، وغضب الأعوانُ وصاحب الشرطة ، فقال : شريكٌ فعل بي كيت وكيت ، قال : لا والله ، ما أتعرَّضُ لشريك ، فمضى النصرانيُّ إلى بغداد فما رجع .

قال القاضي : الأصبحيّات : سيَاطٌ معروفة ، واحدها أُصْبَحي ، وهي منسوبةٌ إلى ذي أصبح ملك من ملوك اليمن .

[صِلةُ الرحم تخفِّف الحساب]

حدثنا الحسن بن أحمد بن محمد بن سعيد الكلبي ، ثنا محمد بن زكريا ، ثنا محمد بن عبد الرحمن التيمي ، عن أبيه ، قال :

وقع بين جعفر بن محمد[1] وبين عبدالله بن حسن كلامٌ في صَدْرِ يوم ، فأغلظ في القول عبدُالله بن حسن[2] ، ثم افترقا وراحا إلى المسجد فالتقيا على باب المسجد ، فقال أبو عبدالله جعفرُ بن محمد لعبد اللهِ بن حَسَن : كيف أمسيتَ يا أبا محمد ، قال : بخير ، كما يقول المُغْضَب ،

---

(١) الإمام الجليل ابو عبد الله جعفر بن محمد الملقب بالصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الإمام الحسين الشهيد ، سادس الأئمة الأثنى عشر ، لم تجرب عليه كذبة قط ، من أجلة التابعين ، ومن ذوي الأقدار الكبيرة في العلم والحكمة ، تلقي عنه الإمامان مالك وأبو ضيفة وغيرهم ، وله أخبار كثيرة مع خلفاء بني العباس ، وكان جريئاً عليهم ملتزما بالحق ، ولد بالمدينة سنة ٨٠ هـ وتوفي بها سنة ١٤٨ هـ .

انظر وفيات الأعيان ١/١٠٥ ، وحلية الأولياء ٣/١٩٢ ، وصفة الصفوة ٢/ ٩٤ .

(٢) عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد ، تابعي من أهل المدينة ، وصفه الطبري بأنه كان ذا عارضة ولسان وهيبة شديدة ، وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز ولما ظهر العباسيون قدم على السفاح فأعطاه ألف ألف درهم ، فعاد إلى المدينة ، ولكن المنصور استقدمه إلى الكوفة وسجنه بها حين علم بخروج ولديه محمد وابراهيم حتى مات بها سنة ١٤٥ هـ .

انظر ذيل المذيل للطبري ١٠١ ، وتاريخ بغداد ٩/ ٤٣١ .

فقال : يا أبا محمد ! أمَا عَلِمْت أنّ صلة الرحم تُخَفِّفُ الحساب ؟ فقال : لا تَزال تَجيءُ بالشيءِ لا نعرفُه ، قال : فإني أتلُو عليك به قُرآناً ، قال : وذلك أيضاً ؟ قال : نعم ، قال : فهاته ، قال : قول الله عزّ وجلّ : ﴿ الَّذِين يَصِلُون ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أن يُوصَلَ ويَخْشَوْنَ رَبَّهُم ويَخَافُونَ سُوءَ الحساب ﴾[1] ، قال : فلا تراني بعدها قاطعاً رَحِماً .

[أبياتٌ في وصف الهوى]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، حدثنا ابنُ أبي الدنيا ، قال : حدثني أبو الوضاح ، عن الواقدي ، عن أبي الجحَاف ، قال[2] :

إنّي لفي الطواف وقد مضى أكثر الليل وخفّ الحاجُّ إذْ بامرأةٍ شابّةٍ قد اقبلتْ كأنها شمسٌ ، على قضيبٍ غُرِسَ في كَثِيب ، وهي تقول :

رأيتُ الهوى حُلْواً إذا اجتمع الوَصْلُ ... ومُرًّا على الهِجْرَانِ لا بل هو القَتْلُ

ومن لم يَذُقْ للهَجْر طعْماً فإنَّه ... إذا ذاق طَعْم الحُبِّ يَدْر ما الوَصْلُ

وقد ذُقْتُ من هذين في القُرْبِ والنَّوى ... فأبْعَدُهُ قَتْلٌ وأقرَبُهُ خَبْلُ

[هو أشعر الناس]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ،حدثنا أحمد بن يحيى ، قال : قال بعض أصحاب العتابي : رأيت العَتَّابِيَّ ينظر في كتابٍ ويلتفتُ إليَّ ويقول : هو واللَّهِ أشعرُ الناس ، فقلت : ومن هو؟ قال : أما تعرفُه ؟ هو الذي يقول :

---

(١) سورة الرعد ، الآية ٢١ .

(٢) القصة التالية مع أبياتها في مصارع العشاق ٨٦ مروية عن المعافي بن زكريا .

إذا نحن أَثْنَيْنَا عليك بصالح فأنت الذي نُثْنِي وفوق الذي نُثْنِي
وإن جَرَتِ الألفاظُ يوماً بِمِدْحَةٍ لغيرك إنْسَاناً فأنت الذي نَعْنِي

فقلت له : من هو؟ قال : أو ما تعرفه؟ هو الذي يقول :

تَسَتَّرْتُ من دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَصِرْتُ أرى دَهْرِي وليس يَرَانِي
فَلو تَسَلِ الأَيَّامُ ما اسْمِيَ لما دَرَتْ وأين مَكاني ما عَرَفْنَ مكانِي

ويروى : فلو تسأل الأيام بي ما عرفنني ، ويُروى : ما دَرَيْن بي ، فقلت : من هو؟ قال : هو الذي يقول :

إن السَّحابَ لَتَسْتَحْيِي إذا نَظَرَتْ إلى نَـدَاكِ فَقَاسَتْـهُ بما فِيهـا
حتى تَهُمَّ بـإِقـلاعٍ فيجمعهـا خوف العُقُوبَةِ من عِصْيان مُنْشِيها

فقلت : لمن هو؟ قال : لأبي نواس .

[جميلة من هذيل]

حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق بن أبي خميصة الأضاحي ويعرف بأبي عبدالله ، الحَرَمِيُّ ، ويزدادُ بن عبد الرحمن بن يزداد المَرْوَزي ، قال : حدّثنا الزُّبَير بن بَكَّارٍ ، قال : حدثني سليمان بن داود المَخْزُومي ، عن أبيه ، قال : حدثني إسماعيل بن يعقوب الثقفي ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال[1] :

قدمت المدينة امرأةٌ من هُذَيل من ناحية مكة ، وكانت جميلةً ومعها صبي ، فرغب الناسُ فيها فخطبوها ، فكادت تذهبُ بعقول أكثرهم ، فقال

(١) الخبر التالي في الأغاني ٩/ ١٤٨ .

فيها عبيدالله ابن عبدالله بن عتبة بن مسعود[1] :

أُحِبُّك حبًّا لو شَعَرْت بِبَعْضِهِ   لَجُدْتِ ولم يَصْعُبْ عليك شَدِيدُ
أُحِبك حُبًّا لا يحبُّك مثْلَهُ   قريبٌ ولا في العاشقين بعيدُ[2]
وحبك يا أم الصَّبيِّ مُدَلِّهِي   شهيدي أبو بكر فَنِعْمَ شَهِيدُ
ويَعْرِفُ وَجْدي قاسمُ بنُ محمدٍ   وعُروةُ ما ألقى بكم وسَعِيدُ
ويَعْلَمُ ما أَلْقَى سليمانُ عِلْمَهُ   وخارجةٌ يُبْدي بنا ويُعيدُ
متى تسْألي عما أقول وتُخْبَري   فلِلَّهِ[3] عندي طارفٌ وتَلِيدُ

[فقهاء المدينة السبعة]

أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، والقاسمُ بن محمد ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ،وعُرْوة بن الزُّبير ، وسَعِيدُ بن المُسَيَّب ابن حَزْن ، وسليمانُ بن يَسَار مَوْلى ميمونة بنت الحارث الهِلَالية ، وخَارِجةُ ابن يزيد بن ثابت ، وهؤلاء السِّتةُ وهو سابعهم (فقهاءُ المدينة السَّبعة) الذين أُخِذَ عنهم الرأي والسُّنَن ، قال :

فقال له سعيدُ بن المسيب : أمَّا أنت ـ واللَّهِ ـ فقد أُمِنْت أن تسألنا وما طمعتَ إن سَأَلْتَنَا أن نَشْهد لك بزُورٍ ـ والحديث على لفظ الحرمي ـ وحديث يزداد نحوه .

(١) الهذلي ، أبو عبد الله ، مفتي المدينة وأحد فقهائها السبعة ، من أعيان التابعين وله شعر جيد ، وهو مؤدب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وكان ثقة عالماً فقيهاً كثير الحديث ، جيد البصر بالشعر ، توفي بالمدينة سنة ٩٨ هـ ، وكان قد ذهب بصره .
انظر تذكرة الحفاظ ١/ ٧٤ ، حلية الأولياء ٢/ ١٨٨ ، وأمالي المرتضى ٢/ ٦٠ ، وانظر الأغاني ٩/ ١٣٩ .
(٢) لم يرد هذا البيت في الأغاني .
(٣) رواية الأغاني : فللحب .

[جارية للحجاج تَشُكُّ في عِفّة جرير]

حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي ، قال : حدثني عبيدالله بن أحمد المزني ، قال :

قالت جارية للحجاج : يدخل عليك جريرٌ فيشبِّبُ بالحُرم ، قال : ما علمتُه إلاّ عفيفاً ، قالت : فأَخْلِني وإياه ، فأخلاهما .

فقالت : يا جرير ! فنكّس رأسَه وقال : هأنذا ، فقالت : باللَّهِ أنشدني قولك :

أوانِسُ ، أمَّا مَنْ أرَدْنَ عَفَاءَهُ   فَعَانٍ ، ومَنْ أطْلقْنَ فهو طَلِيقُ
دَعَوْنَ الهَوَى ثم ارْتَمَيْن قلوبَنا   بـأسْهُمِ أعـداءٍ وهنَّ صَـدِيقُ

فقال : ما أعرف هذا ، ولكنّي القائل :

ومَنْ يأمنُ الحجاجَ أمَّا نَكَالُهُ   فَصَعْبٌ وأمـا عِقْـدُه فَـوَثِيقُ
وخِفْتُك حتى اسْتَنْزَلَتْنِي مَخَافَتِي   وقد كان دُوني من عِمَايَةَ نِيقُ

عمايةُ : جَبل، ونيق : أعلاه .

يُسِرُّ لك البغضاءَ كلُّ منـافِقٍ   كما كُلُّ ذِي دِينٍ عليك شَفِيقُ(١)

فقالت : ليس عن هذا سألتُكَ يا بغيضُ ، باللَّهِ أنْشدني قولك :

نامَ الخليُّ وما رقدتُ بِحيلة   ليـلَ التَّمـامِ تَقَلُّبَـا وسُهُـودَا
ما ضرَّ أهْلُكِ أن يقولَ أميرُهُمْ   قولاً ، إذا نَزَل المُلِمُّ ، سَدِيداً

---

(١) هذا البيت والأربعة قبله من قصيدة للشاعر في الديوان ص ٣١٥ .

رَمَتِ الرُّماةُ فلم تُصِبْكَ سِهَامُهُم ورأيتُ سَهْمَكَ للرُّمَاةِ صَيُودًا[1]

فقال : ما أعرف هذا ، ولكنّي القائل :

دعا الحجّاجُ مثلَ دُعاءِ نُوحٍ فأسمع ذا المعارج فاسْتَجابا
صبرت النفسَ يا ابن أبي عَقِيلٍ محافظةً فكيف ترى الثوابا
ولو لم يَرْضَ رَبُّكَ لم يُنزِّلْ مع النصر الملائكةَ الغِضَابا[2]

فقالت : ليس عن هذا أسألك يا بغيض ، أنْشدني قولك :

إن العُيُونَ التي في طَرْفها مَرَضٌ قَتَلْنَنَا ثم لم يُحْيِينَ قَتْلاَنا
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حَرَاكَ بِهِ وهُنَّ أضْعَفُ خلق الله أرْكَانَا[3]

فقال : ما أعرف هذا ، ولكنّي القائل :

رأى الحجَّاجُ عافيةً ونَصْرا على رَغْمِ المُنَافِقِ والحَسُود
دعا أهلَ العِراق دعاءَ نُوحٍ وقد ضَلُّوا ضَلاَلَةَ قومِ هُودِ[4]

فقالت : ليس عن هذا سألتُك يا بغيض ، بالله أنْشدني قولك :

نام الخليُّ وما تنامُ هُمُومِي وكأنَّ لَيْلِي باتَ لَيْلَ سَلِيمِ
كنّا نواصلكُمْ بحبْلِ مَوَدَّةٍ فلقد عجبتُ لحبْلِنا المَصْرُومِ
ولقد تَوَكَّلُ بالسُّهادِ لحبكم عينٌ تبيتُ قليلةَ التَّهْوِيمِ
إنّ امْرَأً مَنَع الزيارة منكم حقًّا لَعَمْرُو أبيكِ غيرُ كريمِ[5]

---

(١) الأبيات من قصيدة له في هجو الفرزدق ، انظرها في الديوان ١٣٣ .
(٢) الأبيات في ديوانه ٢٠ .
(٣) البيتان في ديوانه ٤٩٢ ، والرواية في البيت الأول حور بدل مرض .
(٤) ديوانه ٩٥ ، وفيه : دعاء هود .
(٥) الديوان ٤٣٤ ، ٤٣٥ والأبيات الأربعة لا تأتي بهذا الترتيب في القصيدة ، والرواية في الديوان غير حليم .

فقال : ما أعرفُ هذا ، ولكنّي القائل[1] :

وثِنْتَانِ في الحجَّاجِ لا تَرْكُ ظالمٍ سَوِيًّا ولا عند المُرَاشَاة قابِلُ[2]
ومن غَلَّ مالَ اللَّهِ غُلّتْ يمينُه إذا قيل أدُّوا لا يَغُلَّنَّ عَامِلُ

وهما حيث يراهما الحَجَّاجُ ، فقال: لِلَّهِ دَرُّك يا ابن الخَطَفَى ، أبيتَ إلا كَرَماً وتَكَرُّماً .

[الحجَّاجُ يُفضِّل شِعر جرير]

حدثنا المظفر بن يحيى ، حدثنا العَبّاس المرْوزي ، حدثنا أبو إسحاق الطَّلْحي ، قال : أخبرني إسحاق بن سَعْدان ، قال : حدثني أبو عبدالله الثَّقَفي ، عن خاله محمد بن يحيى ، قال : أنشد الفرزدقُ الحَجّاجَ :

ومَا يأْمَنُ الحَجَّاجَ والطَّيْرُ تَتَّقِي عُقُوبَتَهُ إلاَّ ضَعِيفُ العَزَائِمِ[3]

فقال الحجاج : ويحك يا فَرَزْدق ، واللَّهِ إنّ الجِبالَ لتُوضَعُ للطير فتَتَنَحَّى عنه ، ما قال جريرٌ أحسنُ من هذا ، حيثُ يقول[4] :

فما يأمنُ الحجَّاجَ أما عِقَـابُهُ فَـمُـرٌّ وأمـا عَقْـدُهُ فـوثـيقُ
يُسِرُّ لك الشحناءَ كلُّ منـافق كما كلُّ ذي دِينٍ عليك شفيقُ

---

(١) البيتان في ديوانه ضمن قصيدة طويلة في مدح أمير المؤمنين والحجاج . صفحة ٣٢٥.
(٢) في الديوان : فائل .
(٣) لم أعثر على هذا البيت في ديوان الفرزدق .
(٤) البيتان في ديوانه ٣١٥ ، ٣١٦ ، برواية : فمن مكان فما ، والبغضاء مكان الشحناء في البيت الثاني .

[براعةُ بشّارٍ في الشكاية إلى الأحرار]

حدثنا أحمد بن إبراهيم بن الحارث العقيلي ، ثنا محمد بن زكريا الغلّابي ، حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب العدويّ ، عن الأصمعيّ ، قال :

لم يقلْ أحدُ قطُّ في التَفَرُّجِ بالمفاوضة[1] إلى الأحرار ، والتشكّي إلى أهل الحِفاظ والأقْدار ، وذَوِي الرِّقَابِ والأخْطار ، مثل قول بشار حيث يقول[2] :

وأبْثَثْتُ عَمْراً بعضَ ما في جَوَانحي وجَـرَّعْتُه من مُـرِّ ما أَتَجَـرَّعُ
ولا بُدَّ من شكوى إلى ذي حفيظةٍ إذا جَعَلَتْ أسْرَارُ نَفْسِيَ تَطْلُعُ

[لُؤْلؤةُ ابن جعفر]

حدثنا أبِي رحمه الله ، حدثنا أبو أحمد الخُتَّلي ، أنبأنا أبو حفص النسائي ، قال : قال محمد بن حاتِم الجَرْجَرائي ، سمعتُ أيُّوب بن سَيَّارٍ ، يُحدِّث :

أنَّ رجلاً من أهل المدينةِ بَعث بابْنَتِهِ إلى عبداللّه بن جَعْفر[3] ،

---

(١) المفاوضة : يقصد بها الإفضاء لهم بما في نفسه .

(٢) البيتان التاليان في المختار من شعر بشار ١٤٥ برواية : وأودعت عمراً ، ووردا في محاضرات الأدباء ٢/ ٤٥ ، البيان والتبيين ٣/ ٣٨٠ ، بهجة المجالس ١/ ٤٦٤ دون نسبة .

(٣) هو عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها ، وهو أول من ولد بها من المسلمين ، وكان كريماً يسمى بحر الجود ، وللشعراء فيه مدائح كثيرة ، وكان أحد أمراء جيش عمه علي بن أبي طالب يوم صفين ، توفي بالمدينة سنة ٨٠ هـ .
انظر الإصابة ٤٥٨٢ ، والمحبر ١٤٨ ، وذيل المذيل ٢٣ .

فقال : إنّا نريد أن نُخْدِرَها[1] ، وقد أحببتُ أن تمسحَ بيدِكَ على نَاصِيَتِها وتَدْعُوَ لها بالبركة .

قال : فأقعدها في حجره ، ومسح ناصِيتها ، ودَعَا لها بالبركة ، ثم دعا مولًى له فَسَارَّهُ بشيءٍ ، فذهب المولى ثم جاء فأتاه بشيءٍ فَصَرَّهُ عبدُاللَّهِ ابن جعفر في خِمار الفتاة ثم دفعها إلى الرسول .

قال : فنظروا فإذا لؤلؤةٌ فأُخْرجت إلى السُّوقِ لتُباع فعُرِفَتْ وقيل : لؤلؤةُ ابنِ جعفر حَبَا بِها ابنةَ جَارِه ، قال : فبيعتْ بثلاثين ألفِ درهم .

[ملكي خير من ملككما]

حدثني عبداللَّه بن محمد بن جعفر الأزدي ، ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، قال : حدثني المفضل بن غَسَّان ، حدثنا أبو مُسْهر الدِّمَشْقي ، حدثنا هشام بن يحيى الغسّاني ، قال : حدثني أبي ، قال :

خرج عبد الملك بن مروان مِن الصَّخْرة فأدرك سُليمان بن قيس الغسانيّ وابن هبيرة الكندي وهما يمشيان في صحن بيت المقدس .

قال : فما عَلِما حتى وضع يَدَه اليُمنى على مِنكَبِ سليمان ، ويده اليسرى على منكب ابن هُبيرة الكِندي ، ثم قال : أفْرِجَا لِمَلِكٍ ليس كملك غَسّانَ ولا كِنْدة ، قال : فالتفتا فإذا أميرُ المؤمنين ، فأرادا أن يَفْخَرا بمُلكهما ، فقال : على رَسْلكما ، أليس ما كان في الإسلام خيراً مما كان في الجاهلية ؟ قالا : بلى ، قال : فمُلكِي خيرٌ من

(١) نخدرها: يقال أخدر الفتاة أي ألزمها الخدر وصانها عن الخدمة لقضاء الحوائج .

؟ملككم ، قال : ثم مَشَيا معه حتى أتيا منزله فدخل ، فأذن لهما ، فقال لُهما : إن الشاعر يقول :

جاءتْ لتصْرَعَنِي فقلتُ لها : ارْفِقِي   وعلى الرَّفيق من الرفيق ذِمَامُ

وقد صحبتُماني من حيث رأيتما ، ولكما بذلك عليَّ حقٌّ وذِمَام ، فإن أحببتما أن تَرْفَعَا ما كانتْ لكما من حاجةِ السَّاعة ، وإن أحببتُما أن تَنْصرفا فتذكَّرا على مهلكما فَعَلْتُما .

قال : فما رفعا إليه حاجةً إلاّ قضاها .

[المأمونُ يسألُ عن العشق]

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المُقْرِي ، أنبأنا أحمد بن يحيى ثعلب ، حدثنا أبو العالية الشامي ، قال[1] :

سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ما هو؟ فقال : هو سوانح تَسْنَحُ للمرءِ فيهيمُ[2] بها قَلْبُه ، وتُؤْثرها نفسه[3] ، قال : فقال له ثُمامة[4] : اسْكُتْ يا يحيى ، إنما عليك أن تُجيب في مسألة طلاقٍ ، أو في مَحْرَمٍ صَادَ ظبياً أو قَتَلَ نَمْلة ، فأمّا هذه فَمَسائِلُنا نحن ، فقال له المأمونُ : قُلْ يا ثُمَامة ، ما العشق ؟ فقال ثُمامةُ : العشقُ جليسٌ

---

(١) القصة التالية رواية عما هنا في مصارع العشاق ٣/١ ، وانظرها برواية اخرى في بهجة المجالس ٨١٦/١ ، وفي العقد الفريد ٣١٧/٣ مروية عن عبد الله بن طاهر .

(٢) في مصارع العشاق : فيهتم .

(٣) في ب : لنفسه .

(٤) ثمامة بن أشرس النميري ، أبو معن ، من كبار المعتزلة ، وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين يقول عنه الجاحظ : ما علمت أنه كان في زمانه إنسان بلغ من حسن الإفهام مع قلة عدد الحروف ، وسهولة المخرج ، مع السلامة والتكلف ما كان بلغه .
وقد اتصل بالرشيد والمأمون وأراد هذا أن يستوزره فاستعفاه .
توفي سنة ٢١٣ هـ ، انظر البيان ٦١/١ ، وتاريخ بغداد ١٤٥/٧ .

مُمْتِع ، وأليفُ مُؤْنس ، وصاحبُ ملك ، مسالكه لطيفة ، ومذاهبه غامضة ، وأحكامه جائرة ، ملك الأبدان وأرواحَها ، والقلوبَ وخواطرها ، والعيونَ ونَواضِرَها ، والعقولَ وآراءَها ، وأُعْطِيَ عِنانَ طاعتها ، وقَوْدَ تَصَرُّفِها ، توارى عن الأبصار مَدْخَلُه ، وعَمِيَ في القلوب مسلكه .

فقال له المأمون : أحسنت ـ واللَّهِ ـ يا ثُمامة ، وأمَرَ له بألفِ دينار .

[عبدُاللَّهِ بن طاهر يُصْلح زَوْجَهُ ببيتي شعر]

حدثنا عبداللَّهِ بن جعفر بن إسحاق الجابري الموصلي بالبصرة ، حدثنا محمد بن ياسر الكاتب ، كاتب ابن طولون ، قال : حدثني أَبِي ، حدثنا علي بن إسحاق ، قال[1] :

اشترى عبداللّه بن طاهر جارية بخمسةٍ وعشرين ألفاً على ابنة عَمِّه ، فوجِدَتْ عليه ، وقعدتْ في بعض المقاصير ، فمكثتْ شهرين لا تُكَلِّمه ، فعمل هذين البيتين :

إلى كَمْ يكونُ العَتْبُ في كلِّ ساعةٍ ... وكم لا تملِّينَ القَطيعَة والهَجْرَا

رُويدَكِ إنّ الدهـرَ فيه كفـايةٌ ... لِتَفْرِيقِ ذاتِ البَيْنِ فانتظري الدَّهْرا

قال : وقال للجارية : اجلسي على باب المقصُورة فَغَنِّي به ، قال : فلما غَنَّتْ البيت الأول لم تَرَ شيئاً ، فلما غَنَّت الثاني فإذا هي قد خرجتْ مشقوقة الثوب حتى أكبَّتْ على رِجْلِهِ فقَبَّلَتْها .

[الجوابُ من جنس السُّؤال]

حدثنا محمد بن يحيى الصَولي ، ثنا يموت بن المُزَرَّع قال : سمعت أبا حاتم السجستاني ، يقول :

---

(١) انظر ما يلي رواية عما هنا في مصارع العشاق ٨٧ .

كان رجلٌ يحبُّ الكلامَ ويختلف إلى حُسَيْن النَّجار ، وكان ثقيلاً متشادقاً لا يدري ما يقول ، فآذى حُسَيناً ثم فطن له ، فكان يُعِدُّ له الجوابَ من جِنس السُّؤَال فينقطع ويسكت ، فقال له يوماً : ما تقولُ ـ أسْعَدَكَ الله ـ في جَدٍّ يُلاَشِي التوهيمات في عُنْفُوان القُرْبِ من دَرْكِ المطالب ؟ فقال له حُسَين : هذا من وجُود فَوْتِ الكَيْفُوفِيَّة على غير طريق الحَسُّوبِيَّة ، وبمثله يقعُ إلينا في المُجانَسَةِ على غير تَلاَقٍ ولا افتراق .

فقال الرجلُ: هذا محتاجٌ إلى فِكْر واسْتخراج ، فقال حُسَيْن : افتكرْ ، فإنّا قد استرحْنا .

المجلس الثاني والثلاثون

[زوجاتُ الرسولِ يسألْنَهُ النفقة]

حدثنا أحمد بن سليمان بن داود ، أبو عبداللّه الطُّوسي ، حدثنا الزبير بن بكار ، قال : حدثني عبدالجبار بن سعيد المُسَاحِقي ، حدثنا عبدالرحمن بن أبي الزناد ، عن موسى بن عقبة ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبيدالله ، قال[1] :

استأذن أبو بكر على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فوجَدَ النّاسَ مَحْجُوبين ببابه لم يُؤْذَن لأحدٍ منهم ، فأذِن لأبي بكر فدخل ، ثم أقبل عمر بن الخطاب فاستأذن فأُذِنَ له ، فوجد رسولَ اللّهِ صلّى الله عليه وآله وسلم جالساً وحولَهُ نِسَاؤُه ، ورسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم واجِمٌ ، فقال عمر واللّهِ لأُمازِحَنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم ، ولأقولنَّ شيئاً يُضْحِكُه ، فقال : يا رسولَ الله ! لو رأيتَ بنتَ خارجةَ سَأَلَتْني آنفاً النَّفَقة ،

---

(١) الحديث الشريف في صحيح مسلم : باب الطلاق ٢٩ ، ومسند الإمام أحمد ٣/ ٣٢٨ ، ٣٤٢ .

فقمتُ إليها فَوَجَأْتُ في عنقها . فضحك رسولَ اللّهِ صلَّى اللَّه عليه وآله وسلم ، ثم قال : فَهُنَّ حولي كما ترى يَسْأَلْنَنِي النفقة ، قال : فقام أبو بكر إلى عائشة فَوَجَأ في عنقها ، وقام عُمَر إلى حَفْصة فَوَجَأ في عنقها ، وكلاهما يقولُ : لِمَ تَسْأَلْنَ رسولَ اللّهِ صلى اللَّه عليه وآله وسلم ما ليس عنده ، فقُلن : واللَّهِ لا نَسْأَلُ رسولَ الله ـ صلى اللَّه عليه وآله وسلّم ـ أبداً ما ليس عنده .

[تعليق وشرح لغوي]

قال القاضي : قول الراوي في هذا الخبر : ورسولُ الله صلَّى اللَّهُ عليه وآله وسلم : وَاجِم ، الوَاجِمُ : الحزين ، والوجُومُ : الحزن والفتور ، يقال : وَجِم يَجِمُ وُجُوماً فهو واجم ، مثل وقف يقف وقوفاً فهو واقف .

قال الأعشى ميمون بن قيس[١] :

هُـرَيْرَةَ وَدِّعْهَـا وإنْ لَام لَائِمُ ... غَدَاة غَدٍ أمْ أنتَ لِلْبَين واجمُ

وقول عمر : فَوَجَأْتُ عُنقها ، معناه أنه صَكَّ عُنُقَها بيده أو غيرها ، ومن العرب من يترك الهمز فيه ، كما قال الشاعر[٢] :

وكُنْتَ أَذَلَّ مِنْ وَتِدٍ بقـاعٍ ... يُوَجِّيءُ رَأْسَهُ بـالفِهْرِ وَاجِي[٣]

---

(١) البيت في ديوانه ١٧٧ ، وهو مطلع قصيدة يهجو بها يزيد بن مسهر الشيباني .

(٢) البيت لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، انظر اللسان (وجأ) ، وسيبويه ٣/ ٥٥٥ . وانظر المراجع الواردة في هامشه .

(٣) القاع : الأرض المستوية عما يحيط بها من آكام ، والفهر : الحجر يدق به ، والرواية في سيبويه واللسان : يشجج بدل يوجىء . وهو يخاطب بهذا البيت عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي ، وكانت بينهما مهاجاة ، انظرها بالتفصيل في الأغاني في أخبار عبد الرحمن بن حسان .

وقيل : إن الشاعر اضْطُرَّ فترك الهمز لإقامة الوزن في البيت ، كما قال الآخر[1] :

سَالَتْ هُذَيْلٌ رَسُولَ اللَّهِ فاحِشَةً ... ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بما سالَتْ ولم تُصِبِ[2]

يريد : سألت .

وقال آخر[3] :

فــارعَــيْ فَــزَارَةُ لا هَـنَـاكِ المرْتَـعُ[4]

يريد : هَنَأَكِ .

[خَبَرُ صَخْرِ بن الشَّريد السُّلَميِّ]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، أنبأنا أبو حاتم ، أنبأنا الأصمعيُّ ، قال[5] :

---

(١) هو حسان بن ثابت رضي الله عنه ، والبيت في ديوانه ٦٧ ، وفي الكتاب لسيبويه ٣/ ٤٦٨ ، ٥٥٤ وأورد المحقق في هامشه عدداً من المراجع التي تضاف إلى هذين ، فانظرها ثمة .

(٢) الرواية في المراجع السالفة (بما جاءت) دون ما سألت ، وكانت هذيل سألت رسول الله حين وفدت عليه أن يباح لها الزنى ، فرفض الرسول صلوات عليه ذلك ، وفضل أن يدعو لها بصرف الرغبة فيه عنها ، وقد دعا لها بذلك ، انظر سيرة ابن هشام .

(٣) هو الفرزدوق ، وصدر البيت هو

راحت بمسلمة البغال عشية

انظر الديوان ٥٠٨ ، وهو من شواهد سيبويه أيضا ٣/ ٥٥٤ ، وانظر المراجع النحوية الأخرى التي أوردها المحقق في هامشه .

(٤) يعني بغزارة القبيلة المعروفة ، وقد قال ذلك حين تولى عمر بن هبيرة الفزاري العراق بعد عزل مسلمة بن عبد الملك عنه ، فهجا قبيلة ودعا عليها ألا تهنأ بولايته .

(٥) انظر الخبر التالي بتفصيل أكبر من الأغاني ١٥/ ٧٧ - ٧٩ .

التقى صَخْرُ بن عمرو بن الشَّرِيد السُّلَمي[1] ورجلٌ من بني أسد ، فطعن الأسديّ صَخْراً ، فقيل لصخر : كيف طَعَنَك ؟ قال : كان رُمْحُه أطولَ من رمحي بأُنْبُوب ، فمرض صخرٌ منها فطال مرضُه ، فكانتْ أُمُّهُ إذا سُئِلتْ عنه ، قالت : نحن بخيرٍ ما رأيْنا سَوَادَه بيننا ، وكانت امرأتُه إذا سُئِلت عنه ، قالت : لا حَيٌّ فيُرْجَى ، ولا ميتٌ فيبكى ، فقال صخر :

أرى أُمَّ صَخْرٍ ما تَمَلُّ عِيادتي ... ومَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي ومَكَانِي
إذا ما امْرُؤٌ سَوَّى بأُمٍّ حليلةً ... فلا عاش إلاّ في شَقاً وهوان
لَعَمْري لقد أيقظتَ لو كان نائماً ... وأسمعتَ لو كانت له أُذُنَانِ[2]
بصيراً بِوَجْهِ الحَزْمِ لو يَسْتَطِيعُهُ ... وقد حِيلَ بين العِيرِ والنَّزَوانِ

قال القاضي ، ويروى: أُهُمُّ بأمرِ الحَزْمِ لو أسْتَطيعه[3] .

وقول أمّ صخر : ما رأينا سواده : أي شَخْصَه ، قال الشاعر :

بين المخارِمِ يَرْتَقِبْنَ سَوَادِي[4]

أي شخصي .

[خبر عن تحليل النبيذ ، والاستطراد إلى حكمه]

حدثنا محمد بن مزيد الخزاعي ، قال : حدثنا الزبير ، قال : حدثنا

---

(١) هو أخو الخنساء الشاعرة الكبيرة كما لا يخفى ، وكان واحداً من أجمل رجال العرب وأكرمهم وأشجعهم ، وقد مدحته الخنساء في حياته ورثته بعد مماته ، وقد توفي صخر متأثراً بجراحه من طعنة طعنها في غزاة على بني أسد بن خريمة وهناك قصص أخرى في سبب موته ، رواها صاحب الأغاني ، فانظرها ثمة .

(٢) في الأغاني من مكان لو في الموضعين .

(٣) وهي رواية الأغاني .

(٤) عجز بيت للأسود بن يعفر ، وصدره : إن المنية والحتوف كلاهما .

عمِّي مُصْعب بن عبدِاللَّه ، عن جَدّي عبداللَّهِ بن مُصْعب ، قال[1] :

حَضَرْتُ شريكاً في مجلس أبي عُبيداللَّهِ[2] ، وعنده الحَسَنُ بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب[3] ، والجُرَيريّ رجلٌ من ولد جرير[4] ، وكان خطيباً للسلطان ، فتذاكروا الحديثَ في النَّبِيذ الأحمر واختلافهم فيه ، فقال شَريك : حَدَّثَني أبو إسحاق ، عن عمرو بن ميمون الأودي ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال :

إنا نأكل من لحم هذه الإبل ونشربُ عليها من النَّبِيذ ما يَقْطَعُها في أجوافنا وبطوننا ، فقال الحسنُ بن زيد : ما سَمِعْنَا بهذا في المِلَّةِ الآخرة ، إنْ هذا إلَّا اخْتِلَاق ، فقال شريك : أجل واللَّهِ ما سمعتُه ، شَغَلَك عن ذلك الجلوسُ على الطَّنَافِس في صُدُور المجالس وسكت .

فتذاكر القوم الحديثَ في النَّبيذ ، فقال أبو عبيدِاللَّهِ : أبا عبدالله ! حَدِّثْ القومَ بما سمعتَ في النبيذ ، فقال : كَلَّا ، الحديثُ أعزُّ على أهنه من أن يُعرَّضَ لتكذيبٍ على مَن يردُّ على أبي إسحاق الهمداني[5] أو على عمرو بن ميمون الأودي[6] .

---

(١) الخبر التالي في كتاب أخبار القضاة ٣/ ١٥٦ ، باختصار عما هنا .

(٢) هو أبو عبيد الله بن يسار كان كاتبا للمنصور وللمهدي من بعده ، وكان من الكتاب البلغاء المجيدين ، انظر بعض أخباره في البيان ١/ ٢٩٥ .

(٣) أبو محمد ، أمير المدينة ، وكان من الأشراف النابهين وشيخ بني هاشم في زمنه ، استعمله المنصور على المدينة خمس سنين ثم خافه وعزله وحبسه في بغداد ، ولما تولى المهدي استبقاه معه ، توفي سنة ١٦٨ هـ ، وهو والد السيدة نفيسة رضي الله عنها .
انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٧/ ٣٠٩ ، وذيل المذيل ١٠٦ .

(٤) لعل المقصود به سعيد بن اياس الجريري ، ويكنى أبا مسعود ، محدث ثقة واختلط في آخر عمره توفي سنة ١٤٤ هـ ، ذكره ابن قتيبة في المعارف ٤٨٢ .

[تحقيق المسألة]

قال القاضي : ما أسكر من الأنبذة فهو خمرٌ مُحَرَّمٌ شُرْبَ قَلِيلِهِ وكَثِيرِهِ ، كما قال عبدُاللَّهِ بن إدريس الأودي[1] :

كُـلُّ شَرابٍ مُسْكِـرٍ كَثِيـرُهُ مِنْ عِنَبٍ أو غيْـرِهِ عَصِيـرُهْ
فـإنـه مُـحَـرَّمٌ يَـسِـيـرُهُ إنّي لكم من شَـرِّهِ نَـذِيـرُهْ

ويحقق هذا ما رواه سعد بن أبي وقّاص ، عن النبيِّ ﷺ ، أنه قال : « أنهاكم عن قليلِ ما أسكرَ كَثيرُه » .

وقد ذكرنا في كتبنا الفقهية الدليلَ من الكتاب والسُّنَّة والقياس ، على تحريم الأنْبذةِ التي أحَلَّها من أَحلَّها من مُتَفَقِّهة العراقين . وذكر من ذلك شَيْخُنا أبو جعفر رضي الله عنه في كتبه في الرَّدِّ على المخالفين فيه ، ونَقْضِ ما اعتلُّوا به ما تشرّف به النَّاصح لنفسه ، النَّاظِر لدينه ، المحقِّق في نظره على موضع الصواب منه ، فأما الرواية الَّتي حَدَّث بها شريكٌ عن عُمَر رضي اللَّهُ عنه فإنَّها معروفة ولها نظائر مروية عنه ، وهي في تأويلها غير مخالفةٍ لما ذهب إليه مُخَالفونا ، مُخطئون عندنا في تأويل بعضها ، فكيف يُظَنُّ بعمر غير ما أضفنا من القول إليه ، وحَمَلْنا تأويل الروايات عنه عليه ، وقد ثبت عنه أنه قال في ابنه : إن عُبيدَاللَّهِ شرب شَرَاباً وإنّي سائلٌ عنه ، فإن كان مُسْكِراً حَدَدْتُه ، فسأل عنه فكان مُسْكراً فَحَدَّهُ ، فلم يسأل أيُّ

---

(٥) هو أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي ، والسبيع بطن من همدان ، قال شريك : ولد أبو إسحاق السبيعي في سلطان عثمان لثلاث سنين بقين منه ، وتوفي سنة سبع وعشرين ومائة عن خمس وتسعين عاماً .
المعارف ٤٥١ .

(٦) قال عنه في المعارف ٤٢٦ : هو من أود ، وأدرك رسول الله ﷺ ، وحج ستين سنة ، ما بين حجة وعمرة ، ومات سنة أربع وسبعين .

(١) سبقت ترجمته من الجزء الأول .

سائلٍ عنه : إن كان من نوعٍ مخصوصٍ أو نيئاً غير مطبوخ ، ولا قال أيُّ سائلٍ عن عُبَيْدالله : هل تمادى في شُرْب ما شَرِبَهُ حتى أسكره ؟ أم اقتصر على القليل منه ؟ ووقف عند مقدارٍ لا يبلغ إلى السُّكْر به ؟ وقد نُقِل عنه أنه كان يَحُدُّ في الرَّائحة ، فأخذ بهذا جمهورُ المتفقهين من أهل المدينة .

وليس كتابنا هذا من مواضع الإطناب في هذا الباب ومحاجّاة الخُصُوم فيه .

[خَلَع عليه حتّى استغاث]

وحدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزديّ ، قال : حدثنا عُبيدُاللَّهِ بن إسحاق بن سَلّام ، قال :

أتى الكُمَيْتُ بابَ مَخْلَد بن يَزِيدِ بن المُهَلّب[1] يمدحه ، فصادف على بابه أربعين شاعراً ، فقال للآذن : استأذنْ لي على الأمير .

فاستأذن له عليه فأذِن له ، فقال له : كم رأيتَ بالباب من شاعرٍ ؟ قال : أربعينَ شاعراً ، قال : فأنت جَالِبُ التَّمْرِ إلى هَجَر ، قال : فإنهم

(١) أمير من آل المهلب ، كان مع أبيه في أكثر وقائعه ، ولما صارت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز ونقم على أبيه وهو أمير خراسان بعض الأمور استدعاه إلى دمشق وسجنه ، فتولى مكان أبيه ، ثم ذهب إلى الخليفة يسأله أن يطلق سراح أبيه ، فأعجبه منطقه وقال عنه : هذا فتى العرب ، وقد توفي بعد فترة يسيرة من هذا سنة ١٠٠ هـ .
وهو الذي قال فيه حمزة بن بيض :
بلغت لسبع مضت من سنيـ ـك ما يبلغ السيد الأشيب
فهمك فيها جسام الأمو ر وهم لداتك أن يلعبوا
انظر الكامل لابن الأثير ٥/ ١٨ ، والمعارف ٥٩١ .

جَلَبُوا دَقَلاً[1] وَجَلَبْتُ أَزَاذاً[2] ، قال : فهاتِ أَزَاذَك ، فأنشد :

هَلاَّ سألتِ منـازلاً بالأبْـرَقِ[3] دَرَسَتْ فكيف سُؤَالُ من لَم يَنْطِقِ
لعبتْ بها رِيحَانِ ريحُ عَجَاجَةٍ بالسَّافِياتِ من التُّراب المُعْنِقِ[4]
والهَيْفُ رائحـةٌ لهـا ينتـاحُهـا طَفَلُ العَشِيِّ بذي حَنَاتِمَ شُرَّقِ[5]

الحَنَاتِمُ : جِرَارٌ خُضْر شَبَّه الغَيْمَ بها ، والهَيْفُ : الرِّيحُ الحَارَّة ، قال القاضي : من الهَيفِ قولُ ذي الرُّمَّة :

وصَوَّحَ البَقْلَ مازيٌّ يجيءُ به هَيْفٌ يَمَانِيَةٌ في مَرِّهَا نَكَبُ[6]

والحَنَاتِمُ : واحدها حَنْتَمة وحَنْتَم ، قال الشاعر في الحَنْتم :

وأَقْفَـر من حُضَارَةٍ وِرْدُ أَهْلِهِ وقد كان يَسْقِي في قِلَالٍ وحَنْتَمِ

وقال في الحناتم :

يَمْشُون حولَ مُكَدَّمٍ قد كَدَّحَتْ مَتْنَيْهِ حَمْلُ حَنَـاتِمٍ وقِلَالِ[7]

قوله : كَدَّحَتْ متنيه حملُ حناتم ، كقول الشاعر :

---

(١) الدقل : أردأ التمر .
(٢) الأزاذ : نوع جيد منه . عن المعجم الوسيط .
(٣) الأبرق : كل مكان غليظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة .
(٤) العجاجة : القطعة من الغبار ، والمعين بكسر النون : السريع .
(٥) ينتاحها : يشدها ، وطفل العشي : النهار في آخره عند غروب الشمس واصفرارها ، أو الوقت بعد طلوع الشمس .
(٦) ديوانه ١٧ ، والرواية فيه نآج مكان مازي ، وصوح : أيبس ، والمازي : الجبار ، والنآج : الريح الشديدة ، ونكب الريح أي انحرافها وعدولها ، والمعنى أن هذه الريح جاءت مندفعة من ريح اخرى أشد منها .
(٧) البيت في اللسان (كدح) ، وهو يصف فيه حماراً قد كدحته أي أثرت فيه آثاراً كالخدوش حمل ما يحمل من جرار وقلال .

أَرَى مَرَّ السِّنِينِ أَخَـذْنَ مِنِّي ... كما أَخَذَ السِّرارُ[1] من الهِلاَلِ

ولهذا نظائر تُذكَرُ وتُشْرح عِلَلُها في مواضع أُخَر .

تمامُ شِعر الكُمَيْت :

تصلُ اللِّقاحُ إلى النِّتاجِ مَزِيَّةً ... لِحُقوق كوكبها وإن لم يَحْقُقِ

غَيَّرْنَ عهدَكَ بالديار ومن يكن ... رَهْنَ الحوادث من جَدِيدٍ يَخْلُقِ

إلا خَـوَالِدَ في المحلَّةِ بيتُهـا ... كالطَّيْلَسَانِ من الرمـادِ الأَوْرَقِ

مُتَبَجِّحاً تَـرَكَ الـولائـدُ رأسَـهُ ... مثـلَ السِّواكِ ودَمُّـهُ كالمُهْـرَقِ

دارُ التي تـركْتُك غيـرَ مَلُومَةٍ ... دنـا فارع بهـا عليك وأشفق

قد كنتُ قبلُ تَتُوقُ من هجرانِها ... فاليومَ إذْ شحط المزارُ بها تَقِ

والحبُّ فيـهِ حـلاوةٌ ومـرارة ... سائلْ بذلك من تَطَعَّمَ أَوْ ذُقِ

ما ذاقَ بُؤسَ معيشةٍ ونعيمَها ... فيما مضى أحدُ إذا لم يعشقِ

من قال رَبُّ أخا الهموم ولم يبتْ ... غَرَضَ الهُمُومِ ونَصْبِهِنَّ يؤرَّقِ

حتى بلغ إلى قوله :

بَشَّرْتُ نَفْسِي إذْ رأيتُك بِالغِنَى ... ووثِقْتُ حين سمعتُ قولك لي : ثِقِ

فأمر بِالخِلَعِ عليه ، فخُلِع عليه حتى استغاث ، فقال : أتاك الغوث ، ارْفَعُوا عنه .

[اعتذارٌ بليغٌ لدى المأمون]

حدثنا الحسين بن القاسم بن جعفر الكوكبي ، قال : حدثنا أبو

---

(١) السرار : آخر ليلة في الشهر حيث يختفي الهلال ، وربما استر ليلة ، وربما ليلتين ، اللسان (سرر) .

الفضل العباس بن الفضل الرَّبَعِيّ ، قال : حدثنا أبي وإبراهيم بن عيسى ، قالا[1] :

دخل محمد بن عبدالملك بن صالح[2] على المأمون ـ وقد كانت ضِياعُه حِيزَتْ وقُبضت ـ فقال : السَّلَام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ، محمد بن عبدالملك بين يديك ، سليلُ نعمتك ، وابن دَوْلتك ، وغُصْنٌ من أغْصان دَوْحتك ، أتأذنُ لي في الكَلام ؟ قال : نعم .

فتكلَّم فقال : الحمدُ لله ربِّ العالمين ، ولا إله إلاّ اللَّهُ ربُّ العرش العظيم ، وصلّى اللَّهُ على ملائكته المقربين ، وعَلَى مُحمد خَاتَمِ النَّبِيِّين ، ونستميحُ الله لحياطةِ ديننا ودنيانا ، ورعايةِ أقصانا وأدنانا ببقائك يا أمير المؤمنين ، ونسألُ اللَّهَ أن يَمُدَّ في عمرك وفي أثرك من أعمارنا وآثارنا ، وأن يَقِيكَ الأَذَى بأسْماعنا وأبْصارنا ، فإنّ الحقَّ لا تَعْفُو دياره ، ولا يتهدَّمُ مَنَارُه ، ولا يَنْبتُّ حبلُه ، ولا يزول ظِلُّه ، ما دمت ظل الله في رعيته ، والأمين على عباده وبلاده .

يا أمير المؤمنين ! هذا مقامُ العائذ بظلِّك ، الهاربُ إلى كَنَفِك وفَضْلِك ، الفقيرُ إلى رحْمتك وعَدْلك ، من تَعَاوُرِ الغوائب ، وسهام

(١) يرد الخبر التالي باختصار شديد من عيون الأخبار ١/ ١٠٥ .

(٢) كان أبوه عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، أمير من بني العباس ، وكان من أفصح الناس وأخطبهم . وله مهابة وجلالة ، ولاّه الهادي إمرة الموصل سنة ١٦٩ هـ ، ثم عزله الرشيد عنها سنة ١٧١ هـ ، ثم ولاه المدينة والصوائف وولاه مصر مدة قصيرة ، ثم ولاه دمشق فبلغه أنه يطلب الخلافة فعزله وحبسه ببغداد ، ولما توفي الرشيد وتولى الأمين أطلقه وولاه الشام والجزيرة والرقة فأقام بها حتى توفي عام ١٩٦ هـ ، ولكن على ما يبدو فقد صودرت أملاكه وضياعه في عهد المأمون .
انظر الكامل لابن الأثير ٦/ ٨٥ ، والنجوم الزاهرة ٢/ ٩٠ ، ١٥١ .

المصائب ، وكَلَبِ الدَّهْر ، وذهاب الوَفْر ، وفي نظرِ أمير المؤمنين ما فَرَّج كُرْبةَ المكروب ، وبَرَّد غليل الملهوف .

ثم إنه تقدَّم من رأى أمير المؤمنين في الضِّياع التي أفادناها نعمُ آبائه الطاهرين ، ونَوافِلُ أسْلاَفه الرَّاشدين ، ما اللَّهُ وليُّ الخِيَرةِ فيه لأمير المؤمنين ، وإن عبدالملك بن صالح قَدِم الجزيرة حين قدمها والحربُ لاقِح ، والسيفُ مَشْهور ، والشام قد نَفِل أديمه[1] ، وتحطمتْ قُرُونُه ، والسفيانيُّ[2] قد استعرتْ ناره ، وكَثُرَتْ أنصاره ، ولبس للحرب لباسها ، وأعدَّ لها أحْلاَسها ، وكُلُّنا يومئذٍ في ثَوب القِلَّةِ والصَّغار ، بين حربٍ دائرةٍ رحاها، وفتنةٍ تُصَرِّفُ بأنيابها، فكأنَّا نُهْزَةُ دواعيْها، وغَرضُ راميها، إذا ثارت عَجَاجَةٌ من عجاجها لم تَنْجَلِ إلاَّ عن شِلْو مأكول ، أو دَمٍ مَطْلُول، أو منزلٍ مَهْدُوم ، أو مالٍ مَكْلُوم ، أو قلبٍ يَجِف ، أو عين تَذْرِف ، أو حُرْمةٍ حَرَّى ، أو طَرِيدَة وَلْهى ، قد أتْعَسَ اللَّهُ جَدَّها ، تهتفُ بسيِّدها أمير المؤمنين من تحت رَحَا الدَّهر ، وكَلْكَل الفَقْر ، وتدعو الله بإلباس الصبر ، وإعداد النصر ، فالحمد للَّهِ المتطوِّل على أوليائك يا أمير المؤمنين ، إعزازَ نصرك ، المُبَلِّغهم اليوم الذي كانوا يأْمُلُون ، والأَمَدَ الأقصى الذي كانوا ينتظرون .

---

(١) الأديم : الجلد اونفل أديه : أي عفن وفسد عند الدباغ .
(٢) السفياني : ثائر من بقايا بني أمية ، اسمه علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية ، كان يفخر بنفسه فيقول : أنا ابن شيخي صفين ، لأن أمه حفيدة علي ين أبي طالب ، وأبوه حفيد معاوية ، وقد استمرت ثورته بالشام ثلاث سنوات من ١٩٥ إلى ١٩٨ هـ . ولكنها فشلت آخر الأمر لكبر سنه فقد كان في التسعين من عمره ، ولكثرة من ناوءوه ، حتى تمكن محمد بن صالح بن بيهس الكلابي زعيم القيسية من الاستيلاء على دمشق وإقامة الدعوة للمأمون ، ومات السفياني بعد ذلك بقليل .
أنظر الكامل لابن الأثير ٦/ ٨٢ ، والنجوم الزاهرة ٢/ ١٤٧ ، ١٥٩ .

ثم إني قمتُ هذا المقام متوسِّلاً إليك بآبائك الطَّاهرين ، بالرشيد خيرِ الهُداةِ الرَّاشِدين ، والمَهْدِيِّ ربيع السِّنين ، والمنصورِ نَكَالِ الظَّالمين ، ومحمدٍ خير المحمَّدين بعد خَاتَم النبيِّين والمُرْسَلين ، وبعليٍّ زَيْن العابدين ، وبعبداللَّهِ تَرْجُمانِ القُرآن ولسان الدِّين ، وبالعباسِ وارث سيِّد المُرْسلين ، مُزْدَاناً إليك بالطاعة التي أفرغ الله عليها غُصْني ، واحتنكتْ بها سِنِّي ، وسِيطَ[1] بها لحمي ودمي ، مُتَعَوِّذاً من شماتة الأعداءِ ، وحلول البلاء ، ومقارنة الشِّدَّة بعد الرخاء .

يا أمير المؤمنين ! قد مضى جَدُّكَ المنصورُ وعَمُّكَ صالحُ بنُ عليٍّ وبينهما من الرَّضاعِ والنَّسَبِ[2] ما قد علم أميرُ المؤمنين ، فكان ذلك له خصُوصاً ولبني أبيه عموماً ، فسبق به بني أبيه ، وفات به أقربيه ، وهو صاحب الجعديِّ[3] الناجم في مصر ، حين اجتثَّ الله أصْله ، وأيْبَس فَرْعَه ، وصرعَهُ مَصْرَعَه ، وهو صاحبُ عبدالله بن علي[4] حين دعا الشَّيطانُ أولياءَهُ فأجابوه ، ورفع لهم لواءَ الضَّلالةِ فاتَّبعُوه . وهو صاحبُ عيسى بن موسى[5] حين رمى الخلافة ببصره ، وسَمَا إليها بنظره ، ومشى

(١) سيط : اختلط .

(٢) النسب : يقصد به التناسب ، فقد ولد المنصور وصالح بن علي جميعاً في سنة واحدة . انظر المعارف ٣٧٥ .

(٣) الجعدي هو مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وكان يلقب بالجعدي لأن الجعد بن درهم (وهو مبتدع له أخبار في الزندقة) كان مؤدبه في صغره ، فمن أراد ذم مروان وصفه بالجعدي ، ومن المعروف أن مروان كان قد انتهى به المطاف إلى مصر حيث حاصرته جيوش بني العباس بقيادة صالح بن علي حتى قتلته بقرية بوصير .
انظر الكامل لابن الأثير ٥/ ١١٩ ، ١٥٨ .

(٤) هو أحد عمومة المنصور كان والياً على الشام مدة خلافة السفاح ، ثم خرج على المنصور حين ولي الخلافة ، ولكنه تمكن منه وحبسه في بغداد إلى أن توفي سنة ١٤٧ هـ .
انظر أخبارة في كامل ابن الأثير ٥/ ٢١٥ .

(٥) سبق الحديث عن عيسى بن موسى فيما مر ، وانظر أخباره في الطبري ١٠/ ٨ . وكامل ابن الأثير ٦/ ٢٥ .

إليها البَخْتَرَى ، ولبس لباسَ وُلاَةِ العهود ، حتى أثبت اللَّهُ الحقَّ في نِصابه ، وأقَرَّهُ في قِرابه .

يا أمير المؤمنين ! الدهرُ ذُو اغتيال ، وقد تقلَّب بنا حالاً بعد حال ، فليرحم أميرُ المؤمنين الصِّبْيَةَ الصِّغَار ، والعجائزَ المحجوباتِ الكِبَار ، واللاتي سقاهُنَّ الدهر كَدراً بعد صَفْوٍ ، ومُرّاً بعد حلْو ، وهَنيئاً نِعَمُ آبائك اللاتي غَذَتْنا صغاراً وكباراً ، وشباباً وأمشاجاً في الأصلاب ، ونُطَفاً في الأرحام ، وقَرّبْنا بحيث قَرَّبَنا اللَّهُ مِنك في القَرابة والرَّحِم ، فإنَّ رقابَنا قد ذَلَّتْ لِسَخَطك ، وإن وُجُوهنا قد عَنَتْ لموْجَدَتِك ، فأقلنا عثرة عاثرنا ، وعلى اللَّهِ المليِّ الجزاء ، وإنّ الحق في يدك ، فهبْ لنا ما قصَّرنا فيه من تَرْك الرِّمَمِ البالية ، للأُمَمِ الخالية ، منا في طاعة آبائك ، فقد مَضَوْا متمسكين بأقوى وسائلها ، معتصمين بأوثق حبائلها ، يوالون فيها البعيد الجنيب ، ويُنَادون فيها القريب الحبيب ، على ذلك مَضَوْا وبقينا حتى يَرِثَنا الله عزّ وجَلَّ ، وهو خيرُ الوارثين .

يا أمير المؤمنين ! إنّ اللَّه عزَّ وجلَّ سَهَّل بك الوُعُور ، وجَلَّى بك أن تجور ، ومَلأ من خَوفِك القلوبَ والصُّدُور ، وجعل اسمك حبلاً كثيفاً ، وجَبَلاً منيفاً ، يردعُ بك الفاسق ، ويقمع بك المنافق ، فارتبط نِعَم اللَّهِ عزَّ وجلَّ عندك بالعفو والإحسان ، فإن كلَّ إمامٍ مسئول عن رعيته ، وإن النعم لا تنقطع بالمزيد فيها حتى ينقطعَ الشُّكْرُ عليها .

يا أمير المؤمنين ! إنّه لا عَفْوَ أفضلُ من عفو إمامٍ قادرٍ على مُذْنِبٍ عَاثِر ، وقد قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وليَعْفُوا ولْيَصْفَحُوا ، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾[1] .

---

(١) سورة النور ، الآية ٢٢ .

حاط اللّهُ أمير المؤمنين بسَتْرِهِ الضَّافِي ، وصُنْعِه الكافي ، ثم قال :

أميرَ المؤمنين أتاك رَكبٌ لهم قُرْبَى وليس لهم بلادُ
همُ الصَّدْر المقدم من قريش وأنت الرأسُ يتبعك العبادُ
فقد طابت لك الدنيا ولذتْ وأرجُو أن يطيب لك المَعَادُ

فقال المأمون : يفعلُ ذلك بمشيئة الله ، وأسأله التوفيق في الرضا عنك ، والإجابة إلى ما سألت ، وأن يُعقب ذلك محبوباً بِمَنِّهِ ، وجميل عادته في مثله .

وأمر بردِّ ضياعه ، وأحسن جائزته ، وقضى حاجاته .

المجلس الثالث والثلاثون

[لا حليم إلا ذو عثرة]

حدثنا عبدالله بن محمد بن زياد النيسابوري ، قال : حدثني مَوْهب بن يزيد ، قال : حدثنا عبدالله بن وهب ، قال : أخبرني عمر بن الحارث ، عن دَرّاج بن السَّمْح ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسولُ الله ﷺ ، وحدثنا علي بن محمد بن عبدالله الطوسي العنبري ، قال : حدثنا أبو العباس السَّرَّاج ، ومحمد بن إسحاق إبراهيم الثقفي ، قال : حدثنا قتيبة ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ : قال : « لا حَلِيمَ إلاَّ ذُو عَثْرة ، ولا حكيم إلاَّ ذُو تَجْرِبة »[1] .

قال القاضي : وهذا الخبرُ من بليغ الحكمة التي أتى بها رسولُ اللَّهِ ﷺ وعلّمها أُمته ، والعاثرُ إذا كان لبيباً ، والمجرِّب إذا كان مُحنَّكاً أريباً ،

---

(١) الحديث الشريف في سنن الترمذي ، باب البر ٨٦ ، ومسند الامام أحمد ٣/ ٦٩

فتبين هذا مغبة عثرته ، وتهذّب هذا بعواقب تجربته ، استشعرا الحذار ، وأنعما الاعتبار ، واستصحبا الاستبصار ، فتحرّزا من العثار ، وتنزّها عن تورُّطِ الخبط والاغترار ، وقد قال بعض العلماء الربانيين ، ومن بَصَّره اللّهُ رُشْده في الدنيا والدين :

لقــد عثــرتُ عثــرةً لأختبــرْ ســوف أكِيسُ بعدهـا واسْتَمِرّ

وفي قول الله عزَّ وجل : ﴿ إنّ الّذِين اتَّقَوْا إذا مَسَّهُمْ طائفٌ من الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فإذا هُمْ مُبْصِرُون ﴾(١) ما يؤيد هذا ويشهد له .

جعلنا اللّهُ وإيّاكُم ممن يؤثر حظَّهُ من الخليقة الحُسْنى ، والطريقة المثلى ، على حَظِّ نفسه من الهوى .

[بنو أمية وتنقُّصها لعليّ]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا الحسن بن خضر ، عن سعيد بن عثمان القُرشي ، قال(٢) :

سمع عامرُ بن عبدالله بن الزُّبير ابنَه ينالُ من عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : يا بُنَيَّ ! لا تَنْتَقِصْهُ ، فإن بَنِي أُمَيَّة تَنَقَّصَتْهُ ثمانين عاماً فلم يَزِدْهُ اللّهُ تعالى بذلك إلاّ رِفْعةً ، إن الدِّين لم يَبْنِ شيئاً فهدَّمتْه الدنيا ، وإن الدنيا لم تَبْنِ شيئاً إلاّ رجعتْ على ما بنتْ فهدَّمتْه .

[التخلُّص البارع]

حدثنا محمد بن مَزْيَد الخُزَاعي ، قال : حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار ،

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ٢٠١ .
(٢) أنظر الخبر التالي في عيون الأخبار ٢/ ١٨ .

قال : حدثني إسحاق بن إبراهيم التَّمِيمي ، قال :

سمعتُ الفضلَ بن الربيع يحدِّثُ عن أبيه ، قال : كُنّا وقوفاً على رأس المنصُور وقد طُرِحَتْ للمهديِّ وسادة ، إذ أقبل صالح ابنه فوقف بين السِّمَاطِين والناس على مقادير أسْنانهم ومواضعهم ، وقد كان يُرَشِّحهُ لبعض أموره ، فتكلَّم فأجاد ، ومد المنصور يده إليه ثم قال : يا بنيّ إليّ واعتنقه ، ونظر في وجوه أصحابه : هل يذكر أحدٌ فضله ، ويصف مقامه ؟ فكلهم كره ذلك، فقام شبة بن عقال[1] بن معية بن ناجية التميمي، فقال: لله در خطيب قام عندك يا أمير المؤمنين ! ما أفصح لسانه ، وأحسن بيانه ، وأمضى جنانه ، وأبل ريقه وكيف لا يكون كذلك وأمير المؤمنين أبوه والمهديّ أخوه ، وهما كما قال زهير بن أبي سلمى :

يطلب شأو امْرَأَيْنِ قَدَّمَا حَسَناً نالا الملوك وَبذَّا هذهِ السُّوقَا[2]
هو الجواد فإنْ يَلْحَق بشَأْوِهِما على تَكَـالِيفـه فمثلُه لَحِقَـا
أو يَسْبقاه على ما كان من مَهَلٍ فمثلُ ما قدّما من صالحٍ سَبَقا[3]

قال الربيع : فأقبل عليٌّ أبو عبيداللّه فقال : واللّهِ ما رأيتُ مثل هذا تخلُّص ، أَرْضَى أميرَ المؤمنين ، ومَدَح الغُلام ، وسَلِمَ من المَهْدِيّ .

قال : والتفتُّ إلى المنصور فقال : يا ربيعُ ! لا ينصرفَنَّ التميميُّ إلا بثلاثين ألف درهم .

---

(١) الصحيح أنه ليس شبة بن عقال المجاشعي، بل شبيب بن شيبة المنقرى من رهط خالد بن صفوان وكلاهما كان خطيباً مفوهاً ومتكلماً بليغاً ، وقد ورد الخبر الذي هنا منسوباً إليه في البيان والتبين ١/ ٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٢) في البيان أمرين ، مكان امرأين ، والسوقا : جمع سوقة وهم ما عدا الملوك من الناس .

(٣) على ما كان من مهل : أي ما كان من سبقهما له في العمر فأتيح لهما ما لم يتح له .

[قصة عجيبة في البراعة في علم النجوم]

حدثني محمد بن العباس البرتي ، قال :

حُدِّثْتُ أن محمد بن عبداللّه بن طاهر كان مولوداً بحدِّ السرطان ، فلما أن كان ذات ليلة جمع أهل بيته ، فقال : إني مولودٌ بحد السرطان ، وإن طالع السَّنة السرطان ، وإن القمر الليلة ينكسفُ في السرطان وهي ليلة الأحد ، فإن نجوت في هذه الليلة فسأبقى سنين ، وإن تكن الأخرى فإني ميِّتٌ لا محالة . فقالوا له : بل يطيلُ الله تعالى .

قال : فلما كان في الليلة دعا غُلاماً له ، كان قد عَلَّمه النُّجُوم ، فأصْعده إلى قُبّة له فأعطاه بنادِق واصطُرْلاباً ، وقال له : خُذِ الطالع فكلما مضى من انكساف القمر دقيقة فاقذفْ إلي ببندقة حتى أعلم ذلك .

وجلس محمدٌ مع أصحابه فجعل الغلام كلما مضى من انكساف القمر دقيقة رمى إليه ببندقة ، فلما انكسف من القمر ثُلُثَه قال لأصحابه : ما تقولون في رجل قاعد معكم يقضي ويمضي وقد ذهب ثُلث عمره ، وقالوا له : بل يطيل الله تعالى عمرك أيها الأمير .

فلما مضى من القمر ثلثاه عمد إلى جواريه فأعتق منهن من أحب ، ووقف من ضياعه ما وقف ، وقال لهم : « ما تقولُون في رجل مُعَلِّم يقضي ويمضي ، وقد ذهب ثلثا عمره ، فقالوا له : بل يطيل اللّه عمرك أيها الأمير ، فلما مضى من الثالث دقيقتان قال لهم محمد إذا استغرق القمر فأمْضُوا إلى أخي عبيدالله بن عبداللّه بن طاهر ، ثم قام فاغتسل ولبس أكفانه وتحفّظ ودخل إلى بيتٍ له وردَّ عليه الباب واطضجع ، فلما استغرق القمر في الانكساف فاضتْ نفسه ، فدخلوا إليه فإذا هو ميت ، فانطلقوا إلى

عبيدالله أخيه ليعلموه فإذا عبيدالله أخوه في طيارة على الباب قد سبقهم ، فقال لهم : أمات أخي ؟ قالوا : نعم ، فقال : ما زلت آخذ له الطالع حتى استغرق القمر في الكسوف ، فعلمت أنه قد قبض ، ثم دخل فأكبَّ على أخيه باكياً طويلاً ثم خرج وهو يقول :

هُدَّ ركْنُ الخلافة الموطودُ زال عنها السُّرادقُ المَمْدُودُ
حَطَّ فسطاطها المحيطَ عليها هوتْ أطنابها فمال العمودُ
يا كُسُوفين ليلةَ الأحد النَحْـ ـس أضلتكما النجومُ السُّعُودُ
أحد كان حَدُّه ، من نُحُوسٍ جَمَّعَتْ حدَّها إليه الأحُودُ
أحدٌ كان حَدُّه مثل حدّ السَّيْـ ـف والنار شَبَّ فيها الوَقُودُ
كُسِفَ البدرُ والأميرُ جميعاً فانجلى البدرُ والأميرُ عميدُ
عاود البدْرُ نُورَهُ لتجلِّيه ونُور الأمير لا يعودُ
أظلمتْ بعده الخلافةُ والدُّنْـ ـيا عليها كآبةٌ وجمودُ
لأمور قد كان دُبِّر منها مُبْرماً وقد مضى ومنها عنيدُ
قد بكاهُ العراقُ والشرق والغَرْ ب فمنها تَهائمٌ ونجودُ
وبكى حاسدُوه حُزْناً عليـ ـه وبكى بعده العَدُوُّ الحَقُودُ
يا ابن عبدالإله لم يكُ للمو ت إلى مَنْ سواك عنك محيدُ

قال : فلما حُمل على السرير أنشأ يقول :

تداوله الأكفُّ على سرير ألا لِلّه ما حَمَلَ السَّريرُ
أكفٌّ لو تُمدُّ إليه حَيّاً إذاً رجعتْ وأطولُها قصيرُ
تباشرت القبورُ به وأضحى تبكّيه الأراملُ والفقيرُ

[الكسوف والخسوف]

قال القاضي : ورد هذا الخبر على ما وصفناه . وقيل فيه الكسوف

والانكساف بالكاف واللُّغة الجيدة : خُسف القمر بالخاء ، قال اللّه عزَّ وجل ﴿ وخُسِفَ القَمَر ﴾[1] ، وجاء عن النبيِّ ﷺ : « أن الشَّمس والقمر لا يُكْسفان لموت احدٍ ولا لحياته ، وإنما هما آيتان من آياتِ اللّهِ عزَّ وجلّ ، فإذا رأيتُموهما فافْزَعُوا إلى الصّلاة » في خبرٍ ذكر فيه أن الشمس انكسفتْ على عهده .

وقد اختلف اللغويون في هذا فقال بعضهم : يقال : كُسفت الشمس إذا لحق الكسوف بعضها وخُسفتْ إذا استغرق الكسوفُ جميعُها .

وقال بعضهم : يُقال : كُسِفت الشمس وخُسف القمر ، وقيل : هما لغتان بمعنى واحد ، وقال أوسُ بن حَجَر في عبداللّهِ بن فَضَالة[2] :

ألم تكسَفِ الشَّمْسُ شَمْسَ النَّها رِ والنَّجْمُ للجبلِ الوَاجِبِ[3]

ويروى : البدْر فيما أُرْوِي .

والصلاةُ عند الكسوف سُنَّةٌ معروفة ، وقد اختلف في صفتها وعدد

---

(١) سورة المدثر ، الآية ٨ .

(٢) البيت في ديوانه ١٠ يرثى به من يدعى فضالة ، ولم يعرفه محقق الديوان ، وهناك من يدعى عبدالله بن فضالة الذي أتى إلى ابن الزبير يسأله أن يحمله بعد أن دبرت ناقته ، فأبى ووصف له علاجاً لها ، والقصة معروفة انظرها مثلاً في البيان ٢/ ٢٧٩ ، وهناك أبوه فضالة بن شريك الأسدي الذي كان شاعراً من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، وهو يذكر في قصة تهكمه على عبد الله بن مطيع الذي تولى الكوفة لعبد الله بن الزبير وكان يتولى أخذ البيعة له ، حتى إذا قام المختار بن أبي عبيد طرد عنها ابن مطيع ، فقال فضالة أبياتاً يهجوه بها ، أنظر هامش البيان ٣/ ١٥ ، أقول : وروعة أبيات المرثية التي في الديوان لا تناسب أيا منهما .

(٣) رواية البيت في الديوان :

ألم تكسف الشمس والبدر والـ ـكواكب للجبل الواجب

والواجب : الذاهب الساقط .

وهناك روايات أخرى ذكرت في هامش تحقيق الديوان ، فانظرها ثمة .

ركعاتها ، والجهرُ والمخافتة في القراءة فيها ، وكان مالك يرى الاجتماع لها في كسوف الشمس دون القمر ، وكان غيره يرى الاجتماع للصلاة في الخُسُوفين معاً ، وقال جرير يرثي عمر بن عبدالعزيز :

الشمسُ طالعةٌ ليستْ بكاسفةٍ تبكِي عليك نُجومَ اللَّيْلِ والقَمَرا[1]

وقد اختلف الرواةُ في رواية هذا البيت ، فرواه البَصْرِيُّون : الشمسُ طالعة ليست بكاسِفةٍ ، ورواه الكوفيون الشمسُ كاسفةٌ ليست بطالعةٍ ، ورواه بعضُ الرُّواة : ويبكِي عليك نجوم الليل والقمرا ، ورواه بعضهم : يبكي عليك نجوم الليل والقمرا .

وقد اختلف أصحاب المعاني وأهل العلم من الرواة وذَوُوا المعرفة بالإعراب من النحاة في تفسير وجوه هذه الروايات وقياسها في العربية . وفي ذكر ذلك طولٌ لا يحتمله هذا الموضع ، وقد ذكرناه في موضع هو أولى به ، على أنني سأذكر عند آخر تفسير ما في هذا الخبر طَرَفاً يُشرف على جملة هذا الباب إن شاء الله .

[القول في فاضت نفسه وفاظت]

وقول الراوي في هذا الخبر : فلما استغرق القمر في الإنكساف فاضتْ نفسه ، معناه أنه مات وفارق الحياة وخرجت نفسُه ، وفي هذه اللفظة لُغَتان محكيَّتان عن العرب بالظاء والضاد على ما سنبيِّنه إنْ شاء الله .

وقد يقال : فاذ وفاز وفَوَّز في هذا المعنى في أحرف كثيرة .

وقد اختلف أهلُ العلم بالعربية في مواضع مما يأتي فيه فاظ وفاض ،

---

(١) البيت في الديوان ٢٣٥ ، والرواية فيه :
الشمس كاسفة ليست بطالعة

وأنا أذكر ما حضرني من جملة القول فيه مما حُكِي عن العرب ، وما أروى من مذاهب اللغويين فيه ، غيرُ مُسْتقصٍ لجميعِ ما رويناه لِسَعَتِهِ وغيبةِ كثيرٍ منه ، ومن يقف على ما أثبتُّه من هذا الباب هاهنا يُشرفُ على معرفته ، ويشركُ العلماءَ به في إدراك جملته أو مُعظمه ، إن شاء الله .

فمما رويناه في ذلك ما حَدَّثَنَاه محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدّثنا أبو الحسن الطوسيّ ، عن أبي عبيدة ، عن الكسائي ، قال :

يقال : فاظتْ نَفْسُه وفاض الميتُ نَفْسَه ، وأفاظ الله تعالى نَفْسَه ، قال : وبعض بني تميم يقول : فَاضَتْ نفسُه بالضّاد[1] .

* * *

وحدثنا محمد بن القاسم الأنْباريّ ، قال : حدثني أبي ، قال : قال أبو الحسن وأبو جعفر محمد بن الحكم ، عن أبي الحسن اللِّحياني ، قال :

يقال : فاظ الميت بالظاء ، وفاض الميت بالضاد .

وحدثنا أبو بكر بن الأنباري : قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا أبو

---

(١) أنظر اللسان (فيض) ، وفي معنى هذه العبارة قال شمر : سألت البكراوي عنه فقال : الفْيض : الموت ها هنا ، قال : ولم أسمعه من غيره ، إلا أنه قال : فاضت نفسه أي لعابه الذي يجتمع على شفتيه عند خروج روحه ، أقول : وعلى هذا ففاعل الفعل ها هنا النفس لا الميت . والخلاف الواقع هنا كله هو في إسناد الفعل إلى هذه أو هذا ، أي إلى النفس أو صاحبها ، ويريد بعض اللغويين أن يحددوا القول بأنك لو أردت إسناد الفعل إلى النفس استعملت فاظ ، وإذا أسندت الفعل إلى صاحب النفس قلت : فاض . وبعض اللغويين يرى أن فاض بالضاد هي لغة تميم ، وأن فاظ هي لغة قيس ، والبعض الآخر أجاز استعمال كل منهما في موضع الأخرى دون فرق ، انظر اللسان (فيض) و (فيظ).

محمد عبدالله بن محمد بن وسيم ، قال : أخبرنا يعقوبُ بن السِّكِّيت ، قال :

يقال : فاظ الميت يفوظ ، وفاظ يفيظ .

* * *

وحدثنا أبو بكر ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدثنا محمد بن الجهم ، عن الفراء ، قال :

يقال : فاظ الميتُ نفسَه بالظاء ونَصْب النَّفْس ، قال أبو بكر ، وأنشدني أبي ، قال : أنشدني أبو عِكْرمة الضَّبِّي :

وفَاظَ ابنُ حَضْرة عَانياً في بيوتنا   يمارسُ قِدًّا في ذِراعيه مُصْحَباً

[المُصْحَب] : الذي عليه وَبَرُه .

وقال رُؤْبة :

لا يَـدْفِنُـونَ مِنْهُمُ من فَـاظَـا

قال القاضي : وقال ابن السِّكِّيت في كتَاب الألفاظ ، ويقال : فاظ الرجلُ وفاظت نفسُه تفيظ فيظاً وفُوُوظاً ، وقال رُؤْبة :

لا يَدْفنُونَ منهمُ من فَـاظَا[1]

أي من هلك .

* * *

---

(١) النص في إصلاح المنطق لابن السكيت ٣١٧ ، وهو وارد أيضاً في اللسان وتكملة بيت رؤية :

والأزد أمس شلوهم لفاظا   لا يدفنون منهم من فاظا
إن مات في مصيفه أو قاظا

وقال الكسائي : فَاظَ هو نَفْسُه ، وأَفَظْتُهُ أنا نَفْسَه ، قال : وقال أبو عبيدة : ومن العرب من يقول فاضت نفسه بالضاد ، وأنشد لبعض الرُّجَّاز :

اجتمع الناسُ وقالوا عُرْسُ زَلَحْلَحاتٌ مَائرَاتٌ مُلْسُ[1]
فَفُقِّئَتْ عينٌ وفاضَتْ نفسُ إذا قِصاعٌ كالأكُفِّ خَمْسُ

قال : وقال الكسائي : ناسٌ من تميم يقولون : فاضت نفسه تفيض .

* * *

وحدثنا أبو بكر بن الأنباريّ ، قال : وحدثني أبي ، قال : حدثنا أحمد بن عُبيد ، عن أبي عبيدة ، قال :

أتينا رَجُلاً من بني مخزوم ، وكان مولى ضاحية بني تميم ، فوافى دُكَيْنُ الراجز[2] ، فقال : للبواب : إني أُلاع إلى السجن أدْخِلني ، فأبى البواب أن يُدْخِلَه ، فوقف دُكين الراجز على دُكَّانٍ وقد انصرف بعضُ القوم ، وأنشأ يقول :

اجتمع الناسُ وقالوا عُرْسُ إذا قِصاعٌ كالأكَفِّ خَمْسُ
زَلَحْلَحاتٌ قد جُمِعْنَ مُلْسُ فَفُقِّئَتْ عينٌ وفاظت نفسُ[3]

فقال له البوّاب : من أنت لا حيَّاك الله ؟ قال : أنا دُكَيْنُ الراجز ، فأدخله .

---

(1) العرس بضم العين : الزفاف والتزويج ووليمتها ، والزلحلحات : صفة لقصاع الطعام التي تقدم في العرس وسيأتي معناها ، والمائرات : المائجة المضطربة بما فيها من طعام .

(2) هو دكين بن رجاء الفقيمي ، راجز اشتهر في العصر الأموي ، مدح عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة ، كما وفد على الوليد بن عبد الملك في الشام ومدحه .
نسبته إلى الفقيم بن دارم ، أو ابن جرير بن دارم بن تميم ، توفي سنة ١٠٥ هـ .
انظر معجم الأدباء ١١/ ١١٣ ، والشعر والشعراء ٣٣٠ .

(3) البيتان الأول والرابع من هذا الرجز في اللسان (فيظ) .

قال أبو بكر ، قال لي أبي ، قال أحمد بن عبيد : ألاع معناه : أتوقَّدُ حِرصاً عليه ، ويحترقُ فؤادي طلباً له ، قال القاضي : من هذا قول الأعشى :

مُلْمِعٍ لاَعَةِ الفؤادِ على الجَحْـ ـشِ فَلاَهُ عنها فَبِئْسَ الفَالِي[1]

قال ابن الأنباري : الزَّلَحْلحات : التي تَجُول وتذهب فكأنّها لا تَقرُّ في موضع واحد ـ وجرى بين الأصمعي وأبي عُبيدة في هذا الباب تَشَاجُرٌ ومُنَازَعة ـ وفاظت نفس ، فقال الأصمعيُّ : العرب لا تقول : فاظت نفسه ولا فاضت نفسه ، وإنما يقولون : فاظ الرجل إذا مات وطَنَّ الضِّرس .

وقال أبو عبيدة : كذبَ الباهليُّ ـ يعني الأصمعيَّ ـ : ما هو إلاَّ فاظت نفسُ .

قال القاضي : قول الأصمعي : وطنَّ الضرس إخبارٌ منه ، لأن الرواية الصحيحة في تمام هذا البيت : وطَنَّ الضِّرس مكان وفاظت نفس ، وقد أتى في هذا أربع رِوايات : فاظت نفسٌ وفاضت نفسٌ ، وطنَّ الضِّرسُ وطَنَّتْ ضِرْسٌ ، واستشهد بهذه الرواية مَنْ رأى تأنيث الضِّرس على معنى تأنيث السِّنِّ .

وقال أبو حاتم في الضرس : ربما أنَّثوه على معنى السِّنِّ ، قال : وأنكر الأصمعي تأنيثه ، قال : وأنشدنا قولِ دُكَيْنِ الرَّاجز :

فَفُقِّئَتْ عينٌ وطَنَّتْ ضِرسٌ

---

(١) البيت في ديوانه ١٦٥ ، والملمع : التي ترفع ذنبها ليعلم أنها قد لقحت، واللاعة : الجزوع ، وفلاه : فطمه .

إنما هو : وطَنّ الضرس ، قال : فلم يفهمه الذي سمعه ، وأخطأ سمعه .

*   *   *

قال أبو بكر : قال أصحاب الكسائي والفَرَّاء ومن نقل عنهما ، فقال : فاضت نفسه وفاظت نفسُه ، وفاظ الميتُ نفسَه وأفاظه الله نفسَه .

*   *   *

وحدثنا أبو بكر : قال : وحدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي ، قال : حدثنا نصر بن علي ، قال : حدثني الأصمعي ، عن أبي عمرو بن العلاء ، قال :

يقال : فاظ الميت ولا يقال : فاظت نفسه ، وعلى قول من أجاز فاضت نفسه تفيض ، قال الشاعر :

كادت النَّفْسُ أن تفيضَ عليه   إذْ ثَوَى حَشْوَ رَيْطَةٍ وبُرُودِ[1]

قال القاضي : وأرى أن من قال : فاض الميت مكان فاظ ، أخذه من قولهم : فاظ الإناء إذا طفح فخرج منه بعضُ ما فيه ، وفاض الدمع : إذا انحدر وسال ، فكأن النفس لما ضاق بها الحيُّ لم يحملها ففاضت وسالت ، يقال : نفس سائلة ، قال امْرُؤُ القَيْس[2] :

---

(١) الريطة : الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ، وقيل : كل ثوب لين دقيق ، وقال الأزهري : لا تكون الريطة إلا بيضاء .

والبيت من شواهد النحويين على جواز اقتران خبر كاد بأن ، وهو لمحمد بن مناذر، انظره في مغنى اللبيب الشاهد رقم ٦٢٢ ، وشذور الذهب ٢٧٣ ، واللسان (فيظ) .

(٢) البيت في ديوانه .

ففاضتْ دُموعُ العَيْنِ منِّي صَبَابةً 		على النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِيَ مَحْمَلِي

وقال الأعشى :

مِن دِيَارٍ بالهَضْبِ هَضْبَ القَلِيبِ 		فاض مَاءُ الشُّئُونِ فَيْضَ الغُرُوبِ[1]

أنشدنا أبو محمد بن الحسن بن عثمان البَزّار ، قال : أنشدني محمد ابن الرومي مولى الطاهري . في أبي جعفر محمد بن جرير الطبري :

كـان بَحْـراً من العلوم فَلَمّـا 		فاضَ بالنَّفْس غاضَ بَحْرٌ مَعِينُ
من له بَعْدَهُ إذَا هُوَ لا هُو 		مِـثْـلُهُ غَـيْـرُهُ عـلـيـه أمـيـنُ

* * *

وقال ابن السِّكِّيت ، وقال الأَصْمَعِيُّ : وَجَب الرجل فهو واجب إذا مات ، وأنشد لقيس بن الخطيم :

أطاعتْ بَنُو عَوْفٍ أميراً نَهَاهُمُ 		عن السِّلْمِ حتى كان أوّلَ وَاجِبِ[2]

قال القاضي : فعلى هذا التأويل قد يُحمل الجبلُ الواجبُ الذي في البيت ، الذي قدمنا روايته عن أوس بن حجر : أن يكون معناه : الميت ، ومعناه عندي : الواقع السَّاقِط ، من قولهم : وَجَبَتِ الشَّمس إذا سقط القُرْصُ ، وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ فإذا وَجَبَتْ جُنُوبُها ﴾[3] .

---

(١) البيت في ديوانه ٢٦ ، وهضب القليب : جبل في ديار بني عامر ، انظر معجم البلدان ، والشئون : مجاري الدمع في العين ، والغروب : جمع غرب وهي الدلو العظيمة .
(٢) ديوانه .
(٣) سورة الحج ، الآية ٣٥ .

[توجيه إعراب بيت جرير]

ونحن الآن مُنْجِزُو ما وَعَدْنا في البيان عن اختلاف النحويين في قول جرير[1] :

تَبْكِي عَلَيْك نجوم اللَّيل والقَمَرَا

وفي إعراب نجوم الليل ، وفي وجه نصب قوله : والقمرا ، فأمَّا من رَوَى :

الشمسُ طالعةٌ ليْست بكاسِفَةٍ

فإنه ينصب : نجوم الليل بإعمال كاسفة ، كما يقال : هي ضاربةٌ عبدَالله ، ويعطف القمر على نجوم الليل ، وقوله : تبكي صفة لقوله الشمس طالعة ، وتبكي في موضع رفع ، كأنه قال : طالعة باكية ، وقد يكون تبكي في موضع نصب على أنه بمعنى الحال ، إمّا من الشمس أو من التاء في ليست ، كأنه قال : ليست في حالة بكاء ، وقد تكون سادَّةً مَسَدَّ خبر ليس ، ونصب نجوم الليل بكاسفة .

وأشهر الجوابات في هذا وأعرفها ، وأقربها مأخذاً أن جملة معنى هذا القول : أن الشمس لم تَقْوَ على كَسْفِ النجوم والقمر لإظلامها وكسوفها ، وقد قال قائلون : نصب نجوم الليل بقوله : تبكي ، والمعنى : تبكي عليك مدة نجوم الليل والقمر ، فنصب على الظرف .

---

(١) قول جرير في بيته هذا :

الشمس طالعة ليست بكاسفة   تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

بنصب نجوم الليل والقمرا هو مثل على التعقيد اللفظي ، فمعنى البيت هو أن الشمس كسفت وأظلمت وضعف نورها ، فلم تكسف نجوم الليل والقمرا ، وهذا هو أشهر التخريجات في هذا البيت ، وهناك توجيهات أخرى للبيت أوردها المؤلف كما نرى .

وحكي عن العرب : لا أكلمك سعد العشيرة أي زَمَانَه ، وقال آخرون : المعنى تغلب ببكائها عليك بكاءَ نجوم الليل ، وفي هذا التأويل وجهان ، أحدهما أن يكون أريد بالنجوم والقمر الساداتُ الأماثل ، كما قال النابغةُ في مدح النعمان بن المنذر[1] :

ألم تر أن الله أعطاك سُورةً ... تَرى كُلَّ مَلْكٍ دُونها يَتَذَبْذَبُ
فإنك شمْسٌ والملوكُ كواكبُ ... إذا طلعتْ لم يَبْدُ منهن كوكبُ

وقد تأول المفضَّلُ الضَّبي قول الفرزدق[2] :

أخذْنا بآفاقِ السَّماءِ عليكُمُ ... لنا قمراها والنجومُ الطوالعُ

أنه عنى بالقمر : محمداً وإبراهيم صلى اللّه عليهما ، وبالنجوم الطوالع : أئمة الدين وخلفاء المسلمين ، وإن كان غيره قد تأول ذلك أنه الشمس والقمر والكواكب ، ومثل هذا أيضاً :

وما لِتَغْلِبَ إنْ عَدُّوا مَسَاعِيَهُمْ ... نَجْمٌ يُضيءُ ولا شَمْسٌ ولا قَمَرُ[3]

وهذا التأويل في تبكي أي تغلب ببكائها من الباب الذي يقال فيه : خاصمني فخصمته وغالبني فغلبته ، كما قال الأخطل :

إن الفرزدق صخرةٌ ملمومةٌ ... طالتْ فليس نيالها الأوعالا[4]

يريد : طالت الأوعال فليست تنالها أنت ، ذهب إلى هذا أبو بكر بن الأنباري ، وما علمتُ أحداً سبقه إليه ، وجائزٌ أن يكون المعنى : أن

---

(١) البيتان من ديوانه ١٥ ، والسورة : المنزلة الرفيعة .
(٢) ديوانه ٤١٩/١ .
(٣) البيت لجرير في هجاء الأخطل وقبيلته بني تغلب ، انظره في ديوانه ٢٠٠ ، والرواية فيه :
وما لتغلب إن عدت مساعيها
(٤) ديوانه ١/ ١٧٢ .

الأوعال ليستْ تَنَالُ الصخرة وقد طالتها ، وتكون من باب الفَاعِلَيْن والمَفْعُولَين اللَّذَيْنِ يفعلُ كلُّ واحد منهما لصاحبه مثل ما فعل به ، مثل : ضربتُ وضربني زيدٌ وزيداً ، ولهذا موضع يُيَسّر فيه .

وأمّا من رَوَى : نجومُ الليل والقمرا ، فإنه من باب المفعول معه ، كقولهم : استوى الماءُ والخشبةَ ، وما صنعتَ وأباك ، ومنه قول الشاعر :

فكــونُــوا أنْتُـمُ وبَنِـي أبيـكُمْ مَكَانَ الكُلْيَتَيْنِ من الطِّحَالِ[1]

ويروى : الشمس كاسفةً ليست بطالعة ، فإنه استعظم أن تطلع ولا تكسف مع المصاب .

ومثل : ألم تكسف الشمس في البيت الذي قدّمنا ذكره ، مثل هذا قول الشاعر[2] :

أَيَا شَجَرَ الخابُور مَالَكَ مُورقاً كأنَّكَ لم تَجْزَعْ على ابن طَرِيف
فتًى لا يُحِبُّ الزَّادَ إلَّا من التُّقَى ولا المالَ إلَّا من قَنَاةٍ سُيُوفِ

[احذر هؤلاء الخمسة]

حدثنا أبي رضي الله عنه ، قال : حدثنا أبو أحمد الختلي ، قال :

---

(١) البيت في الكتاب لسيبويه ١/ ١٥٠ ، مجالس ثعلب ١٢٥ ، منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ٢/ ١٣٩ .

(٢) هي الفارعة بنت طريف ، وهي تقولها في رثاء أخيها الوليد بن طريف بن الصلت التغلبي الشيباني ، وهو ثائر من الأبطال ، كان رأس الشراة في زمنه ، وقد خرج بالجزيرة الفراتية في عهد هارون الرشيد ، وكان يتنقل بين نصيبين والخابور ، وأخذ أرمينية ، ثم سار إلى أرض السواد وعبر دجلة ، فسير إليه الرشيد جيشاً كثيفاً بقيادة يزيد بن مزيد الشيباني الذي استطاع التغلب عليه بعد حرب شديدة ، وقتله سنة ١٧٩ هـ .
انظر الكامل لابن الأثير ٦/ ٤٧ ، والطبري ١٠/ ٦٥ ، والنجوم الزاهرة ٢/ ٩٥ ، وانظر بيتها في سمط اللآلي ٩١٣ ، أمالي القالي ٤٧ ، معاهد التنصيص ٢/٥٠ .

حدثنا محمد بن يزيد مولى بني هاشم ، قال : حدّثنا محمد بن عبدالله القُرشي ، قال : حدثني محمد بن عبداللّه الهُذَلي ، عن أبي حمزة الثُّمَالي ، عن أبي عبداللّه جعفر بن محمد بن علي ، قال : قال لي أبي :

يا بُنيَّ ! انظر خَمْسةً لا تحادِثْهُم ولا تُصَاحِبْهُم ، ولا تُرى معهم في طريق ، قلت : يا أبه ! جُعِلتُ فداك ، من هؤلاء الخمسة ؟ قال : إياك ومُصاحبة الفاسق ، فإنه يبيعك بأكلةٍ أو أقلَّ منها ، قلت : يا أَبَه ! وما أقل منها ؟ قال : الطمع فيها ثم لا ينالها . قلت : يا أبه ! ومن الثاني ؟ قال : إيّاك ومصاحبة البخيل ، فإنه يَخْذُلُك في ماله أحوج ما تكون إليه ، قلت : يا أبه ! ومن الثالث ؟ قال : إياك ومصاحبة الكذاب فإنه يقرِّب منك البعيد ويباعد منك القريب ، قلت : يا أبه ! ومن الرابع ؟ قال : إياك ومصاحبة الأحمق ؛ فإنه يحذرك ممن يريد أنْ ينفعك فيضرك ، قلت : يا أبه ! ومن الخامس ؟ قال : إياك ومصاحبة القاطع لرَحِمِه ، لأني وجدته ملعوناً في كتاب الله عزّ وجلّ في ثلاثة مواضع في الذين كفروا[1] ، ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا في الأَرْضِ ﴾ إلخ ، وفي الرعد ﴿ الذين يَنْقُضُونَ عَهْد اللَّهِ من بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾[2] الآية ، وفي البقرة : ﴿ إنّ الله لا يَسْتَحْيِي أن يَضْرِبَ مَثَلاً ﴾[3] إلى آخر الآية .

[واحذر هؤلاء إن . . .]

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد ، قال : أخبرنا داود بن وَسِيم ،

(١) أي سورة محمد ، وهي الآية رقم ٢٢ فيها .

(٢) سورة الرعد ، الآية ٢٥ .

(٣) الآية ٢٦ ، والآية المقصودة هي التي تلي تلك ، وهي قوله تعالى : ﴿ الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك الخاسرون ﴾

قال : أخبرنا عبدالرحمن بن أخي الأصمعي ، عن عَمِّه ، قال :

قال أبو عمرو بن العلاء : يا عبد الملك[1] : كُنْ من الكريم على حَذَرٍ إنْ أهَنْتَه ، ومن اللئيم إذا أكْرمته ، ومن العاقلِ إذا أحرجتَه ، ومن الأحمق إذا مازحتَه ، ومن الفاجر إذا عاشَرْته ، وليس من الأدب أن تجيب من لا يَسْأَلُك ، ولا تسأل من لا يُجيبك ، أو تُحدِّث من لا يُنْصِت لك .

قال القاضي : وكأنّ قول البحتري :

وسألتُ من لا يَسْتَجِيبُ فكنتُ في اسْـ ـتِخْبَارِهِ كَمُجِيبِ من لا يَسْأَلُ[2]

مأخوذٌ من قول أبي عمرو في هذا الخبر ، وما ذكره من سؤال من لا يجيب ، وإجابة من لم يسأل .

[معنى تعاوره الشعراء]

حدثنا عبدالله بن جعفر بن إسحاق الحائريّ الموصليّ بالبصرة ، قال : كنت في منزل أبي عبدالله نِفْطَوَيْه[3] إذ دخل عليه غلامٌ هاشميٌّ نَضِرُ الوجه ، فقال له : يا أستاذ ! قد عملتُ من الشعر بيتين اسْمَعْهُما ، فقال : أنْشِد ، فأنشأ يقول :

(١) عبد الملك هو اسم الأصمعي ، فهو عبد الملك بن قريب الأصمعي .

(٢) البيت في ديوانه ٣/ ١٧٥٤ .

(٣) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي العتكي ، كان إماماً في النحو ، وفقيهاً ومسنداً في الحديث ثقة ، جالس الملوك والوزراء واتقن حفظ السيرة مع المروءة والفتوة ، والظرف ، وكان على جلالة قدره تغلب عليه سذاجة الملبس وعدم العناية باصلاح نفسه ، إلى دمامة في الخلقة ، فسمي لهذا نفطوية على وزان سيبويه لأنه كان على رأيه في النحو ، توفي سنة ٣٢٣ هـ .

انظر معجم الأدباء ، ونزهة الألباء ٣٢٦ ، وتاريخ بغداد ٦/ ١٥٦ .

كم صديقٍ مَنَحْتُهُ صَفْوَ وُدِّي فَجَفَاني ومَلَّني وقَلاَني
مَلَّ ما مَلَّ ثم عَاوَدَ وَصْلِي بعدما ذمَّ صُحْبَة الخِلاَّنِ

قال نفطويه : يا موصليُّ ! ليس تجيئون بمثل هذه الملاحات . قال أبو محمد : فأمسكتُ ساعةً ثم عملتُ هذين البيتين :

أحمدُ اللّهَ ما امتحنتُ صديقاً لي إلاَّ نَدِمْتُ عند امْتحاني
ليت شِعْرِي خُصِصْتُ بالغَدْر من كلِّ صديقٍ أم ذَاك حُكْم الزمانِ

قال القاضي : وقد قال مُتقدمو الشُّعراء ومتأخروهم فيما تضمنته هذه الأبيات الأربعة ما يتعِبُ جَمْعه ويشقُّ استيعابه ، ولعلنا نُودع مجالسَ كتابنا هذا كثيراً منه إن شاء الله تعالى .

ومما جاء في هذا[1] :

ذَمَمْتك جاهداً حتى إذا ما بلوتُ سواك عاد الذَّمُّ حَمْدا
ولم أحْمَدْكَ من خيرٍ ولكنْ وجدتُ سواك شَرًّا منك جِدّا
فعدتُ إليك مُبتئساً ذليلاً[2] لأني لم أجدْ من ذاك بُدّا
كَذِي جُوعٍ[3] تَحامَى أكْلَ مَيْتٍ فلما اضْطُرَّ عاد إليه شَدّا

والبيت السائر في هذا المعنى :

عتبتُ على بِشْرٍ فلمَّا جَفَوْتُه وعاشَرْتُ أقواماً بكيتُ على بِشْرِ[4]

---

(١) الأبيات التالية لمحمود الوراق ، انظرها في بهجة المجالس ١/ ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، محاضرات الأدباء ١/ ١٥٠ .

(٢) الرواية في بهجة المجالس : محتملاً خليلاً ، وفي المحاضرات : مختلا ذليلا .

(٣) في البهجة : كمجهود .

(٤) البيت في بهجة المجالس ١/ ٦٥٧ برواية : عتبت على سلم ، وورد في المستطرف ١/ ٢٣٣ بهذه الرواية أيضا منسوباً إلى ابن عرارة السعدى يقوله في سلم بن زياد ، ونسب إلى نهاد بن =

[ربما نفع الحمق]

حدثنا محمد بن يحيى الصُّولي ، قال : حدثني أبو الحسن أحمد بن محمد الأنصاري ، حدثنا ابن المدبر ، قال :

انفرد الرشيدُ وعيسى بن جعفر بن المنصور[1] والفضل بن الربيع[2] في صيد من الموكب ، فلقوا أعرابيًّا مَليحاً فصيحاً فولع به عيسى إلى أن قال له : يا ابن الزانية ! فقال : بئس ما قلت ، قد وجب عليك رَدُّها أو العِوَض ، فارْضَ بهذين المليحين يحكمان بيني وبينك ، فقال : قد رضيت ، فقالا : يا أعرابي ! خذ منه دانقين[3] عوضاً من شَتْمِك ، فقال : أهذا الحُكْمُ ؟ فقالا : نعم ، فقال : هذا دِرْهَمٌ وأمّكُم جميعاً زانية ، وقد أرجحت لكما بترك ما وجب لي .

فغلب عليهم الضحك ، وما كان لهم سرور يومهم ذلك غير الأعرابي ، وضَمَّ الرشيدُ الأعرابيَّ إليه وخُصَّ به ، وكان يدعوه في أكثر الأوقات ، فكان الأعرابي بعد ذلك يقول للرشيد : لو عرفتُ لأبقيت ، ولربما نفع الحمق .

= توسعة في عيون الأخبار ٢/ ٤ ، وورد في إعتاب الكتاب ١٧١ دون نسبة برواية عتبت على عمرو .

وهكذا فهو بيت شهير سيار كما يذكر المؤلف .

(١) هو ابن عم الرشيد وأخو زوجته زبيدة ، وقد مرت ترجمته .

(٢) وزير أديب حازم ، كان أبوه وزيراً للمنصور ، وكان هو حاجبه ، وكان خصماً للبرامكة فلما أوقع بهم الرشيد تولى الوزارة بدلاً عنهم ، واستمر هكذا في عهد الأمين ، وكان يعمل ضد المأمون في حربه ضد أخيه ، حتى إذا ظفر هذا أبعده وأهمله طيلة حياته ، توفي بطوس سنة ٢٠٨ هـ .

انظر تاريخ بغداد ١٢/ ٣٤٣ ، والموشح ٣١٢ .

(٣) الدانق : سدس الدرهم .

المجلس الرابع والثلاثون

[شكره الله على أربع خصال]

حدثنا محمد بن مخلد بن حفص العطار ، قال : حدثني محمد بن علي بن حمزة ، أبو عبدالله العلوي العياشي ، ثنا الحسن بن داود بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر ابن أبي طالب الجعفري ، ثنا محمد بن الخَصيب الحنفي ، أبو عبدالله ، ثنا أيوب بن بزاز ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال :

قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لجعفر بن أبي طالب : إن الله تعالى أوحى إليّ أنه شكرك[1] على أربع خصال كنت عليهنّ مقيماً قبل أن يبعثني الله تعالى ، فما هنّ ؟ قال جعفر : بأبي أنت وأمي ، لولا أن الله عزّ وجل نبّأك بهنّ ما أنبأتك عن نفسي كراهية التزكية .

إني كرهتُ عبادة الأوثان لأني رأيتها لا تنفع ولا تضرّ ، وكرهت الزِّنَا لأني كرهت أن يؤتى إليَّ ، وكرهتُ شُرْب الخمر لأني رأيتها مَنْقصة

(١) الشكر من الله تعالى للعبد . الرضا والثواب .

للعقل ، وكنت إلى أن أزيد في عقلي أحب إلي من أن أنقصه ، وكرهت الكذب لأني رأيته دناءة .

[تعليق المؤلف]

قال القاضي : وفي هذا الخبر من المحاسن لظاهر ما فيها من الفضل لذوي اللب والعقل ، ما لا خفاء به لمن أحسن النظر لنفسه ، ونصح لها ، وحرص على رُشْدها وصلاحها ، ونزّهها عما يُرْدِيها ويَشِينها .

وقد أتت الشريعة بالدّعاء إلى هذه الخصال ، ووكدتها وحضت عليها وأيدتها ، وذلك أظهر من أن يحتاج إلى ذكر ما أتى به التنزيل ، وأنبأ به الرسول ، وروي عن علماء أهل الفقه والتأويل ، وأولى التقدم في الفهم والتحصيل ، والأمر فيه أوضح من أن يحتاج إلى الإطالة بإحضار ما روي فيه .

وفقنا الله وإياكم لما يرضيه ، وعصمنا من الضلالة وهدانا لصالح الأعمال وحميد الفَعَال ، وهو الولي الحميد ، العلي المجيد .

[ما كان زياد يقوله للرجل إذا ولاه عملاً]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن يونس ، قال :

كان زيادٌ إذا ولّى رجلاً عملاً قال له : خُذ عهدَك وسر إلى عملك ، واعلم أنك مصروف رأسَ سَنَتِك ، وأنك تصير إلى أربع خلال ، فاختر لنفسك ، إنا إن وجدناك أميناً ضعيفاً استبدَلْنا بك لضعفك ، وسَلَّمْتَكَ من

مَعِزّتنا أمانتُك ، وإن وجدناك قويًّا خائناً استَهنّا بقوّتِك ، وأحسنّا على خيانتك أدبَك ، وأوجعنا ظهرك ، وثَقّلْنا غُرْمَك ، وإن جمعت علينا الجُرْمين جمعنا عليك المضَرَّتَيْن ، وإن وجدناك أميناً قويًّا زِدْنا في عملك ، ورفعنا ذكرك ، وكَثَّرنا مالك ، وأوطأنا عَقِبَك[1] .

[معنى أوطأنا عقبك]

قال القاضي : قول زياد : وأوطأنا عقبك ، يريد أن نُشَرِّفك ونُنَوِّه بك ونرفع من قدرك ، فيكثر أتباعك ، ويطأ الرجال عقبك ، باتباعهم إياك ؛ وازدحامهم في موكبك ، والعرب تقول للرجل إذا وصفته بالسؤدد : فلان موطأ الأعقاب ، كما قال الشاعر :

يا سيِّداً ما أنت من سَيِّدٍ مُوَطَّأ الأعْقَابِ رَحْبَ الذِّرَاعِ
قَوَّالَ مَعْروفٍ وَفَعَّالَهُ وَهّابَ أُمَّاتِ الفِصالِ الرِّبَاعِ[2]

قال هذا في الشعر : موطأ الأعقاب ، وإنما للإنسان عقبان على أحد وجهين ، إما أن يكون رأي الإثنين جمعاً . كما قال الله جلّ جلاله : ﴿ وهلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إذْ تَسَوَّرُوا المِحْرابَ ، إذْ دَخَلُوا على دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ، قَالُوا : لَا تَخَفْ ، خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْض ﴾ إلى قوله : إنَّ هَذَا أَخِي[3] . . . ، وإما أن يكون جمع العقبين بما حولهما كما قال الأعشى[4] :

---

(١) انظر هذا النص في عيون الأخبار ١/ ٥٥ ، أمالي القالي ٢/ ٨٠ .
(٢) البيتان للسفاح بن بكير اليربوعي ، انظرهما في المفضليات ٣٢٢ ، والثاني في اللسان (أمم) برواية : عقار مثنى أمهات الرباع .
(٣) سورة ص ، الآيات ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ .
(٤) البيت مما لم يرد في ديوانه .

والـزَّعْـفَـرَانُ عَلَى تَـرَائِبِهـا شَـرُفَـاتُـه اللَّبَّـاتُ والنَّحْـرُ[1]

فجمع اللَّبَّة بما حولها .

وقال : أُمَّات في جمع أَمّ ، وهذا معروف في كلام العرب ، وقد زعم بعضهم أن أُمَّات تستعمل في البهائم وأمهات تستعمل في الأَنَاسِيِّ ، والجمهور على تجويز ذلك في الجميع[2] ، وقد قال الشاعر :

إذا الأُمَّهـاتُ قَبَحْنَ الـوجـوه فَـرَجْتَ الـظَّلامَ بـأُمَّـاتِكـا[3]

وفي مواضع من هذا الباب خلاف بين الكوفيين والبصريين ليس هذا موضع ذكره ، واللغة المشهورة أمهات ، وفي الواحدة هاء مقدرة ، وربما أظهرت ، كما قال الراجز :

أُمَّهَتي خِنْـدِفُ والْيَاسُ أَبِي[4]

واللغة العالية المستفيضة السائرة التي جاء بها القرآن الكريم في مواضع كثيرة : أم وأمهات ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابنَ مريم وأُمَّه آيةً ﴾[5] ، وقال تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عليكم أُمَّهاتكُمْ ﴾[6] .

---

(١) الترائب : موضع القلادة من الصدر ، واللبة : موضعها من العنق ، والنحر : أعلى الصدر .
(٢) انظر هذا الرأي في اللسان (أمم) .
(٣) البيت في اللسان ، دون نسبة ، انظر مادة (أمم) .
(٤) شطر بيت الرجز لقصى بن مدركة بن إلياس جد رسول الله ﷺ ، وقبله .
عند تناديهم بهال وهبي
انظر اللسان (أمم) .
(٥) سورة المؤمنون ، الآية ٥٠ .
(٦) سورة النساء ، الآية ٢٣ .

[معاوية وإعجابه بولده يزيد]

حدثنا أحمد بن محمد ، أبو عبدالله الأَضَاحِي المعروف بحرمي ، ثنا أبو سعيد عبدالله بن شبيب ، قال : حدثني محمد بن عبدالله بن عمرو ابن معاوية بن عتبة بن أبي سفيان ، عن أبيه ، قال :

جلست مَيْسُون بنت بَحْدل الكلبيّة تُرَجِّل ابنها يزيد بن معاوية ، وميسون يومئذ مطلّقة ، ومعاوية وفاختة بنت قرظة ينظران إليهما ، ويزيدُ وأمُّه لا يعلمان ، فلما فرغت من تَرْجِيله نظرت إليه فأعجبها وقَبَّلَتْ بين عينيه ، فقال معاويةُ بيتاً من شعر :

إذا مات لم تُفْلِحْ مُزينةُ بَعْدَهُ فَنُوطِي عليه يا مُزَيْنُ التمائما

قال : ومضى يزيد فأتبعته فاختةُ بصرها ، وقالت : لعن الله سوادَ سَاقَيْ أُمِّك ، فقال معاوية : قد رأيتها ؟ أما والله على ذاك لما فَرَجَتْ عنه وَرِكَاهَا خيرٌ مما تفرَّجت عنه وَرِكَاك .

وكان لمعاوية من بنت قرظة عبدُاللّه ، وكان أحمق الناس ، قالت فاختة : لا والله ولكنك تؤثر هذا عليه ، فقال : سوف أبيِّن لك ذلك حتى تعرفيه قبل أن تقومي من مجلسك ، يا غلام ! ادْعُ لي عبدالله ، فدعاه فقال له معاوية : يا بني ! إنّي قد أردت أن أسعفك وأن أصنع بك ما أنت أهله ، فَسَلْ أمير المؤمنين فلست تَسَلْهُ شيئاً إلا أعطاكه . فقال : حاجتي أن تشتري لي كلباً فارهاً وحماراً ، فقال معاوية : يا بني ! أنت حمار ونشتري لك حماراً ، قم فاخرج ، قال : كيف رأيت ؟ يا غلام ! ادع لي يزيداً ، فدعاه .

فقال : يا بني ! إن أمير المؤمنين قد أراد أن يسعفك ويوسِّع عليك

ويصنع بك ما أنت أهله ، فاسأله ما بدا لك ، قال : فخرّ ساجداً ثم قال حين رفع رأسه : الحمد لله الذي بلغ أمير المؤمنين هذه المدة ، وأراه فيّ هذا الرأي ، حاجتي أن تعقد لي العهد من بعدك ، وتوليني العام صائفة المسلمين ، وتحسن جهازي وتقويني ، فتكون الصائفة أول أسفاري ، وتأذن لي في الحج إذا رجعت وتوليني الموسم ، وتزيد أهل الشام عشرة دنانير لكل رجل ، وتجعل ذلك بشفاعتي ، وتفرض لأيتام بني جمح وأيتام بني سهم وأيتام بني عديّ ، قال : مالك ولبني عديّ ؟ قال : لأنهم حالفوني وانتقلوا إلى داري ، قال معاوية : قد فعلت ـ إذا رجعت ـ ذلك بك ، وقبل وجهه وقال لابنة قرظة : كيف رأيت ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ! أوصه بي ، فأنت أعلم به ، ففعل .

قال القاضي : قدر روينا هذا الخبر من طريق آخر ، وفيه : أن عبدالله سأل مالاً وأرضاً ، وأن يزيدَ قال لمعاوية : اعْتِقْني من النار أعتق الله رقبتك من النار ، فقال له : وكيف ؟ قال : لأنّي وجدتُ في الأثر أنه « من تقلَّد أمر الأُمّةِ ثلاثة أيام حَرّمه اللّهُ على النّار » ، فاعهد إليَّ من بعدك .

[سيّدة النساء]

حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم العجلي البزاز المعروف بالمراجلي بسُرَّ من رأى ، قال : أخبرنا محمد بن يونس الكديمي ، قال : حدثنا يحيى بن عمر الليثي ، قال : حدثنا الهيثم بن عديّ ، قال : حدثنا المجالد ، عن الشَّعْبي ، قال[1] :

(١) الخبر التالي نقلاً عن المعافي في مصارع العشاق ٢٦٠ .

مرّ بي مصعب بن الزبير وأنا في المسجد ، فقال : يا شعبي ! قم ، فقمت فوضع يده في يدي وانطلق حتى دخل القصر فقصّرت ، فقال : ادخل يا شَعْبِي ، فدخل حجرة فقصّرْتُ ، فقال : ادخل يا شعبي ، ثم دخل بيتاً فقصّرت ، فقال : ادخل فدخلت ، فإذا امرأة في حَجَلَة[1] ، فقال : أتدري من هذه ؟ فقلت : نعم هذه سيدة نساء المسلمين ، هذه عائشة بنت طلحة بن عبيدالله ، فقال : هذه لَيْلَى ، وتمثّل :

وما زلتُ في ليلى لَدُنْ طَرَّ شَاربي إني اليوم أُخْفِي حُبَّها وأداجنُ
وأحْمِلُ في ليلى لقومٍ[2] ضغينةً وتُحْمَلُ في ليلى عليَّ الضغائنُ

ثم قال لي : يا شَعْبيُّ ! إنها اشتهتْ عليّ حديثك ، فحادثْها ، وخرج وتَركنا .

قال : فجعلت أُنْشِدُها وتُنْشِدُني ، وأحادثها وتحادثُني حتى أنشدتها قول قيس بن ذُرَيْح :

ألَا يا غُراب البيَنْ قد طِرْتَ بالَّذِي أُحاذِرُ من لُبْنَى فهل أنْتَ واقِعُ
تبكي على لُبنى وأنت قتلتَها وقد هلكتْ لُبْنَى فما أنت صَانِعُ

قال : فلقد رأيتها وفي يدها غراب تنتفُ ريشَه وتضربُه بقضيبٍ وتقول له : يا مَشُوم .

---

(١) الحجلة : ساتر كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس .
(٢) في مصارع العشاق : لقول .

[وغراب يُضرب في سوق الطير]

حدثنا محمد بن مَزْيد الخَزَاعي ، قال : حدثنا الزبير ، قال : قال الخليل بن سعيد[1] :

مررتُ بسوق الطير فإذا الناس قد اجتمعوا يركبُ بعضهُم بعضاً فاطلعت فإذا أبو السائب قابضاً على غرابٍ يباعُ قد أخذ طرف ردائه ، وهو يقول للغراب يقول لك قيس بن ذريح :

ألا يا غُرَابَ البين قد طِرْتَ بالذي أحاذرُ من لُبْنَى فهل أنت واقعُ

ثم لا يقع ويضربه بردائه والغراب يصيح .

[وجارية تُغنّي في ذَمِّه]

حدثنا محمد بن إبراهيم الحكيمي ، قال : أخبرنا يموت بن المُزَرّع ، قال[2] :

كنت آتي أبا إسحاق الزيادي إذ مَرَّتْ به أَمَةٌ سَوداء شَوْهاء ، فقال لها : يا عُنَيْزة ! أسمعيني :

مَـرَّ بـالبَيْـن غُـرَابٌ فَنَـعَبْ

فقالت : لا : واللّهِ ، أو تَهَب لي قطعة[3] .

فأخرج صريرة من جيبه فناولها قطعة[3] أريت أن فيها ثلاث حَبّاتٍ ،

---

(١) الخبر التالي نقلاً عما هنا في مصارع العشاق ٧٧ ، ٢٦١ .

(٢) انظر الخبر التالي أيضاً في مصارع العشاق ٢٦١ نقلاً عن المعافى وبروايته .

(٣) في المصارع : قطيعة ،والحبة وزن قديم للنقود كان يزن شعيرتين وسطين (انظر المعجم الوسيط) .

فوضعت الجرة عن ظهرها وقعدت عليها ثم رفعت عقيرتها :

مَـرّ بـالبَيْـنِ غُـرَابٌ فنعب   ليت ذا الناعبَ بالبين كَذَبْ
فلحـاك اللّهُ من طيْـرٍ فقـد   كنتَ لو شئتَ غنِيًّا أن تُسَبْ

قال أبو بكر : فأحْسَنَتْ .

[هذا الطائر المظلوم]

وأنشدني الحكيمي لأبي الشيص[1] :

الـنـاس يَـلْحَـوْن غُـرَا   بَ الـبَـيْـن لمـا جَـهِـلُوا
ومَـا غُـرَابُ الـبـيـن إلاّ   نَـاقَـةٌ أو جَـمَـل
ومـا عـلى ظـهـر غـرا   ب البَيْـنُ تُمـطى الـرِّحَـلُ
ولا إذا صـاح غـرا   بٌ في الـديـار احـتـملوا
مـا فـرق الألاّف بَـعْـ   ـد الله إلاَّ الإبـلُ

قال القاضي : وأنشدني محمد بن الحسن بن مقسم ، قال : أنشدني أحمد بن يحيى لأحمد بن مَيّة ـ وهو أحد الظرفاء ـ شعراً[2] :

يسبُّ غرابَ البينِ ظُلْماً معاشرُ   وهم آثروا بُعْدَ الحبيب على القُرْبِ
وما لغرابِ البينِ ذنبٌ فأبتدي   بِسَبِّ غُرابِ البين لكنه ذنبِي
فيا شَوْقُ لا تَنْفَدْ ويا دَمْعُ فِضْ وزِدْ   ويا حُبُّ راوح بين جَنْبٍ إلى جنبِ
ويا عاذلي لُمْني ويَا عَائِدي الْحَني   عَصَيتُكُما حَتَّى أُغَيَّبَ في التُّرْبِ

---

(١) الأبيات في ديوانه المجموع ١٠٢ ، وبهجة المجالس ١/ ٢٥١/ ٢٥٢ ، وزهر الآداب ٢/ ١٧٠ ، الشعر والشعراء ٨٢١ ، والبيتان الأول والثاني في التمثيل والمحاضرة ٣٦٩ ، والثالث والخامس من الكامل للمبرد ٢/ ٣ مع اختلاف في ألفاظ الرواية بين المراجع .

(٢) وهذه القطعة أيضاً في مصارع العشاق ٢٦١ .

إذا كان ربِّي عالماً بسريرتي فما النَّاسُ في عَيْني بأعظمَ من رَبِّي

[حقّق اللّه لهم أمنياتهم]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، حدثنا ابن أبي الدنيا ، حدثني أبو الحسن علي بن عبدالأعلى الشيباني ، قال : حدثنا إسماعيل بن أبان ، قال : حدثنا سفيان الثوري ، عن طارق بن عبدالعزيز ، عن الشَّعْبِي ، قال[1] :

لقد رأيتُ عَجَباً ، كنَّا بفِناء الكعبة أنا ، وعبدُاللَّه بن عُمَر ، وعبداللّه بن الزُّبَير ، ومُصْعَب بن الزبير ، وعبدالملك بن مروان ، قال القوم بعد أن فرغوا من حديثهم : ليقُمْ[2] رجلٌ رجلٌ منكم فليأخذْ بالرُّكْن اليماني ويسأل اللَّهَ حاجته ، فإنه يُعْطَى من سَعَة .

قم يا عبدالله بن الزُّبير فإنك أولُ مولُودٍ وُلد في الهجرة[3] ، فقام فأخذ بالرُّكْنِ اليَماني فقال: اللهم إنك عظيمٌ ، أسألك بحُرمة وجهك وحُرْمة عَرْشِك ، وبحرمة نبيّك ، ألاَّ تُميتني من الدنيا حتى تُوَلِّيَني الحجازَ ويُسَلَّمَ عليَّ بالخلافة .

وجاء حتى جلس ، فقالوا : قُمْ يا مصعبُ بن الزُّبَيْر ، فقام فأخذ بالركن اليمانيّ وقال: اللهم إنك ربُّ كُلِّ شيء وإليك يصيرُ كلُّ شيءٍ ، أسألك بقدرتك على كل شيءٍ ألاَّ تُميتني من الدنيا حتى تُوَلِّيني العراقين ، وتُزَوِّجَني سُكَيْنَةَ بنتَ الحُسين بن عليٍّ عليها السلام ، وعائشةَ بنتَ طلحة بن عُبيداللّه .

---

(١) انظر فيما يلي عيون الأخبار ٢/ ٣٢٩ .

(٢) في ب : ليقل .

(٣) ولد ابن الزبير في المدينة في السنة الأولى من الهجرة ، انظر كامل ابن الأثير ٤/ ١٦٠ .

وجاء حتى جلس ، فقالوا : قُمْ يا عبدالملك بن مروان ، فقام وأخذ بالركن اليماني ، وقال : أللّهمّ ربَّ السموات السبع والأَرَضين السَّبع ، ذاتِ النَّبْتِ بعد القَفْر ، أسألك بما سألك المطيعُون[1] لأمرك ، وأسألك بحرمة وجهك ، وأسألك بحقك على جميع خَلْقك ، وبحق الطائفين[2] حول بيتك ، ألاّ تُميتني من الدنيا حتى تُولِّيني شرقَ الأرض وغَرْبها ، ولا ينازعني أحدٌ إلا أتيتُ برأسه ، ثم جاء حتى جلس .

ثم قالوا : قم يا عبداللّه بن عمر ، فقام حتى أخذ بالركن اليماني ، ثم قال : أللهم إنك رحمنٌ رحيم ، أسألُك برحمتك التي سبقتْ غَضَبَك ، وأسألُك بقدرتك على جميع خلقك ، ألاّ تُميتني من الدنيا حتى تُوجِبَ لي الجَنَّة .

قال الشعبي : فما ذهبتْ عيناي من الدُّنْيا حتى رأيتُ كلَّ رجل منهم قد أُعْطِي ما سأل من الدنيا ، وبُشِّرَ عبدُالله بن عمر بالجنة .

[أسلوب الحكيم]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، حدثنا محمد بن أحمد المقدمي ، قال : حدثنا عبدُاللّهِ بن عَمرو ، حدثنا أبو عبدالله القرشي ، حدثنا محمد بن الضَّحَّاك الخزاعي ، عن أبيه ، قال :

أمر الحجَّاجُ بإحضار الغَضْبَانِ بن القَبَعْثَرِي ، وقال الحجاج : زعموا أنه لم يكذبْ قَطُّ ، واليوم يكذب ، فلما دخل عليه ، قال : قد سَمِنْتَ يا

(١) في ب : المطيفون .
(٢) في ب : الخائفين .

غضبان ! قال : أصلح الله الأمير ، القَيْدُ والرَّتْعَةُ[1] ، والخَفْضُ والدَّعَة ، وقِلَّةِ التَّعْتَعَة[2] ، ومن يكنْ ضيفَ الأمير يَسْمَن ، قال : أتُحِبُّني يا غضبان ؟ قال : أصلح الله الأمير ، أوْ فَرَقٌ[3] خَيْرٌ من مَحَبَّتي ، قال : لأحملنَّك على الأدْهم[4] ، قال : مثلُ الأمير حَمَلَ على الأدهم والكُمَيْت والأشْقر ، قال : إنَّه حَدِيد[5] ، قال : لأن يكون حديداً خيرٌ من أن يكون بليداً[6] .

[الرَدُّ الخَالِص]

حدثنا المظفر بن يحيى بن أحمد المعروف بابن الشرابي ، حدثنا أبو العباس المرثدي ، حدثنا أبو إسحاق الطَّلْحي ، قال : أخبرني أحمد بن إبراهيم ، قال :

قال سعيدُ بن العاص[7] لمعاوية وهو معه على سريره :

يا أمير المؤمنين ! والله لكأنَّ عِمَّتُك هذه خِمْرةُ[8] هِنْد عند بعض

---

(١) الرتعة : الاتساع في الخصب .
(٢) التعتعة : الحركة العنيفة .
(٣) الفرق : الرهبة والخوف .
(٤) الأدهم : من معانيه : القيد ، ولكن الغضبان جعله وصفاً للفرس وهو يعني به الأسود .
(٥) الحديد ، أراد به الحجاج القيد ، ولكن الغضبان : النشيط القوي القلب ، ضد البليد .
(٦) سبقت قصة الغضبان بتفصيل أكثر في الجزء الأول من الكتاب .
(٧) أحد الأمراء الولاة الفاتحين ، وهو فاتح طبرستان ، ولاه عثمان الكوفة وهو شاب فخطب في أهلها ونسبهم إلى الشقاق والخلاف فشكوه إلى عثمان فعزله ، وبقي معه في المدينة ، إلى أن قامت الثورة عليه فدافع سعيد عنه وقاتل دونه ، وبعد أن قتل خرج إلى مكة فأقام فيها إلى أن ولاه معاوية المدينة فتولاها إلى أن مات سنة ٥٩ هـ ؛ وكان قوياً فيه تجبر وشدة سخياً فصيحاً ، وأخباره كثيرة .
أنظر طبقات ابن سعده/ ١٩ ، وتهذيب ابن عساكر ٦/ ١٣١ .
(٨) الخمار والخمرة : كل ما ستر ، ومنه خمار المرأة ، وهو ثوب تغطي به رأسها ، ومنه العمامة لأن الرجل يغطي بها رأسه ، ويديرها تحت الحنك ، وفي الحديث « أن الرسول صلوات الله عليه كان يمسح على الخف والخمار » أي العمامة . (المعجم الوسيط).

أزواجها فيما يُوصَف لي . قال : فلم يُجِبْهُ معاويةُ بشيء .

ودخل سُليمان بن صُرَد[1] ، فقال له معاوية : مرحباً ، ها هنا فأجلسه بينه وبين سعيد على السَّرير ، فساءله طويلاً ، ثم قال له : كيف بِرُّ هذا بك ؟ فقال سعيد : ما أردت بهذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : ما أردتَ بِخمْرة هند .

[لولا الحياء]

حدثني عثمان بن محمد بن شاذان القاضي ، حدثنا عبدالملك بن القاسم الحارثي ، قال : بلغني أن إسماعيل بن إسحاق القاضي[2] كان يُؤذِّن ، فمرَّ به غلامٌ حسنُ الوجه ، فأطال النظر إليه ، ثم قال عند فراغه من أذانه :

لـولا الحيـاءُ وأنني مستـورُ والعيبُ يلحقُ بـالكبيـر كبيـرُ
لَحَلَلْتُ بالأرضِ التي أنتمْ بها ولكـانَ منـزلُنـا هـو المهجـورُ

---

(١) هو سليمان بن صرد الخزاعي ، أبو مطرف ، صحابي من الزعماء القادة ، شهد الجمل وصفين مع علي ، ثم سكن الكوفة ، وفي عهد يزيد كان ممن كاتب الحسين ثم تخلف عنه ، وخرج بعد ذلك مطالباً بدمه ، وترأس التوابين وكانت عدتهم نحو خمسة آلاف ، وهؤلاء هم الذين قعدوا عن نصرة الحسين ثم قاموا يطالبون بثأره بعد مقتله ، وقد نشبت معارك بينه وبين عبيد الله بن زياد قتل فيها سليمان سنة ٦٥ هـ .
أما علاقته بالقصة التي معنا فيبدو أنه كان زوجاً لأم سعيد بن العاص ، وهو ما قصد معاوية إلى تذكيره به ، حينما حاول هذا أن يذكره بأزواج أمه .
أنظر من ترجمة سليمان ؛ الإصابة الترجمة ٣٤٥٠ ، والمحبر ٢٩١ .

(٢) إسماعيل بن إسحاق بن اسماعيل بن حماد بن زيد الجهضمي الأزدي ، فقيه على مذهب الإمام مالك ، من بيت علم وفضل ، ولي قضاء بغداد والمدائن ، ثم ولى قضاء القضاء ، وتوفي عام ٢٨٢ هـ ، عن اثنين وثمانين عاماً .
ترجمته والخبر الوارد هنا في تاريخ بغداد ٦/ ٢٨٤ .

[شيء من الصبوة]

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال :

كنتُ عند ثعلب جالساً فجاءه محمد بن داود الأصبهاني(١) ، فقال له : أها هنا شيءٌ من صبوتك(٢) ، فأنشده :

سقى اللّهُ أياماً لنا ولياليَا لهنَّ بأكناف الشباب ملاعبُ
إذ العيش غضٌّ والزمان بِعِزَّةٍ وشاهد آفاتِ المحبين غائبُ

[أحسن الشعر]

حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزديّ ، قال :

استنشدني أبو سليمان داودُ بن عليٍّ(٣) بعقب قصيدة أنشدتُه [إياها](٤) ومدحته فيها ، وسألته الجلوس فأجابني ، وقال لي في شيءٍ منها : لو أبدلتَ مكانه ؟ فقلت له : هذا كلامُ العرب ، فقال : أحسنُ الشعرِ ما دخل القلبَ بلا آذن ، هذا بعد أن بدلتُ الكلمة ، فقال لي إنسان

---

(١) محمد بن داود بن علي بن خلف الظاهري ، أبو بكر ، ابن الإمام داود الظاهري صاحب مذهب الظاهرية ، وكان أديباً ، شاعراً ، عالماً ، وهو صاحب كتاب الزهرة في الحب والمحبة المعروف ، ، توفي في بغداد سنة ٢٩٧ هـ.
ترجمته في الوافي بالوفيات ٣/ ٥٨ ، وتاريخ بغداد ٥/ ٢٥٦ ، وانظر الخبر الوارد هنا فيه .

(٢) الصبوة : الحنين والشوق .

(٣) في ب : أبو داود سليمان بن عليّ ، وورد صحيحاً في بقية الخبر ، وهو الإمام داود بن علي بن خلف الظاهري ، صاحب المذهب الظاهري الذي يأخذ بظاهر الكتاب والسنة ويعرض عن التأويل والقياس والرأي ، وهو أول من جهر بهذا القول ، سكن بغداد وانتهت إليه رياسة العلم فيها ، وكان يحضر مجلسه كل يوم أربعمائة ما بين طالب وعالم ، توفي سنة ٢٧٠ هـ .
ترجمته في تاريخ بغداد ٨/ ٣٦٩ ، وتذكرة الحفاظ ٢/ ١٣٦ .

(٤) ساقطة من الأصول .

بحضرته : ما أشدّ وُلُوعك بذكر الفراق في شعرك ! فقال أبو سليمان : وأيُّ شيءٍ أمَضُّ من الفراق ؟

ثم حكى عن محمد بن حبيب ، عن عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، أنه قيل له : ما كان أبوك صانعاً حيث يقول :

لو كنتُ أَعْلَمُ أن آخِرَ عَهْدِكُمْ   يوم الرَّحيلِ فعلتُ ما لم أَفْعَلِ

قـال : يَقْلَعُ عينه ولا يرى مُظْعَنَ أحبابه[1] .

[تعليقات بلاغية ونحوية]

قال القاضي : وَلِي من أبياتٍ لم يَحْضُرْني حفظها في هذا الوقت أيضاً هي في معنى قول أبي سليمان داود في هذا الخبر :

تَخْتـرِقُ الحُجْبَ بلا حَـاجِبِ   وتَـدْخُـلُ الأُذْنَ بـلا آذِنِ

والأُذْنُ مع الآذن يُؤْثر للمجانسة ، وما يدخلُ القلب أبلغ في تحقيق المعنى ، وقوله :

لو كنتُ أعلم أن آخر عهدكم   يوم الرحيل . . . .

يروى : يوم الرحيل رفعاً ونصباً ، فمن نصبه فَعَلَى أنَّه ظَرْف ، والمعنى أن آخر عهدكم في يوم الرحيل ، ومن رَفَعَهُ جعل يوم الرحيل نفسَهُ هو آخر العهد .

وقد قرأت القَرَأَةُ : ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزِّينَة ﴾[2] ، فمن رفع جعل الموعد هو اليوم ، ومن نصب جعل الموعد في اليوم .

---

(1) الخبر بتمامة نقلاً عن المعافي ، في مصارع العشاق ١٧٧ .
(2) سورة طه ، الآية ٥٩ .

وقال يونسٍ : سألتُ رُؤْبَة : أين منزِلُكَ ؟ فقال : شَرْقِيُّ المسجد ، وقال جرير :

هَبّتْ شَمَالاً فذِكْرَى ما ذَكَرْتُكُمُ　　إلى الصَّفَاةِ التي شَرْقِيَّ حَوْرَانَا[1]

فنصب ، والرفع جائز وذلك على ما مضى من بياننا ، والاختيار عندي رفع قول رُؤْبة ونصب قول جرير في بيته على ما قالا ، مع جواز خلافه ، وذلك أنه سُئل عن نفس منزله فأخبر أنه شرقيُّ المسجد ، ويقدر جوابه : منزلي هو شرقيُّ المسجد أو شرقيُّ المسجد هو منزلي ، هذا هو عُرْف الناس في السؤال عن مثل هذا ، والجواب عن : ما ثوبُك ؟ فيقال : خزٌّ أي من خزّ ، وما لون فَرَسِك ؟ فيقال : أشقرُ ، ولا يقال في الغالب : شُقْرة ، والنَّصْبُ فيه على معنى أنه سُئل في أيِّ موضعٍ منزلك ؟ فيقال : في شرقيِّ المسجد ، وأما شرقيُّ حَوْران في بيت جرير فمعناه إلى الصفاة التي هي شرقي حوران ، ولو أريد هذا فَالوَجْهُ فيه إظْهارُ هي فيقال التي هي شرقي حَوْرَان .

وقد قرأ يحيى بن يَعْمُرَ : ﴿ تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنُ ﴾[2] ، والوجه إذا أُوثِر هذا المعنى أن يقال : على الذي هو أحسن[3] .

[يتعلَّقُ بالقضاة حين يُعْزلون]

حدثنا ظاهر بن مسلم العبدي ، حدثني محمد بن عمران الضَّبيّ ، حدثنا أحمد بن حلايس ، قال :

---

(1) البيت في ديوانه ٤٩٣ .
(2) سورة الأنعام ، الآية ١٥٤ .
(3) انظر هذه القراءة في تفسير البحر المحيط ٣/ ٢٥٥ .

لما عُزل شريكٌ عن القضاء تعلَّق به رجل ببغداد ، فقال : يا أبا عبدالله ! لي عليك ثلثمائة درهم فأعْطِنَاهَا ، قال : ومن أنا ؟ قال : أنت شريك بن عبدالله القاضي ، قال : ومن أنّى هي لك ؟ قال : من ثمن هذا البغل الذي تحتك ، قال : نعم ، تَعَال ، فجاء يمشي معه حتى إذا بلغ الجِسْر قال : من ها هنا ؟ فقام إليه أولئك الشُّرَط ، فقال : خذوا هذا فاحبسوه ولئن أطلقتموه لأخبرنَّ أبا العباس عبدالله بن مالك ، فقالوا : إن هذا الرجل يتعلّق بالقاضي إذا عُزِل فيفتدى منه ، وقد تعلق بسلمة الأحمر[1] حين عزل عن واسط فأخذ منه أربعمائة درهم ، فقال : هكذا .

فَكُلِّمَ فيه فأبى أن يُطلقه ، فقال له عبدالله بن مالك : إلى كم تحبس هذا الرجل ؟ قال : حتى يَرُدَّ على سلمة الأحمر أربعمائة درهم ، قال : فرد على سلمة أربعمائة درهم ، فجاء سلمةُ إلى شريك فتشكّر له ، فقال : يا ضعيف ! كل من سألك مَالَكَ أعطيته إيّاه .

[لعله الخضر أو إلياس]

حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر الأزدي ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الباهلي الصَّرَّاف ، قال : حدثنا عبدالله بن بكر السهمي ، حدثنا الحجاج بن فُرَافِصَة ، قال : كان رجلان يتبايعان عند عبداللّه بن عُمر ، فكان أحدهما يُكْثر الحَلِف ، فمرَّ عليهم رجلٌ فقام عليهما فقال للّذي يكثر الحلف : يا عبداللّه ! اتَّق اللّهَ ولا تكثر

---

(١) هو سلمة بن صالح المعروف بسلمة الأحمر ، تولى قضاء واسط زمن المهدي واستمر فيه عشر سنوات حتى عزله الرشيد ، وعرف أنه ضعيف الحديث .
انظر أخبار القضاة ٣/ ٣١٢ .

الحَلِف ، فإنه لا يَزيدُ في رزقك إن حلفت ، ولا يُنْقِصُ من رزقك إن لم تحلف ، قال : امض لما يَعْنِيك ، قال : إن ذا مما يعنيني ، فلما أخذ ينصرف عنهما ، قال له : اعلم أنَّ من آية الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرُّك على الكذب حيث ينفعك ، وألّا يكون في قولك فضلٌ على عملك ، واحْذَرِ الكذبَ في حديث غيرك . ثم انصرف . .

فقال عبدُاللَّه بن عمر لأحد الرجلين : الْحَقْه فاستكتبه هؤلاء الكلمات ، فقام فأدركه ، فقال : أكْتِبْني هؤلاء الكلمات رحِمَكَ اللَّه ، قال : ما يُقَدِّرُ اللّه تعالى من أمرٍ يكون .

قال : فأعادهنَّ عليَّ حتى حفِظتُهن ، ثم مشى معه حتى إذا وضع رجله في المسجد فَقَدَه ، قال : فكأنهم كانوا يَرَوْن أنَّه الخِضْر أو إلياس .

سَبْقُ والبة إلى بيتين جيدين]

حدثنا أحمد بن إسماعيل بن القاسم الشرقي ، حدثني الحسين بن سلام السكوني ، قال : أخبرني إبراهيم بن جناح المحاربي ، قال : سمعتُ أبا نواس يقول :

سبقني والبةُ إلى بيتين من شعرٍ قالهما ، وَدِدْتُ أني كنت سبقته وأن بعض أعضائي اختلج مني :

وليس فَتَى الفِتْيان من رَاحَ واغْتَدَى   لِشُرْب صَبُوحٍ أو لشُرْب غَبُوقِ
ولكنْ فتى الفتيان من راح واغْتَدَى   لِضَرِّ عَدُوٍّ أو لِنَفْعِ صديق[1]

---

(١) البيتان في بهجة المجالس ١/ ٦٤٧ ، وعيون الأخبار ٣/ ١٧٨ ، والعقد الفريد ٣/ ١٧ .

[أسماء أوقات الشراب]

قال القاضي : شُرب الغَدَاةِ يُقال له في كلام العرب : صَبُوح ، ويقال لشرب نصف النهار : القَيْل ، ولِشُرْب العَشِيِّ : الغَبُوق ، ولشرب الليل : الفَحْمة[1] ، ولشُرب السَّحَر : الجاشِريَّة[2] .

وقول أبي نواس : وأن بعض أعضائي اختلج مني ، أي اقْتُطِع ، ومنه سمي المقْتَطَعُ من البحر إلى الوادي خليجاً ، كما قال الشاعر :

ومُـدْرِك أمْرٍ كـانَ يَأْمُـلُ دُونَهُ   ومُخْتَلَجٍ من دُونِ ما كانَ يَأْمُلُ[3]

---

(١) الفحمة : سواد الليل وظلمته ، أو أشد سواد .

(٢) وكذلك كان يقال للشراب في الصباح : الجاشرية .

(٣) البيت للجراح بن عمرو الهمداني ، كما في حماسة البحتري ٣٤٦ ، وورد في بهجة المجالس ١/ ١٥٤ ، لباب الآداب ٣١٢ ، ومعجم الأدباء ١٩/ ٤٢ بدون نسبة .

المجلس الخامس والثلاثون

[طائر أبيض يرسل قبل الضيف]

حدثنا سهل بن أحمد بن الفضل ، أبو حميد المكي ، قال : حدثنا محمد بن سعيد الطبري ، قال : حدثنا جُوَيرة بن أشرس ، قال : حدثنا العلاء أبو محمد ، قال :

سمعت أنس بن مالك ، يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يبعث ضيفاً إلى أهله بعث طائراً أبيض يُسَمَّى ضيفاً قبل ذلك بأربعين صباحاً ، فيجيء الطائر فيقوم على عتبة بابه ، وعِظَمُ ذلك الطائر مسيرة سبعين عاماً ، قال : فينادي : يا أهل الدار ! وليس يجيبه أحد ، فيسكت عنهم ساعة ؟ ثم ينادي الثانية بأعلى صوته ، ويسمع صوته جميع أهل السماء السابعة والأرض السابعة ما خلا الثَّقَلَيْن ، فيجيبه جبريلُ من فوق السماء السابعة من تحت عرش الجَبَّار : لبّيك يا رسول ربّ العالمين ، ما حاجتك إلى أهل هذه الدّار ؟ فيقول : إنّ اللّهَ بعثني رسولاً إلى أهلها وهو يقرأ عليهم السلام ، ويقول : إنّ فلاناً يأتيكم ضيفاً إلى أربعين صباحاً وهذه بركته ورزقه من الجنة ، فيقول جبريل : ناولنيه

لأقبضه ، فيناوله جبريل ، فيقول : ما هذه الرقعة في منقارك ؟ فيقول : إنها براءة لهم من النار ، فيقول جبريل : ناولنيها فيناوله فيقرؤها ويتعجب جبريل من ذلك ، فيقول الطائر : أتعجبُ من هذا ؟ فيقول : نعم ، فيقول الطائر : فإن الله تعالى أمرني أن أُحْصي عليهم حسناتهم ولا أُحْصي عليهم سيئاتهم ما دام الضيف فيهم ، فإذا خرج من عندهم خرج بذنوب صغيرهم وكبيرهم ورجالهم ونسائهم ، وإمائهم وعبيدهم ، وحَيِّهم ومَيِّتهم ، وإنما سمي الضيف ضيفاً بذلك الطائر .

قال : القاضي في هذا الخبر ترغيب في إضافة الضيف وقضاء حقّ ضيافته ، ودلالة على وجوب حقه ورفعة منزلة مُضِيفه ، ولم تزل الأمم على اختلاف أديانها وآرائها ، وأخلاقها وعاداتها ، تستحسن الضيافة وترغبُ فيها وتتواصى بها ، وتتحاضّ عليها ، وتتعاير بالرغبة عنها ، والتفريط في المسابقة إليها ، وللعرب من الخصُوصية في هذا ، والحفوف فيه[1] ، والمباذلة والمباهاة ، وحسن الاقتداء بها عليه والمضاهاة ، ما بزّتْ به مَنْ سواها وأبَرَّت عليه ، حتى أنها كانت تتديّن باعتقاد وجوبه ، ولزوم فرضه ، وتقصب[2] من أعرض عنه وتنبذه ، وتسبّه وتعيبه ، وترى الحمد والذم فيه متوارثاً في أعقابها وفي أحسابها ، ثم جاء الإسلام بتحسين هذا الباب والندب إليه والترغيب فيه ، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « من كان يُؤمن باللّه واليوم الآخر فليكرم ضيفه »[3] ، فهو من أشرف أفعال

---

(١) الحفوف به : الاعتناء به والمدح عليه .

(٢) تقصب : تشتم وتعيب .

(٣) الحديث الشريف وارد في أكثر كتب الحديث ، انظر مثلاً : البخاري باب الأدب ٣١ ، ٨٥ ، والرقاق ٣٢ ، وصحيح مسلم ، باب اللقطة ١٤ ، والإيمان ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ومسند ابن ماجة ، باب الأدب ٥ ، ومسند الإمام أحمد ٢/ ١٧٤ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٤٣٣ ، ٤٦٢ ، ٣/ ٧٦ ، ٤/ ٢١ ، ٥/ ٤١٢ ، ٩/ ٦٩ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

الإسلام ، وأخلاق النبيّين عليهم السلام ، وما ورد في هذاعـن النبيّ صلى الله عليه وعلى آله ومن بعده من أوائل السلف وأماثل الخلف ، وذوي الأدب والحكمة ، والبصائر والمعرفة ، وعن الشعراء قديمهم وحديثهم مدحاً وذمّاً أكثر من أنْ يُحصَى المختار من لطيفه وبديعه ، فضلاً عن أن يُحاط بجميعه ، وقد مضى في بعض مجالس كتابنا هذا صَدْرٌ منه ، ونحن نأتي فيما نستقبله منها بما يوفق الله تعالى بقوته ومشيئته ن .

[من بركة آل البيت]

حدثنا محمد بن عمر بن على الكاتب ، قال : حدثني حفص بن محمد الكاتب ، قال : حدثني علي بن محمد الكاتب ، قال : حدثني حمد بن الخصيب قبل وزارته ، قال : كنت كاتباً للسيدة شجاع أمّ المتوكل ، فإني ذات يوم في مجلسي في ديواني إذ خرج إليّ خادم خاص ومعه كيس ، فقال لي : يا أحمد ! إن السيدة أم أمير المؤمنين تقرئك السلام ، وتقول لك : هذه ألف دينار من طَيِّب مالي ، خُذْها وادفعها إلى قوم مستحقّين تكتبُ لي أسماءهم وأنسابهم ومنازلهم فكلما جاءنا من هذه الناحية شيءٌ صَرَفْناه إليهم ، فأخذت الكيس وصرت إلى منزلي ، ووجّهت خلف من أثق به فعرّفتهم ما أمرت به ، وسألتهم أن يُسموا لي من يعرفون من أهل الستر والحاجة ، فأسْمَوْا لي جماعةً ، ففرّقت فيهم ثلثمائة دينار وجاء الليل والمال بين يديّ لا أصيب مُحِقّاً ، وأنا أفكر في سُرَّ من رأى وبُعْد أقطارها وتكاثف أهلها ، ليس بها محقٌّ يأخذ ألف دينار ، وبين يديّ بعضُ حُرَمي ومضى من الليل ساعةٌ وغُلِّقت الدُّروبُ وطاف العَسَسُ ، وأنا مفكرٌ في أمر الدنانير ، إذ سمعتُ باب الدار يدقُّ ، وسمعت البواب يكلّم رجلاً من ورائِه ، فقلتُ : لبعض مَنْ بين يديّ : اعرف الخبر فعاد إليّ ،

فقال لي: بالباب فلان بن فلان العلويّ يسألُ الإذن عليك ، فقلت : مُرْه بالدخول ، وقلت : لمن بين يديّ من الحُرم : كونوا وراء هذا الستر ، فما قَصَدَنا في هذا الوقت إلّا لحاجة ، فدخل وسلم وجلس ، وقال لي : طَرَقَني في هذا الوقت طارق لرسول الّه صلى اللّه عليه وآله من ابنة لرسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا واللّه ما عندنا ولا أعْدَدنا ما يَعُدّ الناس ، ولم يكن في جواري من أقرع إليه غيرك ، فدفعت إليه ديناراً فشكر وانصرف ، وخرجتْ ربَّةُ المنزل ، فقالت : يا هذا تدفع إليك السيدةُ ألفَ دينار تدفعُها إلى مُجِقٍّ أحقّ من ابن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله في الدنيا ، مع ما قد شكاه إليك ؟ فقلت لها : فإيش السبيل ؟ قالت : تدفع الكيس إليه ، قلت : يا غلام ! رُدَّه ، فردّه فحدّثته بالحديث ودفعت الكيس إليه فأخذه وشكر وانصرف ، فلما ولَّى جاء إبليسُ لعنه اللّه ، فقال لي : المتوكلُ وانحرافهُ عن أهل هذا البيت ، يُدفع إليك ألفُ دينار تدفعها إلى مستحقّين تكتب أسماءهم وأنسابهم ومنازلهم ، فإيش تحتج ؟ وقد دفعتَ إلى عَلَويٍّ سبعَ مائة دينار ؟ فقلت لربة المنزل : وَقَّعتيني فيما أكره ، فإما سبع مائة دينار أو زوال النعم ، وعرَّفتُها ما عندي ، فقالت : اتكل على جَدِّهم ، فقلت : دَعِي هذا عَنْكِ ، المتوكل وانحرافه فإيش أحتج إيش أقول ؟ قالت : اتكل على جَدّهم ، فما زالت بمثل هذا القول ومثله إلى أن اطمأننت وسكت وتمت إلى فراشي ، فما استثقلتُ نوماً إلّا وصوت الفُرَانِق[1] على الباب ، فقلت : لبعض من يَقْرُب مني : مَنْ على الباب ؟ فعاد إلي ، فقال : رسول السيدة يأمرك بالركوب إليها الساعة فخرجت إلى صحن الدار والليل بحالته والنجوم بحالتها ، وجاء ثان وثالث فأدخلتهم ، فقلت : الليل بحالته !

(١) الفرانق : الدليل أمام الجيش .

فقالوا : لا بدّ من أن تركب فركبت فلم أصل إلى الجوسق[1] إلاّ وأنا في موكب من الرُّسُل ، فدخلت الدار فقبض خادمٌ علي يدي فأدخلني إلى الموضع الذي كنت أصل ، ووقفني ، وخرج خادم خَاصَّة من داخل فأخذ بيدي ، وقال : يا أحمد ! إنك تُكلِّم السيدة أم أمير المؤمنين فقف حيث توقف ، ولا تَكَلَّم حتى تُسْأَل ، وأدخلني إلى دار لطيفة فيها بيوت عليها ستورٌ مُسْبَلة ، وشَمْعةٌ وسط الدار ، فوقَفَنِي على بابٍ منها فوقفت لا أتكلم ، فصاح بي صائح ، قال : يا أحمد ! فقلت : لبيك يا أم أمير المؤمنين ، فقالت : حسابُ ألف دينار ، بل حساب سبع مائة دينار وبكت ، فقلت في نفسي : نكبة ! عَلَويٌّ أخذ المال ومضى ففتح دكاكين التجار في السوق واشترى حوائجه ، وتحدث فكتب به بعض أصحاب الأخبار ، فأمر المتوكِّل بقتلي وهي تبكي رحمةً لي ، ثم أمسكتْ عن الكلام ، وقالت : يا أحمد ! حساب ألف دينار بل حساب سبع مائة دينار ، ثم بكت ففعلت ذلك ثلاث مرات ثم أمسكتْ ، وسَأَلَتْني عن الحساب ، فصدَقْتُها عن القصة ، فلما بلغتُ إلى ذكر العلَويِّ بكتْ ، وقالت : يا أحمد ! جزاك الله خيراً وجزى من في منزلك خيراً ، تدري ما كان جرى الليلة ؟ قلت : لا ، قالت : كنت نائمة في فراشي فرأيت النبيَّ ﷺ وهو يقول : جزاك الله خيراً وجزى أحمد بن الخصيب خيراً ، ومن في منزله خيراً ، فقد فَرَّجتم في هذه الليلةَ عن ثلاثةٍ من وَلَدِي ، ما كان لهم شيءٌ ، خذ هذا الحليَّ مع هذه الثياب وهذه الدنانير وادفعها إلى العَلَويِّ ، وقل له : نحن نصرف عليك ما جاء من هذه الناحية ، وخذ هذا الحليَّ وهذه الثياب وهذا المال فادفعه إلى زوجتك ، وقل : يا مباركة ! جزاك الله عنّا

(١) الجوسق : القصر .

خيراً فهذه دلالتك ، وخذ هذا يا أحمد ، فدفَعَتْ إلي مالاً وثياباً ، وخرجتُ يُحملُ ذلك بين يديَّ ، وركبتُ منصرفاً إلى منزلي ، وكان طريقي على باب العَلويّ ، فقلت : أبدأ به إذ كان الله رَزَقنا هذا على يديه ، فدقَقْتُ الباب ، فقيل لي : من هذا ؟ فقلت : أحمد بن الخصيب ، فخرج إليّ فقال : يا أحمد هاتِ ما معك ، فقلت في بالي : وما يدريك ما معي ؟ فقال لي : انصرفتُ من عندك بما أخذتُه منك ولم يكن عندنا شيء فدخلت على بنت عمي فعرَّفْتُها الخبر ، ودفعتُ إليها المال ففرحَتْ ، وقالت : ما أريد أن تشتري شيئاً ولا آكل شيئاً ، ولكن قُمْ فَصَلِّ أنت وادْعُ حتى أؤمِّن على دعائِك ، فقمتُ فصلَّيتُ ودعوت وأمَّنَتْ ووضعتُ رأسي ونمتُ ، فرأيت جدِّي عليه السلام في النوم وهو يقول لي : قد شكرتُهم على ما كان منهم إليك ، وهم بارُّوكَ بشيءٍ فاقْبَلْه ، فدفعتُ إليه ما كان معي وانصرفتُ ، وصرت إلى منزلي فإذا ربَّة المنزل قلقة قائمة تُصلِّي وتدعو ، فعرفتْ أنّي قد جئت مُعَافىً ، فخرجت إليّ فسألتني عن خبري ، فحدَّثْتُها الحديث على وجهه ، فقالت لي : ألم أقل لك : اتكل على جَدِّهم ، رأيتَ ما فعل ؟ فدفعتُ إليها ما كان لها فأخذتْهُ .

قال : القاضي رحمةُ الله عليه : وجدتُ ابن الخصيب مخطِئاً في نسبة المتوكل إلى الانحراف عن أهل البيت ، وسأبيِّن فيما يأتي من مجالس هذا الكتاب ما يبطل قوله إن شاء الله تعالى .

[وقصة أخرى في هذا الشأن]

حدثنا أحمد بن محمد بن الحُسَيْن الشُّحَيْمي القاضي ، قال :

---

(١) انظر الخبر التالي في المستطرف ٢/ ٧١ نقلاً عما هنا .

حدثني عمر بن الحسن الحَرَضي ، قال : حدّثني عبدالله بن طاهر ، قال :

دخلتُ على إسحاق بن إبراهيم يوماً فقال لي : بينا أنا ذات يوم قاعدٌ دخل عليَّ رجل ، فقال : أنا رسولُ رسولِ اللَّهِ إليك ، قال لك : أطلق القاتل المحبوس ، فقلت : ليس عندي قاتل محبوس ، قال : فأمرت أن يُفَتَّش ، فذُكر لي رجلٌ فأمرتُ بإحضاره ، فرَفَع في قِصّة أنه رجلٌ وجد معه سكّينٌ أو أنهم وجدوا السكين معه ؟ فقلت له : ما قِصّتك ؟ فقال : أنا رجل بَتَرِيٌّ ، عملت كلَّ بليّةٍ من الزنا والفسق والشَّرِّ وكنّا جماعة في دار فأدخلنا امرأةً فصاحت ، فقالت : يا قوم ! اتّقوا اللّه فإني امرأة من ولد الحسنِ بن عليٍّ ومن ولد فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ ، قال : فدفعتُهم عنها ، فقالوا : أيا فاسق لمّا قضيت بحاجتك منها تدفعنا ، فجاذبتهم وجاذبوني حتى قتلتُ رجلاً منهم وخلَّصْتُها منهم ، فابتدرُوني ومعي السكين وحُبست ، قال : قلت : رسول رسول الله جاءني وأمرني بإطلاقك ، قال : فقال : فإني تائب إلى الله وإلى رسوله من كل شيءٍ كنتُ فيه ولا أعود في شيء منه أبداً فأطلقته .

قال الشحيمي : هذا معنى ما حدّثني به حفظته منه حفظاً .

قال القاضي : عمر بن الحسن الحَرَضِي هذا هو ابن الأُشْنَاني القاضي ، والحَرَض في كلام العرب الأُشنان والإناءُ الذي يجعل منه المُحْرضَة فاتهمه لنا الشحيمي لأنا حدثنا عنه هذه القصة قبل موته بسنين كثيرة .

[رأي القاضي في إطلاق سراح الرجل]

قال القاضي : ودفعُ هذا المحبوس مَنْ حاول مِن أصحابه ركوبَ

الفاحشة ـ على ما ذكر في هذا الخبر ـ حَسَنٌ في الدين ، جميلٌ في شريعة المسلمين ، وتخلية إسحاق بن إبراهيم سبيله وترك تَعَقُّبِه بمكروه أو عقوبة صواب ، إن كانت القصة جَرَتْ على ما حكاه ، مِنْ عَرَضٍ لمسلم أو مُعَاهَدٍ يريد به مكروهاً ، بغير حقٍّ في نفسه أو ماله ، فحقٌّ على المسلمين دَفْعُه عما قَصَده من ذلك وشرع فيه ، وحَرْبُه وقتالُه إن كانت له قُوّة وفيه مَنَعَةٌ ، وإن أبى دَفَعهُم إيّاه بالطَّعْنِ والضرب على نفسه إذ كان قصدهم دَفْعَه عن ظلمه ، وإعجازه عما يرومُه من بَغْيِهِ وعَدْوِه ، ودَمُهُ وما ناله من الجراح في نفسه وإتلافُ أعضائِهِ هَدَرٌ لا قِصَاصَ فيه ولا دِيَة ، ولا إرْشَ ولا حكومة ، ولا تبعةَ ولا عُقُوبة ، ولا غُرْم ولا كفارة ، وهذا هو القول المفهوم في الشريعة والموروث بين أهل الملّة ، والمستفيض بين أهل القبلة ، والمتقبل من مذاهب خاصة عُلماء الأئمة ، وعامَّةُ الأمة .

[التجمل مع المصائب]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا عثمان ، عن العتبي ، قال : لما توفي عبدالملك بن مروان أسف عليه عمر بن عبدالعزيز أسفاً منعه عن العيش وكان ناعماً فاستشعر[1] مِسْحاً[2] تحت ثيابه سبعين ليلة ، فقال له قاسم بن محمد[3] يوماً وهو يُفاكهه : أما علمت أن من مضى من سَلَفِنا كانوا يستحبون استقبال المصائب بالتجمل ، ومواجهة النِّعم

(١) استشعره : جعله شعاراً ، والشعار هو ما ولي الجسد دون غيره من الثياب .
(٢) المسح : الكساء من الشعر .
(٣) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، أبو محمد ، أحد فقهاء المدينة السبعة ، ولد فيها وتوفي بقديد (بين مكة والمدينة) حاجاً ، وكان صالحاً ثقة من سادات التابعين ، عمي في أواخر أيامه ، قال عنه ابن عيينة : كان القاسم أفضل أهل زمانه .
ترجمته في حلية الأولياء ٢/ ١٨٣ ، نكت الهميان ٢٣٠ .

بالتّواضع ، فراح عمر من عجيّة يومه ذلك في ثيابٍ مُوشّاة تُقَوَّم عليه بثمانمائة دينار .

[مالك بن أسماء يضرب للحجاج مثلاً]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: حدثني بن أبي سعيد، قال : حدثني أبو جعفر الضَّبِّي ، قال : عاصم بن الحَدَثَان ، حدثني مَنْ شهد الحجاج وهو يُعاتب مالك بن أسماء(1) وكان يستعمله على الحيرة وطَسُّوجِها(2) ، فشكاه أهل الحيرة فبعث إليه فقال : يا عدوّ الله ! استعملتُك وشرَّفتك وأردت أن ألحقك بعلية الرجال فأفسدت نعمتك ، وأشمتّ بأختك ضرائرها ، وفضحت نفسك ، وأقبلتَ على الباطل وما لا يحب الله من الشُّرب وقول الشعر ، والانتشار به وأقبلت تغنّي ، وتقول :

حبّذا ليلتي بتلّ بُوَنَّا حيث نُسْقَى شرابنا ونُغَنَّى
بشرب الكاسِ نُمت الكاس حتى يحسَبَ الجاهلون أنا جُنِنّا

أما لأُخْرِجَنّ جنونك من رأسك ، يا حَرَسيّ أَدْخل من بالباب من أهل الحيرة ، فدخلت جماعةٌ منهم شيخ من بني بَقِيلة ، فقال لهم ؛ أيُّ أميرٍ أميركم ؟ قال الشيخ : خيرُ أميرٍ ، غير أن الخمر غَلَتْ منذ وَلينا ، قال : وكيف ذاك ، قال الشيخ : أخذ ألفَ دِنٍّ في شهر ، قال الحجاج : قاتله اللّه ما أمكره من شيخ ! لجَادَ ما تخلّص إلى ما يريد ، قال : ومالكٌ ساكتٌ

(1) مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري ، أبو الحسن ، شاعر غزل ظريف من الولاة ، كان هو وأبوه من أشراف الكوفة ، وتزوج الحجاج أخته هند بنت أسماء ، وتقلد له خوارزم وأصبهان ، ووقع منه ما أوجب حبسه فترة طويلة .
انظر أخباره في الشعر والشعراء ٣٠٤ ، ومعجم الشعراء ٣٦٤ ، وسمط اللالي ١٥ .
(2) الطسوج : الناحية ، وهي معربة عنْ الفارسية .

لا يتكلم ، فأدخل عليه مِلْحَان بن قيسٍ الرّاسبيّ وكان شيخاً كبيراً قد شهد مشاهد الحَرُوريَّة فبُعِثَ إليه من البصرة ، فقال له الحجّاج : أمِلْحان ؟ قال : نعم ملْحان ، قال : أحمد الله الذي خَصَّني بقتلك وأراق دَمَكَ على يدي ، قال : فضحك ملحان ، وقال : والله ما رأيتُ رجلاً كاليوم أبعدَ من كل خير ولا أقرب من كل قبيح ، والله يا حجاج لو عرفت أنّ لَكَ رَبّاً وخِفْتَ عذاباً ورجوتَ ثواباً ، ما اجْتَرأت على الله هذه الجرأة ، دونَك دمي فأرِقْه ، فالحمد للّهِ الذي أكرمني بهوانك ، عليك لعنةُ الله وعلى من ولّاك ، فاستشاط الحجَّاجُ وغضب ، وقال : اضرب عنقه ، فضُرب عنقه فَتَدَهْدَهَ[1] رأسُه حتى كاد يصيبُ مالك بن أسماء ، قال : ثم سكن الحجاج قليلاً ، ثم قال لمالك : تكلم ، أما لك عُذرٌ ؟ قَبِلَ اللّهُ عُذْرَك ، فقال مالك : أصلح الله الأمير ، إنّ لي ولك مثلاً ، قال الحجاج : ما هو قَبّح الله أمثالكم يا أهل العراق ، قال : زعموا أن أسداً وثعلباً وذئباً اصطحبوا فخرجوا يتصيَّدُون ، فصادوا حماراً وظبياً وأرنباً ، فقال الأسد للذئب : يا أبا جعدة ! اقسم بيننا صيدنا ، قال : الأمر أبين من ذلك ، الحمار لك والأرنب لأبي معاوية ، والظبي لي ، فخبطه الأسد فأنْدَرَ رأسه ، ثم أقبل على الثعلب ، وقال : قاتله الله ما أجهله بالقسمة هاتِ أنت ، قال الثعلب : يا أبا الحارث ! الأمر أوضح من ذلك ، الحمار لِغَدَائِك والظَّبْيُ لعشائك وتخلَّلْ بالأرنب فيما بين ذلك ، قال الأسد : ما أقضاك ! من علّمك هذه القضيّة ؟ قال : رأسُ الذئب النَّادِرُ بين عيني ، ولكن رأس ملحان أبطل حجتي أصلحك الله ، قال : أخرجوه عني قبَّحه الله وقَبَّح أمثاله .

---

(١) تدهده : تدحرج .

قال عاصم بن الحدثان : ملحان الذي يقول : ـ

وأبيضَ مِخْبَاتٍ إذا الليل جَنَّهُ رَعَى حَذَرَ النَّارِ النُّجُومَ الطَّوالِعا
إذا استثقل الأقوامُ نوماً رأيتَهُ حذاراً عقاب الله لِلَّهِ ضَارِعا
فَطَوْراً تَبَكَّى سَاجِداً مُتَضرِّعاً وطوراً يناجِي اللّه وسْنان رَاكِعَا
صحبت فلم أَذْمُمْ وما ذَمَّ صُحْبتي وكان لخلّات المكارم جامعا
سَخِيّاً شجاعاً يَبْذُل النَّفْس في الوغى حَيَاةً إذا لاقى العدوَّ المقارعا
فلاقى المنايا مُسْلِمُ بن خويلد فلم يكُ إذْ لاقَى المنية جازعاً
مضى والقَنَا في نحره متقدِّماً إلى قِرْنِهِ حتّى تَكَعْكَعَ راجعا
وأدبرتِ الأقْرَان عَنْهُم وخافهم وكان قديماً للعَدُوِّ مُمَاصِعا
فمات حميداً مسلم بن خويلد لأهل التقى والحزم والحلم فاجعا

ومسلم بن خويلد بن زَيَّان الرَّاسِبي ، قُتل يوم النَّهروان ، وأمّ مسلم أخت وهب الرّاسبي أعقب السَّجَّاد، عبداللّه بن وهب[1] ذي الثفنات[2] وكان يقال له : السَّجَّاد .

قال : القاضي : حتى تكعكع راجعاً معناه ارتد راجعاً ووقف عن المضي والإستمرار على وتيرته ، وقوله : وكان قديماً للعدو مماصعاً : والمماصعة المضاربة والمجالدة ، يقال : ماصعه مماصعةً ومصاعاً مثل

(١) هو عبد الله بن وهب الراسبي الأزدي ، من أئمة الإباضية ، كان ذا علم ورأي وفصاحة وشجاعة ، وكان عجباً في العبادة ، سهد فتوح الغراق مع سعد ، ثم كان مع علي في حروبه ، ولما وقع التحكيم أنكره جماعة منهم الراسبي ، فاجتمعوا بالنهروان (بين بغداد وواسط) وأمروه عليهم ، فقاتلوا عليا ، وقتل الراسبي في هذه الوقعة .
انظر الكامل للمبرد ٢/ ١١٩ ، (الأعلام ٤/ ٢٨٨) .

(٢) الثفنات : واحدها ثفنة بكسر الفاء ، وهي الركبة ، أو ما يلقي به البعير الأرض من أجزاء جسمه فيغلظ ويجمد ، وكان يقال لعلي بن الحسين ذو الثفنات لأن مساجده صارت كثفنة البعير من كثرة صلاته .

ضاربه مضاربة وضراباً ، وقاتله مقاتلة وقتالا وصارعه مصارعة وصراعاً .

ومن المصاع ، قول الأعشى[1] :

إذا هنّ نازلن أقرانهن وكان المِصاعُ بما في الجُوَقْ

يصف جواري يلهون ويتلاعبن تضارباً بحُلِيِّهن ، وقال القطامي :

تراهم يَغْمِزُون من اسْتركُّوا ويجتبنونَ مَنْ صدق المِصَاعَا[2]

وروي عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في التذكية . إذا مَصَعت بذَنَبِها[3] وهو من هذا ، وجاء عن بعض أهل التأويل في البرق : « مَصْعُ مَلَكٍ »[4] في مثل هذا المعنى .

وفي المَثَل الذي ضربه مالك بن أسماء للحجاج تأديبٌ وتنبيه ، وقياس وتشبيه ، ويعتبر به ذوو اللب ، وتتمكّن حكمته في القلب .

ومما يضارع هذا المثل مما أتى به الحكماء على ألسن البهائم : ما ذكر من أن الأسد كان يلازمه ويحضر مجلسه ذئبٌ وثعلب ، وأن الأسد وجد علّةً فتأخر عنه الثعلب أياماً فتفقّده وسأله عنه ، فقال : ما فعل الثعلب فأنا لم أره منذ ثلاثة أيام مع ما عرض لي من المرض ، فانتهزها الذئب

---

(١) البيت في ديوانه ٢٠٦ ، واللسان (مصع) ، والجون واحدتها جونة وهي سلة مغشاة بأدم تكون للعطارين ، فيها العطر وغيره ، وهو يعني قتل النساء للرجال بما عليهن من الزينة .

(٢) انظر البيت في اللسان (مصع) أيضاً ، وصدق المصاع أي المجالدة والقتال ، فهم يجتنبون هؤلاء ويقصدون من أراد ترك القتال .

(٣) في اللسان أن هذا من كلام عبيد بن عمير ، يقوله في الموقوذة وهي من الشاء التي ضربت بالعصا حتى أشرفت على الموت ، فهو يسأل عن جواز ذبحها فقال : إذا مصعت بذنبها ، أي حركته لتضرب به ، فحينئذ يجوز ذبحها لأنها لم تمت بعد .

(٤) انظر هذا القول أيضاً في اللسان من حديث مجاهد ، وفسره بقوله : يسوق السحاب أي يضربه ضربة فترى البرق يلمع .

لِيُغري به الأسد ويفسد حاله عنده ، ويحمله على مكروهه ، فقال : أيها الملك ما هو إلا أن وقف على عِلَّتِك حتى استبدَّ بنفسه ومضى فيما يَخُصّه من كسبه ولهوه ، وبلغ الثعلب هذا فوافى الأسد فلما دخل عليه ، قال : ما أخَّرك عنِّي مع علَّتي وحاجتي إلى كونك بالقرب مني ، قال : أيها الملك لما وقفتُ على العِلَّة العارضة لك لم يَسْتقرّ بي قرار ، وجعلت أجول وأجوب الآفاق إلى أن وقفت على ما يشفي الملك من مرضه ، فقال : قد علمت أنك لا تفارق نصيحتي ولا تخرج عن طاعتي ، فما الذي وقفت عليه مما أَشْتَفِي به ، قال : تتناول خُصَى ذئب ، فإنه يُبرئك حين يستقرُّ في جوفك ، قال : أنا عامل على هذا ، وخرج الثعلب فجلس في دهليز الأسد ، ووافى الذئب فحين وقف بين يديه وثب عليه ، فالتهم خُصْيتيه ، فخرج والدمُ يسيل ويجري على فخذيه ، فلما مرَّ بالثعلب ، قال له : يا صاحب السِّروال الأحمر ، إذا جالست الملوك فانظر كيف تذكرُ حاشيتهم عندهم .

وقد روينا في بعض مجالسنا هذه أنه قيل لبعض الحكماء : ممن تعلَّمت العقل ؟ قال : ممن لا عقل له ، كنت أرى الجاهل يفعل الشيء فيضرُّه فأجتنبه .

[يا فتى ! ألست ظريفاً ؟]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا عامر بن عمران أبو عكرمة الضَّبِّي ، عن سليمان بن أبي شيخ ، قال :[1]

(١) انظر الخبر التالي في مصارع العشاق ٢٦٧ نقلاً عما هنا ، وبالرواية الأخرى التي يشير إليها المؤلف ، وهي عن عيسى بن يزيد بدلاً من عبد الله بن حسن في المصارع ٢٨٩ .

بينا عبدُالله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب عليهما السلام يطوف بالبيت ، إذ رأى امرأة تطوف وتنشد :

لا يقبل اللَّهُ من مَعْشُوقَةٍ عَمَلًا   يوماً وعَاشِقُها غَضْبَـانُ مهجورُ

قال القاضي : وفي غير هذه الرواية يليه بيتٌ آخر وهو :

وكيف يَأجُرُها في قتل عاشقها   لكنَّ عاشِقها في ذاك مأجور

فقال عبدالله للمرأة : يا أمة الله ! مثل هذا الكلام في مثل هذا الموقف ؟ فقالت : يا فتى ألست ظريفاً ؟ قال : بلى ، قالت : ألست راويةً للشِّعر ؟ قال : بلى ، قالت : أفلم تسمع الشاعر يقول :

بيضٌ غَرَائِر[1] ما هَمَمْنَ بريبةٍ   كَـظِبَـاءِ مكّـة صَيْـدُهُنَّ حَـرَامُ
يُحْسَبْنَ مِن لينِ الحديث زَوَانِيَا   ويَكُفُّهنّ عن الخَنَـا الإِسْـلَامُ

[رأي أبي زيد في أصحاب الحديث]

حدثنا محمد بن يحيى الصُّولي ، قال : حدثنا القاسمُ بن إسماعيل التَّنوخي :

سرق أصحابُ الحديث نعل أبي زيد سعيد بن أوس[2] ، فكان إذا جآء أصحاب الشعر والأخبار رمى ثيابه ولم يتفقدها ، وإذا جاء أصحاب

(١) في مصارع العشاق : أنس ، وفي ب : حرائر .
(٢) أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري (١١٩ ـ ٢١٥) أحد أئمة الأدب واللغة ، من أهل البصرة ، قال ابن الأنباري : كان سيبويه إذا قال سمعت الثقة عنى أبا زيد ، من تصانيفه المطبوعة : النوادر في اللغة ، والهمز ، والمطر ، واللبأ واللبن ، هذا غير كتبه التي تعرف بالاسم فقط حتى اليوم .
ترجمته في تاريخ بغداد ٩/ ٧٧ ، ونزهة الألباء ١٧٣ ، وإنباه الرواة ٣/ ٣٠ ـ ٣٥ .

الحديث ضَمّها إليه ، وقال : ضُمَّ يا ضَمَّام ، واحْذَر لا تنام .

[إنهنّ يكفُرْنَ العَشِير]

حدثنا أحمد بن جعفر بن موسى البرمكي ، قال : حدّثني ميمون بن هرون ، قال : حدثني عبدالله بن العباس بن الفضل بن الرّبيع ، عن جدّه الفضل بن الرّبيع . قال :

خرج أمير المؤمنين الرشيد من عند زُبَيْدة ـ وقد تغدَّى عندها ونام وشرب ـ وهو يضحك ، فقلت : قد سرَّني سرورُ أمير المؤمنين ، فقال : ما أضحكُ إلا تعجباً ، أكلت عند هذه المرأة ونمت وشربت فسمعت رَنَّةً ، فقلت : ما هذا ، قالوا : ثلثمائة ألف دينار وردت من مصر ، فقالت : هبها لي يا ابن عم، فدفعتها إليها فما برحت حتى عربدت، وقالت: أي خير رأيت منك ؟

قال القاضي : قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في النساء : « إنّهُنّ يكْفُرْنَ العَشِير »[1] ، وفَسَّرَه بما ذكرت من إحسان الرجل إليها وأنها تَرُبُّ منزلها[2] ، وتكشف وجهها بعد الحَجْر والخَطْر ، وتقول لزوجها : ما رأيت منك خيراً قطّ .

---

(١) انظر الحديث الشريف بروايات شتى في : مسند الإمام أحمد ١/ ٢٩٨ ، ٣٥٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، ٤٣٣ ، ٣/ ٣١٨ ، وصحيح البخاري ، باب الإيمان ٣١ ، والكسوف ٩ ، والنكاح ٨٨ ، وصحيح مسلم ، باب الكسوف ١٧ .

(٢) ترب منزلها : تملكه وتسيره .

المجلس السادس والثلاثون

[خير : شجرة في الجنة]

حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين الشُّحَيمي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن معاوية الضَّبِّي إملاءً بمصر ، قال : حدثنا أحمد بن محمد بن عمر بن يونس اليمامي ، قال : حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال : رسول الله ﷺ : « إن في الجنّة شجرة يقال لها خيراً ، أصلُها في منزل رجلٍ من قريش لا أسمّيه لكم ، وفرعها في سائر الجنّة ، فإذا قال الرجل لأخيه : جزاك الله خيراً ، فإنما يعني به تلك الشجرة » .

[لحن الراوي في كلمة خير]

قال : القاضي : هكذا أملّ علينا الشّحَيمي هذا الحديث ، ولفظ به كما رويناه ، فقال : يقال لها خيراً ، ولم يكن ذا علم بطريقه الإعراب ، ولعله لحن فيه فغيّره عن صوابه ، ولحن فيه بعضُ من تقدَّمه من رُواته الذين لا معرفة لهم بتصاريف الإعراب ووجوهه ، والصواب فيه عندي أن

يكون اللفظ في الخبر أتى على الصحة وهو يقال لها خير ، فلو كان اللفظ خيراء على فعلاء ، أو فَعْلَى على خَيْرى ، لكان وجهاً معروف المذهب في العربيّة ، غير أنه كان غير مصروف ولا مُنَوّن ، والمشهور من هذا الخبر التنوين ، وأن خيراً فيه من الخير الذي هو ضدّ الشر ، وقد جآء عن النبيّ ﷺ أنه قال : « إذا قال الرجل لأخيه : جزاك الله خيراً فقد أبلغ الثناء »[1] ، والعرب تقول : جزى الله فلاناً خيراً إذا دعت له ، وجزاه الله شرًّا إذا دعت عليه ، كما قال : الشاعر في المعنى الأول :

ألا رَجُـلاً جـزاهُ الله خيـراً   يَـدُلُّ على مُحَصِّلَةٍ تَبِيتُ[2]

وقال أبو مَعْبَد :

جزى اللَّهُ رَبُّ الناسِ خَيْرَ جزائِهِ   رفيقين قالا خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ[3]

---

(١) انظر الحديث الشريف في سنة الترمذي ، باب البر ٨٧ .

(٢) البيت لعمرو بن قعاس أو قنعاس ، والموصلة هي المرأة التي تخلص أي تحصل تراب المعدن ، وتبيت أي تبيتني عندها أو تبيت عندي نفعل كذا .
وقيل : المحصلة التي تميز الذهب من غيره ، ويبدو أن هذا القائل كان يعمل في هذه المهنة فكان يبحث عن امرأة من مهنته ، وبعد البيت :
تـرجـل جمـتي وتـقـم بـيـتي   وأعـطيـهـا الإتـاوة إن رضيـت
وقد اختلف النحويون في إعراب كلمة رجل الواردة في البيت ، فقال ابن بري : رجل فاعل بإضمار فعل يفسره يدل ، تقديره : هلا يدل رجل على محصلة ، وأنشد سيبويه ألا رجلا ، كما هنا ، وقال : تقديره : ألا تروني رجلاً ، وقيل بمعنى : هات لي رجلاً .
وقال الجوهري : ويروي : ألا رجل بالجبر بمعنى أما من رجل .
انظر البيت والأقوال فيه ، في : سيبويه ١/ ٣٥٩ ، واللسان (حصل) ، ونوادر أبي زيد ٥٦ ، وشرح الأشموني لألفية ابن مالك ٢/ ١٦ ، ومغنى اللبيب ٧٧ .

(٣) البيت لأحد الجن كما ذكر في السيرة ٣٣٠ ، وسيرة ابن سيد الناس ١/ ١٨٩ ، وشذور الذهب ٢٣٥ .
وهو يعني بالرفيقين الرسول الكريم وصاحبه أبا بكر الصديق ، وذلك في أثناء الهجرة حينما قالا أي استراحا ظهراً في خيمة أم معبد .

وقال الحُطَيئة في المعنى الثاني يهجُو أمَّه :

جَـزَاكِ اللَّهُ شَـرًّا من عَجُـوزٍ   ولَقَّـاكِ العُقُـوقَ من البَنِينـا[1]

وهذا الوجه هو المعروف بين خاصّة الناس وعامتهم ، وغير ممتنع عندي أن يكون خير اسم الشجرة ويَعْني بقولِ القائل : جزاك الله خيراً الخير المعروف ، فيجزى تلك الشجرة إذا كانت خيراً من الخُيُور ، ونظير ذلك قولهم : ويلٌ لفلان ، وذكر سيبويه أنه قُبُوح[2] ، وقال : غيره نحو ذلك[3] ، وجاء عن عددٍ من أهل التأويل أنه وادٍ في جهنم[4] ، فتأمّل هذا فإنه وجْهٌ لطيفٌ حَسَن .

[إنه شيطان الأحلام]

حدثنا الحسن بن أحمد بن محمد بن سعيد الكلبي ، قال : حدثنا محمد بن زكريا الغلابي ، قال : حدثني يعقوب بن جعفر بن سليمان ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن أم الحسن بنت جعفر بن حسن بن حسن ، عن فاطمة بنت الحسين ، عن عمتها زينب بنت عليٍّ عليهم السلام ، عن أسماء بنت عُمَيْس ، قالت :

---

(١) انظر ديوانه .

(٢) أي قبحا ، قال في اللسان (قبح) ، وقال سيبويه : ويل له وويلاً له أي قبحا ، الرفع على الاسم والنصب على المصدر ، وقال في قوله تعالى : ويل للمطففين : لا ينبغي أن يقال ويل دعاء ها هنا ، لأنه قبيح في اللفظ ، ولكن العباد كلموا بكلامهم وجاء القرآن على لغتهم على مقدار فهمهم ، فكأنه قيل لهم : ويْل للمكذبين أي هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم .

(٣) هو الأصمعي فقد قال : الويل قبوح والويح ترحم والويس تصغيرهما أي دونها .

(٤) وهذا وارد عن رسول الله ﷺ حين يقول : « الويل وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً . . . » ، وهو وارد أيضاً في اللسان .

أُهْدِيَ إلى رسول الله ﷺ عَنَاقٌ[1] مَشْوِيَّة فبعث إلى فاطمة ، وعليٍّ ، والحسن والحسين عليهم السلام ، فأجلسهم معه ليأكلوا فأول من ضرب بيده إليها الحسن فجذبت فاطمة يده وبكت ، فقال : لها رسول الله ﷺ : فِدَاكِ أبوك ! ما شأنك لم تبكين ؟ قالت : يا رسول الله رأيت في منامي البارحة كأنه أهدي إليك هذه العَناق وكأنَّك جمعتنا ، فأولُ من ضرب بيده إليها الحسنُ فأكل فمات ، فقال ﷺ : كُفُّوا ، ثم قال : يا رؤيا ! فأجابه شيءٌ : لبَّيك يا رسول الله ، قال : هل أريْتَ حبيبتي شيئاً ؟ قال : لا والذي بعثك بالحق ، فقال : يا أضغاث ! قال شيءٌ : لبَّيك يا رسول الله ، قال : هل أريتَ حبيبتي شيئاً ؟ قال : لا والذي بعثك بالحق ، قال : يا حديث النفس ! فأجابه شيءٌ : لبيك يا رسول الله ، قال : هل أريت حبيبتي شيئاً ؟ قال : لا والذي بعثك بالحق ، قال : يا شيطان الأحلام ! أجابه شيءٌ : لبَّيْك يا رسول الله ، قال : هل أريتَ حبيبتي شيئاً ؟ قال : نعم ، أريتها كذا وكذا ، قال : ما حملك على ذلك ؟ قال : العَبَث ، فقال : لا تَعُدْ إليها ، ثم تفل عن يساره ثلاثاً ، وقال : أعوذ باللَّهِ من شرِّ ما رأيت ، ثم قال : كُلُوا بسم الله .

[خبران يرويهما الزهري عن نفسه]

حدثنا الحسن بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا ابن أبي سعيد ، قال : حدثني أبو عمرو القَعْنَبِيّ ، قال : حدثنا صفوان بن هُبيرة التميمي ، عن الصَّدفي ، عن الزُّهْري ، قال :

أتيتُ عبد الملك بن مروان فاستأذنت عليه فلم يُؤْذَنْ لي ، فدخل

---

(١) العناق : الأنثى من ولد العيز أو الغنم من حين الولادة إلى تمام حول ، الجمع : أعنق ، وعنق وعنوق .

الحاجب ، فقال : يا أمير المؤمنين إن بالباب رجلاً شابًّا أحمر ، زعم أنه من قريش ، قال : صِفْه فوصفه له ، قال : لا أعرفه إلا أن يكون من ولد مُسلم بن شهاب ، فدخل عليه ، فقال : هو من بني مسلم فدخلت ، فقال : من أنت ؟ فانتسبت له وقلت : إنّ أبي هلَك وترك عيالاً صِبية ، وكان رجلاً مِتْلافاً لم يترك مالاً ، فقال : لي عبد الملك : أقرأت القرآن ؟ قلت : نعم بإعرابه ، قال : وما ينبغي منه من وجوهه وعِلَلِه ؟ قال : قلت : نعم ، قال : إنما فوق ذلك فضل إنما يراد أن يُعَايا به ويلغز به ، قلت : نعم ، قال : تعلَّمتَ الفرائض ؟ قلت : نعم ، قال : الصُّلْبُ والجَدُّ واختلافهما ؟ قلت : أرجو أن أكون قد فعلت ، قال : وكم دَيْنُ أبيك ؟ قلت له : كذا وكذا ، قال : قد قضى الله دَيْنَ أبيك ، وأمر لي : بجائزة ورزق يجري ، وشراء دارٍ قطيعةٍ بالمدينة ، وقال : اذهب فاطلب العلم ولا تَشَاغَل عنه بشيءٍ فإني أرى لك عيناً حافظة وقلباً زاكياً[1] ، وائت الأنصار في منازلهم ، قال الزهري وكنت أخذت العلم عنهم بالمدينة ، فلما خرجت إليهم إذا عِلْم جَمٌّ فأتْبعْتُهم حتى ذُكرتْ لي امرأة نحو قباء تروي رُؤ يا فأتيتُها ، فقلت : أخبريني برؤ ياك ، قال : فقالت : كان لي ولدان واحدٌ حين حَبَا ، والآخر يتبعه ، وهلك أبوهما وترك واهناً وداجناً ونَخَلات ، فكان الدَّاجنُ نشرب لبنها ونأكل تمر النخلات، فإني لبين النائِمة واليقظانَة ـ قال : القاضي : هكذا في الخبر والمشهور في العَربيّة اليقظى ـ ولنا جَدْيٌ فرأيت كأن ابني الأكبر قد جاء إلى شَفْرةٍ لنا فأخذها ، وقال يا أمَّه ! قد أضْرَرْتِ بنا وحبست اللبن عَنّا ، فأخذ الشفرة وقام إلى ولد الدَّاجن فذبحه بتلك الشَّفرة ، ثم نصب قدراً لنا ثم قطّعه ووضعه فيها ، ثم

---

(١) زاكيا : أي صالحاً نامياً .

قام إلى أخيه فذبحهُ بتلك الشفرة ، واستنبهت مذعورة وإذا ابني الأكبر قد جاء، فقال: يا أمّه ! أين اللبن ، فقلت : يشربه ولد هذه الداجن ، فقال : ما لنا في هذا من شيْءٍ ، وقام إلى الشفرة فأخذها ثم أمرَّها على حلق الدّاجن ثم نصب القدر ، قالت : فلم أكلمه حتى قمت إلى ابني الصغير فاحتضنته فأتيتُ به بعض بيوت الجيران فخبأته عندهم ، ثم أقبلت مغتمة لما رأيت ، ثم صعد على بعض تلك النخلات فأنزل رطباً ثم قال : يا أُمّه ! أُدْني فكُلِي ، قلت : لا أريد ، ثم مضى في بعض حوائجه وترك القدر فإني لمنكبّة على بُلَيْس عندي إذ ذهب بي النوم فإذا أنا بآتٍ قد أتاني ، فقال : مالك مُغتَمّة ؟ فقلت : لكذا وكذا ، ولأن ابني صنع كذا وكذا ، فنادى يا رؤ ياه يا رؤ ياه ! فجاءت امرأةٌ شابةٌ حسنة الوجه طيّبة الرّيح ، فقال : ما أردتِ من هذه المرأة الصالحة ، قالت : ما أردت منها شيئاً ، فنادى : يا أحلام يا أحلام ! فأقبلت امرأةٌ دونها في السِّنِّ واللباس والطيب ، فقال : ما أردت من هذه المرأة الصالحة ؟ قالت : ما أردت منها شيئاً ، فنادى : يا أضْغَاثُ يا أضْغَاث ! فأقبلت امرأةٌ سوداء الخلقة وسخةُ الثياب دونها ، فقال : ما أردت من هذه المرأة ؟ قالت : رأيتها صالحة فأردت أن أغُمَّها ، قالت : ثم انتبهت فإذا ابني قد أقبل ، فقال : يا أُمّه ! أين أخي ؟ قلت : لا أدري حَبَا إلى بعض الجيران ، قالت : فذهب يمشي لهو أهدى إلى موضعه حتى أخذه وجاء به فقبّله ، ثم قعد فأكل وأكلت معه .

قال القاضي : قوله في الخبر وترك لي ماهِناً وداجِناً ، الماهن : الخادم ، ويقال : مَهَن الرجل مِهْنةً ومَهْنَةً ، وفلان في مِهْنة أهله ومَهْنَةِ أهله ، والفتح عند كثير من أهل اللغة أعلى ، ويقال : مَهُن مَهَانةً من الهَوَان ، ومن الماهن بمعنى الخادم ، قول الشاعر :

وهَزئْنَ مِنِّي أن رأَينَ مُوَيْهِناً   تَبـدُو عليه شَتَـامَةُ المَمْلُوكِ[1]

وأما الداجن فهي الشاةُ من شياهِ البيوتِ التي تُعْلَفُ ، وجمهور الفقهاء لا ترى في دواجن الشَّاءِ زكاة ، وهو مذهب عامة أهل العراق وبه نقول ، وقد أوجب عددٌ من فقهاء الحجاز الزكاة في دواجن الغنم ، كما أوجبها الجميع في سوائمها، واختلافهم في عوامل الإبل والبقر كاختلافهم في دواجن الغنم ، وكلامنا في هذا على استقصاءِ الحُجج مرسوم فيما ألّفناه من كتبنا في الفقه .

وقول المرأة : وإني لمتكِئةٍ على بَلَسٍ لي ، البَلَسُ : بعضُ ما يكون في رَحْلِ القوم من المتاع الذي يُتَّكَأُ عليه ، وهو اسمٌ اعجمي لا أعرفه في العربية وأراه بالروميّة وقد استعمل على تَوَلُّدِه قديماً وحديثاً فروي في خبرٍ ذكر أن أبا جعفر الجمحي نَظَر بين الحسن بن زيد ومحمد بن عبد العزيز ، فقال : إنه أقامني على البَلَسِ يعني الحسن ، فكأنّه اسم لما يُعَلَّى عليه من كراسيّ أو ما أشبهه[2] ن .

ومما انتهى إلينا من عجائب أخبار الرؤ يا ما يُتْعب جمعه وتصعب الإحاطة به ، وإذا عثرنا منه على شيءٍ أتيناه في مستقبل مجالسنا مما تيسر منه ، إذ لم نَبْن كتابنا هذا على استقصاء نوع نوع مما يشتمل عليه ، وإنما نأتي منه بأبواب ممتزجة ، وأجناس موشحة ، والخروج من قصة إلى قصة ن .

---

(۱) البيت في اللسان (مهن) وفي البرصان والعرجان للجاحظ ، والشتامة : قبح الوجه .

(۲) فسر البلس في اللسان (بلس) بأنها غرائر كبار من مسح (شعر) يجعل فيها التبن ، ويشهر عليها من ينكل به وينادي عليه ، ومن دعائهم : أرانيه الله على البلس .

[سبب حدوث الزلزلة]

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقري ، قال : أخبرنا علي بن العبّاس بالكوفة ، قال : أخبرنا أبو الأسباط ، قال : أخبرنا عبد الرحمن ، عن حسين ، قال : سمعت أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام يقول :

لما خلق الله تعالى ذكره الحوتَ الذي على ظهره الأرض استعظم في نفسه واستكبر ، وقال : ما خلق الله خلقاً هو أقوى منّي فعلم الله ذلك منه ، فخلق سمكة أكبر من النملة وأصغر من الجرادة ، فدخلت في مِنْخَرَيْهِ فضعف أربعين خريفاً ثم خرجت ، ثم إذا أراد الله يومَ زلزلةٍ تراءت له تلك السمكة فاضطرب من خوفها فاضطربت الأرض .

قال القاضي : رُوينا في الزلزلة هذا القول وقد جاء في كثير من الأخبار أنها من حركة الحوت واضطرابه من غير ذكر السمكة المحكيّ في هذا الخبر ودخولها في أنفه ، وهي في الجملة من الآيات التي يخوف الله بها عباده ، ويَحُثُّ بها إلى طاعته ، والتفكُّر في عجائب صنعته ، ومجانبة معصيته .

والزلزلةُ يقلُّ حُدُوثُها في بعض الأَرَضين ويكثر في بعضها ، كما يكثر المطر في بعض البلدان كطبرستان ويقلُّ في بعضها كمصر ، ونظير هذا ما يشاهد من الجَزْرِ والمدِّ في بعض الأنهار دون بعض وقد جاء عن بعض السلف أنه قال ـ وقد سُئِل عن الجزر والمدّ : إن الله تعالى وكَّلَ مَلَكاً بقاموس البحر فإذا وضع قدمه فيه فاض ، وإذا رفعها غاض .

وممّن روي ذلك عنه ابن عباس ، وأي الوجوه كان معناه فهو من

عجيب آيات الله تعالى ذكره وبديع صنعته ، وفيه دليل ظاهر على توحيده ولطيف حكمته ، وظهور قدرته .

وقد ذكر عن سفيان بن عيينة أنه قال : لولا أنّ سفيان الثوري أو الفُضَيْل بن عِياض - أنا أَشُكُّ - أخبرني عن الجَزْرِ والمدِّ لما صدَّقْتُ ، ورأيت غلاماً لي وأنا مُصْعَد من البصرة جالساً في جانب السفينة ناظراً إلى شاطىء دجلة منذ طلوع الشمس إلى قريبٍ من زوالها ثم أقبل علينا ، فقال : لا إله إلا الله ، ما أعجب هذا ! أنا أراعي دجلة منذ غُدْوةٍ والماء بحاله لم يزد ولم يَنْقُص ، فعجب من فَقْدِه الجزر والمدَّ إذ لم يره[1] ن . وأمّا ما قاله المنجمون وغيرهم من الفلاسفة في هذا فإننا لم نؤثر ذكره في هذا الموضع وهذا معنًى لا يقع العلم به إلاّ بخبرٍ عن الله تعالى في كتابه أو على لسان رسوله ، ولا ضرر على أحدٍ من الخلق في فوت العلم به ، ولو كان ممّا يحتاج الناسُ إلى معرفته ، وكُلِّفُوا علمه ، لنصب الله تعالى جَدُّه لهم دليلاً عليه ، وجعل لهم سبيلاً هادياً إليه ، فالاعتبار به واجب ، والإيمان بأنه من حكمة الله وصحة تدبيره وحسن تقديره لازم ، وإن ثبت فيه ما يحيط العلماء من الخلق بحقيقته عمن يلزم الحجة بقوله ؛ وجب التسليم له والدَّيْنُونة به .

[أعرابيٌّ ظريف عند أحد العُبَّاد]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا الرياشيّ ، عن محمد بن سلام ، عن أبيه ، قال :

(١) المد : هو ارتفاع الماء على الشاطىء ، والجزر : انحساره ، وهو يحدث في الليالي القمرية على ما هو معروف في علم الجغرافيا ، ومشاهد الآن ، أما ما يذكره المؤلف هنا فهو تصور الناس قديماً لهذه الظواهر الطبيعية قبل تقدم العلوم واكتشاف الإنسان لأسباب هذه الظواهر .

حدثني شيخ من بني ضبة ، قال : رأيتُ أعرابيًّا كبير السِّنِّ كثير المزاح ، بيده مِحْجَنٌ[1] ، وهو يجرُّ رجليه حتى وقف على مِسْعَرِ بن كِدَام[2] وهو يصلِّي ، فأطال الصلاة والأعرابيّ واقف ، فلما أعيا قعد ، حتى إذا فرغ مِسْعَرٌ من صلاته سلّم الأعرابيُّ عليه ، وقال له : خُذْ من الصلاة كفيلاً فتبسم مِسْعَرٌ ، وقال : عليك بما يُجْدِي عليك نَفْعُه ، يا شيخ كم تَعُد ؟ قال : مائة وبضع عشرة سنة ، قال : في بعضها ما كفى واعظاً فاعمل لنفسك ، فقال :

أُحبُّ اللَّواتي هُنَّ من وُرْقِ الصِّبا ... ومن هُنَّ عن أزواجِهن طِماحُ
مُسِرَّاتُ بُغْضٍ مُظْهِراتُ مودةٍ ... تَرَاهُنَّ كالمرضى وهُنَّ صِحَاحُ

فقال مسعر : أفٍّ لك ، فقال : والله ما بأخيك حَرَكةٌ منذ أربعين سنة ، ولكنه بحرٌ يجيش ويرمي بزبده ، فضحك مِسْعر ، وقال : إن الشعر كلامٌ حَسَنُهُ حَسَن وقَبِيحُه قبيح[3] ن .

[جزاء مجالسة الأنذال]

حدثنا أبو النَّضر العُقَيلي ، قال : أخبرنا أبو إسحاق طلحة بن عبدالله الطَّلحي ، قال : أخبرنا الزبير بن أبي بكر ، قال : كان بشكستُ النحويُّ المدنيّ وفد على هشام بن عبد الملك فلما حضر الغَدَاء دعاه هشام ، وقال

(١) المحجن : كل معوج الرأس كالصولجان ، ولعل المقصود بها هنا : عصا معوجة الرأس كان الأعرابي يتوكّأ عليها .

(٢) مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي العامري ، أبو سلمة ، من ثقات أهل الحديث ، كان يقال له المصحف لعظم الثقة بما يرويه ، روى نحو ألف حديث ، توفي بمكة سنة ١٥٢ هـ . ترجمته في حلية الأولياء ٧/ ٢٠٩ ، والمعارف ٢١١ .

(٣) الخبر في مصارع العشاق ٢٦٩ ، نقلاً عن المعافي .

لفتيان من بني أمية : تَلاَحَنُوا عليه ، فجعل أحدهم يقول : يا أمير المؤمنين ! رأيتَ أبي فلان ، ويقول الآخر : مرّ بي أبا فلان ، ونحو هذا ، فلما ضجر أدخل يده في صَحْفَةٍ فغمسها ثم طلى لحيته ، وقال لنفسه : ذُوقي هذا جزاؤُك في مجالسة الأنذال .

[من أخبار خالد بن يزيد الكاتب]

حدثنا يزيد بن الحسن البزّاز ، قال : حدثني خالد الكاتب[1] ، قال :

دخلتُ على أبي عباد أبي الرَّغل بن أبي عَبَّاد[2] ، وعنده أحمد بن يحيى وابن الأعرابي فرفع مجلسي ، فقال له ابن الأعرابي : من هذا الفتى الذي أراك ترفع من قدره ؟ قال : أوِ ما تعرفه ؟ قال : اللهم لا ، قال : هذا خالد الكاتب الذي يقول الشعر ، فقال : أنشدني من قولك شيئاً فأنشدته :

لو كان من بَشَرٍ لم يَفْتِنِ البَشَرا ولم يَفُقْ في الضياء الشمس والقمرا
نـور تجسَّم مُنْحَـلٌ ومُنْعقِـدٌ لو أدركتْه عيونُ الناس لانكدرا[3]

فصاح ابن الأعرابي ، وقال : كفرت يا خالد هذه صفة الخالق ليست صفة المخلوق ، فأنشدني ما قلت غير هذا ، فأنشدته :

أراك لما لَججْتَ في غَضَبِك تَتْـرُكُ رَدَّ السَّلَامِ في كُتُبِـك

---

(١) سبقت ترجمته في الجزء الأول .
(٢) كان كاتباً للمأمون ، ومن مضحكيه ، انظر بعض أخباره في تاريخ الطبري ٨/ ٢١٨ ، والموفقيات ٧٣ .
(٣) لم ترد هذه الشطرة في ب .

حتى اتيت على قولي :

أقـولُ للسُّقْم عُدْ إلى بـدني   حُبًّـا لِشفاً يكـون من سَببك

فصاح ابن الأعرابي ، وقال : إنك لفَطِنٌ وفوق ما وصفت به[1] .

قال القاضي : ابن الأعرابي هذا أولى بصفة الكُفر من خالد ، لأن خالداً لم يَصِفْ مَنْ ذكَرَهُ في شعره إلّا بصفة المخلوقين ، إذ النورُ مخلوق متجسِّمُه ومُنْحلُّهُ ومنعقِدُه ، وهو والظلمة من خلق الله تعالى ، وإنما ينكر خَلْقَهُمَا ويَدَّعي أنهما أصلان قديمان الثَّنَوية[2] ، وابن الأعرابي إذ جعل هذه الصفة للخالق دون المخلوق جاهل بالدين ، ضال عن سبيل المؤمنين .

[لا يقبلها أو يعرفه]

حدثنا أحمد بن جعفر بن موسى البرمكي ، قال : قال خالد الكاتب :

وقف عليّ رجلٌ بعد العشاء مُتَلَفِّحٌ برداء عَدَنِيٍّ أسود ومعه غلام معه صُرَّة ، فقال لي : أنت خالد ؟ قلت : نعم ، قال : أنت الذي يقول :

قد بكى العاذلُ لِي من رَحْمتي   فـبـكـائي لـبـكـاءِ الـعـاذل

قلت : نعم ، قال : يا غلام ادفع إليه الذي معك ، فقلت : وما هذا ، قال : ثلثمائة دينار ، قلت : والله لا أقبلها أو أعرفك ، قال : أنا إبراهيم بن المهدي[3] .

---

(١) الخبر في مصارع العشاق ٢٦٩ ، نقلاً عن المعافي .
(٢) الثنوية : فرقة تقول بالهين ، إله للخير ، وإله للشر .
(٣) وهذا الخبر في مصارع العشاق ٢٦٩ .

[الحب أعظم مما بالمجانين]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني محمد بن المرزبان ، قال : حدثنا زكريا بن موسى ، قال : حدثنا شعيب بن السكن ، عن يونس النحوي ، قال :

لما اختلط عقل قيس المجنون وامتنع عن الطعام والشراب مضت أمه إلى ليلى ، فقالت لها : يا هذه قد لحق ابني بسببك ما قد علمت ، فلو صِرْت معي إليه رجوتُ أن يثوب لُبُّهُ ويرجَع عقلُه ، إذا عاينك ، فقالت أما نهاراً فلا أقدر على ذلك ، لأني لا آمن الحيَّ على نفسي ، ولكن أمضي معك ليلا ، فلما كان الليل صارت إليه ، فقالت : له : يا قيس إن أُمَّك تزعم أن عقلك ذهب بسَببي ، وأن الذي لحقك أنا أصلُه ، ففتح عينيه فنظر إليها ، وأنشا يقول :

قالت جُنِنْتَ على ذِكْرِي فقلتُ لها   الحبُّ أعظمُ مما بالمجانين

الحبُّ ليس يُفِيقُ الدَّهْرَ صاحِبُهُ   وإنما يُصرعُ المجنونُ في الحين(١)

[كان يظنّهُ هجاءً]

حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي ، قال : حدثنا أبو إبراهيم الزُّهري ، قال : حدثنا إبراهيم بن المنذر الخرامي ، قال : حدثني معن بن عيسى ، قال :

دخل ابنُ سَرْجُون السُّلَمي على مالك بن أنس وأنا عنده ، فقال له : يا أبا عبدالله ! إني قد قلت أبياتاً من شعرٍ وذكرتُك فيها ، فاجعلني في

---

(١) الخبر نقلاً عن المؤلف في مصارع العشاق ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

حلٌّ ، قال : أنت في حلٍّ ، قال : أُحِبُّ أن تسمعها ، قال : لا حاجة لي بذلك ، فقال : بلى ، قال : هات ، فقال : قلت :

سَلُوا مَالِكَ المُفْتِي عن اللَّهو والغِناْ وحُبِّ الحِسان المُعْجبات الفَوَارِكِ
ينبِئـكمُ أنِّـي مصـيبٌ وإنّـمـا أُسلِّي هموم النفس عنّي بذلك
فهَل فى محبٍّ يكتم الحب والهوى أثامٌ وهل في ضَمَّةِ المتهالكِ

فضحك مالك وسُرِّي عنه ، وقال : لا إن شاء الله ، وكان ظن أنه هجاه[1] .

[بيتان لأبي العتاهية من أحسن الشعر]

حدثنا الحسن بن إسماعيل المحاملي ، قال : حدثنا عبدالله بن أبي سعيد ، قال : حدثني محمد بن علي ابن حمزة الهاشميّ ، قال : حدثني عليُّ بن إبراهيم ، قال : أخبرني موسى بن عبد الملك ، قال :

جاء أبو العتاهية يريد الدخول على أحمد بن يوسف[2] فمنعه الحاجب فكتب إليه :

ألم تَرَأنَّ الفَقْر يُرْجَى له الغِنَى وأنَّ الغِنَى يُخْشَى عليه من الفَقْرِ

قال : فقلت له : لا تَتَعرض له وأسْكِتْهُ عنك ، فوجه إليه بخمسة

(١) ورد الخبر برواية المعافي بن زكريا في مصارع العشاق ٢٧٢ ، وانظر أيضاً ٢٥١ .

(٢) هو أحمد بن يوسف بن صبيح العجلي ولاء ، وزير من كبار الكتاب ، ولي ديوان الرسائل للمأمون ، ثم استوزره بعد أحمد بن أبي خالد الأحول ، وأصله من الكوفة . وتوفي ببغداد سنة ٢١٣ هـ .

ترجمته في الوزراء والكتاب ٣٠٤ ، ومعجم الأدباء ٢/ ١٦٠ ، وتاريخ بغداد ٥/ ٢١٦ ، والخبر الوارد هنا فيه .

آلاف درهم ، قال علي بن إبراهيم : فأعلمت ذلك عليَّ بن جبلة ، فقال : بئسما صنع كان ينبغي أنْ يقول له :

أحمدُ ، إن الفقر يرجى له الغنى . . . .

فيشيد باسمه ،

قال : القاضي قد رُوينا هذا الخبر عن أبي العتاهية من غير هذا الطريق ، وبعد بيته الذي فيه بيت آخر وهو :

ألم ترأن البَحْر يَنْضُبُ مَاؤُهُ وتأتي على حيتانه نُوَبُ الدَّهْر

[من لحن العامة]

في ينضب لغتان ، ضم عين الفعل وكسرها وماضيه نَضَب بالفتح ، وإنما ذكرت هذه لأنني أسمع العامّة يقولون فيه : ينضَب بالفتح وربما قالوا : نضِب بكسر الضّاد في الماضي ، وهذان البيتان لأبي العتاهية من أحسن الشعر وأوضحه ، على أنه قد سبقه إلى بيته الأول القائل :

فما يدري الفقير متى غِنَاه وما يَدْرِي الغَنِيُّ متى يَعِيلُ

وفيه حكمة وعبرة ، وقد قال رسول الله ﷺ : « إن من الشِّعْر لحِكْمة » .

[عُذْرِيٌّ ورب الكعبة]

حدثنا جعفر بن محمد بن نصير الخواص ، قال : حدثنا أبو العباس ابن مَسْروق ، قال : حدثنا عبدالله بن شبيب ، قال : حدثنا محمد بن عبد الصمد البكري ، أخبرنا ابن عيينة ، قال :

قال سعيد بن عُقبة الهمداني لأعرابي : ممّن أنت ، فقال : من قوم

إذا عشقوا ماتوا ، قال : عُذْرِيٌّ وربِّ الكعبة ، فقلت : ومِمَّ ذاك ، قال : في نسائنا صباحة ، وفي فتياننا عفَّة[1] .

[أتلف ثلاثين ألف ألف درهم]

حدثنا يزداد بن عبد الرحمن بن يزداد ، قال : حدثنا موسى بن إسماعيل البصري ، قال : وحدثني ابن أبي زهير العبسي ، عن عيسى بن أبي شيبة الأصغر ، قال :

دخل عبيدالله بن أبي بكرة[2] على الحجّاج وفي إصبعه خَاتَم ، فقال له : يا عبيدالله ! على كم ختمت بخاتمك هذا ؟ قال : على ثلاثين ألف ألف ، قال : ففيم أتْلَفْتها ، قال : في تَزَوُّج العقائل والمكافأة بالصنائع ، وأكل الحارّ وشُرْبِ القار ، قال : أراك ضليعاً ، قال : ذاك أصلحك الله لأني لا آكل إلّا على نقاء ، ولا أجامع إلّا على شهوة ، فإذا كان الليل رَوَّيْتُ قدميَّ زَنْبقاً ، ورأسي بَنَفْسجة يصعد هذا ويحدِر هذا فالتقيا في المعدة فَعقَد الشحم .

قال القاضي : العقائل جمع عقيلة ، والعقيلة : دُرَّةُ البحر ، وبها سميت المرأة لكرامتها ، قال ابن قيس الرُّقَيات :

تُذْهِلُ الشَّيخ عن بَنِيه وتَبْدِي   عن خِـدَامِ العَقِيلةُ العَذْرَاءُ[3]

---

(1) انظر هذا الخبر في مصارع العشاق ٢٧٢

(2) عبد الله بن أبي بكرة الثقفي ، أبو حاتم ، تابعي ثقة من أهل البصرة ، وهو أول من قرأ القرآن بالألحان ، وكانت له ثروة واسعة فاشتهر بالجود الفائق حتى إنه كان ينفق على أربعين داراً عن يمينه وأربعين عن يساره وأربعين أمامه وأربعين خلفه ويبعث إليهم بالتحف والكسوة ويزوج من أراد منهم الزواج ، ويعتق في كل عيد مئة عبد ، توفي سنة ٧٩ هـ . ترجمته في تاريخ الإسلام ٣/ ١٨٢ ، والنجوم الزاهرة ١/ ٢٠٢ .

(3) البيت في ديوانه ٩٥ ، واللسان (خدم) وقبله بيت آخر هو : =

[يحتاج صاحب السلطان إلى ثلاث]

حدثنا محمد بن سهل بن الفضل الكاتب ، قال : حدثنا أبو زيد ، قال : حدثني شيخ محدث عن عمه ، قال :

خرجتُ من عند يعقوب بن داود[1] فلما استويتُ على دابّتي قام إليَّ دِهْقَانٌ مجوسيّ وسأل أن أستأذن له على يعقوب ، فقلت : إنك لو كنت سألتني وأنا أدخل كان أحسن ، فأمّا وأنا أخرج فلا ، قال : فخطب عليّ خطبةً بالفارسيّة واضطرّني إلى أن دخلتُ على يعقوب فاستأذنت له ، فقال : أعرفُه ، ثم أرسل من أدخله ، فقال له الدِّهقان : إنك تعلم أن من أمثالنا أن صاحب السلطان ينبغي أن يكون معه خلالٌ ثلاث : الصبرُ والعقلُ والمال ، فأما ما لا ينفدُ منها فمعي الصبر والعقل ، وأما ما تُنْفِده الأيام فقد فَنِيَ وهو المال ، فإما أن تمدَّني بمالٍ فأقيم ، وإما أن تَقْضِيَ حاجتي ، قال : فقضى حاجته وأعطاه .

= كيف نومي على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء

والخدام : هو الخلخال ، وخدام ها هنا في نية عن خدامها ، وعدى تبدي بعن لأن فيه معنى تكشف أي تكشف عن خدامها العقيلة العذراء ، ولذا فإن كلمة العقيلة مرفوعة لأنها فاعل لا مضاف إليه كما قد يتبادر لأول وهلة .

(١) هو يعقوب بن داود بن عمر السلمي بالولاء ، أبو عبد الله ، كان في أول أمره كاتباً لابراهيم ابن عبد الله بن حسن ، فخرج هذا على المنصور ، فهزمه المنصور وحبس كاتبه يعقوب ، وأطلق سراحه في زمن المهدي فعمل على التقرب إليه حتى استطاع أن يكون وزيره ، وغلب على شئون الدولة كلها حتى قيل فيه هذا البيت :

بني أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود

على أن حساده وشانئيه لم يتركوه طويلاً ، فسرعان ما غضب عليه المهدي فوضعه في المطبق ، حتى أُطلقه هارون الرشيد بعد أن عمي وهرم ، وطلب أن يقضي بقية حياته إلى جوار بيت الله في مكة فسمح له الخليفة ، فأقام مجاوراً حتى توفي سنة ١٨٧ هـ .
انظر نكت الهميان ٣٠٩ ، والكامل لابن الأثير ٦/ ٢٣ ، والوزراء والكتاب ١٥٥ .

المجلس السابع والثلاثون

[من هدي النبوّة]

حدثنا أبو عبدالله الواسطي أحمد بن عمرو بن عثمان ، قال : حدثنا يعقوب بن إسحاق الفُلوسيّ أبو يوسف ، قال : حدثنا محمد بن عَرْعَره ، قال : حدثنا سكين بن أبي سراج أبو عمرو الكلبي ، عن عبدالله بن دينار ، عن ابن عمر ، قال : نادَى رجلٌ رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله : أي الناس أحبُّ إلى الله ، قال : أنفعهم للناس ، قال : فأي الأعمال أحب إلى الله ، قال : سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كُرْبةً أو تَقْضِي عنه دَيْناً أو تطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي لأخ لي مسلم في حاجة أحب إليّ من أعتكف في هذا المسجد شهراً يعني مسجد المدينة ، ومن كفّ غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضينه لأمضاه مـلأ الله قلبه يوم القيامة رضى ، ومن مشى مع أخ له مسلم في حاجة حتى يُثْبِتَها له ثبّت الله قدمه يوم تَزِلُّ الأقدام ، وسوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخلُّ العسل[1] .

---

(1) الحديث الشريف في الجامع الكبير للسيوطي ٢/ ٤٩٤ ، ووصف سكين بن أبي سراج بأن حديثه واه .

[رواية أخرى للحديث]

حدثنا محمد بن القاسم من زكريا المحاربي ، قال : حدثنا إسماعيل ابن إسحاق الراشدي ، قال : حدثنا داهر بن نوح ، قال : حدثنا أبو زيد الأنصاري ، قال : حدثني عبد الصمد بن سليمان ، عن سكين بن أبي سراج ، قال : حدثنا عبدالله بن دينار ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس : أن رجلاً أتى النبيّ ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! أي الأعمال أحب إليك ؟ قال : أنفعهم للناس وإن من أحب الأعمال إلى الله تعالى ، سروراً تُدْخله على مُسلم ، أو تكشف عنه كُرْبة أو تسدَّ عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحبُّ إلي من أن أعتكف شهرين في المسجد ، ومن كفّ غضبَهُ ستر الله عورته ، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه لأمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاً ، ومن مشى مع أخ له في حاجة حتى يثبتها ثبت الله قدمه يوم تزلّ الأقدام ، وسوءُ الخلق يُفسد العمل كما يفسد الخَلُّ العسل .

[تعقيب للمؤلف]

قال القاضي : وقد روينا في هذه الجملة ونحوها أخباراً كرهنا الإطالة باستيعابها ، واكتفينا بما أثبتناه في هذا الموضع منها ، وفيها من إعلام النبي ﷺ بما ذكره فيها من مكارم الأفعال ، ومحاسن الأعمال ، وحَضِّه عليها ، ووصفه ما أنبأ عنه من الفضل ممَّا يدعو كلَّ ذي بصيرة إلى الانقطاع إليه ، والمواظبة عليه ، وقوة الرغبة فيه ، والمنافسة في وفور الحظِّ منه ، وهو مؤكِّدٌ لما استقرَّ في نفوس ذوي الفطن السليمة حُسْنُه وشرفه ، واستحقاق الأخذ به من الإجلال والتعظيم ، والتشريف والتقديم ، مع عظيم ما يُرْجَى لمن تخلَّق به من أهل الإيمان بالله ورسوله ، من جزيل الثواب ، والفوز في المنقلب والإياب ، والأمن من سوء الحساب ، وأليم العذاب .

[يتصدّق بقصب بيته]

حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد ، قال : أخبرنا الحسين بن الحسن المروزي ، قال : سمعت الهيثم بن جميل ، يقول :

كان الحسنُ بنُ صالح بن حَيّ(١) يتصدق ، حتى إذا لم يبق في يده شيءٌ وجاء سائلٌ نزع خُصّاً كان يكون أمام بيته فأعطاه السائل ، حتى إذا وجد شيئاً اشترى قصباً وبناه ، قال : وكانوا إذا رأوا بابَهُ بغير خُصّ علموا أنه لم يبق عنده شيء .

[خبر صخر بن الشريد السلمي]

حدثنا محمد بن الحسين بن دريد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، ثم حدثنا الأصمعيّ قال(٢) :

التقى صخر بن عمرو بن الشريد السُّلمي ورجل من بني أسد ، فطعن الأسديّ صخراً فقيل لصخر كيف طعنك ؛ قال : كان رُمْحه أطول من رمحي بأنبوب ، فضمن صَخْرٌ منها فطال مرضه ، وكانت أمه إذا سُئلت عنه ، قالت : نحن بخيرٍ ما رأينا سوادَه بيننا ، وكان امرأته إذا سُئِلت عنه ، قالت : لا حيٌّ فيُرْجَى ولا مَيِّتٌ فيُنْعَى ، فقال صخر :

---

(١) الحسن بن صالح بن حي الهمداني الثوري الكوفي ، أبو عبد الله ، من زعماء الزيدية ، كان فقيهاً مجتهداً متكلماً ، وهو من أقران سفيان الثوري ، ومن رجال الحديث الثقات ، وقد طعن فيه جماعة لما كان يراه من الخروج على أئمة الجور ، وقد توفي متخفياً بالكوفة من طلب الخليفة المهدي له ، وذلك سنة ١٦٨ هـ .
ترجمته في ذيل المذيل ١٠٥ ، والفرق بين الفرق ٢٤ .

(٢) سبق هذا الخبر فيما سلف من صفحات .

أرى أمَّ صخرٍ لا تَمَلُّ عيادتي ومَلَّتْ سُلَيْمى مَضْجَعِي ومكاني
إذا ما امرؤٌ سَاوَى بأمٍّ حليلةً فلا عاشَ إلاَّ في شقاً وهوان
لعمري لقد أيقظتَ من كان نائماً وأسمعتَ مَنْ كانت له أذنان
بصيراً بوَجْهِ الحَزْمِ لو أسْتطيعه وقد حِيلَ بَيْنَ العَيْرِ والنّزوان

[شرح معنى الضمان والسواد]

قال : القاضي قوله فضمن معناه سَقِم وبَلِي جسمه، يقول : بفلان ضَمَانٌ مثل سَقَامٌ وضَمَانةٌ مثل زَمَانة ، قال ابن الدُّمَيْنة :

أُمَيْم بقلبي مِنْ هَوَاكِ ضَمانَةٌ وأنتِ لها لو تَعلمين طبيبُ

ويروي زَمَانَة ، وحكى : بفلان زَمَنٌ وزَمَانةٌ وزُمْنة ، وضَمَن وضُمْنَةٌ وضَمَانةٌ وضَمَان ، وقول : أم صخر ما رأينا سَوَادَهُ يعني شخصه ، قال الأسود بن يَعْفُر :

إنّ المنيَّة والحُتوف كِلاَهما فوق المَخَارِمِ يَرْمُقانِ سَوَادِي

[معاني العير]

والعَيْر ها هنا الحمار ، وهو اسمٌ يقعُ على أشياء ذوات عددٍ . منها اسم جبل[1] ، ويقال : للملَك عَيْرٌ[2] ، وللعُودِ المُمتدِّ متوسطاً لورق الشَّجر والنبات ، وللناتىء في الكف ، وللنّاتىء في ظهر القدم ، ولما في سواد العين ، كما قال الشاعر[3] :

---

(١) وقيل إنه جبل بالمدينة ، وقيل إنه بالحجاز .
(٢) وكذلك للسيد يقال له عير .
(٣) البيت للشماخ ، وهو في ديوانه ٤٧ ، وفي اللسان عير .

ويمشِي القِبِصَّى قبل عَيْرٍ وما جَرَى   ولم تَدْرِ ما شَأنِي ولم أدْرِ مَالَها[١]

القِبِصَّى مِشْيةٌ فيها تَوَثُّب ، ومن كلام العرب : افعل هذا قبل عَيْرٍ وما جرى[٢] ، ويقال : للوَتِد عَيْر ، وقد قال أولو المعرفة مِنْ رُواة الشِّعر في قول الحارث بن حِلِّزة :

زعموا أن كُلَّ من ضَرَبَ العَيْـ   ـرَ مَوَالٍ لنا وأنا الوَلَاءُ[٣]

أقوالا وحمل كلٌّ منهم تأويله على وجه من الوجوه التي ذكرناها[٤] ، ولذكر ذلك موضعٌ غير هذا ، وأما النَّزَوَان فهو التوثُّب والتحرك صُعُداً ، وذكر أهل العلم بالعربية أنها حركة فيها تصعُّد وارتفاع ، ذكر نحو ذلك سيبويه ، ومثل هذا الجَوَلَان والخَفَقَانُ والبَرَدَان والرَّجَفان والعَسَلان والسَّيلان مما يكثر تعداده .

---

(١) في اللسان : أعدو مكان ويمشي ، وما خبري مكان ما شأني .

(٢) أي قبل لحظة العين ، وقالوا : إن العير هو المثال الذي في الحدقة وهو يسمى اللعبة أو (النبي) ، والذي جرى هو الطرف وجريه حركته ، والمعنى : قبل أن يطرف الإنسان ، وقيل : عير العين جفنها ، قال الجوهري : يقال : فعلت ذلك قبل عير وما جرى أي قبل أن يطرف الجفن . انظر اللسان .

(٣) البيت في ديوانه ٩ .

(٤) قالوا في تفسير هذا البيت :أي كل مَن ضرب وتداً من أهل العمد أسياد لنا ونحن مواليهم ، وقيل : كل من نزل جبلاً ، وبعضهم خص فقال : جبلاً بالحجاز وأدخل عليه اللام كأنه جعله من أجبل كل واحد منها عير . وقيل يعني بكل من ضرب العير إياداً لأنهم أصحاب حمير ، وقيل : يعني المنذر بن ماء السماء لسيادته .
ويروي الولاء بكسر الواو ، حكى الأزهري عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : مات من كان يحسن تفسير بيت الحارث بن حلزة، زعموا أن كل من ضرب العير . . . الخ قال أبو عمرو العير هو الناتىء في بؤبؤ العين (أي إنسانها) ومعناه أن كل من انتبه من نومه حتى يدور عيره جنى جناية فهو مولى لنا ، يقولونه ظلما وتجنيا، قال : ومنه قولهم : أتيتك قبل عير وما جرى أي قبل أن ينتبه نائم .
انظر اللسان (عير) .

[شعرٌ على حائط]

حدثنا الحسين بن محمد بن عفير الأنصاري ، قال : قال لي أبو علي صديقنا[1]

حدثني بعض أهل المعرفة ، أنه بينا هو في بعض بلاد الشام نـزل في دار من دورها فوجد على بعض الحيطان مكتوباً :

دعوا مُقْلَتي تبكي لفقد حبيبها ليُطفىء بَرْدُ الدَّمْع حرَّ كُـرُوبها
ففي حلِّ خيطِ الدمع للقلب راحةٌ فَـطُوبَى لنفس مُتِّعَتْ بحبيبهـا
بمن لو رأتْهُ القاطعاتُ أكُفَّها لما رضِيَتْ إلاّ بقطع قُلُوبِها

قال : فسأل عنه فأخبر أن بعض العمال ترك هذه الدار وقد أصاب ثلاثين ألف دينار ، فَعَلِقَ غلاماً فأنفق ذلك المال كُلَّه عليه ، قال : فبينا أنا جالسٌ ومرّ بنا ذلك الغلام ، قال : فما رأيتُ غلاماً أحسنَ منه حُسناً وجمالاً .

[معنى : إذا سرقت فاسرق دُرَّة]

حدثنا الليث بن محمد بن الليث أبو نصر المروزي ، قال : سمعت أبا نصر محمد بن يحيى بن طاهر الخزاعي المروزي ، يقول : سمعت عبد الله بن منصور بن طلحة ، يقول : سمعت عمي عبد الله بن طاهر ، يقول :

سألني المأمون أمير المؤمنين ، فقال : يا أبا العباس ! ما معنى إذا سرقت فاسرق دُرَّة ، وإذا زنيت فازْنِ بحُرَّة ، فقلت : أويخبرني أمير

---

(١) الخبر التالي في مصارع العشاق ٢٥٩ .

المؤمنين ، قال : ليس هذا حَثًّا على الزنا ، ولا على السَّرِقَة ، ولكن إذا رُمْتَ الزِّنا من الحُرَّة تَعذَّر عليك ، وإذا رُمْتَ السرقة للدُّرة تعذَّر عليك لأنها مصونة فلا تقدر عليها .

[بعض أخبار ذي الرمة وإخوته ومحبوبته]

حدثنا ابراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي ، ومحمد بن القاسم الأنباري ، قال : أخبرنا أحمد بن يحيى ، عن أبي زيد ، قال : حدثنا إسحاق بن ابراهيم ، قال : حدثني أبو صالح الفزاري ، قال[1] :

ذكر ذو الرُّمة في مجلس فيه عدة من الأعراب ، فقال : عصمة بن مالك شيخ منهم قد أتى له مائة سنة ، فقال ، كان من أظرف الناس ، وقال : كان آدم خفيف العارضين حسن المضحك حلو المنطق ، وكان إذا أنشد بربر[2] وحسن صوته ، وإذا واجهك لم تَسْأَم حديثه وكلامه ، وكان له إخوة يقولون الشعر منهم مسعود ، وهمام ، وخرواش ، وكانوا يقولون القصيدة فيزيد فيها الأبيات فيغْلب عليها فتذهب له ، فأتى يوماً فقال لي : يا عصمة ! إن ميّة مِنقَرية وبنو منقر أخبث حي وأبصره بأثر وأعلمه بطريق ، فهل عندك من ناقة تزدارُ عليها ميّة ؟

فقلت : نعم ، عندي الجؤذر ، قال : عليَّ بها فركبناها جميعاً حتى نشرف على بيوت الحيّ ، فإذا هم خلوف وإذا بيت ميّة خالٍ ، فملنا إليه فتقوّص النساء نحونا ونحو بيت ميّ ، فطلعت علينا فإذا هي جارية أُمْلودٌ

(١) الخبر التالي نقلاً عما هنا في مصارع العشاق ٢٧٢ ، وانظره برواية أخرى في ذيل الأمالي ١٧٤ .

(٢) بربر : أي علا صوته ، وفي ب : برز .

وَارِدَة الشَّعر[1] ، وإذا عليها سِبٌّ أصفر وقميص أخضر ، فقلن أنشدنا يا ذا الرُّمَّة ، فقال : أنشدهن يا عصمة ، فنظرت إليهنَّ فأنشدْتُهن[2] :

وقفتُ علَى رسْم لمية ناقتي فما زلتُ أبكي عنده وأخاطبُه
وأسقيه حتى كاد مما أبثُّهُ تُكَلِّمني أحجارُه وملاعبُه

حتى بلغت إلى قوله :

هَوَى آلِفٍ جاء الفِراقُ ولم تُجِلْ جوائلها أسرارُهُ ومَعَاتِبه[3]

فقالت ظريفة ممن حضر : فلتجل الآن ، فنظرت إليها حتى أتيت على القصيدة إلى قوله :

إذا سَرَحَتْ من حُبِّ مَيٍّ سَوَارِحٌ على القلب أبته جميعاً عوازِبُه[4]

فقالت الظريفة منهن : قَتَلْتِهِ قَتَلَكِ الله ، فقالت ميٌّ : ما أصحَّهُ وهنيئاً له ، فتنفس ذو الرمة نفساً كاد من حَرِّه يُطَيِّر شعر وجهه ، ومضيت في الشعر حتى أتيت على قوله :

وقد حلفْت بالله ميَّةُ ما الذي أقول لها[5] إلا الذي أنا كاذبه
إذاً فرماني الله من حيث لا أرى ولا زال في داري عدوٌّ أحاربه

فقالت الظريفة : قتلته قتلك الله ، فقالت ميٌّ : خَفْ عواقب الله يا غيلان ، ثم أتيتُ على الشعر حتى انتهيت إلى قوله :

(1) الأملود : الناعمة اللينة ، وواردة أي مسترسلة الشعر .
(2) الأبيات التالية من قصيدة في الديوان من صفحة ٥٥ ـ ٧٠ .
(3) معنى البيت : أنني أبديت هوى آلف ، ولم توجه أسراره ومعاتبه جوائلها أي وجوهها وما تتجه هي إليه .
(4) لم يرد هذا البيت في الديوان وهو موجود في العقد ٢/ ٣٦١ ، وذيل أمالي القالي : ١٢٥ .
(5) في الديوان : أحدثها .

إذا راجَعَتْكَ القولَ ميَّةُ أو بدا لك الوجهُ منها أو نَصَا الدِّرعَ سَالِبُهُ[١]
فيالك من جُدٍّ أسيلٍ ومنطق رخيم ومن خَلْقٍ تعلَّل جَادِبُه[٢]

فقالت : تلك الظريفة : ها هذه وهذا القول قد راجعتْك ، تريد واجَهْتَها فمن لك أن يَنضو الدرع سالبه ، فالتفتت إليها مية ، فقالت : قاتلك الله ما أعظم ما تجيئين به ، فتحدثنا ساعة ثم قالت الظريفة للنساء : إن لهما شأنا فقمن بنا ، فقمن وقمت معهن فجلست بحيث أراهما ، فجعلت ميَّةُ تقول له : كذبت ، فلبث طويلاً ثم أتاني ومعه قارورةٌ فيها دُهن ، فقال : هذا دهنُ طِيبٍ أتحفتنا به مية ، وهذه قِلَادة للجُؤْذُر ، والله لا أُخْرَجتُها من يدي أبداً ، فكان يختلف إليها حتى إذا انقضى الربيعُ ودعا الناس الصيف أتاني ، فقال : يا عصمة ! قد رحلت ميٌّ فلم يبق إلا الرَّبْعُ والآثار ، فاذهب بنا ننظر إلى آثارهم ، فخرجنا حتى انتهينا فوقف ، وقال[٣] :

ألا يا اسْلَمي يا دَارَ مَيٍ على البلَى ولا زَال مُنْهَلاً بجرْ عائِك القطْرُ[٤]
وإن لَم تَكُوني غير شامٍ بقفرةٍ تجرُّ بها الأذْيال صَيْفيَّةٌ كُدْرُ[٥]

---

(١) في الديوان : نازعتك مكان راجعتك ، ونضا : نزع ، والدرع : القميص ، وهو أيضاً الثوب القصير تلبسه الفتاة الصغيرة في بيتها .

(٢) تعلل : أي علل نفسه بالباطل ، وجادبه : عائبه ، يقول : لا يجد عائبها فيها معاباً .

(٣) البيتان التاليان مطلع قصيدة في ديوانه ٢٩٠ .

(٤) يا اسلمي ها هنا نداء كأنه قال : يا دار مي اسلمي ، ويا هذه اسلمي ، ومي ترخيم مية إلا أنه أقامه ها هنا مقام الاسم الذي لم يرخم فجعله منونا ، والجرعاء والأجرع : الرمل الكثير الممتد .

(٥) الشام : جمع شامة وهي بقعة تخالف لون القفر التي هي فيه ، والأذيال : ما جرته الريح من آثار ، وصيفية كدر أي رياح الصيف التي فيها غبرة .

فقلت له : ما بالُك[1] ، فقال لي : يا عصمة إني لجَلْد ، وإن كان مني ما ترى فكان آخر العهد به .

والخبر على لفظ أبي عبد الله . قال : وحدِّثت عن ابن أبي عديّ ، قال : سمعتُ ذا الرُّمة يقول : بلغت نصف عمر الهَرِم أربعين سنة ، وقال ذو الرمة[2] :

على حين راهقتُ الثلاثين وارعوتْ ... لِدَاتي وكان الحلمُ بالجهل يَرْجَحُ[3]

إذا خطرتْ من ذكر ميَّةَ خطرةٌ ... على القلب كادت في فؤادك تجرحُ

تصرُّفُ أهواءُ القلوب ولا أرى ... نصيبَك من قلبي لغيرك يُمْنَحُ

وبعضُ الهوى بالهجر يُمحى فيمَّحى ... وحُبُّكِ عندي يَسْتَجِدُّ ويَرْبَحُ

ولما شكوتُ الحبّ كيما تثيبني ... بوجْدِيَ قالتْ إنما أنت تَمْزَحُ[4]

بعاداً وإدلالاً عليّ وقد رأتْ ... ضمير الهوى قد كاد بالجسم يبرحُ

لئن كانت الدنيا عليّ كما أرى ... تباريح من ذكراك لَلْموتُ أرْوَحُ

ويروى تباريح من ميٍّ فللموت أروح قال القاضي : وهذه القصيدة من قصائد ذي الرمة الطوال المشهورة المستحسنة وأولها[5] :

أمنـزلتي مَيٍّ سلامٌ عليكما ... على النَّأي والنائي يودُّ وينصحُ

ومنها ذكرتُك إذْ مرّتْ بنا أمُّ شادِنٍ ... أمام المطايا تشرَئبُّ وتسْنَح

---

(١) في ذيل الأمالي : ثم انفضحت عيناه بالبكاء ، فقلت : مه يا ذا الرمة ، فقال : إني لجلد . . . الخ .

(٢) الأبيات التالية في ديوانه ١٠٨ وما بعدها .

(٣) راهقت : دانيت ، ولداتي جمع لدة يقال فلان لدة فلان إذا كان من سنه .

(٤) في الديوان : لمي شكوت الحب . . . . بودي فقالت . . . .

(٥) الأبيات التالية في الديوان ١٠٧ .

من المؤلفات الرملَ أدْمَاءُ حُرَّةٌ شُعاعُ الضُّحى في مَتْنِها يتوضحُ[١]
رأتنا كأنّا عامِدُون لصيدها ضُحى فهي تدنو تارةً وتزحزحُ[٢]
هي الشِّبْهُ أعطافاً وجيداً ومُقلةً ومَيَّةُ أبْهى بَعْدُ منها وأملحُ

وهذه من أحسن الحائيات التي أتت على هذا الرويّ ، ونظيرها كلمة ابن مُقْبِل[٣] التي أولها :

هل القلب عن أسْماءَ سالٍ فَمُسْمِحُ وزاجِرُهُ عنها الخيالُ المُبَرِّحُ

وقول جرير[٤] :

صَحَا القلبُ عن سَلْمى وقد بَرِحَت بِهِ وما كان يَلْقَى من تُمَاضِرَ أبرحُ

وذكر في خبر ذي الرُّمَّة بهذا الإسناد إخوةُ ذي الرُّمة فقيل فيه : مسعود ، وهمام ، وخرقاش ، فأما مسعود فمن مشهوري إخوته ، وإياه عني ذو الرمة ، بقوله :

أقول لمسعودٍ بجرعاءِ مالكٍ وقد همّ دَمْعِي أن تَسُحَّ أوائِلُهْ[٥]

ومنهم هشام وهو الذي استشهد سيبويه من الإضمار في ليس بقوله ، فقال : قال هشام بن عقبة أخو ذي الرُّمة :

---

(١) أدماء : بيضاء ، حرة : كريمة ، ومتنها : ظهرها .
(٢) في الديوان : رأتنا كأنا قاصدون لعهدها به . . .
وهو يقصد بهذا أم هذا الغزال الصغير فهي قد خافت عليه منهم فهي تدنو تارة وتتزحزح أي تتأخر .
(٣) انظر ديوانه .
(٤) أنظر الديوان ٨٣ ، والبيت من مطلع قصيدة هو :
أجدّ رواح القوم أم لا تروح نعم كل من يعني بجمل مترح
(٥) البيت في ديوانه ٥٥٣ .

هي الشفاء لدائي لو ظفرتُ بها   وليس منها شفاءُ الداءِ مَبْذُولُ[1]

ومنهم أوفى وهو الذي عناه بعض إخوته في شعرٍ رثا فيه ذا الرمة أخاهما :

تَعَزَّيْتُ من أوفى بغيلانَ بعدَهُ   عَزَاءً وَجَفْنُ العين ملآنُ مُتْرعُ
ولم تُنسني أوفى المصيباتِ بعده   ولكن نَكْءَ القَرْحِ بالقَرْحِ أوجعُ[2]

وذكره ذو الرمة ، فقال :

أقولُ لأوفى حين أبْصَرَ باللِّوى   صحيفةَ وجهي قد تغيَّرَ حَالَها[3]

وقوله : فإذا هم خلوف ، يُقال : لمن تخلف بالحيّ إذا ظعنوا وانتجعوا : خُلُوف ، قال الشاعر :

فيا لَذَّاتِ يَـومٍ أزورُ وَحْدِي   ديـار المُـوعِـدِيَّ وهُمْ خُلُوفُ

يروي فيالذات يومَ ويومٍ ، أزور ، فمن عَنَى بقوله فيالذات الإضافة إلى الياء التي هي ضمير المتكلم وأسقطها اكتفاءً بكسرة التاء التي هي في موضع نصب لإقامة وزن الشعر ، فيوم منصوب لا غير على الظرف ، ومن أضاف قوله فيالذات إلى اليوم جاز له النصب لإضافته إلى الفعل وهي التي يسميها كوفيُّو النحاة إضافة غير محصنة ، وجاز الجر واختير لاضافته إلى فعل معرب غير مبني .

---

(١) انظر سيبويه ١/ ٧١

(٢) البيتان في الأغاني ، وانظر مقدمة الديوان .

(٣) رواية هذا البيت في الديوان ٦٠٨ :

عـرفت لها داراً فـأبصـر صـاحبي   صفيحـة وجهي قـد تغـير حـالها

وعلى هذه الرواية فليس فيه ذكر لأوفى .

وقد يقال أيضاً للحيِّ الظاعن : خُلُوف .

وقول الراوي في هذا الخبر : ميّ في مواضع فيه ، وميّة في مواضع أخر ، فقد ذكر النحويون أن ذا الرمة كان يسميها تارةً ميّة وتارةً ميّ ، وهذا بيّن في كثير من شعره ، من ذلك قوله :

ديـارُ ميةَ إذْ ميٌّ تسـاعِفُنـا ولا يَرى مثلَها عُجْمٌ ولا عَرَبُ[1]

وروى قوله :

فيا ميّ ما يُدريك أين مناخنا معَرّقة الألْحَى يمانيةً سُجْرا[2]

بالرفع والنصب فمن رواه بالنصب فوجهه أنه رُخِّم على قول من قال : يا حارِ أقبل وهو أقيس وجهي الترخيم ، ومن رواه بالرّفع فعلى أن ميّ اسمٌ تامٌّ غير مرخّم ، لأنه منادى مفرد وقد يجوز ترخيمه على قول من قال : يا حارُ .

ومما يُبيِّن أنه كان يقصد تسميتها بميّ على غير الترخيم ، قوله :

تداويتُ من ميٍّ بتكليم ساعةٍ فما زاد إلاّ ضَعْفَ ما بِي كَلاَمُها[3]

وقوله : جاريه أُمْلُود ، معناه : ناعمة كما قال الشاعر :

أرَيْتَ إن جـاءتْ بـه أُمْلُودَا مُـرَجَّـلاً ويَـلْبَسُ الـبُـرُودا

---

(١) انظر ديوانه ٧ ؛ وقال في الخزانة ١/ ٣٧٨ ، زعم يونس أنه كان يسميها مرة ميّاً ومرة مية ، وعلى هذا فلا ترخيم ولا ضرورة لأن امي اسم امرأة ومية كذلك فهو يسميها على أحد الوجهين .

(٢) البيت في ديوانه ٢٤٠ ، برواية : ما أدراك ، ومعرقة الألحى : قليلة لحم اللحى ، ويمانية : إبل اليمن ، وسجرا : أي سجراء وهي التي يضرب لونها إلى الحمرة ، والأسجر هو الأحمر من بياض .

(٣) البيت في الديوان ٧١٥ ، وفيه : بتكليمة لها مكان بتكليم ساعة .

وأما قـوله وإذا عليها سِبٌّ أصفر ، فإنه يكون الرِّداء والخِمَار ، قال الشاعر :

وأشهدُ من عوف حُلُولا كثيرةً   يَحُجُّونَ سِبَّ الزِّبرقان المُزَعْفَرا[1]

والسِّبُّ : الخيط ، والسِّب أيضاً الكفؤ في السباب كما قال الشاعر :

لا تَسُبَّنَّنِي فَلَسْتَ بِسِبِّي   إن سِبِّي من الرِّجَالِ الكريمُ[2]

وقال الأخطل :

بني أسد لستُم بِسبِّي فأقْصِرُوا   ولكنما سِبِّي سُلَيْمٌ وعَامِرُ

قوله : أونَضَا الدِّرْع سالبه ، معنى نَضَاهُ : خَلَعَه ، يقال : نضا السيف من غِمده وانتضاه ونضا الثوب عنه إذا خلعه ، قال : امرؤ القيس :

فقمتُ وقد نَضَّتْ لنوم ثيابها   لدى السِّتْر إلّا لُبْسة المتفضل[3]

وقوله ومنطق رخيم ، الرخيم الذي فيه تقطع يستحسن ومثله قوله أيضا :

لها بَشَرٌ مثلُ الحَرِيرِ ومَنْطِقٌ   رَخِيمُ الحَوَاشي لا هُراءٌ ولا نَزْرُ[4]

---

(١) البيت للمخبل السعدي كما في اللسان (سيب) ، والحلول : الأحياء المجتمعة ، وهو جمع حال مثل شاهد وشهود ، ومعنى يحجون أي يطلبون الاختلاف إليه لينظروه وقيل يعني عمامته ، وقيل : يعني استه لأنه كان مقرّوناً فيما زعم قطرب ، والمزعفر : الملون بالزعفران ، وكانت سادة العرب تصبغ عمائمها به .

(٢) البيت لعبد الرحمن بن حسان يهجو مسكيناً الدارمي، أنظر اللسان (سبب) .

(٣) البيت في ديوانه ١٤ ، ونضت : نزعت ، واللبسة : هيئة اللباس ، والمتفضل : اللابس ثوباً واحداً .

(٤) هذا البيت لذي الرمة وهو في ديوانه ٢٩٦ .
والبشر جمع بشرة وهي ظاهرة الجلد ، والهراء : الكثير بغير معنى ، والنزر : القليل .
وبعد هذا البيت بيت شهير آخر هو قوله :

ومن هذا قولهم : رخّمت الدجاجة إذا قطعت بيضها ، ومنه ترخيم الكلام في العربية كقولك : يا حارِ ويا مالِ ، وقوله تَعلَّلَ جَادِبُه ، الجادب : العائِب ، ومنه الخبر « جدب عُمَرُ السَّمَرَ بعد العشاء » أي عاب السَّمَر وكرهه بعد العشاء .

وقوله ألا يا اسلمي ، معناه : يا هذه اسلمى ، وعلى هذا المذهب قراءة من قرأ (ألا يا اسْجُدُوا) ومن هذا النحو قول الأخطل :

ألا يا اسْلمِي يا هِنْدُ هند بني بَدْرٍ وإن كان حَيَّانا عِدىً آخِرَ الدَّهْرِ[1]

وقال الآخر :

يـا لعنـةُ الله والأقـوامُ كُلِّهِمُ والصَّالحين على سَمْعَان مِنْ جَارِ[2]

وهذا باب واسع جداً ونحن نشبع القول فيه إذا انتهينا إلى البيان عن قول الله عز وجل ﴿ ألا يَا اسْجُدُوا لله ﴾[3] وشرح ما فيه من التأويل والقراآت في موضعه في كتبنا في علل التأويل والتلاوة إن شاء الله .

وقولُ ذي الرمّة : على حين راهقتُ الثلاثين بنصب حين ، هكذا رويناه ، وهو الوجه المتَّفقُ على صحته في الإعراب ، والمختار عند كثير

= وعينـان قـال الله كـونـا فكـانتـا فعولـين بـالألبـاب مـا يفعـل السحـر

وثمة نادرة طريفة بشأن كلمة (فعولين) الواردة فيه ، إذ قال له عنبسة النحوي : لم لا تقول فعولان ، فقال : لو قلت : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، كان خيراً لك .

أراد ذو الرمة : كونا فعولين ، وأراد عنبسة : وعينان فعولان .

(١) البيت في ديوانه ١/ ١١٢ ، وتفسير أبي حيان (البحر المحيط) ٧٤ .

(٢) البيت من تفسير أبي حيان ٧٥ ، وقال في تخريجه : (يا) هذه ليست للنداء بل هي حرف تنبيه ، وما بعدها مبتدأ مرفوع .

(٣) سورة النحل الآية ٢٥ ، وانظر ما قيل في توجيه لفظة (يا) من آراء ، في تفسير أبي حيان ٧٤ - ٧٦ .

من نُظّار النُحاة الفتح لاضافته إلى مبنيٍ غير مُعْرب ، وذلك (راهقت) الذي هو فعل ماض كما قال الشاعر :

على حينَ عاتبتُ المَشِيبَ على الصِّبا وقلتُ ألَمَّا تَصْحُ والشيبُ وَازِعُ[1]

وعلى هذا الوجه قراءة من قرأ من القَرَأَةِ ﴿ ومِنْ خِزْيِ يَوْمَئِذ ﴾[2] ومن قرأ : يومَئِذٍ ﴿ ومن عذاب يومئذ ﴾، وهذا كلُّه مشروح مع تسمية من قرأ به ، وحُجج المختلفين فيه في كتبنا المؤلفة في حروف القرآن وتأويله .

[الصغرى أظرفهنّ]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا أحمد بن زهير بن حرب بن أبي خيثمة ، قال : أخبرنا الزبير بن بكار ، قال : حدثني مصعب عمّي ، قال[3] :

ذكر لي رجلٌ من أهل المدينة ، أن رجلاً خرج حاجًا فنزل تحت سَرْحَةٍ[4] في بعض الطريق من مكة إلى المدينة ، فنظر إلى كتاب مُعلَّقٍ على السَّرْحة مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : أيها الحاجُّ القاصدُ

(١) البيت للنابغة الذبياني ، انظره في ديوانه ٥١ ، وسيبويه ١/ ٣٦٩ ، وشرح الأشموني ١/ ٤٦ ، والإنصاف لابن الانباري ١/ ٢٩٢ ، وخزانة الأدب ٣/ ١٥١ ، ومغنى اللبيب الشاهد رقم ٧٧٧ ، وأوضح المسالك رقم ٣٣٥ .
والاستشهاد به في قوله : (على حين عاتبت) ، فإنه يروى بفتح كلمة حين وبجرها أما الفتح - مع دخول حرف الجر عليه - فبسبب بنائه على الفتح ، لكونه أضيف إلى جملة صدرها فعل ماض مبني ، فاكتسب المضاف البناء من المضاف إليه ، وأما جره فعلى الأصل ، فمجموع الروايتين يدل على أن الظرف المبهم إذا أضيف إلى جملة صدرها مبني جاز فيه الإعراب على أصله ، والبناء لاكتسابه البناء مما أضيف إليه .

(٢) سورة هود ، الآية ٦٦ .

(٣) القصة التالية في مصارع العشاق ٢٤٣ برواية المعافي بن زكريا

(٤) السرحة : الشجرة العظيمة الطويلة .

بيت الله ، إنّ ثلاث أخواتٍ خَلَون يوماً فبُحْنَ بأهوائهن وذكرن أشجانهن ، فقالت الكبرى :

عجبْتُ له إذْ زار في النَّومِ مَضْجَعي ... ولو زَارَني مُستيقظاً كان أعْجَبَا

وقالت الوسطى :

وما زَارَني في النَّوْمِ إلاّ خَيَالُهُ ... فقلتُ له أهلاً وسَهْلاً ومَرْحَبَا

وقالت الصُّغرى :

بنفسي وأهلي من أرى كلَّ ليلةٍ ... ضَجِيعي وريَّاهُ من المِسْك أطْيَبَا

وفي أسفل الكتاب مكتوب : رحم الله امرأً نظر في كتابنا هذا فقضى بالحق بيننا ، ولم يَجُرْ في القضيّة ، قال : فأخذ الكتاب فكتب في أسفله :

أحدِّثُ عن حُورٍ تَحَدّثْن مَرَّةً ... حديث امرىءٍ ساس الأمور وجَرَّبا
ثلاثٌ كبكْرَاتِ الهجان عَقَائِل ... نَـوَاعم يغلبن اللّبيب المهذَّبـا
خلون وقد غابت عيونٌ كثيرةٌ ... من الـلائي قد يَهْوَيْن أن يتغيّبا
فبحن بما يُخفين من لاعج الهوى ... معاً واتّخذنَ الشعر ملهىً وملعبا
عجبت له أن زار في النوم مضجعي ... ولو زارني مُسْتيقظاً كان أعجبا[1]
فلما أخبرت ما أخبرت وتضاحكت ... تنفست الأخرى ، وقالت تطُرّبا
وما زارني في النوم إلاّ خيالُه ... فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحبا
وشوقت الأخرى وقالت مجيبة ... لهن بقولٍ كان أشهى وأعجبا
بنفسي وأهلي من أرى كلّ ليلةٍ ... ضجيعي وريّاه من المسك أطيبا
فلما تبينت الذي قُلْنَ وانبرى ... لِيَ الحكمُ لـم أتْركْ لذِي القول مَعْتَبا

---

(١) إلى هنا ينتهي الخبر الوارد في مصارع العشاق .

قضيت لصُغْراهن بالظَّرف إنَّني رأيتُ الذي قالت إلى القلب أعجبا

قال القاضي : السَّرحة الشجرة ، قال عنترة يصف رجلًا بِعِظم الجثة وكمال الخلقة وبهاء الصورة :

بطلٌ كأنّ ثيابَهُ في سَرْحَةٍ تَحذى نِعَالَ السِّبْتِ ليس بِتَوْأَمِ[1]

وقال بعض الأعراب :

يا سرحة الدَّوح أين الحيُّ واكبدا رُوحِي تَذُوب وبيت اللَّهِ من حَسَرِ

وقال حُميد بن ثَوْر الهلاليّ :

أبى الله إلّا أن سَرْحَةَ مَالِكٍ إلى القلبِ من بينِ العِضَاهِ تَرُوقُ[2]

الدَّوْحُ : جمع دَوْحة ، وهو ما عظم من الشجر .

(١) البيت في ديوانه ٢٢٠ ، واللسان (سبت) ، والسبت : هو جلد البقر المدبوغ بالقرظ ، وتتخذ النعال الجيدة ، والشاعر هنا يصف ممدوحه بأربع خصال ، أحدها أنه جعله بطلًا شجاعاً ، والثاني : أنه جعله طويلًا شبهه بالسرحة ، الثالث : أنه جعله شريفاً للبسه نعال السبت ، الرابع أنه جعله تام الخلق نامياً ، لأن التوأم يكون أنقص خلقاً وقوة ، انظر اللسان ، وشرح الديوان .

(٢) ديوانه ٤٨ ، واللسان ، والرواية فيه للشطر الثاني ، من كل أفنان العضاة تروق . وقال : المقصود بالسرحة هنا المرأة ، فالعرب تكنى بالسرحة عن المرأة .

المجلس الثامن والثلاثون

[إذا أحب الله عبداً منحه القبول]

حدثنا الحسين بن محمد بن إشكاب ، قال : حدثنا إبراهيم بن مُحَشَّر ، قال : حدثنا عبيدة بن حميد ، عن سهل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال[1] :

قال : رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى إذا أحبَّ عبداً دعا جبريل صلى الله عليه ، فقال : إني أحببتُ فلاناً فأحبّه ، قال : فيحبُّه جبريل ، قال : ويُنادي جبريل في السماء : إن الله تعالى قد أحبّ فلاناً فأحبّوه ، قال : فيحبّه أهل السماء ، قال : ويُوضَع له القبول في الأرض ، قال : ولا أدري لعلّه قال في البُغْضِ مثل ذلك .

[شرح الحديث]

قال القاضي إن الله جل جلاله يحبّ مِن عباده من أطاعه ، ويضع

(١) الحديث الشريف في صحيح البخاري ، باب بدء الخلق ٦ ، باب الأدب ٤١ ، توحيد ٣٣ ، صحيح مسلم ، باب السبر ١٥٧ ، مسندا ابن حنبل ٢/ ٢٦٧ ، ٣٤١ ، ٤١٣ ، ٤٨٠ ، ٥٠٩ ، ٥/ ٢٠٩ ، ٢٦٣ .

القبول لمن قَبِل وصاياه وعمل بما يعودُ بمرضاته ، فنسأل الله تعالى توفيقنا لطاعته الموجبة لمحبّته ، وعصمتنا من مَعْصِيَته المؤدّية إلى سَخَطه ، فطوبى لمن أطاع ربّه فأحبّه ، وويلٌ لمن عصاه وأغضبه ، وقد قال الله تعالى ذِكره : ﴿ قُلْ إنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ اللَّهَ فاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ويغْفر لكم ذُنُوبكم ﴾[1] وقال جلَّ اسمه : ﴿ وقالت اليهود والنّصارى نحن أبناءُ اللَّهِ وأحبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبكُم ﴾[2]، ومن أحبّ ربه حق المحبَّةِ أطاعه ، ووافق مَرْضاته ولم يخالفه ، ومن أحبّه ربّه أكرمه ولم يُهنه ، ونَعَّمه ولم يُعذبه ، ولقد أحسن القائل :

تَعْصِي الإلّه وأنت تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هَذَا مُحَالٌ في القِيَاسِ شَنِيعُ
لو كان حُبُّك صادقاً لأطعتَهُ ... إنَّ المحبَّ لِمن أحبَّ مُطِيعُ[3]

[ضبط بعض المصادِر التي أتت على فعول]

قوله في هذا الخبر : ويوضع له القبول في الأرض ، والقبول والوَقود والوَلُوع والوَضوءُ والطَّهور مصادر جاءت على فَعُول ، والظاهر الفاشي في المصادر الفُعول ، وأكثر ما يأتي في اللازم من الفعل غير المتعدّي ، كالقُعُود والجُلوس وما أشبههما ، ويطّرِدُ الفرق بين الاسم بالفتح والمصدر بالضم ، وذلك كالسَّحُور والسُّحُور والفَطُور والفُطور والصَّعُود والصُّعود والهَبُوط والهُبُوط وما أشبه هذا ، وقد اختلف في الوقود والوضوء

(1) سورة آل عمران ، الآية ٣١ .
(2) سورة المائدة الآية ١٨ .
(3) البيتان في بهجة المجالس ١/ ٣٩٥ ، وقال إنهما لمحمود الوراق ، وينسبان للشافعي رحمه الله ، وبعدهما :

في كل يوم يبتديك بنعمة ... منه وأنت لشكر ذاك مضيع

ومجاريهما ، وفي قراءة قوله : ﴿ وَقُودُها النَّاسُ والحِجَارَة ﴾[1] ووقود النار ، وبيان هذا مَرْسُوم في أَوْلَى المواضع به ، ومن الولوع قول عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة :

إن هَمِّي قد نَفَى النَّوم عَنِّي　　وحديثُ النفس شيءٌ وَلُوعُ[2]

في قوله : ولوع وجهان : يكون مَصْدراً مبدلاً من شيء ، ويكونُ صفةً لشيءٍ مثل رجل ضَرُوب ، وحكى الفَرَّاءُ عن الكِسَائِيِّ أنه روى : وَجَبَ البيعُ وَجُوبا ، وذكر الفراء أنه لم يُسْمع في هذا إلاّ الضمّ ، فأما جمهور أهل العلم فلم يعرفوا في هذا الباب الفتح إلا في الأحرف الخمسة التي قَدّمنا ذكرها على ما في بعضها من الإختلاف في تفصيله وتصريفه ، وإذا ضُم إلى هذا ما حكيناه عن الكسائي فهو حرفٌ سادس ، وقد وجدنا حرفاً سابعاً في هذا محكيًّا ، وهو غريب نادر وذلك الوَجُورُ .

حدثنا محمد بن محمود الأزهري ، عن أبي العباس ثعلب ، عن ابن
ي : وَجَرْتُ الصَّبِيَّ آجِرُه وُجُوراً وَوَجُوراً .

[بيتان في المحبَّة ، والتفضيل بينهما]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا عبد الرحمن ، عن عمه ، قال : سمعت جعفر بن سليمان ، يقول[3] :

ما سمعتُ بأشعر من القائل :

---

(١) سورة التحريم ، الآية ٦ .

(٢) ديوانه ٢٤٧ ، والرواية فيه : قدماً ولوع .

(٣) الوجور : الدواء يصب في الحلق .

إذا رُمْتُ منها سَلْوةً قال شافعٌ   من الحبِّ ميعادُ السُّلُوِّ المَقَابِرُ

فقلت : اشعر منه الأحْوَص حيث يقول :

سَيَبْقَى لها في مُضْمَر القَلْبِ والحَشَا   سَرِيرةُ وُدٍّ يوم تُبْلَى السَّرَائِـرُ

قال القاضي : بيتُ الأحْوص أوفى معنًى وتقصير البيت المقدَّم عنه في المعنى الذي قصده الشاعرانِ ، أجلى وأظهر من أن يخفى من وجوه شتَّى منها : أن الأول ، قال : إذا رُمْت عنها سلوةً ، والآخر أومأ إلى اتصال وُدِّهِ وامتناع انقطاعه وتصرُّمه ، وقال الأول : إن الذي يَثْنيه عن السلوة شافع يصرفه عنها بعد رومه إياها ، وجعل الأول وقت السلوِّ حين تجنّه وأهلها القبور ، وصيّره ميعاداً ينتظره من رام السُّلْوه ، فهذا نقد متيسر ظاهر لمتأمّله ، وإن لم يقلّ في جهبذة هذا الشأن وطبقته .

[بيت لأبي طالب في مدح الرسول]

حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ، أستاذ الهرويّ ، قال : حدثني عليّ بن محمد بن سهل ، قال : حدثنا محمد بن المغيرة النوفلي ، قال : حدثنا يحيى بن حكمة المُقَوِّم ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، قال : سمعت علي بن زيد يقول : تذاكروا أيّ بيت من الشعر أحسن ، قال : فقال رجلٌ : ما سمعتُ بيتَ شعرٍ أحسن من قول أبي طالب للنبي ﷺ :

وشقّ لــه من اسمــه ليُجلَّهُ   فَذُو العَرْشِ محمودٌ وهذا مُحمّد

[تعليق عروضي]

قال القاضي : قوله من اسمه ، يروى على وجهين : أحدهما من

(١) الخبر التالي في مصارع العشاق ٢٥١ .

إسمه على همزة مقطوعة لإقامة الوزن وقد جاء مثله في الشعر ، كما قال الشاعر[1] :

بأَبِي امْرُؤُ ألشَّـامُ بيني وبينَهُ   أَتَتْني بِبُشْـرَى بُـرْدُهُ ورَسَـائِلُه

وقال الآخر :

ألا لا أرى إثنين أكرمَ شِيمَةً   على حِدْثَانِ الدَّهْرِ مِنِّي ومن جُمْلُ

وقال آخر :

إذا جـاوز الإثنين سِـرٌّ فـإنَّـهُ   بِبَثٍّ وتكثيـرِ الـوشـاة قمينُ

ويروي ألا كلّ سرٍّ جاوز اثنين إنه ، فعلى هذه الرواية لا شاهد فيه ، والوجه الثاني في رواية البيت : وشق له من اسمه على الوصل وترك القطع إقراراً له على أصله في إخراجه عن قياسه ، فإذا روي هكذا فهو على الزِّحاف وزحافه حذف خامس جزئه الثاني مفاعِي لن ، فيصير مفاعلن ويسمى هذا الزحاف القبض ، وقد يقع الزحاف في هذا الخبر بإسقاط سابعه ، وهو نون مفاعي لن ويسمى الكف ، والقبض في هذا أحسن الزحافين عند الخليل ، والكف أحسنهما عند الأخفش ، وهذان الزحافان يتعاقبان ولا يجتمعان .

[من أحسن ما قيل في الرثاء]

حدثنا الحسين بن إسماعيل المحاملي ، قال : حدثنا عبدالله بن أبي سعيد ، قال : حدثنا أحمد بن موسى الملقي ، قال : حدثنا سوّار ، قال :

(١) سبقت الشواهد التالية في الجزء الأول من الكتاب .

قال الأصمعي : جهدت العرب أن تقول مثل هذا البيت فما قدرت :

لقـد سَخَّى ربيعـةُ أن يـومـاً عليهـا مثل يـومـك لا يعـودُ

قال القاضي : وقد نحا هذا النحو عددٌ من الشعراء ، إمّا اقتداءً وإمّا ابتداءً ، وفي جمعه طول كرهت الإطناب فيه ، ومن أحسن ما قيل في معناه :

لَعَمْري لئِن كُنَّا فَقَدْناك سَيِّداً كريماً له حقُّ التَّنَاوُشُ والفَزَع
لقد جرّ نفعاً فقْدنا لك إننا أمِنَّا على كُلِّ الرَّزايا من الجَزَع

وقال آخر :

لئن كانت الأيام أطْولْن لَوْعَتي لفقدك أو ألْزَمْن قَلْبِي التَّفَجُّعَا
لقد أمنتْ نفسي المصائِبَ بعدَهُ فأصبحتُ منها آمِناً أن أرَوَّعا

وهذا النوع وما يُضارِعه كثير ، كرهنا الإطالة بذكره .

[أبيات في الزهد]

حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر الأزدي ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، قال : حدثني أحمد بن محمد الأزدي ، قال : حدثني حامد بن أحمد بن أسيد ، قال : أخذت بيد عَليٍّ بن جَبَلةَ يوماً فأتينا أبا العتاهية فوجدناه في الحَمّام ، فانتظرناه فلم يلبث أن جاء ، فدخل عليه إبراهيم بن مقَاتل بن سهل وكان جميلاً ، فتأمله أبو العتاهية ، وقال مُتمثلاً :

يا حِسَانَ الوُجُوه سَوْفَ تَمُوتُو نَ وتَبْلى الوُجُوهُ تَحْت التُّرابِ

فأقبل على عليٍّ بن جَبَلَة ، فقال : اكتب :

يـا مُـرَبيٍّ شَبَـابَـهُ للتـراب سوف يلهو البِلَى بعِطْر الشباب
يا ذَوِي الأوجُهِ الحِسانِ المَصُونا تِ وأجسامها الغِضَاض الرِّطَاب
أكثـرُوا من نعيمهـا أو أقلُّوا سـوف تُهدونهـا لعَفْر التُّراب
قد تُصبك الأيام نصباً صحيحاً بفـراقِ الإخـوان والأصحـابِ

قال : فقال لي أبو العتاهية : قل يا حامد ، قلت : معك ومع أبي الحسن ؟

فقال : نعم ، فقلت :

يـا مقيمين رَحَلوا لـلذَّهـاب بشفير القُبـور حَطُّ الـرِّكـاب
نَعِّمُـوا الأوْجُـهَ الحِسَـانَ فمـا صَـوْنكموهـا إلا لعَفْر التـراب
والْبَسُوا ناعم الثياب ففي الحفـ ـرة تُعرُّون من جميع الثياب
قد ترون الشباب كيف يموتو ن إذا اسْتُنْضِرُوا بمَاءِ الشبابِ

[إسحاق الموصلي يحكم بين شاعرين]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثني أبو بكر بن عجلان ، قال : حدثني حماد بن إسحاق ، قال :

كان أبي عند الفضل بن يحيى وعنده مسلم بن الوليد الأنصاري ومنصور النمري يُنْشِدانه ، فقال : احكم بينهما ، فقلت : الحكم عيبٌ عليّ ، والأمير أولى من حكم وقد سمع شعرهما ، قال : أقسمتُ عليك لَمَّا فَعَلْت ، قلت : هما صديقان شاعران وقل من حكم بين الشعراء فسلم منهم ، ولكن إن أحبَّ الأميرُ وصفتُ له شعرهما ، فقال : فصفه ، فقلت : أما منصور النمري فحسن البِنَاء ، قريب المعنى ، سهل كلامه ، صعب

مرامه ، سليم المتون ، كثير العيون ، وأما مسلم فمزج كلام البَدَوِيِّين بكلام الحضريّين ، وضمنه المعاني اللطيفة ، والألفاظ الطريفة ، فله جزالة البدويّين ورقّة الحضريين ، قال : أَبَيْتَ أن تحكم فحكمت ، منصور أ٠ ، رهما .

[آراء للمؤلف في النقد بحضرة الخليفة]

قال القاضي : وكنت يوماً جالساً في دار أمير المؤمنين القادر بالله وبالحضرة جماعة من أماثل شعراء زماننا ، وفيهم من له حظٌّ من أنواع الآداب ، وتصرف في نقد الشعر ومعرفة بأعاريضه وقوافيه ، وخواصه ومعانيه ، وما يمتنع منه ويجوز فيه ، فأفاضوا في هذه الوجوه إلى أن انتهوا إلى ذكر أبي تمام ومسلم بن الوليد ، وقال كل واحد منهم في تجميل أوصافهما ، وترتيب أشعارهما بما حضره ، ولم أُصْغِ كل الإصغاء إلى ما أتوابه من ذلك ، إذ لم يَجْرِ على قصد التحقيق ، وظهر منهم أو من بعضهم تَشَوُّفٌ إلى أن آتي بما عندي في ذلك ، فقلت : أبو تمام له التقدم في إحكام الصنعة وحبك الألفاظ المطابقة المسْتَعْذَبة ، وإبداع المعاني اللطيفة المُسْتَغْرَبة ، والإستعارة المتقبلة الغريبة ، والتشبيهات الواضحة العجيبة ، ومُسلم له الطبع وقرب المأخذ ، فقبلوا بهذا وأعجبوا به ، وأظهروا استحسانه ، والاغتباط باستفادته ، ثم حضرني بعض من يتعاطى هذا الشأن فسألني إملاءَه عليه ، فقلت له : أنا قائِل لك في هذا قولاً وجيزاً مختصراً يأتي على المعنى ، وله مع الإختصار حلاوة ، وبهاء وطلاوة ، وهو أن أبا تمام أصنع ، ومسلم أطبع ، وكان بعضُ من قَدَّمتُ الحكاية عنه من الشعراء لما قلتُ في ذلك المجلس ما قلته أقبل عليَّ ، وقال لي : ما أحدٌ يُدَانِيك في هذا الباب ، فَلِمَ لا تكون مِنَّا ؟ ولم تؤثر مجالسة غيرنا ، لغلبة

هذا الشأن عليه ، وجرى يوماً بيني وبين رجلٍ له حظ من العلم والأدب ذكرُ بعض من كنا نجالسه من رؤساء ذوي السلطان والولاية ، وأهل العلم والأدب والرواية ، مع وفور حظه من التدين ، والنزاهة والتصون ، وأنَّهُ كان يخالفنا في أشياء ، ويمارينا فيها مع ظهور صحة مذاهبنا ، وفساد اختياراته المفارقة لاختيارنا ، وتذاكرنا ما يُظهره من الزّراية على أبي تمام وابن الرومي وأنه لا يقف عند التسوية بينهما وبين من هو منخفضٍ بدرجات متفاوتة عنهما ، حتى يَحَطَّهُما عمن هو في أَدْوَن رتبة وأوفى منزلة ، فقلت لهذا الرجل : كأن هذا الأمر يختلف بحسب اختلاف الأمزجة ، وتركيب الأبنية ، ويلحق بما يختلف فيه شهوات الناس ولَذّاتهم من الأطعمة والأشربة ، ويُؤْثِرُونه من المراكب والملابس والمواطن ، ثم ذكرت له أحوال الناس في اختيارهم ما يختارونه من الشعر ، وأن كثيراً منهم بالطويل أشد إعجاباً منه بغيره ، ويذهب غيره إلى مثل هذا في البسيط ، وبعضهم في الكامل ، وبعضهم في الوافر ، وقد كان قُدَامة الكاتب يرى تَقَدُّم أول السَّريع على غيره من أنواع الشعر في بهائه وتَقَبُّل الطبائع له ، وألف كتاباً في نقد الشعر وأتى بهذا المعنى فيه ، وذهب غيره إلى إيثار الخفيف ، وذكر أن الألحان أحسن موقعاً فيه منها فيما سواه ، قال : ولذلك صار محتملاً من الزِّحاف ما لا يحتمله غيره ، فقلت لهذا الرجل : إن نقد الشعر على التحقيق عَزيزٌ جدًّا ، وان الناقد الذي يُعْتَمدُ في النقد عليه ، ويُرجع في صحته إليه ، لا يكون كاملاً حتى يكون مفرِّقاً على الصحة بين المطبوع على المنظوم المؤلف ، وبين النَّظْمِ المُتَكَلّف ، والطريق المتعسِّف، ويكون ناقداً في فقه اللغة غير مقصر على تأدية مسموعها ، وحفظ مَنْصُوصِها ومَسْطُورها ، ومضطلعاً بلطيف الإعراب وقياس النحو ، حافظاً للأمثال المضروبة ، مهتدياً بأعلام العقل المنصوبة ، حَاصِراً لمجاري

العُرْفِ والعادة ، آخذاً من كلّ علم وأدب بحظٍّ ، وضارباً في صناعات الفكر بسهم، ويكون ناظراً مِدْرهاً ، قد أنس بجملة من أساليب المتفلسفين ، وصناعة المتكلمين ، وجدال المتناظرين ، ويكون مع هذا معتدلاً بعيداً من الهوى والتعصب لنوع دون نوع ، وشخص دون شخص ، وبحسب تكامل هذه الخلال ، واجتماع هذه الخصال ، تتكامل لناقد الشعر نقده ، وبحسب ما يعدم منها يقل حظه ، وبقدر تَمكُّن هذا الناقد من النقد بين الرجحان ، والتساوي والنقصان ، كما يُميِّز وازن الذهب والفضة بين الزائِد والمعتدل والناقص بالعيان ، ويتجلّى المعنى لأحدهما ببصره والآخر ببصيرته .

[بعض الناس يدعي من الآراء ما ليس له]

وكان بعض من مضى لسبيله من أهل زماننا شكا لبعض من يُحَاضِرُه في مجلس بعض ولاة هذا الزمان ، وحكى عنه أنه يعارضه في أشياء يأتي بها من الآداب ، يَدَّعيها لنفسه ، وكان مما حكى أنه وصف أبا تمام والبحتري ، فقال : أبو تمام أعلى ، والبحتري أحلى ، وادَّعى لنفسه هذا القول ، وقد كان عبيدالله بن محمد الأزدي حكى أنه سمع رجلاً في مجلس ثعلب يقول هذا ، فاستحييت من هذا المخاطب إلى أن أقول له هذا كلام قد سبقتما إليه ، وليس هو لك ولا له ، وكِلاكُما مُدَّعٍ منه ما لا حقَّ له فيه ، وخطر بقلبي ، قول القائل :

تَجمعُوا في فلانٍ فكلُّهم يَدَّعِيه   والأُمُّ تضحكُ منهم لعلمها بأبيه

وحكى لي بعض كُتَّابِ ابن الفُرات : أن ابن الفرات أنشد هذا ، قال : فقلت له : لو قال : لجهلها بأبيه ، كان أجود ، فأعجبه ذلك فناظرتُ الحاكي في هذا ، وبَصَرْت ما أتى به هذا الشاعر ولم أوثر إطالةَ كتابي

بحكايته ، وكان بعض أصحابنا حكى لي عن هذا المخاطب الشاكي إلى أنه ادّعى مثل هذه الدعوى في شيءٍ أنا ذاكرٌ ما روي لي فيه .

[دابة وما أشبهها لا تقع في شعر]

حدثنا صديقنا الحسن بن خالويه ، قال : كتب الأخفش إلى صديق له من الكتاب يستعير منه دابة ، ودابّة لا تقع في شعر لأنه جَمْعٌ بين ساكنين ، فكتب إليه :

أردتُ الركُوب إلى حاجةٍ   فمرْ لي بفاعلةٍ من دَبَبْتُ

وكان المكتوب إليه ظريفاً فأجابه :

بُرَيْذِيْنُنَا يا أخي غامزٌ[1]   فكنْ سيِّدي فاعلاً من عَذَرْتُ

فحكى صاحبنا هذا أن هذا الرجل ادّعى هذه القصة وهذا الشعر لنفسه .

قال : القاضي : فأما امتناع دخول دابّة وخاصّة وما أشبهها في الشعر لئلا يلتقي فيه ساكنان ، فهذا هو الأصل في هذا الباب ، وإنما يجتمع في الشعر ساكن ومُسَكَّن كقول امرىء القيس :

لا وأبيك ابنة العامِرِيِّ   لا يَدعي القَوْمُ أني أفرّ[2]
إذا ركبوا الخيل واستلأموا   تحرقتِ الأرضُ واليومُ قر[3]

---

(١) بريذين : تصغير برذون ، والبرذون نوع من الخيل ضخم الجثة عظيم الجسم ليس كالخيل العراب ، وغامز : أي يميل برجله في المشي ، وهو شبه العرج .

(٢) ديوانه ١٥٤ ، وقوله : استلأموا : أي لبسوا اللأمة وهي السلاح ، وتحرقت الأرض : أي لشدتهم وجماعتهم .

(٣) لم يرد البيت في ديوانه .

وقول الأعشى :

إذا أنا سَلَّمْتُ لم يُرْجِعُوا   تحيَّتَهم وهُمْ غير صُرّ[1]

وهذا كثير وتفسير هذا له موضع لم نر إطالة كتابنا هذا بذكره ، وقد بيناه في أولى المواضع ، وقد جاء في الشعر اجتماع الساكنين في مزاحف للمتقارب ، وذلك :

فقالوا القصاص وكان القصا   ص حقاً وعدلاً على المسلمينا[2]

وقد روي وكان القصاص على الأصل والوجه الجائز المعروف ، وقد كان بعضهم أتى في الشعر بالدواب وخفف الباء فلم يلتق ساكنان ، وبعضهم يكره التقاء الساكنين في منثور الكلام ويهرب منه إلى الهمز ، فيما لا أصل للهمز فيه ، وقد قرأ أيّوب السختياني ﴿ ولا الضَّأْلين ﴾[3] بالهمز ، وهذه قِراءةٌ مخالفة لقراءة سائِر الأئمة ، ولما نقله من في نَقْلِه الحجة من الأئمة ، وكذلك سبيْل القراءة التي رويناها .

[أمثلة مما همز ولا أصل للهمز فيه]

حدثنا محمد بن يحيى الصُّولي ، قال : حدثنا محمد بن يزيد ، قال : حدثنا أبو عثمان المازني ، قال : حدثنا سعيد بن أوس ، قال : سمعت عمرو بن عُبَيد يقرأ ﴿ فيومئذٍ لا يُسْأَلُ عن ذَنْبِه إنسٌ ولا جَأْن ﴾[4] ، مهموزاً ، فظننت أنه قد لحن ، حتى سمعت العرب تقول :

(١) الصر : الصياح والجلبة ، والبيت لم يرد في ديوان الأعشى .
(٢) البيت دون نسبة في العقد الفريد ٥/ ٣٩٤ .
(٣) سورة الفاتحة ، الآية ٥ .
(٤) سورة الرحمن ، الآية .

امرأة شابة ، وهذه دابة على أن كُثَيِّراً قد قال :

وأنتَ ابنُ لَيْلَى خَيْرُ قومِكَ مَأْثُراً   إذا ما احْمَأَرَّتْ بالدِّماءِ العَوَامِلُ

فعلمت أنه ما قرأ إلا بأصل .

قال محمد بن يزيد : فقلت للمازني : أَفَتُحبُّ أنت هذه القراءة ؟ قال : أختارها ، والتقاء السّاكنين اللّذين أولهما من حروف المدّ واللّين منها ما هو بمنزلة حركة من فصيح كلام العرب الجاري مجرى فصيح اللغة .

وقد روينا خبراً في معنى الخبر الذي رويناه عن ابن خالويه والشعر الذي تَضَمَّنه .

[نحوي يحادث جاريته]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا محمد بن سعد الكراني ، قال : حدثني يَقْدُم بن محمد ، قال : قال عوانة : كان رجلٌ يتكلّف النحو وكانت له جارية تسمى زَهْرة ، فناداها : يا فَعْلة من زَهَرْتُ ، هاتي فَيْعَلاَني من طَلَسْتُ ، يريد طَيْلَسانه .

[رجل يعاب من لا يصطنعه]

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا محمد بن زكريا الغلابي ، قال : حدثنا أبو سهل الرازي ، قال : لما دخل المأمون بغداد تلقّاه أهلُها ، فقال له رجلٌ من الموالي : يا أمير المؤمنين ! بارك اللّهُ لك في مَقْدَمِك ، وزاد في نِعَمك ، وشكرك عن رعيّتك ، فقد فُقْت مَنْ قَبْلَك ، وأتْعبتَ من بعدك ، وأيْأسْت أن يُعْتاض منك ، لأنه لم يكن

مثلك ، ولا علم شبهك ، أما فيمن مضى فلا يعرفونه ، وأما فيمن بقي فلا يرتجونه ، فهم بين دُعَاءٍ لك ، وثناءٍ عليك ، وتمسُّكٍ بك ، أخصب جنابك ، واحْلَوْلى لهم ثوابك ، وكَرُمَتْ مقدرتُك ، وحَسُنت مَبَرَّتُك ، ولانت نَظْرتُك ، فجبرت الفقير ، وفككت الأسير، وأنت كما قال الشاعر :

ما زِلتَ للبَذْل للنَّوَال وإطْـ ـلاقِ لِعانٍ بجُرْمِهِ غَلِقِ[1]

حتى تمنَّى البُزَاةُ أنهم عندك أمْسَوْا في القِدِّ والحَلَقْ[2]

فقال المأمون : مثلك يُعَاب من لا يصطنعه ، ويُعَرُّ مَنْ يجهل قدره ، فاعذرني في سالفك ، فإنك ستجدنا في مُسْتأنفنا .

[بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول]

حدثنا عبدالباقي بن قانع ، قال : حدثنا محمد بن زكريا الغلابي ، قال : حدثنا مهدي بن سابق ، قال : دخل المأمون ديوان الخراج فمرّ بغلام جميل على أذنه قلمٌ فأعجبه ما رأى من حُسْنه ، فقال : من أنت يا غلام ؟ قال : الناشىء في دولتك وخريج أدبك يا أمير المؤمنين المتقلّب في نعمتك ، والمؤمل لخدمتك الحسن بن رجاء ، فقال له المأمون : يا غلام بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول ، ثم أمر أن يرفع عن مرتبته في الديوان ، وأمر له بمائة ألف درهم .

[تامُّ الآلات في كل شيء]

حدثنا محمد بن الحسن من زياد المقري ، قال : حدثنا أبو عثمان

(١) العاني : الأسير، وغلق : لم يفد .
(٢) القد : للغل ، والحلق : واحدتها حلقة وهي ما تتكون منها السلاسل التي يشدون بها .

سعيد بن عبدالله بن سعيد المهرقاني بالبصرة ، قال : أخبرنا العباس بن الفرج الرياشيّ ، عن الأصمعيّ ، عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : كان عمرو بن معدي كرب يحدّث بحديث ، فقال فيه : لقيت في الجاهلية خالد بن الصَّقْعب وضَربتُه وقَدَوْتُه ، وخالدٌ في الحَلَقة ، فقال له رجل : إن خالداً في الحلقة ، فقال له : اسكت يا سيىء الأدب ، إنما أنت مُحدَّثٌ فاسمعْ أو فقم ، ومضى في حديثه فلم يقطعه ، فقال له الرجل : أنت شجاعٌ في الحرب والكذب معاً ، قال : كذلك أنا تامُّ الآلات .

المجلس التاسع والثلاثون

[حكم الحُدَاء والإنشاد]

حدثنا محمد بن يحيى بن صاعد ، قال : حدثنا عقبة بن قارم العمي ببغداد ، قال : حدثنا عبدالله بن حرب الليثي ، قال : حدثني أبو عبيدة معمر بن المثنى ، قال : ابن صاعد ثم خرجنا إلى البصرة سنة خمسين ومائتين فحدثناه أبو حاتم السجستاني سهل بن محمد ، قال : حدثنا أبو عبيدة مَعْمر بن المثَّنى ، قال : حدثنا رؤبة بن العجاج ، قال : حدثني أبي ، قال[1] :

سألت أبا هريرة ، فقلت : يا أبا هريرة ما تقوَل في الحُدَاء ؟

طـاف الخيالان وهَـاجَا سَقَمـا   خيـالُ تكْنَى وخيـالُ تكْتَمَـا[2]

---

(١) أنظر هذا الحديث الشريف صحيح البخاري باب الأدب ٩٠ ، ١١٦ ، وباب المغازي ٣٨ ، والديات ١٧ ، وانظر مسند الإمام أحمد ٣/ ١١١ ، ١٧٢ ، ١٨٧ ، ٣٠٣ ، ٣٣٧ ، ٣٥٢ ، ٣٥٨ .

(٢) في اللسان : تكنى وتكتما أسماء نسوة .

قامت تريك رهبةً أن تَصْرِمَا ساقاً بخَنْداة وكعباً أَدْرَمَا[1]

فقال : أبو هريرة كان يُحْدَى بنحو هذا أو مثل هذا مع رسول الله ﷺ ولم يَعِبْهُ ،

قال القاضي : هذا الخبر قد كتبناه عن عِدَّة من الشيوخ ، وفيه دلالة على الرُّخْصة في هذا الفن من الإنشاد والحُداء والنَّصْبِ[2] ، ولشيخنا أبي جعفر ولنا في هذا الباب كلام واسع ، وقوله : بخنداة يعني الساق الممتلئة الحسنة ، والأدرم : الأملس الذي ليس لحجمه نُتُوء .

[المتوكل لم يكن منحرفاً عن آل البيت]

حدثني أبو النضر العقيلي ، قال : أخبرنا أبو الحسن بن راهويه الكاتب ، قال : حكى علي بن الجهم عن المتوكل كلاماً وقد بلغه أن رجلاً أنكر على رجل ينتمي إلى التشيع قولاً أغرق فيه من مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فغضب المتوكل ، وقال : الناسبُ هذا المدح إلى الغُلُوِّ جاهلٌ ، وهو إلى التقصير أقرب ، وهل أحد بعد رسول الله ﷺ من أئمة المسلمين أحقُّ بكلِّ ثناءٍ حَسَنٍ من عليٍّ ؟ وأتى من هذا المعنى بما ذكر ابنُ رَاهَوَيْه أنه ذهب عنه حفظه .

قال القاضي : وكنت رويتُ في المجلس الخامس والثلاثين من مجالس كتابنا هذا عن أحمد بن الخصيب خبراً نسب فيه المتوكل إلى الانحراف عن أهل البيت عليهم السلام ، فخطّأتُ الخصيب في قوله

---

(١) في اللسان : خشية مكان رهبة ، وسوف يشرح المؤلف كلمتي بخنداة وأدرما .

(٢) نوع من الغناء رقيق .

هذا ، ووعدت أن آتي فيما أستقبله من المجالس بما يشهد لما قُلْتُه ، فعثرتُ على هذا الخبر فأوردتُه ، ولعلّي آتي بكثير ممّا روى معناه إذا وقعْتُ عليه ، فإن المتوكل أفضل من أن لا يعلم أن تعظيمه أهل البيت من أعظم مفاخره بعد تعظيمه رسول الله ﷺ ، إذ هو من آله ديناً ونسباً ، ولو كان المتوكل من عامة بني هاشم دون خلفائهم لكان حقيقاً بتعظيمه للإمام العدل الهاشمي ابن الهاشميين أبي سِبْطَيْ رسول الله ﷺ الحسن والحسين عليهما السلام .

[ابن عباس كان يأخذ بركابي الحسن والحسين]

وقد حدثنا محمد بن يحيى الصُّولي ، قال : حدثنا الغلابي ، قال : حدثنا ابن عائشة ، قال : حدثنا حسن بن حسين الفزاري ، قال : حدثنا قطري الخشاب ، عن مدرك بن عمارة ، قال : رأيت ابن عباس آخذاً بركاب الحسن والحسين فقيل له : تأخذ بركابهم وأنت أسنّ منهما ، فقال : إن هذين ابنا رسول الله ﷺ ، أوليس من سعادتي أن آخذ بركابهما ، والمتوكل لمن أحقِّ الناس بأن يتقبل ما فعله جدُّه ، وأولى من تأسّى بما أتاه ولم يَعْدُه ، وإنما كان انحرافه عمّن نازعه خلافته وسعى في تشعيث سلطانه ، والقدح في ملكه ، وكيف يظن ذُو لُبٍّ بالمتوكل الانحراف عن عشيرته وأسرته وفصيلته ، ولحمته الذين شرف بهم وورث المجد عنهم .

[خبر زيد بن موسى المعروف بالنّار]

وقد حدثنا عبدالله بن منصور الحارثي ، قال : أخبرنا الغلابي ،

قال : حدثنا رجاء بن مسلمة ، قال : حدثني زيد بن موسى بن جعفر[1] ، قال : لما أدخلت على المأمون وبَّخني ، ثم قال : اذهبوا به إلى أخيه أبي الحسن ، فجيء بي إلى الرِّضا[2] فتركت بين يديه ساعة واقفاً ثم رفع رأسه إلي ، فقال : يا زيد سَوْءةً لك ، ما أنت قائلٌ لرسول الله ﷺ إذْ سفكتَ الدِّماء وأخفت السَّبيل ، وأخذتَ المال من غيرِ حِلِّه ؟ لعلك غرَّك حديث حَمْقَى أهل الكوفة أن النبيّ ﷺ ، قال : إن فاطمة أحْصَنَتْ فرجها فحرّم الله ذُرّيتها على النار ، ويلك ! إنما هذا لمن خرج من بَطْنها الحسن والحسين فقط لا لي ولا لك ، والله ما نالوا ذلك إلّا بطاعة الله فإن أردت أن تنال بمعصية الله تعالى ما نالوه بطاعة الله عز وجلّ إنك إذاً لأكرمُ علَى اللّه عزّ وجلّ منهم .

زيد هذا امرؤ يعرف بزيد النَّار ، وله أخبارٌ ، وقد كان بعض ولده قدم من بلاد العجم إلى العراق ونوزع في نسبه ، وكان له حُجَجٌ في دعوته كانت منّي مَعُونَةٌ له ، فهذا الذي حكى لنا عن الرضا هو اللائق بفضله

(١) بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين العلوي ، ثائر ، خرج في العراق مع ثائر سمه أبو السرايا ، وولي إمارة الأهواز ، ولم يكتف بها بل ضم إليها البصرة ، وكان عليها عامل لأبي السرايا فأخرجه زيد واستقر بها ، وكان ذلك في ابتداء أيام المأمون .
قال ابن الأثير : سمي زيد النار لكثرة ما أحرق بالبصرة من دور العباسيين وأتباعهم ، وكان إذا أتى برجل من المسودة أحرقه ، وأخذ أموالاً كثيرة من التجار ، ولما ظفر المأمون بأبي السرايا وحمل إليه رأسه سنة ٢٠٠ هـ ، حوصر زيد في البصرة ، فاستأمن وأمن وأرسل إلى بغداد ، ومات أيام المستعين سنة ٢٥٠ هـ .
انظر الكامل لابن الأثير ٦/ ١٠٤ ، ١٠٥ ، وجمهرة الأنساب ٥٥ .

(٢) هو علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، أبو الحسن ، الملقب بالرضا ، ثامن الأئمة الأثنى عشرية عند الإمامية ومن أجلاء أهل البيت ، أحبه المأمون العباسي فعهد إليه بالخلافة من بعده وزوجه ابنته وخلع السواد شعار العباسيين وارتدى الثياب الخضراء شعار أهل البيت ، فثارت عليه النواحي ، وتوفي الرضا في أثناء ذلك فدفنه المأمون إلى جانب أبيه الرشيد ، ثم عاد إلى السواد ، فرضي الناس ، توفي الرضا سنة ٢٠٣ هـ .
انظر الكامل لابن الأثير ٦/ ١١٩ ، والطبري ١٠/ ٢٥١ .

وديانته ونُبْله ونباهته ، وشرفه ونزاهته ، وقد اتّبع فيه سبيل سلفه ، واهتدى بالمصطفين من آبائه المكرمين بالنبوة والإمامة ، صلوات الله عليهم ، وقد أوضح هذا المعنى كتاب اللّه عزّ وجل ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بما تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُون ، إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيم ، وما هو بِقَوْلِ شاعرٍ قليلاً ما تُؤْمِنُونَ ، ولا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قليلاً مَا تَذَكَّرُون تنزيلٌ من ربِّ العَالمين ، وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعضَ الأَقَاوِيلِ ، لأَخَذْنَا مِنْه باليَمين ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْه الوَتِين ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِين ﴾[1] ، فانظر إلى ما قاله في خير الناس عنده وأسْعاهم في مرضاته ، وأعملهم بطاعته ، وأتقاهم له ، وأوْرَعُهُم عن مَحَارِمه ، وأعرفُهم به ، وأحفظهم لحدوده ، وأعلمهم بشرائِعه ، وأفقههم في دينه ، وأنصحهم لخلقه ، وأكرمهم عليه ، إعلاماً منه لعباده ، أنه لا محاباة لـديه فذكر أمكن الرُّسُلِ عنده ، قَصْداً إلى تحذير خَلْقِهِ ، وتخويف عباده ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ ولقد أُوحِي إليك وإلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلتكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرين ﴾[2] فخصَّهُ بخطابه وهو يريد غيره ، تشريفاً له وتعظيماً لقدره ، ودلالة على خطر ما ذكره له ، كما خَصَّهُ بقوله : ﴿ يا أَيُّها النَّبِيُّ إذا طَلَّقْتُم النِّساء ﴾[3] وهكذا قصّ علينا في أمر غيره من عِلْية أنبيائه ورُسُله ، فذكر تعالى جدّه في السورة التي يذكر فيها الأنعام خليله إبراهيم عليه السلام ثم ، قال : ﴿ ووهَبْنَا له إسْحاق ويَعْقُوب كُلاًّ هَدَيْنا ونوحاً هدينا من قبلُ ومن ذُرِّيَّته دَاوُدَ وسُلَيْمَانَ وأيُّوبَ ويُوسُفَ ومُوسَى وهَرُونَ وكذلك نَجْزِي المُحْسِنين ، وزكرِيّا ويَحْيَى وعِيسَى وإلْيَاس كُلٌّ من الصَّالِحِين ، وإسماعيل

(١) سورة الحاقة الآيات ٣٨-٤٦
(٢) سورة الزمر ، الآية ٦٥ .
(٣) سورة الطلاق ، الآية ١ .

والْيَسَعَ ويُونس ولُوطاً وكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى العَالَمِين ، ومن آبائهم وذُرِّيَّاتِهِمْ وإخوانهم واجْتَبَيْنَاهُمْ وهديناهُم إلى صِراطٍ مُسْتَقِيم ، ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي به من يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلو أَشْركُوا لَحبِطَ عَنْهم ما كانوا يَعْملون [أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين][1] أُولئك الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدَهْ ﴾[2] .

[الأسد في سفينة نوح]

وقد حدثنا أحمد بن جعفر بن المنادي ، قال : حدثنا العباس بن محمد بن حاتم ، قال : حدثنا عفان بن مسلم أبو عثمان الصَّفار ، قال : حدثنا المبارك بن فضالة ، عن بكر بن عبدالله المزني ، قال :

لما أُمِرَ نوحٌ عليه السلام أن يحمل معه في السفينة من كل شيء فكان فيما حمل معه الأسد ، فجاع فزأر زأرةً خاف أهل السفينة أن يأكلهم ، فشكوه إلى نوح فشكاه نوح إلى الله جلّ وعز ، فألقى الله تعالى عليه الحُمّى ، وكان نوح يمرُّ به بعد ذلك فيركلُه برجله ، ويقول له : أرنا ما أنت بسرا ، قال : فيقول : له الأسد لا رباه ، قال ابن المنادي ، قال لنا العباس بن محمد: قد أكدتُ بهذا الحديث يحيى بن مَعِين فاستحسنه واستغربه ، وقال : أنا مع كثرة كتابتي عن عفّان لم أكتب هذا ، فأين كتبْت عنه هذا الحديث؟ فقلت : بالبصرة .

[لا يحب الله من الظلم شيئاً]

وحدثنا العباس أيضاً ، قال : حدثني أبو يحيى الحُماني ، قال :

---

(١) لم ترد في الأصل .
(٢) سورة الأنعام ، الآيات ٨٤ ـ ٩٠ .

حدثنا الأعمش ، عن مُجَاهد ، قـال : لما أمر نوح بإخراج مَنْ في السفينة مر بالأسد ، وقد ألقيت عليه الحُمَّى فضربه ليقيمه ، قال : أبو يحيى : ما أدري بيده أم برجله ، فخمشه الأسد فبات ساهراً فشكا ذلك نوح إلى الله تعالى ، فأوحى الله تعالى إليه : إني لا أحب من الظلم شيئاً .

[قضية رجل يسب السلف]

كنت بحلوان سنة خمس وثلاثين وثلثمائة فاتفق أن شيخاً كان يجالسنا بها من أهل الدِّينَوَر يُعرف بأبي الحسن بن ظُفْرَان ويُؤْنِسُنا ، وكان مُحَدِّثاً قد حلب الدهر أَشْطُره ، وخالط الرؤساءَ وصحب السلطان وتعلّق بأربه وتصرّف في أعماله ، وكنا نعجب بمعاشرته وحديثه ، وذكر لأبي الحسن بن طاهر الكاتب فعرفه وذكر أن له ابناً هو خليفته وصاحبه على البريد والخبر بالدِّينَوَر .

فحدثنا أبو الحسن بن ظفران هذا من حفظه، بما أن مُوردٌ معناه بلفظ دون لفظه عمن حدثه، قال: كان بالدّينَور شيخٌ يتشيَّع ويميل إلى مذهب أهل الإمامة ، وكان له أصحاب يجتمعون إليه ، ويأخذون عنه ، ويدرسون عنده ، يقال : له بشر الجَعَّاب فرفع صاحبُ الخبر بالدِّينَوَر إلى المتوكل أن بالدينور رجلاً رافضياً يُحْضِرُ جماعةً من الرَّافِضة ويتدارسون الرَّفْض ، ويسبُّون الصَّحابة ، ويشتمون السَّلف ، فلما وقف المتوكل على كتابه أمر وزيره عبيدالله بن يحيى بالكتابة إلى عامله على الدّينور بإشخاص بشر هذا والفرقة التي تجالسه ، فكتب عبيدالله بن يحيى ذلك ، فلما وصل إلى العامل كتابه وكان صديقاً لبشر الجعّاب ، حسن المصافاة له ، شديد الإشفاق عليه ، هَمَّهُ ذلك وشقّ عليه ، فاستدعى بشراً وأقرأه ما كُوتِب به في أمره وأمر أصحابه ، فقال له بشر : عندي في هذا رأي إن استعملته

كنت غير مُسْتَبْطِيءٍ فيما أمرت به ، وكنت بمنجاة مما أنت خائف عليَّ منه ، قال : وما هو ، قال : بالدينور شيخ خَفَّاف اسمه بشر ومن الممكن المتيسر أن تجعل مكان الجعّاب الخَفّاف ، وليس بمحفوظ عندهم وما نسبت إليه من الحرفة والصناعة ، فسُرَّ العامل بقوله وعمد إلى العَيْنِ من الجَعَّاب فغيَّر عَيْنِهَا وغير اسْتِوَاءَ خَطِّها وانبساطه ، ووصل الباء بما صارت به فاء ، وكان أخبره عن بشر الخفاف أنه رجلٌ في غاية البله والغفلة ، وأنه هُزَأَة عند أهل بلده وضُحكَة ، وذلك أن أهل سواد البلد يأخذون منه الخِفاف التَّامَّة والمقطوعة بنسيئة ، ويَعِدُونَه بأثمانها عند حصول الغَلَّة ، فإذا حصلت وحازُوا ما لهم منها مَاطَلُوه بِدَيْنِه ، ولَوَوْهُ بحقّه ، واعتلُّوا بأنواع الباطل عليه ، فإذا انقضى وقت البيادر ، ودنا الشتاء واحتاجوا إلى الخِفَاف وما جرى مجراها وَافَوْا بِشرا هذا واعتذروا إليه وخدعوه ، وابتدوا يَعِدُونه الوفاءَ ويُؤَكدون مواعيدهم بالأيمان الكاذبة ، والمعاهدة الباطلة ويضمنون له أداء الدّيون الماضية والمستأنفة ، فيَحسُن ظَنُّه بهم ويستسلم إليهم ، ويستأنف إعطائهم من الخِفاف وغيرها ما يريدونه ، فإذا حضرت الغَلّةَ أجْرَوْه على العادة وحملوه على ما تقدم من السنة ثم لا يزالون على هذه الوتيرة من أخذ سَلَفِهِ في وقت حاجتهم ، ودفعه عن حقّه في أبّان غلاّتهم ، فلا يَنْتبه من رقدته ولا يفيقُ من سُكْره وغفلته ، فأنفذ صاحب الخبر كتابه وأشار بتقديم هذا الخَفَّاف أمام القول ، والإقبال عليه بالمخاطبة وتخصيصه بالمسألة ، ساكناً إلى أنه يأتي من ركاكته وعِيِّه وفهاهته بما يضحك الحاضرين ويحسم الاشتغال بالبحث عن هذه القصة ، ويتخلَّص من هذه البليّة ، فلما ورد كتاب صاحب الخبر أعلم عبيدالله بن يحيى المتوكل به وبحضور القوم فأمره أن يجلس ويستحضرهم ويخاطبهم فيما حُكِي عنهم ،

وأمر فعُلِّقَتْ بينه وبينهم سَبَنِيَّة[1] ليقف على ما يجري ويسمعه ويشاهده ، ففُعل ذلك ، وجلس عبيدالله واستدعى المحضرين فقدموا إليه يقدمهم بِشر الخَفّاف ، فلما جلسوا أقبل عبيداللّه على بشر ، فقال : أنت بشر الخَفَّاف فقال . نعم ، فسكنتْ نفوسُ الحاضرين معه إلى تمام هذه الحيلة ، وإتمام هذه المدالسة ، وجواز هذه المغالطة ، فقال : إنه رفع إلى أمير المؤمنين من أمركم شيء أنكره فأمر بالكشف عنه ، وسؤالكم بعد إحضاركم عن حقيقته ، فقال له بشر : نحن حاضرون ، فما الذي تأمرنا به ؟ قال : بلغ أمير المؤمنين أنه يجتمع إليك قوم فيخوضون معك في الترفض وشتم الصحابة ، فقال بشر : ما أعرف من هذا شيئاً ، قال : فقد أمرت بامتحانكم والفحص عن مذاهبكم فما تقول في السلف، قال : لعن الله السَّلَف ، فقال له عبيدالله : ويلك تدري ما تقول؟ فقال: نعم ، لعن الله السلف ، فخرج خادم من بين يدي المتوكل ، فقال لعبيدالله : يقول لك أمير المؤمنين : سَلْهُ الثالثة فإذا أقام على هذا فاضرب عنقه ، فقال له : إني سائلك في هذه المرة فإن لم تَتُبْ وترجع عما قلت أمرت بقتلك ، فما تقول الآنَ في السلف ؟ فقال : لعن الله السَّلف ، قد خَرَب بيتي ، وأبطل معيشتي ، وأتلف مَالي وأفقرني وأهلك عيالي ، قال : وكيف ، قال : أنا رجلٌ أُسَلِّف الأَكَرَةَ وأهل الرُّسْتاق الخفاف والتَّمَشْكان، على أن يُوفوني الثمن مما يحصل لهم من غلاتهم ، فأصير إليهم عند حصول الغلة في بَيَادرهم ، فإذا أَحْرزُوا الغَلّات ، دفعوني عن حقّي وامتنعوا من تَوْفِيَتي مالي ، ثم يعودون عند دخول الشتاء فيعتذرون إليّ ، ويحلفون لي أنهم لا يُعاوِدُونَ مَطْلي وظُلمي ، وأنهم

(١) السبنية : ثياب تتخذ من الكتان أغلظ ما تكون .

يؤدون إليَّ المتقدم والمتأخر من مالي ، فأجيبهم إلى ما يلتمسونه وأعطيهم ما يطلبونه ، فإذا جاء وقت الغَلّة عادوا إلى مثل ما كانوا عليه من ظُلمي وكَسَرُوا مالي ، فقد اختلّت حالي ، وافتقرْتُ أنا وعيالي ، قال : فسُمع ضَحِكٌ عالٍ من وراءِ السَّبَنِيَّة ، وخرج الخادم ، فقال : استحلل هؤلاء القوم وخلّ سبيلهم ، فقالوا : أمير المؤمنين في حِلٍّ وسَعَة ، فصرفهم فلما توسطوا صحن الدار، قال بعض الحاضرين : هؤلاء قومٌ مُجَّان يحتالون وصاحب الخبر فَطِنٌ مُتَيقِّظ ، لا يكتب إلا بما يعلمه ويثق بصحته ، وينبغي أن يُسْتَقصى الفحصُ عن هذا والنظر فيه ، فأمر بردّهم ، فلما أمروا بالرجوع ، قال بعض الجماعة التابعة لبعض : ليس هذا من ذلك الذي تقدم ، فينبغي أن نتولّى نحن الكلام ، ونسلكَ طريق الجِدِّ والديانة ، ورجعوا فأمروا بالجلوس ثم أقبل عبيداللّه عليهم ، فقال لهم : إن الذي كتب في أمركم ما كتب ليس ممن يُقْدِم على الكَتْبِ بما لم يَقْتُلْهُ عِلماً ويُحيط به خُبْراً ، وقد أمر أمير المؤمنين باستئناف امتحانكم وإنعام التفتيش عن أمركم ، فقالوا له : افعل ما أمرت به ، فقال : من خيرُ النَّاس بعد رسول الله ﷺ ؟ قلنا : أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب ، فقال لخادم بين يديه : قد سمعت ما قالوا فأخبر أمير المؤمنين به ، فمضى ثم عاد ، فقال : يقول لكم أمير المؤمنين : هذا مذهبي، فقلنا : الحمد لله الذي وافق أمير المؤمنين في دينه ووفّقنا لاتباعه وموافقته على مذهبه ، ثم قال لهم : ما تقولون في أبي بكر رضي الله عنه ؟ فقالوا : رحمة الله على أبي بكر ، نقول فيه خيراً ، قال : فما تقولون في عمر قلنا : رحمة الله عليه ولا نُحِبُّه ، قال : ولم ؟ قلنا : لأنه أخرج مولانا العبّاس من الشُّورى ، قال : فسمعنا من وراء السَّبَنِيَّةِ ضحكاً أعلى من الضحك الأول ثم أتى الخادم ، فقال لعبيداللّه عن المتوكل : أتبعهم صِلَةً فقد لزمهم في طريقهم مؤونة

واصْرِفْهم ، فقالوا : نحن في غِنىً وفي المسلمين من هو أحقُّ بهذه الصِّلة وإليها أحوج .

قال القاضي : فهذه الحكاية تُبيِّنُ أن المتوكل على خلاف ما توهمه ابن الخصيب ، وبمعزلٍ مما نسبه في هذا المعنى إليه ، والله تعالى أعلم بالضمائر ، وخفيّات السَّرائر ، وهو المجازي كلَّ مُحْسن ومسيء بعمله .

[اعتذار الحسن بن وهب عن الإعطاء]

حدثنا محمد بن يحيى الصُّولي ، قال : حدثنا محمد بن موسى البربري ، قال : كتب رجلٌ إلى الحسن بن وهب[1] يستميحه وكان مضيقاً ، فكتب إليه الحسن :

الجودُ طَبْعِي ولكنْ ليس لي مالُ ... فكيف يحتال من بالرَّهْن يحتالُ
وشهوتي في العطايا وانبساطُ يدي ... وليس ما أشتهي يأتي به الحال
فهاك خطي فزُرْني بحيثُ لي نشبُ ... وحيث يمكنُ إحْسَانٌ وإفضالُ

(١) الحسن بن وهب سعيد بن عمرو الحارثي ، أبو علي ، كاتب شاعر ، كان معاصراً لأبي تمام وله معه أخبار ، وكان وجيها استكتبه الخلفاء ومدحه أبو تمام ، وهو أخو سليمان بن وهب وزير المعتز والمهتدي .
ترجمته في فوات الوفيات ١ / ١٣٦ وسمط اللآلي ٥٠٦ .

المجلس الأربعون

[لن يدخل الجنة شحيح أو بخيل]

حدثنا رضوان بن أحمد بن جالينوس الصَّيْد نائي ، قال : حدثني ابن أبي الدنيا ، قال : حدثني إبراهيم بن عبدالله ، قال : حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع ، قال : حدثنا محمد بن حرب ، عن سعيد بن سنان ، عن أبي شجرة ، عن أبي الدرداء .

أنّ رسول الله ﷺ ، قال : « أفتقولون أو يقول قاتلكم : الشَّحِيحُ أعْذَرُ من الظالم وأيّ ظلم أظلم عند الله من الشُّحِّ ، ما أسرع في نفض الإسلام شيءٌ إسْراع الشُّحِّ ، وحَلَف اللّهُ بعزّتِه وجلاله ، لا يُدْخِلُ الجنّةَ شحيحاً ولا بَخِيلاً .

قال القاضي : في هذا الخبر ما يبعثُ عن التَّنَزُّهِ عن الشُّحِّ ، والرغبة عن الدناءةِ والبخل ، ويدعو إلى السَّماحة والبَذْلِ ، ويحثُّ على السَّخاء ، ويبعث على العطاء ، وقد جاء عن النبيّ ﷺ بمثل هذا الخبر أخبار كثيرة ، وعن السلف والخلف ، وأتى فيه من أخبار العرب وجواهر كلامها ، ومنظوم

أشعارها ، مما يقف الناظر في مجالس كتابنا هذا على الكثير المستحسن منه ، ولا يحتمل هذا المكان الإتيان بجميعه في مجلس واحد لطوله .

[تعزية بليغة]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، قال :

عزّى رجلٌ بعضَ ملوك العَجم ، فقال : أغناك الله عن الحاجة إلى الصبر بحسن العزاء ، ولا أنساك مصيبتك بأعظم منها ولا حرمك جزيل الثواب عليها .

[مخارق يهاجم إسحاق الموصلي فيدافع هذا عن نفسه[1]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثني أبو الفضل الرَّبَعي ، قال : حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، قال[1] :

قال لي عليُّ بن هشام[2] : قد عَزَمْتُ على الصَّبُوح فاغْدُ عليّ ، فعاقني عائق عن البكور إليه ، فجئتُ في وقت الظهر وعنده مُخارِق ، فقال لي : يا أبا إسحاق أين كنت ؟ فقلت : شغلني ـ أعزَّ اللّه الأمير ـ ما لم أجد من القيام به بُدّاً ، ثم دعا بطعام وجلسنا على شرابنا فغنى مُخَارق صوتاً من الطِّوِيل شعـر المؤَقَّل ، والغناء لأبي سعيد مولى فايد وهو :

---

(١) الخبر التالي برواية أحمد بن يحيى المكي في الأغاني ٥/ ٣٠٦ ، وذكر فيها أن الداعي لإسحاق كان الفضل بن الربيع ، وأن المغني كان علويه مع وجود مخارق في المجلس . وقد ذكر في آخر الخبر أنه يروى أيضاً عن أبي الفضل الربعي وأن الداعي كان علي بن هشام كما هنا . ولم يرد فيه ذكر الأبيات التي هنا كلها .

(٢) علي بن هشام كان قائداً من قواد المأمون الذين أرسلهم لحرب بابك الخرمي ، انظر المعارف ٣٩١ .

وقد لامني في حب مَكْنُونَةَ التي أهيمُ بها أهلُ الصَّفَاءِ فأكثرُوا
يقولون لي مَهْلاً وصبراً فلم أجدْ جَوَاباً سوى ان قلت كيف التصبر
أأصبرُ عن نفسي وقد حيل دُونها ووافقني منها الذي كنت أحذرُ

فأخطأ فيه ، فقلت : أخطأت ويلك ! ثم غنَّى صوتاً من البسيط شعره لحميد بن ثور ، والغناء للهُذَلي وهو :

يا مُوقِد النار بالعلياء من إضَمٍ قد هِجْت لي سُقُماً يا مُوقِد النَّارِ
يا رُبَّ نارٍ هدتني وهي مُوقَدَة بـالنِّدِّ والعَنْبـر الهنديِّ والغَـارِ
تَشُبُّهـا إذ خَبَتْ أيدٍ مُخَضَّبـةٌ من ثَيِّبـاتٍ مَصُـونـاتٍ وأبْكـارِ
قلوبُهن ولـم يَبْـرَحْن شاخِصَـةً ينظرن من أين يأتي الطَّارِقُ السَّارِي

فأخطأ فيه ، فقلت : أخطأت ويلك ! ثم تغنى صوتاً ثالثاً من الكامل ، شعره لكُثَيِّر ، والغناء لمعْبَد :

إنِّي لأَسْتَحِي أن أَبُوح بحاجتي فـإذا قرأتِ صحيفتي فتفهَّمِي
وعليـك عهدُ الله إن أنبـأتِـهِ أحـداً ولا أظهـرتِـه بتَكَلُّمِ

فأخطأ فيه ، فقلت : أخطأت ويلك ! فغضب ، وقال : يا أبا إسحاق يأمرك الأمير بالبكور فتأتي ظهراً، وتغنّيت أصواتاً كُلُّها يُحبّها ويطرب إليها فخطأتني فيها ، وتزعم أنك لا تضرب بالعود إلا بين يَدَيّ خليفةٍ أو وليِّ عهد ، ولو قال لك بعضُ البرامكة مثلَ هذا لبكَّرْتَ وضَرَبْتَ وغَنَّيت ، فقلت: ما ظننتُ أن هذا يَجْري ، ووالله ما أُبْديه انتقاصاً لمجلسِ الأمير أعثّره الله ، ولكن اسمع يا جاهل ، ثم أقبلتُ على ابن هشام ، فقلت : دعاني ـ أصلح الله الأمير ـ يحيى بن خالد يوماً ، وقال لي : بكِّر فإنِّي على

الصَّبوح ، وقد كنت يومئذ في دارٍ بأُجْرة ، فجاءني من الليل صاحبُ الدَّار فأزعجني إزعاجاً شديداً . فَجرُتْ منّي يمينٌ غليظةٌ أني لا أُصْبح حتى أتحوَّل ، فلما أصبحتُ خرجت أنا وغلماني حتى اكتريتُ منزلاً وتحوّلتُ ثم صرتُ إلى يحيى وقت الظهر ، فقال لي : أين كنت إلى الساعة ؟ فحدّثتُه بقصَّتي وقعدنا على شربنا وأخذنا في غنائنا ، فلم ألبث أن دعا يحيى بدواة وقرطاس فوقع شيئاً لم أدْرِ ما هو ، ثم دفع الرُّقْعة إلى جعفر فوقّع فيها شيئاً ودفعها إليّ ، فإني لأنظر فيها ولم أدْر ما تَضَمنتْ إذْ أخذها الفضلُ بن يحيى فوقّع فيها شيئاً ودفعها إليّ ، وإذا يحيى قد كتب : يُدفع إلى إسحاق ألفَ ألفٍ يبتاعُ بها منزلاً ، وإذا جعفر قد كتب يُدفع إلى إسحاق ألف ألف يبتاع بها أثاثاً ، وإذا الفضلُ قد وقع : يدفع إلى إسحاق ألف ألف يَصْرفها في نفقاته ومُرُوءته ، فقلت في نفسي هذا حُلْم ، فلم ألبث أن جاء خادم أخذها من يدي ، فلما كان في وقت الإنصراف استأذنتُ وخرجت ، فإذا أنا والله بالمال وإذا الوكلاءُ ينتظروني حتى أقبضه منهم فعلام يَلُومُني هذا الجاهل؟ ثم قلت لمخارق : هات العود فأخذتُه ورددت الأصوات التي أخطأ فيها ، وغنيت صوتاً من الطويل بشعر لابن ياسين ، والغناء فيه لي وهو :

إلهي مَنَحْتَ الوُدَّ مِنِّي بخيلةً وأنت على تَغْيير ذاك قَدِيرُ
شفاءُ الهوى بَثُّ الجوى واشتكاؤه وإنّ امْرأً أخْفَى الهوى لصَبُورُ[1]

فطرب لذلك طرباً شديداً ثم قال : حُقَّ لك ، ثم أقبل على مُخَارق ، فقال : يا فاسق ! ما أنت والكلام ، وأمر لي بمائة ألف درهم وخِلعة ، وأمر لمخارق بعشرة آلاف درهم ، فبلغ ذلك إسحاق بن خلف فأنشأ يقول :

---

(١) البيتان في الأغاني ٥/ ٣١١ .

إن جئتَ ساحته تبغي سماحته   تَلْقَاكَ رَاحَتُهُ بالوَبْلِ والدِّيَمِ
ما ضرَّ زائره الرَّاجي لنائله   إن كان ذا رَحِمٍ أو غير ذي رحِمِ
فَعَالُه كرمٌ وقوله نَغَمٌ   بقوله نَعَمٌ قد لجَّ في نِعَم

قال القاضي : قول حميد بن ثور : النِّدُّ والعنبر الهندي ، زعم بعضُ علماء اللغة أن النِّد أعجمي ، وهذا حميد بن ثور أتى به في شعره ، وقد روي شعرٌ في خبر لمعاوية نسبه بعضُ الرُّواةِ إلى عبدالرحمن بن حسان ، وبعضهم إلى [أبي][1] دَهْبل ، فذكر بعضُ من رواه أنه قال فيه :

تجعل النِّدَّ والأَلُوَّةَ والمِسْـ   ـك صِلاَلَها على الكانون

وقال العَرْجيُّ :

تَشُبُّ مُتُون الحُمْر بالنِّد تَارَةً   وبالعنبر الهنديِّ والعَرْفُ سَاطِعُ

وقال الأحوص :

إذا خَبَتْ أُوقِدَتْ بالنِّدِّ واشْتَعَلتْ   ولم يكنْ عِطْرُها مِسْكٌ وأظْفَارُ

وقوله : تَشُبُّها إذا خَبَت، معنى تشبها: تُلْهِبُها وتُضْرِمُها ، قال الأَحْوص بن محمد الأنصاري :

أمِن خليدَة وَهْناً شَبَّتِ النَّارُ   ودُوننا من ظلام الليل أَسْتَارُ
باتَتْ تُشَبُّ وبتنا الليلَ نَرْقبها   تعنى قلوبٌ بها مَرْضى وأبْصَارُ[2]

---

(١) ساقطة من الأصل ، وانظر القصة التي يشير إليها المؤلف مع قصيدة فيها البيت التالي ، أنظرها في الأغاني ٧/ ١١٤ ، ١٣٧ في أخبار أبي دهبل ، ورواية البيت فيها :
تجعل المسك واليلنجوج والنسد صلاءً لها على الكانون .
والألوة : بفتح الهمزة أو ضمها : العود الذي يتبخر به .
(٢) انظر ديوانه ٨٦ ، نقلاً من الزهرة ٢٣٨ .

يقال : شبّت النار والحرب شَبُّهما الإنسان يَشُبُّهَا شبوباً وشَبّاً ، وشبَّ الصبيُّ يَشِبُّ شَبَاباً وشَبِيبةً ، وشَبَّ الفرسُ يَشِبُّ شِبَاباً وشُبُوباً ، وقوله : إذا خبت يعني إذا خمدَتْ ، يقال : خَبَت النّار تخبو خُبُوّاً إذا سكنت ، قال الشاعر[1] :

ومنا ضِرَار وابنماه وحاجبٌ مُؤَجِّجُ نيرانِ المكارمِ لا المُخْبِي

وقال آخر :

أمن زَيْنب ذي النَّارُ قُبَيْلَ الصُّبْحِ ما تَخْبُو
إذا ما خَمدَت يَلْقَى علينا المنْدَلُ الرَّطْبُ

وقال القطاميّ :

وكنا كالحريقِ أصاب غابا فيخبُو تارةً ويَهُبُّ ساعَا[2]

وقد قيل في قول الله تعالى : ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً ﴾[3] أقوال ، قيل : إن المعنى كلما سكنت ، وقيل المعنى كلما التهبت وتوقّدت ، وجعلوا هذه الكلمة من الأضداد ، وقيل : بل المعنى بهذه الجلود ، والتأويل كلما خَبَت جلودهم .

وشرح هذا يأتي في كتابنا المسمى « البيان الموجز عن علوم القرآن المعجز » إن شاء الله .

وقول : كُثَيِّر : إني أَسْتَحيك ، اللغة الفصيحة إني أستحييك ،

---

(١) هو الكميت، انظر البيت التالي في ديوانه ١/ ١٢٥ ، لسان العرب (خبا) ، المقتضب ٢/ ٩٣ .

(٢) ديوانه ٤٩ ، واللسان « سوع » ، والرواية فيه : وكنا كالحريق لدى كفاح .

(٣) سورة الاسراء ، الآية ٩٧ .

قال : الله تعالى : ﴿ إنَّ الله لا يَسْتَحْيِي أنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ﴾[١] ، وقال عزّ ذكره : ﴿ إنّ ذلكُمْ كان يُؤْذِي النَّبِيَّ فيَسْتَحيي مِنكُمْ ، واللّهُ لا يَسْتَحيي من الحق ﴾[٢] وللعرب فيه لغة أخرى بعد هذا وهي استحى يستحي كما قال الشاعر :

ألاَ يَسْتَحي منّا رجالٌ وتَتَّقِي محارِمَنَا لا يَبُوءُ الدَّمُ بالدَّمِ[٣]

ونسب إسحاقُ الشعر الذي ختم مجلسه بالغناء فيه إلى أنه من الطويل ، وهو كما قال ؛ إلا أنه لم يبيّن أي نوع من الطويل هو ، فرأيت أن أبيِّنه وأقول : إنه النوع الثالث منه ، وهو مقبوض العَرُوض محذوف الضرب ما كان مطلقاً ، ومنه :

أقيمُوا بَنِي النُّعْمَانِ عنَّا صُدُورَكُمْ وإلا تُقِيمُوا صَاغِرِين الرُّؤُسَا[٤]

فإذا صُرِّع أُلْحقْتَ عَرُوضَه بضَرْبِه ، فصارت محذوفة بمنزلته وكانت في الإطلاق أتم وأطول منه ، فمن مُصرَّع هذا النوع قول امرىء القيس :

لمنْ طَللٌ أبْصَرتُهُ فَشَجاني كخطِّ الزَّبُورِ في عَسِيبٍ يَمَانِ[٥]

وقال أيضاً :

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٦ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٥٣ .

(٣) البيت لجابر بن حني التغلبي كما ورد في المفضليات ٤٢٦ ، واللسان (بوأ) ، والرواية فيه :

ألا تنتهي عنا ملوك وتتقى محارمنا لا يُبْأُ الدم بالدم

والمعنى : حذار أن يباء الدم بالدم ، وعلى الرواية التي معنا ، فالمعنى : حذار أن تبوء دماؤهم بدماء من قتلوه .

(٤) البيت ليزيد بن الخذاق الشني ، انظره في المفضليات ٥٩٩ ، والعقد الفريد ٥/ ٤٧٨ .

(٥) ديوانه ٨٥ ، والرواية فيه : زبور ، وهو الكتاب ، وقوله في عسيب يمان : كان أهل اليمن يكتبون في عسيب النخل عهودهم وصكاكهم .

أجَارَتَنا إنَّ الخُطُوبَ تَنُوبُ   وإنِّي مُقِيمٌ ما أَقَامَ عَسِيبُ[1]

وقبض فَعُولن الذي قبل الضرب من هذا الشعر ، عَذْبٌ في الأسْمَاع من إيراده سالماً .

[ابن بيض يتحقق له حلمه]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثنا عبدالله بن بنان ، قال : حدثنا عامر الكوفي ، قال :

دخل حمزة بن بَيْض[2] على يزيد بن المهلَّبِ يوم جمعة وهو يتأهَّبُ للمضيِّ إلى المسجد ، وجاريةٌ تُعَمِّمُهُ فضحك ، فقال : له يزيد : مِمَّ تَضْحك ، فقال : لله رُؤْيَا رأيتُها إن أذن لي الأميرُ قَصَصْتُها ، قال : قل ، فأنشأ يقول :

رأيتُكَ في المنام سَنَنْتَ خزّاً   عَلَيَّ بَنَفسَجاً وقَضَيْتَ دَيْني
فَصَدِّقْ مَا هُدِيتَ اليوم رُؤْيا   رأتها في المنامِ كذاكَ عَيْنِي

قال : كم دينُك ؟ قال : ثلاثون ألفاً ، قال : قد أمرتُ لك بها وبمثلها ، ثم قال : يا غلمان ! فَتِّشُوا الخزائن فجيئوه منها بكل خَزٍّ بَنَفْسَجٍ تَجِدُونها ، فجاءوا بثلاثين جُبَّة ، فنظر إليه يلاحظ الجارية ، فقال : يا جارية ساوني عَمَّك على قَبْضِ الجِبَاب ، فإذا وصلت إلى منزله فأنت له ،

---

(1) ديوانه ٣٥٧ ، والرواية فيه للشطرة الأولى :
أجارتنا إن المزار قريب   ....

(2) هو حمزة بن بيض الحنفي ، شاعر مجيد ، سائر القول ، من أهل الكوفة ، وكان كثير المجون ، انقطع إلى المهلب بن أبي صفرة وولده وحصلت له أموال كثيرة . ثم اتصل بعبد الملك بن مروان وله أخبار طريفة مع هؤلاء جميعاً ، توفي سنة ١٢٠ هـ .
انظر فوات الوفيات ١/ ١٤٧ ، معجم الأدباء ٤/ ١٤٦ ـ ١٥٠ .

فأخذها والجباب والمال وانصرف .

قال : سننت خَزّاً أي ألقيته وصَبَبْتُهُ عَليَّ ، يقال صَبَّ عليه ثوبه كما قال أبو نواس :

صَبَبْتُ على الأسير ثيابَ مَذْحِجي فقال الناسُ أحسنَ بل أجادا[1]

ويقال : سننتُ عَليَّ قميصي ، وسننتُ الماء على وجهي بالسين المهملة ، وشننت عليّ الماء إذا أفَضْتَه على جسدك ، بالشين المعجمة ، وكذلك شَنَّ عليه الدِّرْع ، وشنَّ عليهم الغارة ، وقيل في قوله تعالى : ﴿ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾[2] أي مَصْبوب على قصد ، وقيل : متغير الرائحة ، وهذا مسنون وسَنِين ، ولهذا الباب موضع هو مُسْتَقْصى فيه ، والسُّنَّةُ مُشْتَقَّة من هذا الأصل لأنها شيءٌ جار على وجهه ، ومنه سُنَّةُ الطريق وسَنَنُه[3] ، قال لبيد :

من مَعْشَرٍ سَنَّت لهم آباؤهم ولكـلِّ قـوم سُنَّـةٌ وإمـامُهـا[4]

وسُنَّة الوجه كأنها الشيءُ المصبوبُ الجاري على طريقة مقصودة : كما قال ذو الرمة :

تُريكَ سُنَّـةَ وَجْهٍ غيـرَ مُقْرِفَـةٍ مَلْساء ليس بها خَالٌ ولا نَدَبُ[5]

---

(١) البيت في ديوانه ١/ ٢٨٥ ، ورواية الشطرة الثانية فيه :
فكل الناس حسّن واستجادا

(٢) سورة الحجر ، الآية ٢٦ .

(٣) أي نهجه وجهته .

(٤) ديوانه ٤٥ .

(٥) ديوانه ٨ ، والسنة : الصورة ، والندب : الأثر من الجراح ، وغير مقرفة : غير هجينة أي عفيفة كريمة .

يروى غير مقرفة وغير بالنصب والجر ، فمن رواه نصباً فهو الوجه الظاهر في الصحة الذي لا شبهة فيه ولا مَرِيَّة إذ هو صفةٌ لمنصوب ، وهو السُّنَّة المنصوبة بالفعل وهو تريك ، ومن رواه جَرّاً فإنه أتبعه إعراب وجْه المخفوض بالإضافة ، على الطريقة التي يجيزُها من يُجيزُها للمجاورة ، ويجعلها بمنزلة قولهم « حُجْرُ ضَبٍّ خربٍ » ، وهذا وجه ضعيف مرغوب عنه ، وكثير من النحويِّين لا يُجيزه ، ومن مُحقِّقيهم من يُلَحِّن المتكلم به ، وينسب مجيزه من النحاة إلى الخطأ ، والمتكلم به من العَرَبِ وإن كان قدوة حجة في اللغة إلى الغلط ، وهذا يتسع القولُ فيه ، وقد استقصينا بيانه في كتابنا « الشافي في طهارة الرجلين » وغيره من كُتبنا ومسائلنا .

[توصي له بثلث مالها نظير بيت شعر]

حدثنا أحمد بن العباس العسكري ، قال : حدثنا عبدالله بن أبي سعد ، قال : حدثني أحمد بن عمر الزهري ، قال : حدثني أبو بركة الأشجعي ، قال :

حضرتْ امرأةً من بني نُمَيْر الوفاة ، فقيل لها : أَوْصِي ، فقالت : نعم ، خبروني من القائل :

(١) زياد بن سليمان أو سليم الأعجم ، أبو أمامة العبدي مولى عبد القيس ، من شعراء الدولة الاموية ، جزل الشعر ، كانت في لسانه عجمة فسمي بالأعجم ، ولد ونشأ في أصفهان وانتقل إلى خراسان فسكنها ، وطال عمره ، ومات بها سنة ١٠٠ هـ ، وقد عاصر المهلب ، وله فيه مدائح ، وكان هجاءً يداريه المهلب ، وأكثر شعره في مدح أمراء عصره وذم بخلائهم ، وله وفادة على الخليفة هشام بن عبد الملك ، وامتدح عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

انظر الأغاني ١٤/ ٩٨- ١٠٥ ، ومعجم الأدباء ٤/ ٢٢١ .

لَعَمْرُكَ ما رِمَاحُ بني نُمَيْرٍ بطائِشَةِ الصُّدُورِ ولا قِصَارُ

قال : فقيل لها : زياد الأعجم ، قالت : فأُشْهِدَكم أن له ثُلَثَ مالي ، قال : فحمل إليه من ثلثها أربعة آلاف درهم .

[من جُود عبدالله بن جعفر]

حدثني عبيدالله بن محمد بن جعفر الأزدي ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، قال : حدثث محمد بن الحسين ، قال : حدثنا داود بن محمد ، عن سوادة بن أبي الأسود ، عن شهر بن حوشب .

أن رجلاً عَطِبَتْ راحلتُه فأتى أمير المدينة فسأله فلم يحمله ، فقيل له : ائت ابن جعفر فأتاه فقال :

أبا جعفرٍ إنّ الحجيج تَرَحَّلُوا وليس لَرَحْلي فاعلمنّ بَعيرُ
أبا جعفر من أهل بيت نبوةٍ صَلاَتهمُ للمؤمنين طهورُ
أبا جعفر ضنّ الأمير بماله وأنت على ما في يديك أمير

قال : فأمر له براحلة ونفقة وكسوة سابغة .

[إبليس يعلم الغناء]

حدثني أبو النَّضْر العُقيلي ، قال : حدثنا الحسن بن راهويه الكاتب ، قال :

قال : لي شيخٌ من الكتَّاب قد أتى عليه نحو ثمانين سنة ، انصرفتُ من ديواني وأنا حَدَثٌ من أحسن الناس وجهاً فلقيني شيخٌ في موضع كان زيُّه زِيَّ الرهبان فعلق بِكُمِّي ، ثم رفع صوته وغنّى غناءً ما سمعتُ قطُّ

أشْجى ولا أحسن منه فقال : انظر إليّ يا طِوَال والحنْ ، ثم خَلَّى كُمّي وانصرف ، وأحسبُه إبليس .

[من أخبار ابن جدعان]

حدثني عبدالباقي بن قانع ، قال : حدثنا محمد بن زكريا ، قال : حدثنا ابن عائشة ، قال : أتى رجل عبدَاللّه بن جُدْعَان فأعطاه شيئاً يسيراً فلامه الرجل ، ولابن جُدْعان جارٌ من قريش له مالٌ لا يُعطي أحداً شيئاً ، فقال عبدالله بن جدعان :

ألام وأُعْطِي والبَخِيلُ مُجَاوِرِي   له مِثْلُ مَالِي لا يُلَامُ ولا يُعْطِي

قال القاضي : ابن جُدْعان التَّيْميُّ من مشهوري أجواد قريش ، وفيه يقول أمية بن أبي الصَّلْت :

علم ابنُ جُدعَانَ بن عَمْـ   ـرٍو أنه يوماً مُدَابِرْ
ومسافرٌ سَفَراً بعيـ   ـداً لا يؤوبُ له المسافرْ
فَقُدورُهُ بِفَنائِهِ   للضيف مترعةٌ زوافِرْ[1]

وله أخبار كثيرةٌ ، لعلّنا نأتي بها فيما نستقبله من هذه المجالس .

[العلم من ظهور الدفاتر]

حدثنا محمد بن الحسين بن زياد المقري ، قال : حدثنا أبو خليفة الفضل ابن الحُبَاب :

أنّ أبا زيد الأنصاري ، رأى رجلاً حسن العلم ، كثير الرِّواية ، جيد

(١) انظر الأبيات ضمن قصيدة ، في أخبار عبد الله بن جدعان في الأغاني ٨/ ٣٢٩ .

الحفظ لمُلح الأخبار ، لا يتمثل إلّا بحَسَن ، ولا يستشهد إلّا بجيّد ، فقال : كأنّ عِلْمَهُ والله من ظهور الدفاتر .

[أعرابي يسأل عمر]

حدثنا إسماعيل بن علي بن إسماعيل الخطبي ، قال : حدثنا محمد بن يونس من موسى ، قال : حدثنا محمد بن عبدالله بن عتبة ، قال : حدثني أبي ، عن المسيب بن شريك عن عبد الوهاب بن عبد الله بن أبي بكرة ، عن أبيه ، عن أبي بكرة ، قال :

جاء أعرابي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال :

يا عمر الخير جزيت الجَنَّةْ   أُكْسُ بُنَيَّاتي وأُمَّهُنَّه
أقسِمُ بالله لتفعلَنَّه

فقال له عمر : فإن لم أفعل يكون ماذا ؟ قال :

إذاً أبا حَفْصٍ لأذْهَبَنَّه

قال : فإذا ذهبت يكون ماذا ؟ قال:

تكونُ عن حالي لتُسْأَلَنَّه   يوم تكُونُ الأُعْطيات يَمْنَهْ
والواقف المسئول بَيْنَهُنَّهْ   إما إلى نارٍ وإما جَنَّهْ

قال : فبكى عمر حتى اخضلّت لحيته ، ثم قال : يا غلام أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره ، أما والله ما أملك غيره .

[نموُّ النَّبات مرتبط بطاعة الله]

حدثني أحمد بن الهيثم الشَّبي ، قال : حدثنا الحارث بن أبي

أسامة ، قال : حدثنا هوذة بن خليفة ، قال : حدثنا عوف الأعرابي ، عن محمد بن سيرين ، قال :

أصابوا في خزائِن كسرى سَلَّةً فيها حِنْطَة كأمثال اللؤلؤ مكتوب فيها : هذا نَبَتَ فى سَنةٍ كان يعْمل فيها بطاعة الله تعالى .

[بكاء الشعراء على الشباب]

حدثنا علي بن سليمان الأخفش ، قال : حدثني السكري ، عن المهلبي ، قال : حدثني إسحاق الموصلي ، أحسبه عن ابن سلّام ، عن يونس ، قال :

ما بكت الأعرابُ في أشعارها شيئاً ما بكت الشباب وما بلغتْ كُنْهَهُ ، فاتَّبع هذا الكلام النَّمرِيُّ[1] ، فقال :

ما كنتُ أُوفِي شَبابي كُنْهَ عِزَّتِهِ حتّى انْقَضَى فإذا الدُّنْيَا له تَبَعُ[2]

قال يزيد : وسمعتُ أحمدَ بنَ المعَذَّلِ يتعجَّبُ من بيت النمري بعد

(١) هو منصور بن الزبرقان النمري ، أبو القاسم ، من بني النمر بن قاسط ، شاعر من أهل الجزيرة الفراتية ، كان تلميذاً لكلثوم بن عمرو العتابي ، وقد قدمه هذا إلى الفضل بن يحيى الذي أوصله إلى الرشيد فمدحه وتقدم عنده وفاز بعطاياه ، ثم حدثت وحشة بينه وبين العتابي أدت إلى وحشة بينهما فتهاجيا ، ثم سعى العتابي به لدى الرشيد بشعر فيه سب له وتشيع للعلويين ، فأرسل الرشيد من يأتي به من بلده ، فوجده قد مات ، وذلك سنة ١٩٠ هـ .

أنظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٣/ ٦٥ - ٦٩ ، والأغاني ١٢/ ١٦/ ٢٤ ، وسمط اللآلي ٣٣٦ .

(٢) البيت والتالي له في مجموعة المعاني ٥٧ ، وبهجة المجالس ٢/ ٢١٨ ، والمراجع التي في هامشه .

هفا ويقول : أما ترى حيث اشترط النَّمري حيث يقول :

ما واجه الشيبَ من عين وإن وَمِقَتْ إلّا لها نَبْوةٌ عَنْهُ ومُرْتَدَعُ

[فتح أول الاسم في النسبة وعلة ذلك]

قال القاضي : النمري منسوبٌ إلى النِّمِر بن قاسط ، وإنما فتح الميم في النِّسبة ، وهي في الاسم قبل إضافته مكسورة ، فراراً من ثقل الكسرةِ إلى خفة الفتحة ، لِمَا اجتمع في الاسم من الكسرات والياءات ، وقد أتى هذا كثيراً فاشياً في ثلاثة أسماءٍ عند النَّسب ، أحدُهُن النَّمِري كما فسرناه والشَّقِريُّ في النسب إلى بني شَقِرَة من بني تميم ، والسَّلَمِي في النسب إلى بني سلمة من الأنصار ، والشَّقِرة الواحدة من شقائِق النُّعمان ، والسَّلِمة حجارَةٌ سُود .

وفي علة تغيير الكسرة ونقلها في النسب إلى الفتحة حيث ذكرنا ، وعلى ما بينّا ، وجهٌ آخر لم أجد أحداً تقدّمني في استخراجه ، وهو أنّهم يسكّنُون أوسط ما كان فَعْل وإن كان أصله الحركة تخفيفاً مثل مَلْك وكَتْف وكان تخفيفه إذا اتصل به ياء النسب أولى وكانوا إلى تسكينه أحوج ، فخفّفوه وفتحوا ثانيه عوضاً مما حذفوه ، ولأنه قد ازداد بياء النسب ثِقَلاً ، ولزمت الكسرة ما قبل الياء الأولى منها .

[ممازحة]

حدثنا محمد بن يحيى الصُّولي ، قال : حدثنا عون بن محمد الكندي ، قال[1] :

---

(١) الخبر التالي في مصارع العشاق ٢٣٨ ، رواية عن المؤلف .

خرجتُ مع محمد بن أبي أمية إلى ناحية الجسر ببغداد ، فرأى فتى من أولاد الكُتَّاب جميلاً فمازحه فغضب وتهدّده ، فطلب من غلامه دَوَاتَهُ وكتب من وقته :

دون باب الجِسر دارٌ لِهَوًى لا أسمِّيهِ ومَنْ شاء فَطَنْ
قال كالمازح واسْتَقْلَمَني أنت صَبٌّ عاشقٌ لي أو لِمَنْ ؟
قلتُ سَلْ قلبك يُخْبرك به فَتَحايَا[1] بعدما كان مَجَنْ
حُسْنُ ذاك الوجهِ لا يُسْلِمُني أبداً منه إلى غير حَسَن

ثم دفع الرقعة إليه فاعتذر وحلف أنه لم يعرفه .

[يعاف المشرب المشترك]

حدثنا عبدالله بن منصور الحارثي ، قال : حدثنا أبو إسحاق الطلحي ، قال : حدثني عبيدالله بن القاسم ، قال : عَشِق التَّيْميُّ جاريةً عند بعض النخَّاسين ، فشكا وجده بها ومحبَّته إلى أبي عيسى الرشيد ، فقال أبو عيسى للمأمون : يا أمير المؤمنين ! إنَّ التَّيْمِيَّ يجدُ بجاريةٍ لبعض النخَّاسين ، وقد كتب إليَّ بيتين يسألني فيهما ، فقال : له : وما كتب إليك ؟ فأنشده :

يا أبا عيسى إليك المُشْتَكَى وأخُو الصَّبر متى عيلَ شكا
ليس لي صَبْرٌ على هجرانها وأعاف المشربَ المشتركا

قال : فأمر له بثلاثين ألف درهم فاشتراها .

---

(١) تحايا : أي استحيا

[أبيات لحسّان في مدح الخمر وذمها]

حدثنا محمد بن سهل بن الفضل الكاتب ، قال : حدثنا أبو زيد ، قال : حدثني هارون بن عبدالله الزُّهري ، قال : حدثنا يوسف بن عبدالعزيز بن الماجَشُون ، عن أبيه ، قال :

قال حسان بن ثابت : أتيت جَبَلَةَ بن الأَيْهم ، الغَسّاني وقد مَدَحْتُه ، وكان حَسَّانُ قد اشتكى ، فقال : له : يا أبا الوليد ما تشتهي ، قال : ما لا تقدرون عليه ، قال نتكلَّفُه لك ، قال : رُطَبَاتٌ مُحَلْقَماتٌ من بنات ابن طاب[1]، قال : هذا مما لا نقْدر عليه ببلادنا هذه ، فقال : يا أبا الوليد : إن الخمر قد شغفتني فاذْمُمها لعلّي أرفضها ، فقال[2] :

لولا ثلاثٌ هُنّ في الكأس لم يكنْ　　لها ثمن من شاربٍ حين يشربُ
لها نَزَقٌ مثل الجنون ومصرع　　دنيٌّ وأن العقلَ يَنْأى ويعزُبُ

فقال : أفسَدْتها فحسِّنْها ، فقال :

ولولا ثلاثٌ هنّ في الكأس أصبحت　　كأنفسِ مَالٍ يُسْتفادُ ويُطْلَبُ
أمانيُّها والنفس تظهر طِيبَها　　على حُزْنها والهمُّ يُسْلَى فيذهبُ

قال : لا جرم لا أدعها أبداً .

[نصيحةُ أب لابنه]

حدثنا أبي رضى الله عنه ، قال : حدثنا أبو أحمد الختلي ، قال :

---

(١) المحلقم من البلح : ما بلغ الإرطاب ثلثيه ، وابن طاب : عذق ابن طاب نخلة بالمدينة ، رقيل : ابن طاب : ضرب من الرطب هنالك ، وفي الصحاح : وتمر بالمدينة يقال له عذق ابن طاب ورطب ابن طاب . انظر اللسلان (طاب) صفحة ٥٦ .
(٢) الأبيات التالية لم ترد في ديوانه .

حدثني القاسم بن الحسن الزبيدي ، قال : حدثنا سهل بن محمد ، قال : حدثني العتبي ، قال : حدثني أبي ، عن أبي خالد عن سفيان بن عمرو بن عتبة[1] ، قال :

لما بلغت خمسَ عشرةَ سنَة ، قال لي أبي : أي بُنيَّ ! قد انقطعتْ عنك شرائع الصِّبا ، فاختلطْ بالخير تكن من أهله ، ولا تزايله فَتَبِينَ منه كله ، ولا يغرَّنَّك من اغتر باللّه عزَّ وجلّ فيك فمدحك بما تعلم خلافه من نفسك ، واعلم أنه يا بني لا يقول أحدٌ في احدٍ من الخير ما لا يعلم إذا رضي ، إلّا قال فيه مثله من الشَّرِّ مما ليس فيه إذا سخط ، فاستأنسْ بالوحدة من جلساء السَّوء تسلم من عواقبهم ، ولا تنقل حُسْن ظنِّي بك إلى غيره ، قال : سفيان فما زال كلام أبي لي قِبْلةً أنتقل معها ولا أنتقل عنها وما شيءُ أحمد مَغَبَّةً من قَبُولٍ من ناصح معروفٍ نُصْحَه .

[فليغننا أصواتاً بدلاً من العطاء]

حدثنا أحمد بن إبراهيم الطبري ، قال : حدثني محمد بن القاسم بن مَهْدَويه ، قال : وجدتُ في كتاب أبي بخطّه ، قال : لما بويع إبراهيم بن المهدي ببغداد قل المال عنده فكان قد لجأ إليه أعراب من أعراب السَّوادِ وغيرهم ، فاحتبس عليهم العَطاء فجعل ابراهيم يُسَوِّفُهُم بالمال ولا يرون لذلك حقيقة ، إلى أن اجتمعوا يوماً فخرج رسول إبراهيم إليهم يصرِّح لهم أنه لا مال عنده ، فقال قومٌ من غَوْغاء أهل بغداد : فأخرجوا إلينا خليفَتَنا فليُغَنِّ لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات ، ولأهل ذلك الجانب ثلاثة

---

(١) عمرو بن عتبة بن أبي سفيان ، ابن أخي معاوية ، وكان ممن خرج على الحجاج بن يوسف مع عبد الرحمن بن الأشعث فقتل في تلك الحروب ، التي كانت بين سنتي ٨١ و ٨٣ هـ .
انظر المعارف ٣٥٤

اصوات ، فيكون عطاءً لهم ، فأنشدني دعبل في ذلك :

يا مَعْشَرَ الأعراب لا تغلطوا　　خُذُوا عَطَاياكم ولا تسْخطوا
فسوف يعطيكُم حُنَيْنِيَّةً[1]　　لا تَدْخُل الكيسَ ولا تُربط
والمَعْبَدِيَّاتُ لقوادكم[2]　　وما بهذا أحدٌ يُغْبَطُ
فهكذا يرزقُ أجْنادَهُ　　خليفةٌ مصحفُهُ البَرْبَطُ

قال القاضي : البَرْبط العُود ، وأصله بالفارسية والعرب تسميه المِزْهَر ، وقد زعم بعضهم أن هذا الضرب من آلات الملاهي تُسَمى العود في سالف الأمم وغابرها ، وأن من أسمائه عند العرب الكِرَانُ[3] والبَرْبَطُ والمُوتَر ، ولنا في هذا قولٌ ليس هذا موضع ذكره .

---

(١) الحنينية : الأصوات أو الأغاني المنسوبة إلى حنين الحيري ، وهو موسيقي ومن كبار المغنين ، وانفرد بصناعة الغناء والضرب على العود حتى انفرد بها في العراق لا يزاحمه مزاحم ، وكان المغنون في عصره أربعة ، ثلاثة في الحجاز (ابن سريج ، والفريض ومعبد) توفي نحو سنة ١١٠ هـ .
انظر وفيات الأعيان ١/ ١٦٧ ، وطبقات الأطباء ١/ ١٨٤ (الأعلام ٢/ ٣٢٥)

(٢) المعبديات : هي أيضاً الأصوات المنسوبة إلى معبد بن وهب ، نابغة الغناء في العصر الأموي ، نشأ بالمدينةوكان يرعى الغنم لمواليه من بني مخزوم ، ولما ظهر نبوغه في الغناء أقبل عليه كبراء أهل المدينة ، ثم رحل إلى الشام فاتصل بأمرائها ، وقد عاش طويلاً حتى انقطع صوته ، ومات في عسكر الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ .
انظر الأغاني ١/ ٢٦ ـ ٥٩ .

(٣) الكران : قيل أنه اسم العود وقيل إنه الصنج ، والكرينة : المغنية الضاربة بالعود أو الصنج . انظر اللسان (كرن) صفحة ٢٣٨ .

المجلس الحادي والأربعون

[وجوب ضبط العلم وتقييد الحكمة]

حدثنا عبداللّه بن سليمان بن الأشعث السِّجستاني ، قال : أخبرنا سليمان بن داود ، قال : حدثنا عبدالله بن وهب ، قال : حدثني عبدالرحمن بن سليمان ، عن عقيل بن خالد ، عن عَمّه شعيب ، أن شعيباً حدثه ومجاهداً أن عبداللّه بن عمرو :

حدثهما أنه ، قال لرسول اللّه ﷺ : أَكْتُبُ ما سَمِعْتُ منك ؟ قال : نعم ، قال : عند الغَضَبِ وعند الرِّضَا ، قال : نعم ، إنه لا ينبغي أن أقول إلا حَقّاً » .

قال القاضي : في هذا الخبر دلالة واضحة على أنه من الصواب ضبط العلم وتقييد الحكمة ، بالكِتاب حفظاً لهما وحِرْزاً من تَشَذُّ بهما ، وعتاداً يُرجع إليهما ، ويفزع الناسِي إليهما فيذكر ما نسيه منه ، ويستدل على ما عزب عنه ، وعلى فساد قول من ذهب إلى كراهية ذلك ، وقد جاء عن النبيّ ﷺ أنه قال : « قيِّدوا العلم بالكتاب » ، وجاء في الأثر : أن

سليمان بن داود ، قال لبعض من أسره من الشياطين : ما الكلام ؟ قال : ريح ، قال : فما يُقَيِّده ، قال : الكتاب ، وفي إحضار ما ورد في هذا المعنى وإيراد الحجج فيه طول لا حاجة بنا إلى ذكره في هذا الموضع .

[نصائح غالية للأحنف بن قيس]

حدثنا محمد بن الحسن بن دُريد ، قال : أخبرنا أبو عمرو ، عن الثوري ، قال : أخبرني رجل من أهل البصرة ، عن رجل من بني تميم ، قال حضرت مجلس الأحنف بن قيس وعنده قومٌ مجتمعون في أمرٍ لهم ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ثم قال : إن مِنَ الكَرَم ِ مَنْعَ الحُرَم ، ما أقرب النِّقْمةَ من أهل البغي ، لا خير في لذةٍ تُعْقِبُ نَدَماً ، لن يَهْلِكَ ولن يَفْتَقِر مَنْ زَهِد ، ربَّ هَزْلٍ قد عاد جِدّاً ، مَنْ أمِن الزمان خانه ، ومن تَعظَّم عليه يهانه ، دَعُوا المُزَاح فإنه يُورث الضغائِن ، خير القول ما صدّقه الفعل ، واحتملوا لمن أدَلَّ عليكم ، واقبلوا عُذْر من اعتذر إليكم ، أطع أخاك وإن عصاك ، وصِلْهُ وإن جفاك ، أنْصِف من نفسك قبل أن يُنتصف منك ، وإياك ومشاورة النساء ، واعلم أن كُفْرَ النِّعمة لُؤْم ، وصُحبة الجاهل شُؤْم ، ومِن الكرم الوفاء بالذِّمم ، ما أقبح القطيعةَ بعد الصِّلة ، والجفاءَ بعد اللُّطْف ، وأقبح العداوةَ بعد الود ، لا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان ، ولا إلى البخل أسرع إلى البَذْل ، وأعلم أن لك من دنياك ما أصلحت به مثواك ، فأنْفِق في حقّ ، ولا تكونَنّ خازناً لغيرك ، وإذا كان الغَدْرُ في الناس موجوداً فالثقَة بكلّ أحدٍ عجز ، أعْرف الحقَّ لمن عَرَفَه لك ، واعلم أن قطيعة الجاهل تعدلُ صلة العاقل .

قال : فما رأيت كلاماً أبلغ منه . فقمت وقد حفظته .

قال القاضي : هذا لَعَمْرِي من أشرف الكلام وأبلغه وأحسنه ، وأبلغ الخطاب وأبينه ، فرحم الله أبا بحر كيف أشار بالرَّشَد ، وهدى إلى القصد ، وما فصل من فصول خطبته هذه إلّا وقد وردت الآثارُ بما يؤيِّده ، مع ما في العقول مِمّا يدعُو إليه ويؤكِّده ، ومجالسنا هذه تتضمن كثيراً مما ورد في معناه ، إن شاء الله ، وأيَّد بعونه وتوفيقه .

[بم سُدت قومك ؟]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثنا إسماعيل بن إسحاق ، قال حدثنا نصر بن عليّ ، قال : حدثنا الأصمعيّ ، قال : حدثني ابن الميهيّ رجل من الأنصار ، قال : قال معاوية لعَرَابَةَ الأوْسِيِّ[1] : بِمَ سُدْتَ قَوْمَك ؟ قال : كنتُ أعطي سائِلهم ، وأعفو عن جاهلهم ، وأسعى في مصالحهم ، فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي ، ومن زاد عليه فهو خيرٌ مني ومن قصّر عنه فأنا خير منه .

[كيف قال فيك ذو الرمة هذه الأشعار ؟]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا أبو المهلهل الحُذَاني ، قال[2] :

---

(١) هو عرابة بن أوس بن قيظي الأوسي الأنصاري ، من سادات المدينة الأجواد المشهورين ، أدرك حياة النبي ﷺ وأسلم ، ثم قدم الشام أيام معاوية وله أخبار معه ، وهو الذي يقول فيه الشماخ

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

انظر الإصابة الترجمة ٥٥٠٠ ، وبهجة المجالس ، وغرر الخصائص الواضحة ٢٤٧ والقصة فيها .

(٢) الخبر التالي في عيون الأخبار ٤/ ٤٠ ، عدا الأبيات .

ارتحلتُ إلى الرمال في طلبِ ميّ صاحبةِ غيلانَ ذي الرُّمَّة ، فما زلتُ أطلب موضع بيتها حتى أرْشِدتُ إلى البيت ، فإذا خيمة كبيرةٌ على بابها عجوز هتماء فسَلَّمْتُ عليها ، ثم قلت لها : أين منزلُ مَيّ ؟ قالت : مَيُّ ذي الرُّمة ، قلت : نعم ، قالت : أنا ميّ ، فعجبت ثم قلت لها : العجب كل العجب من ذي الرُّمَّة وكثرة ما قال فيك ، ولستُ أرى من الشاهد والوصف شيئاً ، فقالت : لا تَعْجَبَنَّ يا هذا منه ، فإنّي سأقوم بعُذْره عندك ، قال : ثم قالت : يا فلانة ، قال : فخرجت من الخيمة جاريةٌ ناهدةٌ عليها برقع ، فقالت : أسْفري عنك ، فلما أسفرت تحيَّرتُ لِمَا رأيتُ من جمالها وبراعتها وفصاحتها ، فقالت لي عَلِقَ ذو الرمة بي وأنا في سِنِّها ، فقلت : عَذَرَهُ اللّهُ ورَحِمَه ، أنشديني ما قال فيك ، قال : فجعلت تُنْشد وأكتب أنا ما كنتُ مقيماً عندها ، ثم ارتحلتُ . فكانت مما أنْشَدتني قوله[1] :

خليليّ لا رَبْعٌ بِوَهْبِينَ مُخْبِرٌ ... ولا ذُو حجًى يَسْتَنْطِقُ الدار يُعذِرُ[2]

فَسِيرا فقد طال الوقوفُ ومَلَّه ... حراجِيجُ أمثالُ الحَنِيَّاتِ ضُمَّرُ[3]

فيا صَاح لو كان الذي بي من الهوى ... به لم أذرْه أن يُعَزَّى ويُنظَرُ[4]

خَليليَ هَلاَّ عُجْتَ إذْ أنا واقفٌ ... أغِيضُ البكا في دَارِ مَيٍّ وأزْفُرُ[5]

القصيدة . . .

---

(١) الأبيات التالية في ديوانه ٣٠٨ ، وهي مطلع قصيدة طويلة في الديوان .

(٢) وهبين : أرض بناحية البحرين لبني تميم .

(٣) الحراجيج : التي طالت من الهزال ، والرواية في الديوان قلائص ، أمثال الحنيات : شبه الإبل بالقسى في ضمرها واعوجاجها .

(٤) رواية الديوان : لم أدعه لا يعزى ، وهو يريد أن صاحبه لو كان ما به مثل ما بي عزيته ، أي يصبره ، وينظر أي ينتظر حتى يقف على الدار .

(٥) في الديوان : لك الخير مكان خليلي ، وعجت : عطفت علي ولم تستحثني ، وأغيض البكا أي أسفح الدمع من عيني .

قوله : عجوزٌ هَتْماء : الهَتَمُ: سقوطُ الأسنان من فوق ومن أسفل ، يُقال : امرأة هتماء ورجل أهتم ، ويقال : ضربه فهتم فاه ، قال الفرزدق :

إنّ الأَرَاقِمَ لنْ يَنَالَ قَدِيمُها كلبٌ عوى مُتَهَتِّمُ الأسْنانِ(٦)

[مرثية من أحسن المراثي]

حدثنا أبي رضي الله عنه ، قال : حدثنا أبو أحمد الخُتلّي ، قال : أخبرنا القاسم بن الحسن ، قال ؛ حدثنا زكريا بن أبي خالد البلديّ ، قال : حدّثني إسحاق بن إبراهيم الورّاق ، عن الأَصْمعيّ ، قال(٧) :

خرجت إلى مقابر البصرة فإذا امرأة واقفةٌ على قبر ، وهي تَنْدُب وتقول :

هل أخبر القبرُ سائِليهِ وقرّ عيناً بزائريه
أم هل تُراه أحاط علماً بالجَسَدِ المُسْتكِنِّ فيهِ
لو يعلم القبر من يُواري تَاهَ على كلِّ من يليهِ
يا موت لو تقبل افتداءً كنتُ بنفسي سأفتديهِ
أنْعِي بُرَيْداً لمجتديه أنعي بُرَيْداً لِمُعْتَفِيه
أنْعِي بُرَيْداً إلى حُزُوبٍ تَحْسِرُ عن مَنْظرٍ كريهِ
أنْعَتُ من لا يحيط علماً بوصفه نَدْبُ واصِفيهِ
يا جَبَلاً كان ذا امتناع وركنَ عِزٍّ لآمليهِ
يا نَخْلةً طلعُها نضيدٌ يَقْرُبُ من كفِّ مُجْتَنيهِ
ويا مريضاً على فراشٍ تؤذيه أيْدي مُمَرِّضيهِ

(١) البيت في ديوانه ٢/ ٣٤٥ .
(٢) الخبر التالي في أمالي القالي ٢/ ٣٢١ ، الأخبار الموفقيات ٨٦ .

ويـا صـبـوراً عـلى بـلاءٍ   كـان بـه الله مُـبْـتَـلـيـهِ
يـا مـوتُ مـاذا أردْتَ مني   حـققـتَ مـا كـنـتُ أتّـقِـيـهِ
دهـر رمـانـي بِـفـقـدِ إلْفـي   أذمُّ دَهْـرِي وأشـتـكـيـه
آمَـنَـكَ الله كـل روعٍ   وكـل مـا كـنـت تَـتّقِـيـهِ
أسـكـنـك الله فـي مـحـلٍ   يقصـرُ عن وصفِ ذاكـريـهِ

قال القاضي رحمة الله عليه : هذه المراثي من أحسن المراثي وأبلغها من القلوب ، للطف معانيها ، ورقّة حواشيها ، وقرب ألفاظها وعذوبتها ، وسماحة مَجَارِيها وطلاوتها ، وقل ما أثر في قلبي منظوم تأثيرها عند إنشادها ، وكانت لي ابنة لطيفة المحل من قلبي ، نَفِيسَةُ المنزلة في نفسي ، ذات محاسن كثيرة ، وفضائِل غزيرة ، ورزقت حظّاً من حفظ التلاوة والآداب الدينية ، مع عقل رصينٍ ونزاهة ودين ، وهبها الله لي بفضلهِ ونِعْمتهِ ، ثم استأثر بها بعدْلِه ومشيئته ، فسلمت للرب جلّ جلالُه قضاءه فيها وعرفت حسن اختياره لي ولها ، إذ كان خالقها أملك بها من ر ـها ومنشيها ، وأرحم بها من ثاكلها ، وصابرت عظيم المصاب بها ، ورضيت بثواب الله عوضاً منها ، ولَهجْتُ بهذه الأبيات التي قدمت ذكرها فمكثت زماناً أقطع ليلي ونهاري بتَرْجِيعِها والترنم بها ، وأستشفي بفيض دموعي ورفع عقيرَتِي بترددادها ، ولإعجابي بها رأيت إتباعها بذكر ما حضرني من الأخبار التي تضمنتها أنساً مني بإعادتها ، ولم أدخل بعض الآتية بها في بعض إذ كانت قد وقعتْ إليّ من جهاتٍ شَتّى وطرق مختلفة .

فمن ذلك

ما حدثنا أحمد بن سليمان الطوسي ، قال : أخبرنا الزبير ، قال :

قال عبدالملك بن قريب الأصمعيّ : خرجت ذات يوم في البادية فإذا أنا بامرأة إلى جانب قبر وهي تشير بيدها ، فقلت : ينبغي أن تكون هذه تندب أو ترثي ، فدنوت حتى قربتُ منها فإذا هي تقول :

هل خبّر القبر سائليهِ ... أم قرّ عيناً بزائريه
أم هل تراه أحاط علماً ... بالجسد المستكِنّ فيه
لو يعلم القبر من يواري ... تاه على كلٍّ من بليه
يا قبر لو تقبلُ افْتِدَاءً ... كنتُ بنفسي سأفتديهِ
أنعي بُرَيْداً إلى حُزُوب ... تَحسِرُ عن مَنْظرٍ كَريهِ
أندب من لا يحيط علماً ... بوصفه ندب نادبيه
يا جبلاً كان فا امتناعٍ ... ورُكْنَ عِزٍّ لآمليهِ
أنعي بُرَيْداً لمجتنيه ... أنعي بُرَيْداً لمعتفيه
يا نخلة طلْعُها نضيدٌ ... يَقْرُبُ من كفِّ مُجْتَنيهِ
تَحْلُو نَعَمْ عنده سَمَاحاً ... وطيبُها راتب بفيهِ
أيا صبوراً على بلاءٍ ... كان به الله مُبتَليهِ

قال : عبدالملك فحفظت ما قالت ، ثم دنوت إليها ، فقلت لها : أعيدي لفظك رحمك الله ، قالت : أما والله لو علمت أن أحداً يَسْمَعُني ما تفوهت به ، قال : فقلت لها : إني أسألك ألاّ أعَدْتِيه ، فقالت : يا شيخ سوءةً لك ، أقول لك ما أقول وتعيد عليّ الكلام فقلت لها : إني أسألك إلا سمعتيه مني ، فأقبلت عليّ بوجهها ، وسفرت عن قناعها ، وقالت : هات فبدأت في أول الشعر حتى أتيث على آخره ، فقالت : اللهم إن يأت في الدنيا أصمعي فهذا هو ، فقلت : أنا هو ، من الفتى تندبين ؟ فقالت : أخي وابن أمي .

[ورواية ثالثة]

حدثنا الحسن بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا محمد بن زكريا الغَلّابي ، قال : حدثنا إبراهيم بن عمر ، قال : سمعت الأصمعيّ أنه أتى المقابر ذات يومٍ فإذا جاريةٌ كادت أن تختفي بين قبرين قِلة ودمامة ، وهي تبكي بقلب موجع ، وكلامٍ حزينٍ ، ولفظ كأنه خَرَزَاتُ نُظِمْن تحدَّرْن ، وقد أدخلت رأسها في لوح القبر ، وهي تقول :

هل أخبر القبر سائِليه	أم قرّ عيناً بزائِريهِ
أم هل تراه أحاط علماً	بالبَدَنِ المستكنِّ فيهِ
لو يعلم القبر ما يوارِي	تاه على كلِّ مَنْ يَلِيهِ
يا موت لو تقبل افتداءً	كنت بنفسي سأفتديه
أنعي بُرَيْداً لمجتنيه	أنعي بُرَيْداً لِمُعْتَفيهِ
أبكي بُرَيْداً إلى حُزُوبٍ	تَحْسِرُ عن منظرٍ كريهِ
يا جبلاً كان ذا امتِناع	وركن عزٍّ لآمليه
يا نخلةً طلْعُها هَضِيمٌ	يَقْرُبُ من كفِّ مُجْتَنيه
ويا مريضاً على فراشٍ	تؤذيه أيدي مُمَرضيهِ
ويا صبوراً على بلاءٍ	كان بهِ اللّهُ مُبتليهِ
يا دهرُ ماذا أردت مني	حققتَ ما كنتُ أتقيهِ
دهرٌ رماني بفقد صبري	أذمُّ دَهْري وأشْتَكيهِ
ذهبت يا موتُ بابن أمي	بالسيّد الفاضلِ الوجيهِ

المجلس الثاني والأربعون

[فضل ابن عباس]

حدثنا محمد بن حمدان بن سفيان الطرائقي ، قال : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ، قال : حدثنا يحيى بن عباد ، قال : حدثنا خالد بن أبي خالد أبو العلاء ، قال : حدثنا حصين وليس ابن عبد الرحمن السُّلمي ، قال :

بينما سائلٌ يسأل وابن عباس في الملأ جالس ، فقال له ابن عباس : يا سائل ، فقال : لَبَّيك ، قال : أتشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ ، وتصلي الخمس وتصوم رمضان ؟ قال : نعم ، قال : فحقٌّ علينا أن نصلك قال : فنزع ثوباً كان عليه وكساه إياه ، وقال عند ذلك : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أيُّما مُسْلمٍ كَسَا مُسْلِماً ثوباً كان في حفظ الله تعالى ما بقيتْ منه رُقْعة »[1] .

---

(١) الحديث الشريفي في الجامع الكبير للسيوطي ١/ ٣٦٩ ، وذكر أنه في مكارم الأخلاق للخرائطي رواية عن ابن عباس .

[تعليق المؤلف]

قال القاضي : وفي هذا الحديث ما يدعو إلى فعل الخير ، ويحضُّ عليه ، ويُرَغِّب في اصطناع المعروف ، ويَنْدُب إليه ، ورحمةُ اللَّهِ ورضوانُه على ابن عباس تُرْجمان التنزيل ، وحَبْر التأويل ، وبحر العلوم والحكم ، والجُود والكَرَم ، فلقد أجيبتْ فيه دعوةُ ابنِ عمِّه ﷺ ، نبيِّ الرَّحمة إذ دعا له بالفقه والحكمة ، فأقْبَس عِلمه لقاصديه من الأمَّة ، وأفاض فيهم مكارمَه ، وأفادهم غرائبَ عِلم الدين ومَسَائِلَه .

[عَيْنٌ للحجّاج يوفَّقُ في مُهَمته]

حدثنا محمد بن الحسن بن دُرَيد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، عن الأَصْمَعيِّ ، عن يونس ، عن أبي عمرو ، قال :

بعث الحجَّاجُ - إذ كان يقاتلُ شَبِيباً والحَرُورِيَّةَ[1] بالعراق - إلى صاحب أهل دمشق ، فلما أتاه ، قال له : اطْلُب لي من أصحابك رجلاً

---

(١) هو شبيب بن يزيد الشيباني ، أبو الضحاك ، أحد كبار الثائرين على بني أمية ، وكان داهية طموحاً إلى السيادة ، خرج في الموصل على الحجاج الثقفي ونادى بنفسه خليفة ، فأرسل إليه الحجاج خمسة قواد قتلهم واحداً بعد واحد ، ثم ترك الموصل يريد الكوفة فخرج إليه الحجاج بنفسه ولكنه فشل في النيل منه ، فأرسل إليه عبد الملك جيشاً من الشام عليه سفيان بن الأبرد الكلابي ، فاستطاع هو والحجاج هزيمة شبيب ، فقتل كثير من جيشه ، وبينما هو يعبر النهر إذ نفر به فرسه فألقاه في الماء بسلاحه الثقيل فغرق شبيب ، وذلك سنة ٧٧ هـ .
انظر الطبري ٧/ ٣٥٥ ، الكامل لابن الأثير ٤/ ١٥١ - ١٦٧ ، والبداية والنهاية ٩/ ٢٠
أما الحرورية فهم فرقة من الخوارج تنسب إلى حروراء بقرب الكوفة ، لأنه كان بها أول اجتماعهم وتحكيمهم حينما خالفوا عليا ، وكان عندهم تشدد في الدين حتى مرقوا منه .
ومن الواضح أن شبيباً لم يكن زعيمهم فهم متقدمون عليه . زمناً ولكن المؤلف اعتبر الخوارج كلهم حرورية ومنهم شبيب ، لكن شبيباً كان في الواقع زعيماً لفرقة تسمى الشبيبية باسمه . انظر المراجع السابقة .

جَليداً بَئِيساً ذا عَقْل ورأي ، فقال : أصلح اللَّهُ الأميرَ ، وما أحسَبَني الاَّ وقد أَصَبْتُه ، إنّ في أصحابي رجلاً من حَكَمِ بن سعد يقال له : الجرَّاحُ جَلْد صحيح العقل يَعُدُّ ذلك من نفسه ، يعني البأس ، قال : فابعث إليه

فلما رآه الحجاجُ قال له : أدْنُ يا طويل ، فلم يَزَلْ يقول له ذلك ويُشير إليه بيده حتى لَصِق به أو كاد ، ثم قال : اقعد ، فقعد تَحُكُّ ركبتُه ركبتَه ، وليس عنده غيره ، ثم قال له : قم الساعة إلى فَرَسِك فاحْسُسْه وأَعْلِفه وأصلح منه ، ثم خُذْ سَرْجَه ولجامه ، وسلاحك فضعه عند وَتَدِ فَرَسِك ، ثم ارْقُب أصحابك حتى إذا أخذوا مضاجعهم ونَوَّمُوا فاشدُدْ على فَرَسك سَرْجَه ولِجَامه ، واصبب عليك سلاحك وخذ رُمْحَك واخرج حتى تأتي إلى عسكر أعداء اللَّهِ تعالى تُعاينهم وتَنْظر إلى حَالاَتِهم وما هم عليه ، ثم تُصْبِحَني غَداً ، ولا تُحْدِثَنَّ شيئاً حتى تنصرف ، فإذا انصرفتَ إلى أصحابك فَلاَ تخبرهم بما عهدتُه إليك .

فنهض الجرّاحُ ، فلما أتى أصحابه وهم مُتَشَوِّفُون له سألوه عن أمره ، فقال : سألني الأمير عن أمر أهل دمشق ، واعْتَلَّ لهم به ، ثم فعل ما أمره به الحجاج ، ثم خرج من العسكر يريدُ عسكر القوم ، فلما كان في المَنْصَفِ من العسكرين لقى رَجُلاً في مثل حاله ، فعلم الجراحُ أنه عينُ العدوِّ يريدُ مثل الذي خرج له فتواقفا وتساءلا ، ثم شَدَّ عليه الجَرّاح فقتله ، وأوثق فرسه بَرحْله ، ثم نَفَذَ إلى العسكر الذي فيه القومُ فعاينه ، وعرف من حاله وحال أهله ما أُمر به ، ثم انصرف إلى القتيل فاحتزّ رأسه وأخذ سلاحه وجَنَّب فرسه ، وعلق الرأس في عُنق فرسه ، ثم أقبل .

وصلَّى الحجاجُ صلاة الصبح وقعد في مجلسه ، وأمر بالأستار فرفعت وهو مُتَشَوِّف منتظرُ الجَرّاح ، وجعل يرمي بَطَرْفِهِ إلى الناحية التي

يظنّ أنه يقبل منها ، فبينا هو كذلك إذ أقبل الجراح يَجْنُبُ الفرس والرأس مَنُوطٌ في لَبَانِ فرسه فأقبل الحجاج يقول ويقلب كفّيه : فعلتَ ما أمرتُك به ؟ قال : نعم ، وما لم تأمرني ، حتى وقف بين يديه وسلّم ، ثم نزل وحدّث الحجاج بما صنع وما عاين من القوم ، فلما فرغ من حديثه زَبَرَهُ الحجّاج وانتهره ، وقال له الحجاج : انصرف فانصرف ، فبينا هو في رحله إذ أقبل فَرّاشون يسألون عن الجرّاح ، معهم رُواق وفَرْشٌ وجارية وكسوة ، فدلوا على رحله ، فلم يكلموه حتى ضربوا له الرواق وفرشوا له فرشاً واقعدوا فيه الجارية ، ثم أتوه فقالوا : انهض إلى صلة الأمير وكرامته ، فلم يزل الجراح بعدها يعلو ويرتفع حتى ولي أرمينية فاستشهد ، قتلته الخَزَرُ .

قال أبو حاتم : الجَرّاح مولى مسكان أبي هانىء أي أبي نواس ، وذلك عنى أبو نواس بقوله حيث يقول :

يـا شَقِيقَ النَّفْسِ من حَكَمٍ   نِمْتَ عن لَيْلِي ولم أَنَـمِ[1]

[معنى البئيس واللبان]

قال القاضي : في هذا الخبر : فاطلُب لي من أصحابك رجلاً جليداً بئيساً ، البئيس : الشجاع الشديد في الحرب ، وهو من البأس ، والبأس : الحرب قال أبو كبير الهذلي في البئيس :

ومعي لبـوسٌ للبئيس كـأنَّهـا   قرنٌ بجبهة ذي نعاج مجفل[2]

من قول الله عزّ وجل : ﴿ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ ﴾[3] معناه : شديد ، وقول

(١) ديوانه ١/ ٣٣ .
(٢) البيت في ديوانه الهذليين ١/ ٥٦ .
(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٦٥ .

الراوي في هذا الخبر : والرأسُ مَنُوطٌ في لِبَان فرسه ، اللَّبانُ : الصَّدْر قال عنترة[1] :

يَـدْعُون عَنْتَرَ والرِّمَـاحُ كأنّهـا أشْطَانُ بِئْرٍ في لِبَانِ الأدْهَمِ
ما زلتُ أرْميهم بثُغْرةِ نَحْـره ولِبَـانِـهِ حتى تَسَـرْبَـلَ بـالـدَّم
فـازْوَرَّ من وقع القنـا بِلبانِـهِ وشكـا إليَّ بعبـرةٍ وتَحَمْحُمِ

وأما اللُّبَان بالضم فهو الكُنْدر ، واللُّبَانة : الحاجة ، قال لبيد :

قَضِّ اللُّبَانة لا أبالك واذهب والحقْ بأسْرتك الكِرام الغُيّبِ[2]

فأما اللِّبان بالكسر فهو ما يدرّ به ثدي النساء ، ويقال له : منهن اللبان ومن غيرهن من إناث الحيوان : لبَن ، قال الأعشى :

رَضِيَعيْ لِبَانٍ ثَدْيَ أُمٍّ تَقَاسَما بأسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لا نَتَفَرَّقُ[3]

وقال بعض العرب :

دَعَتْنِي أَخَاهَا أُمُّ عَمْرٍو ولم أكُنْ أَخَاهَا ولم أُرْضَـعْ لها بِلِبَـانِ

وقد كثُر استعمال الناس لفظ اللبن في اللبان ، واستفاض في الآثار ، وكلام فقهاء السَّلَف والخلف ومنطق الخاصة والعامة ، وأنكره بعض أهل اللغة .

---

(١) ديوانه ٢٢٢ ، ٢٢٣ .
(٢) ديوانه ١٦ .
(٣) البيت في ديوانه ١٢٠ ، والرواية فيه تحالفا مكان تقاسما ، وبأسحم داج : أي ليل أسود ، وعوض : أي أبداً ، وانظر اللسان (لبن) ٢٥٨ .

[الحجاج يكثر الخير في البيوت]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا ابن أبي سعد ، قال : أخبرنا عليُّ بن الحسن ، قال : أخبرني إبراهيم بن محمد ، عن الهيثم بن الربيع ، قال :

قال الحجاج : إنِّي لأرى الناسَ قد قَلُّوا على موائدي فما بالهم ؟ فقال له رجل من عُرْض الناس : أصلح الله الأمير ، إنك أكثرت خير البيوت فقل غشيان الناس لطعامك ، فقال : الحمد لله وبارك الله عليك ، من أنت ؟ قال : أنا الصَّلْتُ بن قَرَان العَبْدِيّ ، فأحسن إليه .

[الخلفاء يغارون من أبيات جيدة قيلت في غيرهم]

حدثنا أحمد بن العباس العسكريّ ، قال : حدثنا عبدالله بن أبي سعد ، قال : حدثنا عبدالله بن محمد بن موسى بن حمزة ، مولى بني هاشم ، قال : حدثني أحمد بن موسى بن حمزة ، قال : الفضل بن بزيغ ، قال[1] :

رأيتُ مروان بن أبي حفصة قد دخل على المهديّ بعد موت مَعْن بن زائدة في جماعةٍ من الشعراء وفيهم سَلْمُ الخَاسِرُ وغيرُه ، فأنشده مديحاً ، فقال : من ؟ قال : شاعرُك مروان بن أبي حفصة ، فقال له المهديُّ : ألست القائل :

أقمنا باليمامةِ بعد مَعْنٍ مُقَاماً لا نُرِيدُ به زِيَالا
وقلنا أين نرحلُ بعد مَعْنٍ وقد ذهب النوالُ فلا نَوَالاَ

---

(١) الخبر التالي في الأغاني ١٠/ ٨٧- ٨٨ .

قد جئت تطلبُ نوالنا وقد ذهب النَّوال ، لا شيء لك عندنا ، جُرُّوا برجله . قال : فجروا برجله حتى أخرج ، فلما كان في العام المقبل تلطَّف حتى دخل مع الشعراء - وإنما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في ذلك الحين في كل عام مرة - قال : فمثل بين يديه وأنشدهُ قصيدته التي يقول فيها :

طرقَتْكَ زائرةٌ فَحيِّ خيالَها ... بيضاءُ تخلطُ بالحياء[1] دلالَها
قَادَتْ فؤادَكَ فاستقاد وقَبْلَها[2] ... قاد القلوبَ إلى الصِّبَا فأمالها

قال : فأنصت لها حتى إذا بلغ إلى قوله :

هل تَطْمِسُون من السَّماء نجومَها ... بأكُفكم أو تستُرُون هِلالَها
أو تدفعُون[3] مقالةً عن ربكم ... جبريلُ بَلَّغها النبيَّ فقالَها
شهِدَتْ من الأنفال آخرُ آيةٍ ... بتُراثهم فأردتُمُ إبطالَها[4]

يعني بني علي وبني العباس ، قال : فرأيتُ المهديَّ وقد زحف من صدر مُصَلَّاه حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع ، ثم قال له : كم هي بيتاً ؟ قال : مائة بيت ، فأمر له بمائة ألف درهم ، قال : فإنها لأول مائة ألف أُعْطِيها شاعر في خلافة بني العباس .

قال : فلم تلبث الأيّامُ أن أفْضَت الخلافة إلى هارون الرشيد ، قال : فرأيتُ مروان بن أبي حفصة ماثلاً مع الشعراء ، بين يدي الرشيد وقد أنشده

---

(١) في الأغاني : بالجمال .
(٢) في الأغاني : ومثلها .
(٣) في الأغاني : أو تجحدون .
(٤) يعني قوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ، وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ، إن الله بكل شيء عليم ﴾ .

شعراً ، فقال له : مَنْ ؟ قال : شاعرك مروان بن أبي حفصة ، فقال له : ألست القائل البيتين اللذين له في معن اللذين أنشدهما المهديّ : خُذُوا بيده فأخرجوه ، فإنه لا شيء له عندنا ، فأُخْرج .

فلما كان بعد ذلك بيومين تَلَطَّف حتى دخل عليه فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

لَعَمْرُكَ لا أنسى غداة المُحَصَّبِ إشارةَ سَلْمى بالبَنَانِ المُخَضَّبِ
وقد صَدَر الحُجّاجُ إلاَّ أَقَلَّهُمْ مَصادر شَتّى موكباً بعد مَوْكب

قال : فأعجبتْه ، قال له : كم قصيدتك بيتاً ؟ قال له : ستون أو سبعون بيتاً ، فأمر له بعدد أبياتها ألوفاً ، فكان ذلك رَسْمُ مروان حتى مات .

[مُزَرَّدُ ينتقمُ لحرمانه]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا أحمد بن عبيد ، قال : أخبرنا الأصمعي .

قال : كنت يوماً عند هارون أمير المؤمنين ، فقدمت إليه فالوذجة ، فقال : يا أصمعي ! قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ، فقال : حَدِّثني حديث مزرّد أخي شَمّاخ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! إن مُزَرَّداً كان غلاماً نَهِماً جَشِعاً ، وكانت أُمُّهُ تُؤْثِرُ عيالها بالزَّاد عليه ، وكان ذلك يغيظه ويَغُمُّه ، فذهبت أُمُّهُ يوماً في بعض حقوق أهلها وخَلَّفَتْ مُزَرَّداً في رَحْلِها ، فدخل

---

(١) أنظر الخبر التالي في العقد الفريد ٣/ ٣٨٥ ، عيون الأخبار ٣/ ٢٠٤ ، مع اختلاف في بعض ألفاظ الرواية .

الخيمة وأخذ صَاعَيْ دقيقٍ وصاعَ عَجْوةٍ وصاعَ سَمْن ، فضرب بعضه ببعض وأكله ، ثم أنشأ يقول :

ولما مَضَتْ أمِّي تزورُ عِيالها ... أغَرْتُ على العِكْم[1] الذي كان يُمْنَعُ

خلِطتُ بِصَاعَيْ حِنطة صَاعَ عَجْوةٍ ... إلى صاعِ سَمْنٍ وَسْطُهُ يتربَّعُ[2]

ودَبَّلْتُ أمثال الأثافِي[3] كـأنَّها ... رُءوسَ نِقَادٍ قُطِّعَتْ يَوْمَ تُجْمَعُ

وقلت لبطني اشبع اليوم إنه ... حِمَى أُمِّنا مما تفيـدُ وتجمعُ

فإن كنتَ مَصْفُوراً فهذا دواؤه ... وإن كنت غرثاناً فذا يوم تشبعُ

قال : فاستضحك هارون حتى أخذ على بطنه ، واستلقى . ثم قعد ، فمدّ يده وقال : خُذُوا باسم الله .

[معنى : النهم والنقد ، والصفر والغرث]

قال القاضي : قوله : كان غلاماً نَهِماً ، يعني حريصاً على الأكل وهو كالشَّرِه والجَشِع ، يقال : نهم يَنْهَمُ نَهَماً فهو نَهِم ، مثل شَرِهَ يَشْرَهُ شرَهاً ويقال أيضاً : رجل منهوم وقد أنكر بعضهم أن يقال نَهِم ، وقال : الكلام منهوم ، وقد قَدَّمنا القول في ذلك .

والنِّقادُ : الغنم الصغار التي هي شَرَطٌ ليست خِيرات ولا حَرَزَات[4] ، يقال لها : نَقَد ، كما قال الراجز :

---

(١) العكم : الجوالق الذي يكون فيه المتاع وغيره من مدخرات البيت .

(٢) في عيون الأخبار : يتربع بالياء ، قطعناها بميل يميناً ويساراً .

(٣) دبل اللقمة أو العجين : جمعة بأصابعه وكبره ، والدبلة : اللقمة الكبيرة ، والأثافي هي الحجارة التي ينصب عليها القدر وتشعل تحتها النار .

(٤) الشرط : رذال المال وشراره ، والخيرات جمع خيرة بكسر ففتح ، أو كسر فسكون ، وهو كل ما يختاره الانسان ويصطفيه من إنسان أو بهيمة ، والحرزات أيضاً الخيار لأن صاحبها يحرزها أي يصونها .

لــو كُنْتُمْ شَاءً لكنتُمْ نَقَـدَا[1]

وقول مزرِّدٍ يخاطبُ بطنه : فإن كنت مصفوراً ، يعني : وإن كان بك الصَّفَرُ وهو داء في البطن يهيج الجوع على صاحبه ، قال الشاعر :

لا يغمزُ السَّاقَ من أَيْنٍ ولا نَصَبٍ ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفه الصَّفَرُ[2]

وروي عن النبي ﷺ ، أنه قال : « لا عَدْوَى ولا هَامَةَ ولا صَفَر »[3] ، وكانت العرب ترى أن ذلك يُعْدِي ، فتأول قوم هذا الخبر على أنه عني به هذا المعنى وذهب به آخرون إلى أنه الشهر المسمّى صفراً ، وإبطال ما كانت العرب تفعله في تقديمه إلى المحرم على ما كانوا يذهبون إليه في النسيء .

واستقصاء بيان هذا مرسوم في موضعه ، فأما الصَّفَر في بيت مُزَرّد وفي البيت الذي استشهدنا به ، فإنه الدَّاءُ الذي وَصَفْناه دون غيره .

وأما قوله : فإن كنت غرثاناً فإنه من الغَرْث ، وهو الجوع ، يقال :

---

(١) صدر هذا الرجز وبقيته :

قــبحــتــم آل فــقــيــم عــدداً لــو كنتم قــولاً لكــنتم فنـدا
أو كــنتــم مــاء لكــنتــم زبـدا أو كــنتم لحــما لكــنتم غــدداً

انظره في بهجة المجالس ١/ ٥٢٠ .

(٢) البيت لأعشى باهلة يرثى أخاه لأمه المنتشر بن وهب ، انظره في البرصان والعرجان والمراجع التي في هامشه ، والشراسيف الأضلاح التي تلي البطن من الصدر .

(٣) الحديث الشريف في صحيح البخاري ، باب الطب ١٩ ، ٢٥ ، ٤٥ ، ٥٣ ، وصحيح مسلم ، باب السلام ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، وسنن ابن ماجه ، باب الطب ٤٣ . ومسند الإمام أحمد ١/ ٢٦٩ ، ٣٢٨ ، ٤٠٠ .

والهامة : هي ما كان يزعم أهل الجاهلية من أنها روح القتيل تنادي . اسقوني حتى يأخذوا بثاره . والصفر : ما كانوا يدعونه من أنه حية أو دابة تكون في بطن الإنسان تقرص أمعاءه حين الجوع . فنفي رسول الله ﷺ من أن يكون ذلك صحيحاً .

رجل غَرْثَانُ أي جائع ، وامرأة غَرْثَى ، مثل غَضْبان وغَضْبَى ، قال الأعشى :

تَبِيتُونَ في المَشْتَى مِلاَءً بُطُونكُمْ وجَارَاتكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصَا[1]

وتروي غُرٌّ مكان غرثى ، وقال حسان بن ثابت :

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تَـزِنُّ بريبـةٍ وتُصَبح غَرْثَى من لُحُوم الغَوافِلِ[2]

[رَدٌّ على عِتاب]

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا أحمد بن يزيد المهلبي ، قال : سمعت هبةَ الله ابن إبراهيم بن المهديّ ، يقول : كتب أبي إلى بعض من عتب عليه في شيء :

لو عرفتَ الحُسْن لتجنبتَ القبيح ، ولو اسْتَحْلَيْتَ الحِلْم لاسْتَمْرَرْتَ الخَرقَ ، وأنا وأنت كما قال زهير :

وذي خَطَلٍ في القول يُحْسَبُ أنه مُصِيبٌ فما يُلْمِمْ به فهو قائلُهْ
عَبَأْتُ له حِلمي وأكرمتُ غَيْرَه وأعرضتُ عنه وهو بادٍ مقاتِلُهْ

وإن من إحسان الله تعالى إلينا وإساءتك إلى نفسك أنّا أمْسَكْنا عما تعلم ، وقلتَ ما لا تعلم ، وتركنا الممكن وتناولتَ المُعْجِز .

[أشعب يتوب عن لحم الجداء]

حدثنا المظفر بن يحيى بن أحمد المعروف بابن الشرابي ، قال :

---

(١) ديوانه ١٠٠ .

(٢) ديوانه ١٨٨ ، والحصان : العفيفة ، والرزان : ذات الثبات والوقار والعفاف ، تزن : تتهم ، غرثى : جائعة ، والغوافل جمع غافلة وهي التي لا ترتع في أعراض الناس .

حدثنا أبو العبّاس المرثدي ، قال : أخبرنا أبو إسحاق الطَّلْحي ، قال : أخبرني أبو محمد عيسى بن عمر بن عيسى التَّيْمي ، قال[1] :

كان زيادُ بن عبدالله الحارثي خال أبي العباس أمير المؤمنين والياً لأبي العباس على مكة ، فحضر أشعب مائدته في أُناسٍ من أهل مكة ، وكانت لزياد بن عبدالله الحارثي صحفة يُخَصُّ بها ، فيهامَضِيرةٌ[2] من لحم جَدْيٍ ، فأتى بها فأمر الغلامَ أن يضعها بين يدي أشعب وهو لا يدري أنها المضيرة ، فأكلها أشعب ، يعني أتى على ما فيها ، فاستبطأ زياد بن عبدالله المضيرة ، فقال : يا غلام ! الصحفة التي كنت تأتيني بها ، قال : قد أتيتُ بها ـ أصلحك اللَّهُ ـ فأمرتني أن أضعها بين يدي أبي العلاء ، قال : هَنَّأ اللَّهُ أبا العلاء وبارك له ، فلما رُفِعت المائدة ، قال : يا أبا العلاء ـ وذلك في استقبال شهر رمضان ـ قد حضر هذا الشهر المبارك ، وقد رَقَقْتُ لأهل السجن لما هم فيه من الضُّرِّ ، ثم لانضمام الصوم عليهم ، وقد رأيتُ أن أُصَيِّرك إليهم فتلهيَهُمْ بالنهار وتصلّي بهم الليل ، وكان أشعب حافظاً لكتاب الله ، فقال : أَوَ غَيْرُ ذلك ـ أصلح الله الأمير ـ قال : وما هو؟ قال : أعطي الله عهداً ألاّ آكل مَضِيرَة جَدْيٍ أبداً .

[أول تَعَرُّفِ الشعراء بأبي تمام]

حدثنا محمد بن محمود الخزاعي ، قال : حدثنا عليُّ بن الجَهْم ، قال :

---

(١) الخبر التالي في عيون الأخبار ٣/ ٢٦١ ، والبخلاء للجاحظ ١٦٢ .

(٢) المضيرة عند العرب أن تطبخ اللحم باللبن البحت الصريح حتى ينضج اللحم وتخثر المضيرة . اللسان (مضر)

كان الشعراءُ يجتمعون في كلِّ جمعةٍ في القُبَّةِ المعروفة بهم في جامع المدينة ، فيتناشدون الشعر ويَعْرِضُ كلُّ واحد منهم على أصحابه ما أحدث من القول بعد مفارقتهم في الجمعة التي قبلها .

فبينا أنا في جمعة من تلك الجمع ، ودعبل وأبو الشِّيص وابن أبي فنن يجتمعون والناس يستمعون إنشاد بعضنا بعضاً ، أبصرتُ شابًّا في أخريات الناس جالساً في زي الأعراب وهيئتهم ، فلما قطعنا الإنشاد قال لنا : قد سمعتُ إنشادكم منذ اليوم ، فاسمعوا إنشادي ، قلنا : هات ، فأنشدنا :

فَحْوَاكَ عينٌ على نَجْوَاك يا مَذِلُ ... حَتَّامَ لا يَنْقَضِي من قَوْلك الخَطلُ
فإنّ أسْمَجَ من تَشْكُو إليه هَوًى ... مَنْ كان أحسن شيء عنده العَذَلُ
كـأنما جـادَ مَغْنَـاهُ فغيَّـرُه ... دُموعُنا يوم بَانُوا وهي تَنْهَمِلُ
ولـو تَـرَانـا وإيَّـاهُمْ ومَـوْقِفُنـا ... في موقفِ البين لاسْتِهْلَالِنا زَجَلُ
من حُرقَةٍ أَطَاعَتْها فُرقةٌ أَسَرَتْ ... قَلْباً ومن عَذَلٍ في نَحْرِهِ غَزَلُ
وقد طوى الشوقُ في أحْشائنا بُقَرٌ ... عِينٌ طَوَتْهُن في أحشائها الكِلَلُ

ثم مَرّ فيها حتى انتهى إلى قوله في مدح المعتصم :

تَغَايَرَ الشِّعْرُ فيه إذْ سَهِرْتُ له ... حتى ظننتُ قـوافِيـهِ ستقْتَتِـلُ

قال : فعقد أبو الشِّيص عند هذا البيتِ خنْصره ثم مَرَّ فيها إلى آخرها ، فقلنا : زدنا فأنشدنا :

دِمَنٌ أَلَمَّ بهـا فقـال سَـلامُ ... كم حلَّ عَقْد ضميره الإلمامُ

ثم أنشدناها إلى آخرها ، وهو يمدح فيها المأمون ، فاستزدناه فأنشدنا قصيدته التي أولها :

قَدْك اتَّئِبْ أَرْبَيْتَ في الغُلَوَاءِ   كم تَعْـذِلُـون وأنْتُمُ سُجَـرَائِي

حتى انتهى إلى آخرها ، فقلنا له : لمن هذا الشعر ؟ فقال : لمن أنشدكموه ، قلنا : ومن تكون ؟ قال : أبو تمام حبيبُ بنُ أَوْس الطائي ، قال أبو الشِّيص : تزعم أن هذا الشعر لك وتقول :

تَغَايَر الشِّعْرُ فيه إذ سَهِرْتُ لَهُ   حتى ظَنَنْتُ قَـوَافِيـهِ سَتَقْتَتِـلُ

قال : نعم ، لأنِّي سهرتُ في مدح مَلِكٍ ولم أَسْهَرْ في مدح سُوقة ، فقربناه حتى صار معنا في موضعنا ، ولم نَزَل نتهاداه بيننا ، وجعلناه كأحدنا ، واشتد إعجابنا به لدماثته وظَرْفه ، وكرمه وحسن طبعه ، وجودة شعره ، وكان ذلك اليوم أول يوم عرفناه فيه ، ثم تراقت حاله حتى كان من أمره ما كان .

[شرح وإعراب]

قال القاضي : قول أبي تمام : يا مَذِل ، المَذَل ، الفُتُور والخَدَر ، قال الشاعر :

وإن مَذِلَتْ رِجْلِي دَعَوْتُكِ أَشْتَكِي   بِدَعْوَاكِ من مَذْلٍ بها فَيَهُونُ[1]

وقوله :

حتى ظننتُ قـوافِيـهِ ستقتتـلُ

أسكن الياء وحَقُّها النصب لضرورة الشعر ، وقد جاء مثله في كثير من العربية ، ومن ذلك قول الأعشى :

---

(١) البيت في اللسان (مذل) دون نسبة ، والرواية فيه : أشتفي بذكراك مكان أشتكي بدعواك ، وقال فيه : إما أن يكون أراد : مذلٍ بفتح الميم والذال فسكن الذال للضرورة ، وإما أن تكون لغة .

فَتًى لو يُنَادي الشمس ألقتْ قِنَاعَها   أو القمرَ السَّارِي لألْقَى المَقَالِدَا[1]

وقال رُؤْبة :

كأن أيْديهنَّ بالقَاعِ القَرِقْ   أيدي جَوَارٍ يتعاطَيْن الوَرِقْ

وقد قرأ بعضُ النحويين من القرأة حرفاً من القرآن على هذه اللغة في رواية انتهت إلينا عنه ، ذلك أنَّ أبِي حَدَّثني قال : حدثنا محمد بن معاذ بن قُرَّة الهرويّ ، قال : حدثنا علي بن خَشْرَم ، قال : سمعتُ الكسائي يقرأ : ﴿ وإنِّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائي ﴾[2] قال :

كأن أيْدِيهنَّ بالقاعِ القَرِقْ   أيدي جوارٍ يتعاطين الوَرِق

والمعروف في هذا الموضع من التلاوة قراءتان ، إحداهما : ﴿ وإنّي خَفَّتِ المَوَالِي ﴾ بمعنى : قَلَّتِ الموالي ، فالموالي في هذه القراءة ساكنة ، وهي في موضع رفع بالفعل .

رُوِيَت هذه القراءة عن عثمان بن عفان رضي الله عنه وعدد من متقدمي القرأة ، والقراءة الثانية : وإني خِفْتُ ، من الخوف الموالِيَ بالنصب ، إذ هي مفسول بها[3] .

وهذا باب واسع مُسْتَقْصًى في كتبنا المؤلفة في علوم التنزيل والتأويل ، والمعروف مما نقله رواة الشعر في بيت الأعشى : فتى لو ينادي

---

(١) سبق البيت والحديث عنه فيما مر .

(٢) البيت في اللسان (قرق) ، وقال فيه : القرق بكسر الراء : المكان المستوي يقال : قاع قرق أي مستو ، وهو هنا يصف إبلا بالسرعة .

(٣) الآية ٤ من سورة مريم .

(٤) وهي قراءة الجمهور ، وانظر تفصيل هذه القراءات وتوجيهها في البحر المحيط لأبي حيان ٦/ ١٧٤ .

الشمس ، فيه وجهان من التفسير .

أحدهما : أن يكون من الدعاء والمناداة ، والمعنى : لو دعاها لأجابته مُذْعِنَةً طائعة . والآخر : أن يكون المعنى : لو جالسها في النَدِيِّ والنَّادِي ، ورواه أبو العباس محمد بن يزيد النحوي : لو يباري من المباراة ، وهي المُعَارضة ، والعرب تقول : فلانٌ يُباري الريح ، أي يُعَارِضها ، قال طَرَفة :

تُبارِي عَنَاقاً نَاجياتٍ وأتْبَعَتْ وظيفاً وظيفاً فوق مَوْرٍ مُعَبَّدِ(١)

وقول أبي تمام : قَدْكَ ، معناه : حسبك ، قال النابغة :

قالت : ألا لَيْتَما هذا الحمام لنا إلى حَمَامَتِنَا أو نِصْفُهُ فَقَدِ(٢)

ومعنى : اتئب : استحيي ، أربيت : زِدْتَ في الغُلَوَاء ، مأخوذ من الغُلُوِّ وتَجَاوُز الحَدِّ ، قال الشاعر :

إلّا كَنَاشِرَةِ الذي ضَيَّعْتُمُ كالغُصْنِ في غُلَوائِهِ المتثبت(٣)

والسُجَرَاء بالسين المهملة جمع سَجِير ، وهو القريب الوليّ ، فأما الشُجَراء بالشين المعجمة فإنه جمع شجير ، وهو البعيد والعَدُوّ .

---

(١) أنظر ديوانه ٢١٢ .

(٢) البيت في ديوانه ٣٥ ، وقد بمعنى حسب أي كاف في تمام المائة ، وبعد هذا البيت قوله :

فحسبوه فألفوه كما حسبت تسعا وتسعين لم ينقص ولم يزد

والشاعر هنا يذكر ما أثر عن زرقاء اليمامة ، ونظرها الحاد ، فهي قد رأت سرباً من الحمام ، فعدت أفراده رغم سرعة طيرانه ، فلما سألوها عن عدده ذكرت لهم البيت الوارد في النص .

وكان جملة الحمام الطائر ستا وستين حمامة .

(٣) هذا الشطر في اللسان (غلا) ، والرواية فيه : المتأود مكاد المتثبت ، والغلواء هنا ليس بمعنى تجاوز الحد بل بمعنى أول إثباته وقوته .

المجلس الثالث والأربعون

[الزَّجْرُ عن أَذَى اليتيم]

حدثنا الحسن بن إبراهيم بن عبد المجيد المقري ، قال : حدثنا أبو يوسف الفلوسي ، قال : حدثنا عمرو بن سفيان القطيغيّ ، قال : حدثنا الحسن بن أبي جعفر ، عن عليّ بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر بن الخطاب ، قال :

قال لي رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن اليتيمَ إذا بكى اهْتَزَّ عَرْشُ الرحمن عَزَّ وجَلَّ لبُكائه ، يقول اللَّهُ تعالى : من أبْكى عَبْدِي وأنا قبضت أباه وواريتُه في التراب ؟ فيقولون : ربَّنا لا عِلْم لنا ، قال : اشْهَدُوا أن من آواه أرضيتُه يوم القيامة »[1]

[تعليق المؤلف]

قال القاضي : في هذا الخبر زجر عن أذى اليتيم وترغيب في

(١) انظر سنن الترمذي ، باب البر ، وسنن ابن ماجه ، باب الأدب ٦

التعطُّفِ عليه ، والإحسان إليه ، والعقول السليمة والفطن السوية ، تُنْبِئان عن حَظْر ظُلْمه ، وحسن حفظه وتَعَهُّدِه ، وما أتى عن الله عزّ وجل في مُحكم تنزيله وعلى لسان رسوله من التوصية به ، والتوعد بأليم العقاب على ظلمه ، كثير ظاهر ، قد قامت الحجة به واستفاض العلم بصحته ، في خاصَّةِ المسلمين وعامتهم ، ومأموميهم وأئمتهم ، فاتقى امرؤٌ ربّه ، وخاف مقامه ، وأشفق مما هو أمامه ، وتدبّر قول اللّهِ عزّ وجل : ﴿ ولْيَخْشَنْ الذين لو تركُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضَعافاً خافُوا عليهم فَلْيَتَّقُوا اللّهَ ولْيَقُولُوا قَوْلاً سديداً ، إن الذين يَأكُلُون أموالَ اليَتَامَى ظُلْماً إنَّما يَأْكُلُون في بُطُونِهِمْ نَاراً وسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾[1] فإن هذا الذي تلوناه في نظائره من التنزيل أَجْزلُ لَفْظٍ وأبلغ وعظ ، وفي فضل المصيخ إليه ، والعامل عليه ، والقابل له ، والقائم بالقسط فيه ، أوفر حَظّ .

وفقنا الله وإياكم لمرضاته وأعاننا على طاعته ، وعَصَمَنا من معصيته ، إنه جَوَاد كريمٌ ، رَءُوف رحيم .

[سآكلُ منها ولو شققت بَطْنَك]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، قال : أخبرنا العتبي ، عن أبيه ، قال :

حج معاويةُ رحمه اللّهُ وكان عاملُه على المدينة مروان ، فلما وردِ المدينة هَيَّأَ له مروانُ طعاماً فأكثره وجَوَّده ، فلما حضر الغَدَاء جاء متطبِّبٌ نَصْرانيٌّ لمعاوية فوقف وجعل إذا أتى لَوْنٌ قال : كُلْ يا أمير المؤمنين من هذا ، وإذا أتى لَونٌ ظن أنه لا يوافقه ، قال : لا تأكل من هذا .

(١) سورة النساء ، الآية ١٠ .

فلما كان في بعض غَدَائهم ، أقبل زَنْجِيَّان مُؤتزران بربطتين بيضاوين يَدْلَحَانِ بجفْنَةٍ لها أربع حلقات مُتْرَعةً حَيْساً ، فلما رآها معاويةُ استشرف لها وحسر عن ذراعيه ، فقال له الطبيب : أيَّ شيءٍ تُريد يا أمير المؤمنين ؟ قال : أريدُ ـ والله ـ أن أواقِعَ ما ترى ، قال : أُمزِّق ثيابي ، قال : ولو مزقت بطنك ، فجعل يُدَبِّلُ مثل دَبْل البعير ويقذفُ في جوفه حتى إذا نَهَل ، قال : يا مروان ! ما حَيْسُكُمْ هذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، عَجْوةٌ ناعمة ، وإقْطَةٌ مُزَنِيّة ، وسَمْنةٌ جُهَنِيَّة ، قال : هذه ـ والله ـ الأَشْفِيَةُ جُمعت لا كما يقول هذا النصرانيُّ .

[زهدُ بعض الصحابة وتَقَشُّفُهُم]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثنا موسى بن علي الختلي ، قال : حدثنا أبو السكن زكريا بن يحيى ، قال : حدثني عم أبي زَحْر بن حِصْنٍ ، قال : حدثني عنبسة بن عمرو الوهبي ، قال :

مرّ بنا عبدالله بن مسعود ونحن بسَرِفٍ وهو يريد الحج ، فأهْدَيْنا إليه إقْطاً وسَمْناً ولَبَناً وزُبْداً وطَيْراً جاءت بها الرُّعاة من مسيرة أربعة أيام ، فقال : وَدِدْتُ أني في موضع هذا الطير حيث لا أرى أحداً ولا يَراني ، ثم جلس يأكلُ وجلست آكل معه ، فلما فرغ من الأكل جعل يَلْحَسُ الصَّحْفَةَ ويَلْعَقُ ما فيها ، فقلت له : يا أبا عبد الرحمن ! إن هاهنا من يكفيك غَسْلَها ، فقال : إنّ لَعْقَ الصِّحاف يَعْدِل عتق الرقاب .

---

(١) سرف : ككتف ، موضع على عشرة أيام من مكة قرب التنعيم ، وبه تزوج النبي ﷺ ميمونة بنت الحارث الهلالية سنة تسع من الهجرة في عمرة القضاء وهناك بني بها وهو مصروف منع صرفه ، جعله اسماً للبقعة ، أنظر ياقوت في معجم البلدان .

[عود إلى خبر معاوية وأكله من الحَيْس]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثنا موسى بن علي الختلي ، قال : حدثنا أبو السكين ، قال : حدثني عمي زَحْر بن حصن ، عن جده حميد بن منهب ، قال :

حج معاوية وعامله على المدينة مروان ، فاتخذ طعاماً فلما حضر وجلس يأكل قام نصرانيٌّ على رأس معاوية وجعل يقول : كل من هذا فإنه ينفعك ، ودع هذا فإنه يَضُرُّك ، وأُتِيَ بعد الطعام بجَفْنَةٍ عظيمةٍ يحملها أسودان مؤتزران بربطتين بيضاوين ، مملوءة حَيْساً ، أحسب أن كلَّ واحدٍ منهما يَحْمل جَفْنة ، فاستشرف لها معاوية فلما وضعت بين يديه جعل يُدَبِّل منها تدبيلاً ، فَعَظُم ذلك على النصرانيِّ وقال : يا أمير المؤمنين ! لا تأكلْ منها وإلاَّ مزّقت ثيابي ، قال : والله لآكلن ولو مَزَّقْتَ بطنك ، وجعل يُمْعِنُ في الأكل حتى اكتفى ، ثم قال : يا مروان ! ما جفنتك هذه ؟ قال : عَجْوَةٌ ناعمة ، وإقْطَةٌ مُزَنِيَّة وسَمْنَةٌ جُهَنِيَّة ، قال : هذه والله أَشْفِيَةٌ كُلُّها لا ما يقول هذا النَّصْراني .

قال موسى : أبُو السُّكَين بن عباس خرج إلى البادية إلى شيخنا هذا زحر بن حصن فكتب منه هذه الأخبار ، وكان يسمّيها (أخبار الأشراف) .

[ابن الأنباري لا يرغب في تفسير الحيس]

قال القاضي : لما ذكر ابن الأنباري الحَيْسَ في هذا الخبر وهو يمليه علينا سُئل أن يُفَسِّر الحَيْس ، فأبى فروجع ، فامتنع وضجر ، وكان فيما قال : لم يفسره من قبلي فأفسره أنا ! فعجبت من اعتلاله في الإمتناع من تفسيره بأنه لم يفسره من قبله ، والناس يحتاجون إلى تفسير من تأخر لهم ما

لم يتقدمه في تفسيره من رواه قبله ، وأعجب من هذا أنه أورد تفسيره في الخبر نفسه عند آخره .

قال القاضي : والحَيْس من مطاعم العرب المعروفة لهم المشهورة ، ومنه قول الشاعر :

وإذا تكونُ كَرِيهَـةٌ أُدْعَى لها   وإذا يُحَاسُ الحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ

وقد روي أن النبيَّ ﷺ أولم على صَفِيَّة بِحَيْسٍ بعد أن أعْتَقها وتَزَوَّجها .

وقول الراوي في الخبر الذي رويناه عن ابن دريد : يَدْلَحَان ، عني به حَمْلهما وتناولهما ، وجعلهما بمنزلة الدَّالِح الذي هو أحدُ من تناول الدَّلْو عند الإسْتقاء ، وبعده الماتحُ والمائحُ[1] .

[أوَّلُ من ذَكَرَ الحَيْسَ في شِعْره]

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا شيخ ذكره يقال له محمد بن عبد الرحمن ، حدثه وذهب عني اسمه ، عن ابن دأب ، قال :

كان ضَمْرَةُ بن بكر بن عَبْد مَنَاة[2] ، سيدَ بني كنانة ، وقد ضم ولد أعمامه إليه فأغير على إبل له فخرج أهلُه واستنقذوها ، وكان أشدهم بأساً

---

(١) الماتح : المستقي ، والمائح ، الذي يملأ الدلو من أسفل البئر ، والدالح هو الذي يمشي متثاقلاً بحمله . انظر اللسان (فتح ، ودلح) .

(٢) هو جد جاهليّ ، كانت منازل بنيه في جبل ثافل من يسار المصعد من الشام إلى مكة ، وهم أصحاب بيوت ومواش ويسار ، وقد نزل بعضهم بالأبواء ـ بين مكة والمدينة ـ ونزلت جماعة منهم بعد الإسلام في بلاد الأشمونيين بمصر .
انظر الأعلام ٣/ ٣١١ والمراجع في هامشه .

أحمر بن الحارث بن عبد مناة ، فلما رَدّوا الإبل على ضمرة عمل حَيْساً فأطعمه ابنه جُنْدَبَ إذ كان أحمرُ قد خرج ، فعمد أحمرُ إلى سلاحه فلبسه وأخذ إبله ورَحْله ، وقال : والله لا سَاكَنْتُ ضَمْرَةَ أبداً وقد عرف حسن بلائي ، وهو مقبلٌ على ابنه دوني ، وقال[1] :

يا ضَمْرُ أَخْبِرْني ولستَ بفاعلٍ ... وأخُوك صادقُك الذي لا يكذبُ

هل في القضيةِ أنْ إذا استغنيتمُ ... وأمنتم وأنـا البعيـدُ الأجنبُ

وإذا الشَّـدائـدُ بـالمخَنَّق مَـرَّةً ... أشْجَتُكُم فأنا الحبيبُ الأقربُ

وإذا تكونُ شديدةٌ أُدْعَى لها ... وإذا يُحَاسُ الحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ

عَجَباً لتلك قضيـةً وإقـامتي ... فيكم على تلك القضية أعجبُ

فأكونُ فيكمْ مثلَ عبدِ أبيكمُ ... لا أُمَّ لي إن كان ذاك ولا أبُ

---

(١) ترد الأبيات التالية في ذيل الأمالي والنوادر للقالي ٨٤ ، ٨٥ ، عيون الأخبار ٣/ ١٨ ، والموشح للمزربا في ٤٨٩، واللسان حيس ، وقد نسبت في المرجعين الأخيرين لهنيء بن أحمد الكناني ، وزاد في اللسان أو لزرافة الباهلي ، وقال المرزباني وقد نسبت هذه الأبيات لغير هنيء ، ولكن الثابت أنها له ، على حين ذكر المؤلف أنها لأحمد بن الحارث بن عبد مناة ، ويحتاج هذا الاسم إلى تصحيحه قليلاً فهو كما أسلفنا هنيء بن أحمر ونزيد أنه من بني الحارث بن عبد مناة من كنانة كما ذكرت المراجع وبهذا يستقيم،وعلى حين يذكر المؤلف أن الشاعر كان مغاضباً لابن عمه ضمرة لتفضيل ابنه عليه ، نرى البغدادي في خزانة الأدب يذكر أن الشاعر كان مغاضباً لأمه لأنها كانت تفضل أخاه عليه .

أما رواية الأبيات فلا يكاد يتفق مرجع مع مرجع فيها ، من حيث الألفاظ وترتيب الأبيات ، ولو أردنا حصر ذلك لطال بنا الأمر .

أما السبب في هذا الاختلاف كله فيرجع إلى أن الشعر لشاعر جاهلي قديم، وهو في الوقت نفسه شعر سلس عذب يحمل فكرة إنسانية تحدث في كل وقت، وهي الفكرة التي تعني أن واحداً قد يفوز بالغنم في الوقت الذي يكون غيره قد تحمل كل الغرم ، وهي في الواقع لا تحدث كثيراً ولكنها حينما تحدث تكون مؤلمة للنفس حقاً ، وهو ما عبر عنه الشاعر بصدق ، جعل أبياته تحظى بالخلود ، كما جعل الرواة يحيكون لها القصص التي تناسبها مستوحين في ذلك الأبيات نفسها .

فقال جُنْدَب :

لنا صاعٌ إذا كِلْنَا خُصُومَنَا   نُطَفِّفُها ونُوفِي لِلْوَفِيّ
لأحمرَ حَيْسُهُ ولنا غِنَانا   كما أغْنَى وإن عابوا الغَنِيّ

فلذا قال عَبِيدُ بن الأبرص :

سنُهْدِي إليكمْ أيَّ هاتين شِئْتُمُ   ونُعْطِيكُمُ الصَّاعَ الذي قال جُنْدَبُ

المشهور من الرواية في هذا الشعر :

وإذا تكون كريهةٌ أُدْعَى لها

وشديدةٌ أيضاً ، وفي البيت الذي يليه :

ذَاكُمْ وجَدُّكُمُ الصَّغَارُ بِعَيْنِهِ   لا أُمَّ لي ... ...

والهَوَانُ أيضاً ، وقد روي : عجبٌ لتلك قضيةً بالرفع ، على أنه - أعني العجب - شيءٌ لازم ، مثل قولهم : وَيْلٌ له[1] ، وقوله :

فَتُرْبٌ لأفْوَاهِ الوُشَاةِ وجَنْدَلٌ

وقالوا : تُرْباً وجَنْدَلاً ، وتراباً ، جعلوه نائباً عن الإهانة والإذلال .

وروي : عجباً لتلك ، نصباً على إضمار الفعل ، بمنزله قولهم : سَقْياً ورَعْياً .

وقد روي لنا هذا الخبر - أعني خبر ضَمْرة - عن أبي محمد الأنباري

---

(١) ويكون في هذه خبر لمبتدأ محذوف تقديره أمرى عجب ، أمره ويل له ، ويجوز أن يرفع على أنه مبتدأ ، وهو وإن كان نكرة إلا أن المسرغ للابتداء به أن وقع موقع المنصوب ، وتضمن من الوقوع موقع الفعل ما يتضمن المنصوب فيستغنى عن الخبر ، لأنه كالفعل والفاعل ، فكأنه قال : أعجبُ . انظر سيبويه ١/ ٣١٩ .

وفي بعض ألفاظه اختلاف ، ولعلنا نخرجه فيما يُسْتَقْبل من مجالسنا هذه إن شاء الله .

[طالبٌ مُشاكس]

حدثنا علي بن محمد بن كامل النخعي ، قال : حدثنا علي بن جعفر الرُّمَّاني ، قال : حدثنا إسماعيل السُّدِّيّ[1] ، قال :

كنتُ في مجلسِ مالكٍ أكتبُ عنه ، فسُئِل عن فريضة فيها اختلاف عن أصحاب رسول الله ﷺ ، فأجاب فيها بجوابِ زيد بن ثابت ، فقلْت : فما قال فيها عليٌّ بن أبي طالبٍ وعبداللَّهِ بن مسعود ، فأومأ إلى الحَجَبَةِ فلما هَمُّوا بي حَاصَرْتُهم وحاصروني فأعْجَزْتُهم ، وبَقِيَتْ مِحْبَرتي بكُتُبِي بين يَدَيْ مالك ، فلما أراد أن ينصرف ، قال له الحَجَبَةُ : ما نعملُ بكُتب الرَّجُل ومِحْبرته ، فقال : اطلبوه ولا تهيجوه بسُوءٍ حتى تأْتُوني به ، فجاءوا إليّ فرفقوا بي حتى جئت معهم ، فقال لي : من أين أنت ؟ فقلتُ : من أهل الكوفة ، فقال لي : إن أهل الكوفة قوم معهم معرفة بأقدار العلماء ، فأين خلَّفت الأدب ؟ قال : قلت : إنما ذاكَرْتُك لأستفيد ، فقال : إنّ عليًّا وعبداللَّه لا يُنكَرُ فضلهما ، وأهلُ بلدنا على قول زيد ، وإذا كنتَ بين ظَهْرَانَيْ قومٍ فلا تبدؤْهُم بما لا يعرفون فيبدأك منهم ما تكرهه .

قال : ثم حججتُ من سَنَتِي وقدمتُ الشَّام ، فدخلتُ دمشق فجلستُ

---

(١) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، تابعي ، حجازي الأصل ، سكن الكوفة ، قال فيه ابن تغري بردي : هو صاحب التفسير والمغازي والسير ، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس ، توفي سنة ١٢٨ هـ .
انظر النجوم الزاهرة ١/ ٣٠٨ ، واللباب ١/ ٣٧ ، والأعلام ١/ ٣١٣ .

في حلقة الوليدِ بن مُسْلم[1] ، فلم أصبرْ أن سألتُه عن مسألة فأصاب ، فقلت : أخطأتَ يا أبي العباس ، فقال : تُخَطِّئني في الصَّواب وتلحنُ في الإعراب ، فقلت : خَفَضْتُكَ كما خَفَضَك ربُّك ، وداخلتْه الإحتجاجَ فمال الناسُ إليَّ وتركُوه ، وقالوا : أهلُ الكوفة أهلُ الفِقه والعلم ، فخفتُ أن يندأني[2] منه ما ندأني من مالك بن أنس ، فإذا رجلٌ له حِلْمٌ ودِينٌ وَزَعَهُ عن الإقدام .

[السَّفَلَة ، وسفلة السفلة]

حدثني أحمد بن محمد بن الجراح الضراب ، قال : حدثنا يحيى بن محمد بن أمين ، قال : حدثنا إسماعيل بن أبي أوَيْس ، قال :

سمعتُ مالك بن أنس ، يقول : قال ربيعةُ الرأي : يا مَالِك ! مَن السَّفِلَةُ ؟ قال : من أكل بدينه ، قال : فمن سَفِلَةُ السَّفِلَة ؟ قال : قلت : من أصلح دُنْيا غيره بفسادِ دينه ، قال : زِهْ ، صَدَقْتَني .

[شهرة قاضٍ بالغلمان]

حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصَّفَّار ، قال : سمعت أبا العيناء في مجلس أبي العباس محمد بن يزيد ، قال :

---

(١) الوليد بن مسلم الأموي ولاء ، الدمشقي ، أبو العباس ، المعروف بالحافظ الأموي ، عالم الشام في عصره ، له سبعون تصنيفاً في الحديث والتاريخ ، منها السنن والمغازي ، وكان يقال ، من كتب مصنفات الوليد صلح أن يتولى القضاء ، توفي قافلاً من الحج سنة ١٩٥ هـ عن ستة وسبعين عاماً .

انظر تذكرة الحفاظ ١/ ٢٧٨ ، وغاية النهاية ٢/ ٣٦٠ .

(٢) فدأته أندأه : إذا ذعرته ، اللسان (ندأ) .

كنتُ في مجلسِ أبي عاصم النَّبيل[1] ، وكان أبو بكر بن يحيى بن أكثم حاضراً فنازعِ غُلاماً ، فارتفعَ الصَّوْتُ ، فقال أبو عاصم : مَهْيَم[2] ؟ فقالوا : هذا أبو بكر ابن يحيى بن أكثم ينازعُ غُلاماً ، فقال : إن يَسْرِقْ فقد سَرَقَ أبٌ له من قبل .

[وحكاية أخرى في المعنى]

حدثنا محمد بن إبراهيم الحكيمي ، قال : قال أبو عبيدالله محمد ابن القاسم :

لما عُزِل إسماعيل بن حماد[3] عن البصرة ، شيَّعُوه فقالوا : عَفَفْت عن أموالنا وعن دمائنا ، فقال إسماعيل : وعن أبنائكم . يُعَرِّض بيحيى بن أكثم من اللُّواط[4] .

[وقاضٍ تَفْتِنُه حسناء]

وحدثنا الحكيمي ، قال : قال أبو عبدالله[5] :

---

(١) هو الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيباني ، المعروف بالنبيل ، شيخ حفاظ الحديث في عصره ، ولد بمكة سنة ١٢٢ ، وتحول إلى البصرة فسكنها وتوفي بها عام ٢١٢ هـ .
ترجمته في تهذيب التهذيب ٤/ ٤٥٠ ، والجواهر المضيعة ١/ ٢٦٣ .

(٢) كلمة استفهام أي ما حالج وما شأنك ، أو ما وراؤك .

(٣) اسماعيل بن حماد بن الإمام أبي حنيفة النعمان ، فقيه حنفي من القضاة العلماء ، ولي قضاء الجانب الشرقي من بغداد وقضاء البصرة والرقة ، قال أحد واصفيه ، ما ولي القضاء من لدن عمر بن الخطاب إلى أيام ابن حماد أعلم منه ، توفي سنة ٢١٢ هـ .
انظر تاريخ بغداد ٦/ ٢٤٣ ، الجواهر المعنية ١/ ١٤٨ .

(٤) الخبر في أخبار القضاة ٣/ ١٧٠ .

(٥) الخبر اتالي في أخبار القضاة ٣/ ١٧٣ .

وكان الحسن بن عبدالله بن الحسن العَنْبري قاضياً عندنا في الفتنة[1] ، وكان عابساً كالِحاً ، فقدمت إليه جاريةٌ لبعض أهل البصرة تُخاصِمُ في ميراث ، وكانت حسنةَ الوجه ، فتبسَّمَ وكَلَّمها ، فقال عبد الصمد بن المعذَّل :

ولما سَفَرَتْ عنها القِناع مُتَيَّمٌ ... تَروَّحَ منها العنبريُّ مُتَيَّما
رأى ابنُ عبداللَّهِ وهو مُحَكَّمٌ ... عليها ، لها طرفاً عليه مُحَكَّما
وكان قديماً عَابَس الوجه كالحاً ... فلما رأى منها السُّفُورَ تَبسَّما
فإن يَصْبُ قلبُ العنبري فقبلها ... صَبَا باليتامى قلبُ يحيى بن أكثما

[مصدر فاعل : الفعال والمفاعلة]

قال القاضي : قولُ أبي العيناء في الحكاية الأولى من حكايتيه هاتين في قول إسماعيل ما قاله يعرِّض بيحيى بن أكثم باللواط هكذا قال : فاللِّواط مصدر لاوط يلاوط ومصدره لِواطٌ ومُلاوطة في القياس ، مثل زانى يزاني مُزاناةً وزِناءً ، وقاتل يقاتل قِتالاً ومُقَاتلة ، في نظائر ذلك من باب الفِعال والمفاعلة ، وأتى بالمصدر فيه صحيحاً بالواو لصحة فعله ، وذلك لاوط يلاوط ولو كان مصدر لاط يلوط لأُعِلَّ إعلال فعله فقيل لاط لياطاً ، وقُلبت واوه ياءً لانكسار ما قبلها ؛ ألا ترى أنهم يقولون : قام قياماً في مصدر قام يقوم ، وقوام في مصدر قاوم يقاوم ، قال الله تعالى : ﴿ قد يَعْلَمُ اللَّهُ الذين يَتَسَلَّلُونَ منكم لِوَاذاً ﴾[2] فلواذاً مصدر لاوذ يلاوذ ، فأما مصدر

(١) الفتنة هي الفترة التي حدثت فيها الحروب بين الخليفة الأمين وأخيه المأمون حتى قتل الأمين واستقر الأمر للمأمون .
(٢) سورة النور ، الآية ٦٣ .

لاذ يلوذ فإنه يقال فيه : لاذ لياذا ، قال حسان بن ثابت في مصدر (لاوذ) :

وقــريشٍ تَفِــرُّ منهـم لِـوَاذاً   لم يُقيمُوا وخَفَّ منها الحُلُومُ[1]

وقال ذو الرمة في مصدر (لاذ) :

تَلُوذُ من الشمس أطْـلاَؤُهَـا   لِيَاذَ الغَـرِيم من الـطَّالِبِ[2]

وفي استقصاء تصريف هذا الجنس من الأفعال والمصادر ، وذكر أصوله تقديراً وتقريراً ، وتمييز مقايسه تفصيلاً وتحريراً ، طولٌ ، وله موضع هو أولى به .

[أيهما الأصل : الفعل أم المصدر][3]

وقد تعلق نحاة الكوفيين على أصحابنا البصريين بأنهم قد اتفقوا على حمل المصدر في الإعتلال على الفعل فأجروه مجرى التابع التالي له ، وأن هذا يدلُّ على صِحة قَوْلِ مَنْ قَدَّم الفعل فجعل المصدرَ مأخوذاً منه ، وفساد قول البصريين بتقديم المصدرِ والحكم بأنه أُخذ منه الفعل .

وللبصريِّين جوابٌ عن هذا وانفصال منه ، وذلك أنه كُره اختلاف الجملة واضطراب الباب ، وأوثر التوفيق بين بعضه وبعض ، فلما حضر معنًى أوْجَبَ اعتلال الفعل اعَتَلَّ المصدر ، على أن المعتلَّ من المصادر ما كان متجاوزاً الأصل فإنه الذي هو أوَّلٌ في الحقيقة له ، ألا ترى أن أصل

---

(١) البيت في ديوانه ٢٢٦ من قصيدة يذكر فيها عدة أصحاب اللواء يوم أحد .

(٢) لم يرِدِ هذا البيت في ديوانه .

(٣) انظر في هذا مسألة : أصل الاشتقاق : الفعل أو المصدر ، في الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري صفحات ٢٣٥ إلى ٢٤٥ .

المصدر في القيام قأم قَوْمَةً وقَوْماً على أصل القياس في التقدير ، مثل : صام صوماً وعام عوماً ورام روماً .

ومن فائدة الإختلاف في أبنية المصادر يحصل الفرق بين المعاني المختلفة ، كقولهم : وِجْدانٌ في المال ، ووجود في الإدراك ، ومَوْجِدَةٌ في الغضب ، وَوُجْدٌ في الغنى ، وجدةٌ في المال ، ووَجْدٌ في الحبِّ والغضب ، والفعل فيه كُلُّه وَجَد يَجِد ، وفَرَّع المولَّدُون من هذا قولهم : وِجَادَةٌ : ما كان من العلم أخذ من صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة .

ومثل هذا في الأسماء التي حُفِظَتْ مصادِرُها يستفادُ به الفرق في العَلاَقَةِ بالفتح في المحبة والخصومة ، والعِلاقة بالكسر في السيف والسوط ، ولا خلاف في سبق هذه الأسماء للأفعال وتقدمها عليها .

ومما يبين إيثارهم توفيق المفضول في الجملة وإن كان القياس يقتضي لشيء منها دون غيره من بابه حكماً ، فيُسْتَتْبَع ما سواه وإن لم يكن فيه من العلّة ما فيه ، قولهم : آمن ، وأبدلوا من الهمزة مَدَّة كراهيةً لإجتماع الهمزتين ، ثم حملوا عليه يُومن وتُومن ونُومن للتوفيق والتسوية ، وإن كانوا قد يقرونه على أصله ، ويتركون إلحاقه بما العِلَّة خاصة فيه .

وفي شرح هذا الباب وبسط القول فيه طولٌ ليس هذا موضعه ، والفَرَّاء وهو مِنْ أَنْبَهِ مُخَالِفِي البَصْرِيِّين في هذا الفَضْل وأعلَمِهِم وأَنْظَرِهم في قياسه واستدلاله قد احتج في استحقاق الفعل الماضي الفتح يحمله إياه على التثنية في قولك : جَلَسَ وجَلَسَا ، فألزم الواحد وهو متقدم حُكْم الإثنين وهو بَعْده ، فأتْبَع الأول الثاني وعَلّق عليه حُكمه كأن ثانيه أولٌ له ، ومن كان هذا مذهبه فحقيقٌ على أن لا ينكر على خصمه مَثله ، وكيف وقد

أومأنا من مذهب مخالفيه إلى ما يوضِّح عن حقيقته ، ويدلُّ على صحته .

[عَلّمتْهُ الحياة]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا أبو الفضل الأصفهاني ، قال : حدثنا بندار ، عن الأصمعيّ ، قال :

مَثَلَ فَتًى بين يَدَي الحَجَّاج ، فقال : أصلح اللَّهُ الأمير ، مات أبي وأنا حَمْلٌ ، وماتت أمي وأنا رضيع ، فكفلني الغُرباء حتى ترعرعتُ ، فوثب بعض أهلي على مالي فاجْتَاحَه ، وهو هاربٌ منّي ومن عَدْلِ الأمير . فقال الحجّاج : الله ! مات أبُوك وأنتَ حَمْلٌ وماتت أمُّك وأنت رضيعٌ وكفلك الغرباء ، فلم يمنعك ذلك من أن فَصُح لسانك ، وأنبأت عن إرادتك ! اطْرُدُوا المُؤَدِّبين عن أولادي .

[كيف تختارُ أصدقاءَك ؟]

حدثنا أبي ، قال : حدثنا أبو أحمد الختلي ، قال : سمعت محمد ابن عمر البزاز ، يذكر عن محمد بن عباد ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، قال علقمة بن لبيد العُطَاردي ، لابنه :

يا بُنيَّ ! إن نَزَعَتْكَ إلى صُحبةِ الرجال حاجةٌ ، فاصْحَبْ من إن صحبتَه زَانَك ، وإن خَدَمْتَه صانك ، وإن عَرَكت به مانك .

مَنْ إنْ قُلْتَ صَدَّق قولك ، وإن صُلْت سَدَّد صَوْلك ، يزاوِلُ عنك مَنْ رَامَ ونَالَك .

مَنْ إن مَدَدْتَ يَدَكَ يصلُ مَدَّها ، وإن بدرَتْ منك ثُلْمةٌ سَدَّها ، وإن رأى منك حسنةً عَدَّها .

مَنْ إن سألته أعطاك ، وإن سَكَتَّ عنه ابتدأك .

من إن نزلَتْ بك إحدى مُلِمَّات الزمان آساك ، من لا تأتيك منه البوائق ، ولا تختلف عليك منه الطرائق ، ولا يخذلك عند الحقائق .

من إن حاوَلْتَ حَوِيلاً أمَرَك ، وإن تَنَازَعْتُما مَنْفَساً آثرك .

قوله : إن حاولت حويلا أي رمت أمراً طالباً ومنازعاً أمرك ، ويتجه في قوله : أمرك وجهان ، أحدهما : أن يأمرك بالصواب فيه ، ويشير عليك بركوب الحزم فيما تحاوله ، ويرشدك إلى وجه الرأي في التأتي له . والوجه الثاني : أن يكون معنى قوله : أَمِرَك كَثَّرك فيما تحاوله ، وأيَّدك فيما تجاذِبُهُ وَتُزَاوله ، وأمدّك بقُوَّته ، ورَفَدَكَ بمعونته ، من قولهم : قد أَمِرَ بنو فلان : أي كَثُروا ، كما قال لبيد :

إن يَغْبِطُوا يَهْبِطُوا وإنْ أَمِرُوا يـوماً يَصِيـرُوا للذُّلِّ والعَـارِ[1]

وقال آخر[2] :

أُمُّ عيـالٍ ضَنْؤُهَا ضَنْؤُ أَمِـرْ لو نَحَرَتْ لضيْفِها عَشْرَ جُزُرْ
لأصبحتْ من لحمهنَّ تَعْتَـذِرْ

وقد تُأُوِّل قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وجلّ ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيها ﴾[3] على وجهين في قراءة الجماعة ، والوجهان : [أمرنا أي] أُمِرُوا بالطاعة ففسقوا ، وقيل :

---

(١) البيت في ديوانه ٤٧ برواية يصيروا للهلك والنكد ، وانظر اللسان (أمر) . .
(٢) البيت الأول من الرجز في اللسان (أمر) برواية : غير أمر ، أي غير كثير ، وضنؤها أي عيالها ضنئت فهي ضانىء وضانئة ، وعلى الرواية التي هنا يقرر أن لها أولاداً كثراً ، والرجز كله في تهذيب الألفاظ .
(٣) سورة الإسراء ، الآية ٣٦ .

فيه أكثرنا[1]، وقرىء أمَّرنا من الإمارة ، وأَمِرْنا بمعنى أكثرنا ، وروي عن الحسن أنه قال : أمِرنا بكسر الميم على معنى أكثرنا[2]، وأنكر الفراء هذه القراءة وذكر أن أمر لا يتعدّى إلى مفعول . وحكى أبو زيد التَّعَدِّي في هذا الفعل عن العرب ، فصحَّت قراءةُ الحَسَنِ من جهة العربية ، وإن شَذَّتْ عما نقلتْهُ الجماعةُ في هذه الكلمة من القراءة .

واستقصاءُ هذا الفعل وتلخيصُه ، في موضعه من كتبنا في علوم التنزيل والتأويل .

---

(١) وهذا المعنى حكاه أبو حاتم عن أبي زيد ، واستدل أبو عبيدة على صحتها بقول الرسول الكريم : خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أي كثيرة النسل ، يقال أمر الله المهرة أي كثر ولدها .

(٢) وهي مروية عن الحسن البصري ويحيى بن يعمر وعكرمة ، وحكاها النحاس وصاحب اللوامح عن ابن عباس ، انظر البحر المحيط ٧/ ٢٠ .

المجلس الرابع والأربعون

[نعيمان : الصحابيُّ الظريف]

حدثنا أحمد بن سليمان بن داود الطوسيّ ، قال : حدثنا الزُّبير ـ يعني ابن بَكّار ـ قال : وحدثني يحيى بن محمد ، قال : حدثني يعقوب بن جعفر بن أبي كَثير ، قال : حدثني أبو طُوَالة عبد الرحمن بن عبدالله الأنصاريُّ ، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، قال[1] .

كان بالمدينة رجل يقال له نُعَيْمان ، يصيبُ الشَّرَاب ، فكان يُؤتى به إلى النبيِّ ﷺ فيضربُه بنعله ، ويأمرُ أصحابه فيضربونه بنعالهم ، ويحْثُونَ عليه التراب ، فلما كثر ذلك منه ، قال له رجل من أصحاب رسول الله ﷺ : لَعَنَكَ اللَّهُ ، فقال له رسول الله ﷺ : لا تفعل ؛ فإنه يحبُّ اللَّهَ ورسُولَه .

---

(١) يرد خبر نعيمان في سنة ابن ماجة ١٢٢٥ ، عيون الأخبار ١/ ٣١٦ ، أخبار الأذكياء ٣٠ ، المعارف ٣٣٨ ، أخبار الظراف ٢٢ ، جمع الجواهر ٣٧ .

قال : وكان لا يدخُلُ المدينة طُرْفَة إلا اشترى منها ثم جاء به إلى النبيِّ ﷺ ، فقال : يا رسول اللَّهِ ! هذا أهديتُه لك ، فإذا جاء صاحبا يطالبُ نعيمان بثمنه جاء به إلى النبيِّ ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! أَعْطِ هذا ثمنَ مَتَاعِه ، فيقول رسول الله ﷺ : أولم تُهْدِهِ إليَّ ؟ فيقول : يا رسولَ الله ! إنه ـ واللَّهِ ـ لم يكن ثمنه عندي ، ولقد أحببت أن تأكله ، فيضحك رسول الله ﷺ ويأمر لصاحبه بثمنه .

وفي هذا الخبر ما أبان فضل مكارم رسول الله ﷺ وحسن فكاهته وسعة خُلُقه وسجاحته . وقد روينا أنه كان من أفكه الناس ، وأنه كان يقول : « إنِّي لأمزح ولا أقول إلَّا حَقًّا » ، وأنه قال : « إن الله تعالى لا يؤاخذ المَزَّاحَ الصادق في مُزَاحه » .

ونعيمانٌ هذا مِمّن شهد بَدْراً مع رسول الله ﷺ ، وكان كثير الدُّعَابة بديع الممازحة ، وجَلَده رسولُ الله ﷺ في الخمر ، وكانت له على عهد رسول الله ﷺ دعاباتٌ استحسنها الناسُ ويعجبون بها .

منها ، ما حدثناه أحمد بن سليمان الطوسيّ ، قال : حدثنا الزبير ، قال : وحدثني يحيى بن عبدالله بن أبي الحارث بن عبدالله الأصغر بن زمعة ، عن جابر بن علي بن يزيد بن عبدالله الأصغر بن وهب بن زمعة ، عن قريبة بنت عبدالله الأصغر بن وهب ، عن أبيها ، عن أمِّ سلمة زوج النبي ﷺ ، قالت :

خرج أبو بكر الصديق قبل وفاة رسول الله ﷺ بعام في تجارة إلى بُصْرى ومعه نعيمانُ بن عمرو الأنصاري وسَلِيطُ بن حرملة[1] ، وهما ممن

---

(١) صحة هذا الاسم كما ورد في كل المراجع : سويبط بن سعد بن حرملة .

شهد بدراً مع رسول الله ﷺ ، وكان سليط بن حرملة على الزاد ، وكان نعيمان مزّاحا ، فقال لسُليط ، أطعمني ، فقال : لا أطعمك حتى يأتِيَ أبو بكر ، فقال نعيمان لسُليط : لأغيظَنَّك .

فمروا بقوم فقال نعيمان لهم : أتشترون مني عبداً لي ؟ قالوا : نعم ، قال : إنه عبد له كلام ، وهو قائل لكم : لست بعبده وأنا ابن عمّه ، فإن كان إذا قال لكم ذلك تركتموه فلا تشتروه ولا تُفْسِدوا عَلَيَّ عبدي ، قالوا : لا ، بل نشتريه ولا ننظر في قوله .

فاشتروه منه بعشر قلائص[1] ، ثم جاءوا ليأخذوه فامتنع منهم ، فوضَعُوا في عنقه عمامة ، فقال : لا ، إنه يتهزّأ ولست بعبده ، فقالوا : قد أُخْبِرْنا خبرك ولم يسمعوا كلامه .

فجاء أبو بكر الصِّدِّيق فأخبروه الخبر ، فأتبع القوم فأخبرهم أنه مَزِحٌ ، وردّ عليهم القلائص وأخذ سُلَيطاً منهم ، فلما قدموا على النبي ﷺ أخبروه الخبر فضحك من ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه حَوْلاً وأكثر .

ولنعيمان أخبار كثيرة لا يحتمل كتابنا هذا إحضارُ جميعها ، وقد استدل مُسْتَدِلُّون بما أتى في الخبر الأول من ثناء النبي ﷺ على نعيمان ، وزجره لِلاَعِنِه ، ونظائره من الأخبار على فساد مذهب المعتزلة في وعيد أهل الصلاة وعلى صحة تجويز العفو عنهم وأنهم في مشيئة الله تعالى .

وللكلام في هذا الباب موضع آخر .

---

(١) القلائص جمع قلوص ، وهي الناقة الفتية .

[صفة الوليد بن يزيد وبعض شِعره]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، عن عمّه ، قال : أخبرني مروان بن أبي حفصة ، قال[1] :

قال لي هارون أمير المؤمنين : هل رأيت الوليد بن يزيد ؟ قال : قلت : نعم ، قال : فصفه لي . قال : فذهبت أتحرَّجُ[2] ، فقال : إن أمير المؤمنين لا يكره ما تقول فقل . فقلت : كان من أجمل الناس وأشعرهم وأشدهم[3] ، قال : أتروي من شعره شيئاً ؟ قلت : نعم ، دخلت عليه مع عمومتي ولي جُمَّة[4] فينانة ، فجعل يقول بالقضيبِ فيها ويقول : يا غلامُ ! هل وَلَدَتْكَ سُكّر ؟ (أمُّ وَلَدٍ كانت لمروان بن الحكم ، زوَّجها أبا حفصة) فقلت : نعم ، فسمعتُه يقولُ أَنْشَدَ عمومتي :

ليت هِشاماً عاشَ حتَّى يرى ... مِحْلَبَـهُ الأوْفَـرَ قـد أتْـرِعَـا
كِلْنَـا له الصَّـاع التي كالها[5] ... ومـا ظـلمنـاه بـهـا آصُعَا[6]
ومـا أتينـا ذاك عن بِـدْعـةٍ ... أحَلَّهـا القرآن[7] لي أجمعـا

قال : فأمر هارون بكتابتها فكتبت .

قال القاضي : جُمَّةٌ فينانة معناها الوافرة الجثلة ، وقول الوليد في شعره : مِحْلبه الأوفر : يعني : الإناء الذي يحلب فيه بكسر ميمه ، أجراه

---

(١) الخبر التالي في الأغاني ٧/ ١٨ ، والطبري ٨/ ٦٧ ، ٩/ ٢ .
(٢) في الأغاني : أتزحزح .
(٣) في الأغاني : كان من أصبح الناس وأظرف الناس وأشعر الناس .
(٤) الجمة : مجتمع شعر الرأس ، أو ما تدلى من شعر الرأس على المنكبين .
(٥) في الأغاني مكياله .
(٦) في الأغاني : أصوعا ، وفي الطبري : إصبعا .
(٧) في الأغاني : أحله القرآن ، وفي الطبري أحله الفرقان .

في بابه الأعم في الأواني والأدوات ، كالمِخْرَف والمِكْتل والمِرْجل والمقطع والمِحْيَط والمِبْضَع ، فأما المَتَطَبَّبُ به الذي تغلط فيه العامة ، فيقولون : المِحْلَب فهو المَحْلَبُ بفتح الميم مثل المَنْدل ، وهو العود .

[الوليد يسافر ليشرب في حانة بالحيرة]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثني أبو الفضل الربعي ، قال : أخبرنا إسحاق الموصلي ، قال : قال محمد بن منصور الأزدي ، حدثني شيخ من أهل الكوفة ، قال : حدثني خَمَّارٌ كان بالحيرة ، قال :

ما شعرتُ يوماً وقد فتحت حانوتي إذا فوارس ثلاثة مُتَلَثِّمُون بعمائم خَزٍّ قد أقبلوا من طريق السَّمَاوة في البَرِّيَّة ، فقال لي أحدهم : أنت مَرٌّ عبد الخمار ؟ قلت : نعم ، وكنت موصوفاً بالنظافة وجودة الخمر وغسل الأواني ، فقال : اسقني رطلاً ، فقمت فغسلت يدي ثم نقرت الدنان فنظرتُ إلى أصفاها فبزلته وأخذت قدحاً نظيفاً فملأته ثم أخذت منديلاً جديداً فناولته إياه فشرب ، وقال : اسقني آخر . فغسلت يَدي وتركت ذلك الدَّنّ وذلك القدح وذلك المنديل ، ونقرت دنًّا آخر فبزلت منه رطلاً في قدح نظيف ، وأخذت منديلاً جديداً فسقيته فشرب ، وقال : اسقني رطلاً آخر ، فسقيته في غير ذلك القدح ، وأعطيته غير ذلك المنديل ، فشرب وقال : بارك الله عليك ، فما أطيب شرابك وأنظفك ! فما كان رأيي أن أشرب أكثر من ثلاثة ، فلما رأيت نظافَتَك دَعَتْني إلى شُرب آخَر فهاته ، فناولته إياه على تلك السبيل ، ثم قال : لولا أسبابٌ تمنعُ من بيتك لكان حبيباً إليّ أن أجلس فيه بقية يومي هذا .

وولّي راجعاً في الطريق الذي بدا منه ، وقال : اعذرنا ، ورمى إليَّ أحدُ الرجلين اللذين كانا معه بشيء فنظرت فإذا صرة فيها خمس مائة دينار ، وإذا هو الوليد بن يزيد أقبل من دمشق حتى شرب من شراب الحيرة وانصرف .

* * *

قال القاضي : أخبار الوليد بن يزيد كثيرة ، وقد ذكرها الإخباريون مجموعة ومفرقة ، ومعظمها يأتي متفرقاً في مجالس كتابنا هذا .

وكنت جمعت شيئاً منها فيه ، من سَيِرِه وآثاره ومن شعره الذي ضَمّنَه ما فجر به من خُرْقة وسفاهته ، وحُمْقه وخسارته ، وهزله ومجونه ، وركاكته وسخافة دينه ، وما صَرَّح به من الإلحاد في القرآن ، والكفر وباطله ممن أنزله وأنزل عليه ، وعارضت شعره السخيف بشعرٍ حَصِيف ، وباطله بحقٍّ نبيهٍ شريف ، وأتيتُ في هذا بما توخيت به رضا الله تعالى ، واستيجاب مغفرته .

[خطبة يزيد بن الوليد بعد عزله لابن عمه][1]

وقد حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا محمد بن يزيد النحوي ، قال : خطب الناس يزيد بن الوليد ، فقال : أما بعد ، أيها الناس فإني والله ما خرجت أَشَرَاً ولا بَطَراً ولا حِرْصاً على الدنيا ، ولا رغبةً في المال ، وما بي إطراءُ نفسي ، إني لظلومٌ لها إلاّ أن يرحَمَني ربي ، ولكنني خرجت غضباً لله تعالى ولدينه ، وداعياً إلى الله جل ثناؤُه وسنة نبيه

(١) انظر هذه الخطبة من البيان والتبين ٢/ ٧٠ ، وعيون الأخبار ٢/ ٢٤٨ .

ﷺ ، لَمَّا هُدِّمَتْ معالم الهدى ، وأطفىء نورُ أهل التقوى ، وظهر الجبار العنيد المستحلُّ لكل حرمة ، الراكب كلَّ بدعة ، يعني الوليد بن يزيد ، مع أنه والله ما كان يُصَدِّق بالكتاب ، ولا يُؤمنُ بيوم الحساب ، وإنه لابن عمّي في النسب ، وكُفْئِي[1] في الحسب ، فلما رأيتُ ذلك استخرتُ الله تعالى في أمره ، وسألته ألاّ يَكِلَني إلى نفسي ، ودعوتُ إلى ذلك .

[من أجابني من أهل ولايتي ، حتى أراح الله منه العباد ، وطهر منه البلاد][2]

بحول الله وقوته . لا بحولي وقوتي .

أيها الناس ! إن لكم عليَّ ألاّ أضع حجراً على حجر ، ولا لَبِنَةً على لَبِنَة ، ولا أكْنِزَ مالاً[3] ، ولا أحمل خراجاً من بلدٍ ، إلى بلد ، حتى أشدّ ثغر ذلك البلد وخصاصته[4] ، فإن فَضَلَ عنه شيءٌ نقلتُه إلى البلد الذي يليه ، وإلى من هو أحوج إليه منه ، ولا أُجَمِّرُكُمْ في نُفُوركم[5] ، فأفتنكم وأفتن أهاليكم ، ولا أغلقُ بابي دونكم ، فيأكل قويّكم ضعيفكم ، ولا أحمل أهل جزيتكم ما يجليهم عن بلادهم ، ويقطع نسلهم ، وإن لكم عندي أُعطياتكم في كل سنة ، وأرزاقكم في كل شهر ، حتى تستوي المعيشة بين المسلمين ، فيكون أقصاهم كأدناهم ، فإن أنا وفيت بما

---

(١) في عيون الأخبار : كفيئي .

(٢) هذه العبارة ساقطة من ب .

(٣) في ب : ولا أكثر ، وقبل هذه الجملة في عيون الأخبار : ولا أكري نهرا ، بمعنى لا أحفر .

(٤) في العيون والبيان : حتى أسد فقر ذلك البلد وخصاصة أهله .

(٥) في العيون : بعوثكم ، وتجمير البعث ، حبسه في بلاد العدو أو الثغور دون أن يرجعوا إلى أهليهم لفترة طويلة .

قلت ، فلي عليكم السمع والطاعة ، وحسن المؤازرة ، وإن أنا لم أفِ فلكُم أن تَسْتَتِيبوني فإن تُبْت وإلا فأنتُم في حلٍّ من بيعتي ودمي ، وإن علمتم أحداً يُعرفُ بالصلاح يعطيكم[1] مثل الذي أعطيتكم فأردتم أن تبايعوه فأنا أول من بَايعه ودخل في طاعته .

أيها الناس ! إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[2] ، ولا وفاء في نقض عهد الله تعالى ، وإنما الطاعة طاعة الله تعالى ، فمن أطاع الله عزّ وجل فأطيعوه بطاعة الله تعالى ، فإذا عصى الله عزّ وجلّ ، ودعا إلى معصيته فهو أهل أن يُعصى وأن يقتل .

أقول قولي هذا وأستغفرُ اللَّهَ لي ولكُمْ .

[معنى التجمير]

قال القاضي : قوله : ولا أجمركم في ثغوركم ، التجمير : أن يُبْعث الرجل إلى الثغر ثم يترك فيه فلا يَقْفِل إلى أهله ، ويُردَّ إلى وطنه ، فيضرُّ به ويُعَرَّض للفتنة في نفسه وأهله ، والعدل ألا يُجَمّر الجندُ في البعث ، وأن يُعقِّب بينهم في كل ستة أشهر فيما يختاره ، وقد كان بعض من تقدّم من ولاة الأمر وبما عقب في كل سنة ، والأمر في هذا عندنا أن يَتوخّى فيه الأئمة وأولو الأمر المصلحة ، ويحملوا الناس على الرفق بهم ، ويجتهد في

---

(١) في العيون : يعطيكم من نفسه .

(٢) إلى هنا تنتهي الخطبة ، وبعد ذلك في العيون : فلما بويع مروان نبشه وصلبه ، وكانوا يقرءون في الكتب : يا مبدد الكنوز ، ويا سجاداً بالأسحار ، كانت ولايتك لهم رحمة وعليهم حجة ، أخذوك فصلبوك .

والواقع أن عزل الوليد لم يكن مرضياً لطائفة كبيرة من الناس ، انظر الأغاني والطبري ، في الأجزاء التي ذكرناها آنفاً .

حسن النظر لهم ، ويتحرى في هذا الباب من التدبير ما هو أبلغ في سياسة الرعية ، وتحصين الثغور ، وحفظ البيضة ، وحماية الحوزة ، والتحرز من الفساد والفتنة ، وانتشار الكلمة ، فالتجمير في هذا الخبر معناه ما وصفنا .

والتجمير : حضورُ الجمار بمنًى ورميها ، كما قال الشاعر :

فلم أَرَ كالتَّجْمِير مَنْظر نَاظِرٍ ولا كليالي الحج أَفْتَنَّ ذا هوى

والتجمير : مصدر جمّرت النخلة إذا نَزَعْتَ جُمَّارَها .

[الدار التي كان يقف فيها ابن أبي ربيعة]

حدثنا إبراهيم بن محمد المهلبي ، قال : أخبرنا أحمد بن يحيى ، قال : أخبرنا الزبير ابن بكار ، قال :

كنت أرمي الجمارَ رَاجِلاً فإذا أَعْيَيْتُ جئت إلى دار بَكَّارٍ مولى الأَخْنَسِ بن شُرَيْق ، وهي الدَّارُ التي عند الجمرة ، فكنت مع عمّي مصعب بن عبدالله ونحن نرمي الجِمار ، فقلت : هذه دار بكّار ، قال : أو ما عندك من خبرها أكثر من هذا ؟ فقلت : لا ، قال : موضِعُها كان عمر بن أبي ربيعة يقف عليه ينظر إلى النساء إذا خرجن يرمين الجمرة ، وكان إذا ذاك دُكاناً ، قال : وكان بَكَّارٌ لي صديقاً فأنشدنا أصحابنا عنه يرثي المهديَّ ، وكان المهديُّ أعطاه بداره هذه أربعة آلاف دينار فأبى ، وقال : ما كنت لأبيع جوار أمير المؤمنين بشيء أبداً ، فقال المهديّ : أعطوه أربعة آلاف دينار ودعُوهُ ودَارَه ، فلما مات المهديُّ ، قال بَكَّارٌ يرثيه :

ألا رحمةُ اللَّهِ في كلِّ ساعةٍ على رِمَّةٍ أَمْسَتْ بمَا سَبْذَانِ
لقد غيَّبَ القبرُ ثَمَّ سُؤْدُدَاً وكفَّيْنِ بالمعروف يَبْتَدِرَانِ

قال عبدالله بن محمد : وكان المهديُّ مات بما سَبْذَان سنة تسع وستين ومائة .

[يتمنى كلَّ يومين حِجَّة أو اعتماراً]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أحمد بن سعيد الدمشقي ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال[١] :

حدثنا مسلم بن عبداللّٰه بن مسلم بن جندب ، عن أبيه ، قال : أنشد ابنُ أبي عَتيق سعيدَ بن المُسَيّب قولَ عمر بن أبي ربيعة :

أيها الراكب المجدُّ ابتكاراً ... قد قضى من تِهَامَةَ الأوْطَارا
إن يكن قلبك الغداة خليًّا[٢] ... ففؤادي بالخَيْف أمْسَى مُعَارا
ليت ذا الدهرَ كان حَتْماً علينا ... كلَّ يومين حِجَّةً واعْتِمَارا

وقال : لقد كلَّف المسلمين شُطَطاً ، فقال : في نفس الجمل شيءٌ غيرَ ما في نفس سائقه .

قال : وقال عبدالله بن عمر لعمر بن أبي ربيعة : يا ابن أخي ! ما اتقيت الله حيث قلت :

ليت ذا الدهرَ كان حَتْماً علينا ... كُلَّ يومين حِجَةً واعْتمارا

فقال : يا أبا عبد الرحمن ! إني وضعت ليت حيث لا تقع ، قال : صدقت .

---

(١) انظر الأغاني ١/ ١٦٧ ، وانظر الأبيات وخبرها في ديوانه ١٧٦ .
(٢) في الأغاني : من يكن قلبه صحيحاً سليماً وفي الديوان سليماً صحيحاً .
(٣) في الديوان : الحج مكان الدهر ، وشهرين مكان يومين .

[بعض ما كان يلقاه أتباع البرامكة]

حدثنا أحمد بن العباس العسكري ، قال : حدثنا عبدالله بن أبي سعد ، عن هاشم بن موسى أخي مسرور الكبير ، قال : حدثني عمي مسرور ، قال :

لما أصيب يحيى بن خالد بن بَرْمَك بعثني هارون إلى جارية له كانت قد ترهبت ، مغنية يقال لها قُرْب ، وكانت صاحبةَ أمر يحيى بن خالد ، فقال : ائتني بها ، فدخلتُ عليها وعليها لِبَاسُ الصُّوف ، فقلت : أجيبي أمير المؤمنين ، فقالت : أنا أعلم لِمَ يَدْعُوني ، وهذا أمرٌ قد تركتُه لِلّهِ تعالى فأحبُّ أن تحتال لي ، فأعلمتُها ألاّ حيلة في ذلك .

قال : فدعتْ بأثوابٍ فلبستْها ثم تَقَنَّعت بسَبْعَةِ أخمرة ، قال : فجئت بها فدخلتُ بها عليه . فأقعدها ثم قال : هاتِ عُوداً ، قالْ : فجئتُه به ، قال : ادْفَعْهُ إليها ، فقالت : يا أمير المؤمنين ! هذا أمرٌ تركتُه لِلّهِ تعالى ونويتُ ألا أفعله بعد يحيى بن خالد ، قال : فألحّ فأبَتْ ، فقال : يا مَسْرُور ! خُذْ مَقْرَعة وقِفْ على رأسها فإن أبَتْ فاضربْ رأسها أبداً ، قال : فَأَبَتْ ، فضربتُها حتى تقطَّعَتْ السَّبْعَةُ أَخْمرة ، فنظرتُ إلى شَعْرِها والدَّمُ قد خرج من رأسها ، فقالت : أفعل ، ثم تناولتْ العُودَ ، فغنَّتْ :

لمـا رأيتُ الدِّيَـارَ قد دَرَسَتْ   أيْقنتُ أن النَّعِيـمَ لم يَـعُـدِ

قال : فواللّهِ ما فرغتُ حتى نظرت إلى دموع هارون على لحيته ، ثم قال : انصرفي فقامت من بين يديه وهي تبكي ، فقال لي : يا مسرور ! الحقها بعشرة آلاف دينار وقل لها : يقول لك أمير المؤمنين : اصرفيها فيما تحتاجين إليه ، واجعليني في حلٍّ ، فقالت : يا مسرور لا حاجة لي فيها ، وهو في حلٍّ .

[ما أحسن الحقَّ !]

حدثنا عبيدالله بن محمد بن جعفر الأزدي ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، قال : حدثني الحسين بن عبدالرحمن ، عن بعض أشياخه ، عن العلاء بن المنهال ، قال : أتى خاقانَ رجلٌ من غَنِيٍّ في وفد أَتَوْهُ من العرب ، وبوَجْهِ الرجل ضربةٌ منكرة ، فقال له خاقانُ : أيَّ يوم ضُربت هذه الضربة ؟ وهو يرى أنها ضربةُ سَيْف ، فقال الرجل : ضربني فرسٌ لي ، فقال خاقانُ : لَصِدْقُهُ أعجبُ لي ممّا ظننتُ ، ما أحسنَ الحقّ ! فأضْعف له الجائزة .

[كيف تولى أبو الأحوص ولاية مصر]

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقري ، قال : أخبرنا محمد بن إسحاق السراج بنيسابور ، قال : أخبرنا داود بن رُشَيْد ، عن الهيثم بن عديّ ، قال :

وَجّه المهديُّ أمير المؤمنين إلى أبي الأحوص[1] فأُقْدِم عليه ليولِّيه مصر وأعمالها ، قال : فلما حضر عرض عليه ذلك فامتنع منه امتناعاً شديداً ، فاغتاظ من ذلك المهديُّ فهمَّ بضرب عُنقه ، وكان بحضرة المهديّ محمد بن داود جليس خير ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! تمهّلْ عليه ثلاثة أيام ، ففعل وأمره بالانصراف ، فلما خرج من عنده اشتد غيظه

---

(١) أبو الأحوص هو محمد بن الهيثم بن حماد الثقفي بالولاء ، البغدادي ، قاضي مكبرا ، وبها توفي سنة ٢٧٩ هـ ، وكان من حفاظ الحديث الثقات .
انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٣/ ٣٦٢ ، وأخبار القضاة لوكيع الجزء الأول في صفحات متفرقة .

وقال : أما ترى إلى هذا الشيخ ، قد لبس خُفّاً أحمرَ وخُفّاً أسود ليوهمَ أنه مضطرب العقل ! فقال له محمد بن داود الجليسُ الصالح : لا تقل ذلك ، لعل الشيخ أُخْرِج إليه ما يَلْبَسُه في الظلمة فلم يعلم ، فَسَكَنَ .

ومضى محمد بن داود إلى الشيخ أبي الأحوص فألفاه متشكياً يبكي ، فقال له: ما شأْنُك ؟ فقال : إنه خرج لي من الظلمة خُفٌّ أحمر وخُفٌّ أسود ، فلبستُها ولم أعلم ، فلما خرجتُ من عند أمير المؤمنين جعل الصبيان يصيحون ويضحكون ، فلما تبينتُ ذلك نزعتُ الخفين ومشيتُ حافياً فلحقني وجعٌ عظيم في رجليَّ ، فقال له محمد بن داود : إن أمير المؤمنين وقع له غير هذا فثنَيْتهُ عما كان وقع له ، فإذا حضرتَ عنده فإياك أن تأبَى أو تَمْتنع ، فمضى إلى المهديّ فعرَّفه ذلك فسكن غضبُه ، واشتد حرصه على تقليد أبي الأحوص .

فلما حضر بين يديه في اليوم الرابع دعا بسَفَطٍ فأخرج منه كتاباً فيه عَهْدُهُ على مصر وأعمالها ، ثم دفع إليه كتاباً ثانياً إلى صاحب الشرطة يأمره بالحضور مجلسه وألا يخلِّيَه ، ثم دفع إليه كتاباً ثالثاً ، فقال : هذا تبيينٌ برزقك على العامل ، وهو ألف دينار في كل شهر ، ومائتا دينار للمائدة ، ثم دعا بسَفَطٍ آخر فأخرج منه ثياباً وطِيباً فدفعه إليه ، وأمر له بثلثمائة دينار للنفقة ، ثم قال له : الرزق تأخذه معجلاً هنيّاً تستعينُ به ، وللمائدة مائتا دينار وكُلِ الطَّيِّبَ لتُقَوِّي به نفسك ، ولا تَمِل إلى شيءٍ بتَّةَ ، لأن نفسك غنية بالرزق ، وهذه الثلثمائة دينار تستعين بها على نفقة الطريق ، فلا تعترضنّ من أحد شيئاً فتستحيي منه ، وهذه الثياب والطيب تكون معك ، فإن ـ وعائذ بالله تعالى ـ حدث حادث عليك كان هذا مُعَدّاً ، فانظر لنفسك وأعِزَّها فقد أعززناك ورفدناك وأمدَدْناك ، وفَّقَك الله تعالى للصواب .

فخرج أبو الأحوص إلى مصر فحكم بها سنين كثيرة فحَسُن أثره وحُمِدَ أمره .

[ما لهذا حسنة ولا لَكِ سيئة]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثنا أبي ، عن المغيرة ، عن هارون ، قال : حدثني عبدالملك بن عبدالعزيز الماجشون[1] ، قال :

كنّا نأتي المغيرة بن عبد الرحمن[2] فجاءه يوماً مَوْلى له يقال له كُبَّة ، وكان شيخاً كبيراً ، فقال له المغيرةُ : يا كُبَّة ! بالله حدثنا بعض ما كان في شبابك ، فقال : نعم ، دخلنا مرةً بيت مغنية أنا وثلاثة من مَزَّاحِي المدينة ، فغنت صوتاً ، فقال لها أحدهم : أسأل الله تعالى ألا يُنزل لي حسنةً إلّا كتبها لَكِ ، ثم غنت صوتاً آخر ، فقال لها الآخر منهم : بأبي أنت ، غَرَّك واللّهِ ، لا والله ما له حسنة ، ولكن أسأل الله تعالى ألا ينزل لك سيئة إلّا كتبها علي ، ثم غنت صوتاً آخر ، فقال لها الثالث : غَرَّاك والله ، لا والله ما لهذا حسنة ولا كرامةَ له ، ولا لك سيئة ، ولكن أسألُ الله تعالى ألا يخرجك من الدنيا حتى تريه أعمى يقاد :

قال القاضي : قد قال جميل في نحو هذا :

---

(1) عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون التيمي بالولاء ، أبو مروان ، فقيه مالكي ، دارت عليه الفتيا في زمانه ، وعلى أبيه قبله ، أضر في آخر عمره ، وكان مولعاً بسماع الغناء في حله وترجاله ، توفي سنة ٢١٢ هـ .
انظر ترجمته في ميزان الاعتدال ٢/ ١٥٠ ، وفيات الأعيان ١/ ٢٨٧٨ .

(2) هو المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن عياش المخزومي ، أبو هاشم ، فقيه أهل المدينة بعد مالك بن أنس ، عرض عليه الرشيد القضاة بها ، فامتنع ، وكان مدار الفتوى فيها عليه وعلي بن ابراهيم بن دنيار ، توفي سنة ١٨٦ هـ .
انظر شذرات الذهب ١/ ٣١٠ ، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٢٦ .

ألاَ لَيْتني أعمى أَصَمٌّ تَقُودُني بثينـةُ لا يَخْفَى عَلَيَّ كَلامُهـا

[ولو كان هو القاضي]

حدثنا عثمان بن أحمد الدقيقي ، قال : حدثنا سهل بن علي الدفتري ، قال : حدثني فروةُ بن عبدالله المديني ، قال : حدثنا أبو عبدالرحمن بشر بن آدم ، قال :

سأل الأغضف مالك بن أنس عن مسألة [فأجابه] ، ثم سألهُ فأجابه ، وقال الأغضف : لم قلت ذلك ؟ قال مالك : يا غلام ! خذ بيده فاذهب به إلى السجن ، فلما وَلَّى به الغلامُ قال له الأغضفُ : إنّي قاضي أمير المؤمنين ! قال : ذاك أهون لك عليّ ، قال : يا أبا عبدالله لا أعود ، قال : خَلِّ سبيلَه .

المجلس الخامس والأربعون

[لا يتمنين أحدكم الموت لضُرٍّ نزل به]

حدثنا سعيد بن محمد بن أحمد أبو عثمان البزاز ، أخو الزبير الحافظ ، قال : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا روح ، قال : حدثنا محمد بن أبي حفصة ، قال : حدثنا ابن شهاب ، عن أبي عبيد مولى عبدالرحمن بن عوف ، عن أبي هريرة ، قال :

قال رسول الله ﷺ : « لا يتمنينّ أحدكم الموت لضُرٍّ نزل به إما مُسِيءٌ فيُسْتَعْتَب ، وإمَّا محسنٌ فيزداد »[1] .

وحدثنا سعيد بن محمد ، قال : حدثنا روح ، قال : حدثنا الربيع بن صبيح ، قال : أخبرنا حبيب بن فضالة ،

أن أبا هريرة ذكر الموت وكأنه تمنّاه ، فقال بعضُ أصحابه : وكيف

---

(١) الحديث الشريف في جمع الجوامع أو الجامع الكبير للسيوطي ١/ ٩٢٠ ، وذكر أنه في سنن النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ولم ترد فيه عبارة لضر نزل به ، وإنما هي واردة في حديث آخر عن أنس بن مالك رضي الله .

تمنى الموت بعد قول رسول الله ﷺ : « ليس لأحد أن يتمنى الموت لا بارّاً ولا فاجراً ، أمّا بارٌّ فيزداد ، وأما فاجر فيُسْتَعتب » ، قال : وكيف لا أتمنى الموت وأنا أخاف أن تدركني فتنةُ الدَّهْمَاء ، وبَيْع الحُكْمِ ، وتَقَاطُعُ الأرحام ، وكَثْرةُ الشُّرَط ، ونَشْءٌ يتَّخذُونَ القرآن مَزَامير »[1] .

قال القاضي : قد ورد هذا الخبر بالنهي عن تمني الموت لما بُيّنَ فيه من المعنى ، وجاء في معناه عن النبي ﷺ وعن علماء السلف أخبار منها قول رسول الله ﷺ : « لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لا بدَّ فاعلاً فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفَّني ما كانت الوفاة خيراً لي »[2] .

وروى عن ابن عباس أنه قال : ما أحدٌ إلّا والموت خير له من بَرٍّ ولا فاجر ، إن كان برّاً فقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وما عند اللَّهِ خيْرٌ للأبْرار ﴾[3] وإن كان فاجراً فقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ أنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إثماً ﴾[4] .

قال القاضي : وهذا الخبر عن ابن عباس خارج على معنى يواطىء ما قاله رسولُ الله ﷺ على ما قدمنا روايته ، ولا ينافيه إذا حُمل على الوجه الصحيح في المعنى .

---

(١) في الجوامع الكبير ١/ ٩٢٠ : لا يتمنى أحدكم الموت إلا أن يثق بعمله ، فإن رأيتم في الاسلام ست خصال فتمنوا الموت وإن كانت نفسك في يدك : إضاعة الدم ، وإمارة الصبيان ، وكثرة الشرط ، وإمارة السفهاء ، وبيع الحكم ، ونشيء يتخذون القرآن مزامير» .

وقال : رواه الطبراني في المعجم الكبير عن عمر رضي الله عنه .

(٢) وهذا أيضاً في الجامع الكبير ١/ ٩٢٠ ، وقال السيوطي رواه ابن حيان وابن أبي شيبة عن أنس رضي الله عنه .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٩٨ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٧٨ .

ذلك أن النبي ﷺ نهى عن تمني الموت عند الضر ونزوله ، ووقع البلاء وحلوله ، وأرشد إلى استقبال التوبة من الإساءة والوزر ، والازدياد من فعل الخير وأعمال البر ، وأن يَسْتَعتبَ المرءُ من فَرَطَاته ، ويستكثر من طاعاته ، فأما إذا توفاه الله جل جلاله من غير تمنٍّ منه للموت ، وهو على غير علم منه بحاله فيه ، ولا متيقن أن إماتته خير له من تبقّيه ، فإن حاله في هذا مخالفة للمعنى الآخر الذي قدمنا بيانه ، ولكلٍّ وجهٍ من هذين المعنيين حكمٌ جارٍ على طريقته ، ومختصٌّ بحقيقته ، وقد كان أعلام السّلف الأخيار ، وصلحاؤهم الأبرار ، يرغبون إلى الله تعالى في الشهادة في سبيله ويحرصون عليها ويتعرضون لها ويأْسَوْن على فوتها ، ويغبطون من رُزِقَها ، وأكرمْ بها لظهور فضلها وشرف أهلها ، وهذا يُوَضِّح عن إجراء كلٍّ جهة من هذه الجهات على حكمها ، وإنزالها منزلتها ، وأما ما ذكره أبو هريرة من فتنة الدهماء وبيع الحكم وتقاطع الأرحام وكثرة الشرط ونَشْءٍ يتخذون القرآن مزامير ، فقد رأينا جميع ما تخوفه ، وأدركنا ما خاف أن يدركه ، فإلى الله عزّ وجلّ نجأر بالشكوى ، وإياه نستعين على كل بلوى .

فأما قوله : فتنة الدَّهْماء ؛ فإنه أضاف الفتنة إلى الدهماءِ ، وللنحويين في هذا مذهبان : منهم من يجعل الفتنة مضافة إلى الدهماء ويجيز إضافة الشيء إلى نفسه ويُجري هذا في أشياء كثيرة : لَحَقُّ اليقين ، ودَارُ الآخرة ، ومَسْجِدُ الجامع ، وصَلَاةُ الأولى .

وكثير من محقِّقيهم ينكرُ هذا المذهب ، ويخالف هؤلاء في تأويل هذه الكلمات ، وما أتى من نظائرها ، ويحملُ حقَّ اليقين على معنى حق العلم اليقين ، والأمر اليقين على إقامة الصفة مقام الموصوف ، ويقول : معنى دار الآخرة أي دار المنزلة الآخرة أو النشأة والمذمة ، ومعنى مسجد

الجامع : الوقت الجامع ، أو الفَرْضُ الجامع ، وصلاة الأولى صلاة المكتوبة الأولى ، ونحو هذا الوجه من التأويل الصحيح في المعنى الجاري على القياس .

فأما الدهماء في هذا الخبر ففيه وجهان من التأويل ، أحدهما صفة الفتنة أو ما أضيفت إليه بالدهمة والسواد والظلمة ، وقد قال عبدالله بن المبَارك في خبرٍ ضُمِّنَ شعراً له :

فَنَحْنُ في فتنةٍ عَشْوَاءَ مُظْلِمَةٍ نستغفرُ اللَّهَ من أهوالِ ما فيها

والوجه الآخر : غشيان الفتنة وهجومها وتراكمها وعُمومها ، من قولهم دهمت القومَ الخيل تدهمهم .

وقوله : نشءٌ يتخذون القرآن مزامير ، فإنه عَنَى به من حَدَثَ ونَشَأ من الأشرار بعد من مَضَى من البررة الأخيار ، قال نُصَيْب :

ولـولا أن يقالَ صَبَـا نُصَيْبٌ لقُلْتُ : بِنَفْسِي النَّشْءُ الصِّغَارُ

وهؤلاء الذين عنوا بهذا الخبر هم الذين يرددون القرآن لبطونهم بالألحان غير خاشعين ولا مُتَّعِظِين ولا مُعْتبرين ولا مُتَفهّمين ، وأمر هذا النشءِ في زماننا فاشٍ ، فهم من أشدِّ الناس فتنةً ، وأعظمهم على أهل الدين بلية ، فقد جعلوا اجتماعَهُم عَلى تلاوة القرآن بمنكر الألحان ، ومزامير الشيطان ، وعلى تُهَم القَيان وملاهيهم من المعازف والعيدان ، والزيادة في كتاب الله تعالى ما ليس منه بالإيقاع والأوزان ، وحصل خواص أهل العلم والإيمان بمنزلة إقصاء وهوان ، ومن عداهم من حليف فتنة وأسير قينة ، وأكثر من تراه في وقتنا ممن أومىءُ إليه ، إمّا واهي العزيمةِ ضعيفُ العقدة ، قد تأوَّل المحكم غير تأويله ، وتشبَّثَ بجملةِ المتشابه

لعجزه عن معرفة تفصيله ، وإما ماجنٌ خليعٌ أو مغرورٌ مخدوعٌ قد استفزَّه الغَارُّ له بجرأته وجسارته ، واستَزَلَّهُ الماكرُ به فورَّطه في خسارته ، فأوهمه أن الذي دعاه إليه ، وحمله عليه ، من أعمال البر ، والقُرَبِ الكاسبة للأجر ، وأن النبيَّ ﷺ أشار إلى هذا بما ذكره من التَّغَنِّي بالقرآن ، وتحسين التلاوة بالترنم والألحان ، والذي عناه النبيُّ ﷺ عندنا ، قراءَةَ القرآن بالتحسين والخشوع وتحقيقه وترتيله ، وتبيينه وتفصيله ، وتحسين الصوت به من غير إحداث زيادة في أضعافه بالزَّمزمة والنَّقَرات ، والهَمْهَمة والنَّبَزَات .

[الأذان بالألحان]

حدثنا المظفر بن يحيى ابن الشرابي ، قال : حدثنا أبو عيسى محمد بن جعفر بن محمد ، قال : حدثنا الحسن يعني ابن عبدالعزيز الهروي ، قال : حدثنا الحارث بن مسكين ، عن ابن وهب ، أو عبدالرحمن بن القاسم ، عن مالك ، أنه قال :

لَهَمَمْتُ أو أردتُ أن أُكَلِّم أمير المؤمنين في الأذان بألحان أن يَمْنَع منْ ذلك ، قال الله عزَّ وجل : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إلَّا الضَلَالُ ﴾[1] أفمن الحق أن يُؤذن بألحان .

والكلام في هذا الباب يطول ويتسع ، واستقصاؤه يتعذر ويمتنع ، ولنا في هذا الباب ولشيخنا أبي جعفر رضي الله عنه كلام كثير مرسوم في مواضعه ، من كتبنا ، وقد رسمنا من ذلك صدراً صالحاً في كتابنا المسمى « بتذكير العاقلين وتحذير الغافلين » فمن أحبَّ الوقوف عليه فينظر فيه ، ففيه بيان وفائدة لمن نصح نفسه ونظر لدينه ، بمشيئة الله وعونه .

[عبدالملك يتوسم الخلافة بأمور في نفسه]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، عن العتبي ، عن أبي عبيدة ، عن عمارة العقيلي ، أو غير رجل عن عمارة ، قال :

كنا نجلس عند الكعبة وعبدالملك بن مروان يجالسنا من رجل عذب اللسان لا يَمَلُّ جليسُه حديثَه ، فقال لي ذات يوم : يا أبا إسحاق ! إنك إن عشت فسترى الأعناق إليّ مادَّة ، والآمال إلي سامية .

ثم قام فنهض من عندنا ، فأقبلت على جلسائي فقلت : ألا تعجبون من هذا القرشيّ ! يذهب بنفسه إلى معالي الأمور ، وإلى أشياء لعله لا ينالها ، قال : فلا واللّهِ ما ذَهَبَت الأيامُ حتى قيل لي : إنّه قد أفْضَتْ إليه الخلافة ، فذكرتُ قوله ، فتحمَّلتُ إليه فوافيتُ دمشقَ يوم جمعة ، فدخلت المقصورة فإذا أنا به وقد خرج علي من الخضراء ، فصعد المنبر فحمد للَّه جلَّ وعزَّ وأثنى عليه ، فبينما هو يخطب إذ نظر إليَّ ثُم أعرض عني ، فساءني ذلك ، ونزل فصلَّى بنا ودخل الخضراء .

فما جلست إلاّ هنيهة حتى خرج غلامه [قائلاً] : أين عمارة العقيلي ؟ قلت : هأنذا ، قال : أجب أمير المؤمنين فدخلت إليه فسلمت عليه بالخلافة فقال لي : أهلاً وسهلاً ، وناقةً ورَحْلاً ، كيف بَعْدِي كنت ؟ وكيف كنت في سفرك ؟ وكيف من خلقت ؟ لعلك أنكرت إعراضي عنك فإن ذلك موضع لا يَحْتمل إلاّ ما صنعت ، يا غلام ! بَوِّىءْ له بيتاً معي في الدار ، فأنزلني بيتاً فكنت آكل معه وأسامره حتى مضت لي عشرون يوماً ، فقال لي : يا أبا إسحاق ! قد أمرنا لك بعشرين ألف دينار وأمرنا لك بحُمْلاَن وكسوة فلعلك قد أحببت الإلمام بأهلك ثم الإذن في ذلك

إلينا ، أتراني حققتُ أملك يا أبا إسحاق ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، وإنك لذاكر لذلك ؟! ، قال : إي والله ، وإن تمادى به عهد ، قلت : يا أمير المؤمنين ! أكان عندك عهدٌ مما قلت لي ، أم ماذا ؟ قال : بثلاث اجتمعن فيّ ، منها : إنصافي جليسي في مجلسي ، ومنها أنّي ما خُيِّرتُ بين أمرين قطُّ إلّا اخترتُ أيْسَرَهُما ، ومنها : قِلَّةُ المراء .

[متى تكون الشركة في الهدية]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا أبو الحسن الديباجي ، قال : حدثني أبو عبدالله اليوسفي .

أن أم جعفر كتبت إلى أبي يوسف : ما ترى في كذا ، وأحب الأشياء أن يكون الحق فيه كذا ، فأفتاها بما أحبت .

فبعثت إليه بحُقٍّ فضة فيه حِقَاقُ فِضَّة مُطْبَقَاتٌ ، في كل واحدة لون من الطِّيب ، وفي جَامٍ دراهم وَسَطُهُ جامٌ فيه دنانير ، فقال له جليسٌ له : قال رسول الله ﷺ : « من أُهْدِيتْ له هَدِيةٌ فَجُلَسَاؤُهُ شركاؤه فيها »[1] ، فقال أبو يوسف : ذاك حين كانت هدايا الناس التمر واللبن .

[شماتة الأعداء في العزل]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني محمد بن المرزبان ، قال : حدثنا أبو يعقوب النَّخَعيّ ، قال : حدثنا إبراهيم بن

---

(١) الحديث الشريف في الجامع الكبير ١/ ٧٥٨ ، وقال هو في : المعجم الكبير للطبراني ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ، وسنن البيهقي ، رواية عن ابن عباس ، ونصه : « من أهديت له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها » .

بشار ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، قـال ؛

قيل لشريك لما قُلِّدَ القَضَاءَ: ليتك خَلَصت من هذا الأمرُ ولو بالموت ، فقال : أمّا بالموت فلا ، ولكن بعَوَرٍ أو شَلَل .

فلما تَعَصَّبتْ عليه القبائل وعُزِل عن القضاء جعل يسعى في أن يُرَدّ ، فقال له ذلك الرجل : ليتك أُعِدْتَ إلى الحكم ولو بعَوَرٍ أو شَلَل ، إنك لتمنّى ذلك ، فقال : نعم يا ابن أخي ، شماتَةُ الأعداء شديدة[1] .

قال القاضي : نظير هذا قول عمر لعمّار : ساءك إذ عزلتك ؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين لقد ساءني أن وَلَّيْتَني ، ولقد ساءني أن عزلتني .

[مَعْبَدٌ يتحدَّى الغريض]

حدثنا المظفر بن يحيى بن أحمد المعروف بابن الشرابي ، قال : حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن عبدالله بن بشر المرثدي ، قال : حدثنا أبو إسحاق طلحة بن عبدالله الطلحي ، قال : أخبرني أحمد بن إبراهيم ، قال : وحدثني أبي ، عمن حدثه ، قال :

خرج مَعْبَدٌ[2] ـ وهو يومئذ أحسن أهل المدينة غناءً ـ إلى مكة يتحدَّى الغَرِيض[3] ، فسأل عن منزله فَدُلَّ عليه ، فأتاه فقرع الباب فقالت

---

(١) انظر أخبار القضاة ٣/ ١٥٣ .

(٢) سبق التعريف به فيما مر من صفحات .

(٣) هو عبد الملك الغريض ، مولى العبلات ، وكان من مولدي البربر ، وكان ولاؤه للثريا صاحبة عمر بن أبي ربيعة وإخوتها ، والغريض لقب له ، ولقب به لأنه كان طري الوجه غض الشباب حسن المنظر فلقب به ، أخذ الغناء عن ابن سريج ، ولكن هذا خشي براعته فتجنى عليه وطرده ، فذهب وتعلم غناء المراثي والنواح ، ثم خلط غناءه به فاشتهاه الناس لما فيه من الشجا ، وعلى الجملة فكان أحذق الناس غناء بعد ابن سريج ، وكثير من النقاد لا يفرق بينهما في الطبقة ، توفي سنة ٩٥ هـ .
انظر أخباره في الأغاني ـ ٢/ ٣٥٩ إلى ٤٠٢ .

الجارية : من هذا ؟ فقال : قوليُ لأبي فلان ، هذا رجلٌ من أهل المدينة من إخوانك ، فقال : افتحي له ، فدخل فحيّاه وسأله عن حاجته ، فقال : أنا رجلٌ من أهل صناعتك ، وقد أحببت أن أسمع منك وأُسْمِعَك ، فقال هاتِ على اسْمِ اللَّهِ تعالى ، فغنَّاهُ مَعْبَدُ ، فقال : أحسنت والله يا أخي ، حتى انتهى ، ثم اندفع هـو يغنّي ، فسمع معبد شيئاً لم يسمع بمثله قط ، فقال له : أنت أحسن الناس غناءً ، فقال له : كيف لو سمعت عجوزاً لنا في سَفْحِ أبي قُبَيْس ، يعني ابن سُرَيْج[1]، فقال : كيف لي ـ جعلت فداك ـ بأن أسمع منه؟ قال : قُمْ بنا إليه ، قال : فنهضنا حتى أتينا باب ابن سريج فقرعه الغريض فعرفته الجارية ، فقالت : ادخل فدخلا جميعاً فإذا ابن سريج نائم الصُّبحة وإذا عليه قرقرة أصفر .

قال القاضي : كذا قال ابن الشرابي ، وهكذا رأيته في أصل كتابه والصواب قرقل في قول الجمهور ، وإن كان بعضهم قد رد هذا وصوب قولهم قرقر ، وقد خضب يديه وذراعيهِ إلى مرفقيه ، فقال له الغريض : جعلت فداك ، هذا رجل من إخوانك من أهل المدينة يتغنى ، وقد أحب أن يسمعك غناه ويسمع منك ، قال : هات ، فغناه معبد فقال له ابن سريج : أحسنت والله ثم استل ابن سريج دُفّاً مُربَّعاً وتغنى :

نــظرتْ عيني فــلا نَــظَرَتْ بَـعْـدَه عَـيْــني إلــى أحَــدِ

---

(١) هو عبيد بن سريج ، المغني الشهير في العصر الأموي ، كان من أجمل الناس غناء حتى قيل أنه لم يأت بعد نبي الله داود من هو أحسن صوتاً منه ، وكان يقال كأنه خلق من كل قلب ، فهو يغني لكل إنسان ما يشتهي ، إلى طهارة الخلق والأدب والمعرفة بأخلاق الناس ، توفي في عهد سليمان أو هشام ابن عبد الملك .

انظر أخباره في الأغاني ١/ ٢٤٨ - ٣٢٣ .

(٢) الصحبة : نوم الغداة .

قال معبد : فسمعتُ شيئاً ما سمعت مثله قط، ولا ظننت يكون ، فأخذتُ أتَتَمَّ به واخْتَلف إليه .

[من صفة الغريض]

وحدثنا المظفر ، قال : حدثنا محمد بن أحمد المرثدي ، قال : أخبرنا أبو إسحاق الطلحي ، قال: وأخبرني أحمد ، قال :

كان الغريض مخنثاً وكان جميلاً له شَعْر ، وكان مولى الثُّرَيَّا بنت عبدالله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وكان يتعلّم من ابن سُرَيْج .

[من نوادر طويس]

وحدثنا المظفر ، قال : أخبرني أحمد ، قال : أخبرنا أبو إسحاق ، قال : وخبرني أحمد ، قال : حدثني أبي ، قال :

مرّ طُوَيْسٌ[1] وكان مخنثاً أحسنَ الناسِ غناءً ، ومعه جماعة من المخنثين ، فمر بنهر حمام يكون ذراعاً ، فرفع ثيابه ووضعها تحت إبطه اعتزاءً وتجلُّداً ، ثم قال : أنا زيد الخيل ، أنا عامر بن الطفيل ، أنا دريد بن الصِّمة ، ثم قفز قفزة فإذا هو مستنقِعٌ في النهر ، وصاح المخنَّثون : الغريقَ الغريقَ .

---

(١) هو عيسى بن عبد الله ، مولى بني مخزوم ، أول من غنى بالمدينة غناء موقعاً ، وكان ظريفاً يجيد النقر على الدف ، إلى جانب العلم بتاريخ المدينة وأنساب أهلها ، ولد بالمدينة ، وعاش بها إلى أيام مروان بن الحكم ثم انتقل إلى السويداء على ليلتين من شمال المدينة ، وأقام بها، توفي سنة ٩٢ هـ .
انظر الأغاني ٣/ ٢١ ، ٤/ ٢١٩ .

[من مخارج أبي يوسف]

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقري ، قال : أخبرنا عبدالله بن الحسن أبو شبيب ، قال : حدثنا علي بن الجعد ، قال[1]:

أرسل أميرُ المؤمنين الرشيدُ إلى قاضي القضاة أبي يوسف ، في ساعةٍ لم يكن يُرسل إليه في مثلها ، قال أبو يوسف : فتحنَّطْتُ وتكفَّنْتُ ولبست فوق ذلك ثيابي ، ودخلت على أمير المؤمنين ، فألفيته جالساً على طرف المُصَلَّى ، وإذا بين يديه سيف مَسْلُول ، فسلَّمْتُ فرد عليّ السلام وأدناني ، فشم مني رائحة الحنوط ، فقال : ما هذه الرائحة فأخبرته الخبر فاسترجع ، ثم أمر بذلك فنُزِعَ عَنِّي ، وجاءني بثياب فلبستُها ، ثم قال لي : تدري من خَلْفَ هذا الستر؟ قلت : لا ، يا أمير المؤمنين ، قال : إن خلفه أعز خلق الله تعالى عليّ ، قال : فظننت أنها الخيزران ، ثم قال : إني أودعتها عقوداً لها مقدار ، وجوهراً له خَطَر ، وإنِّي فقدتُ منها عِقداً ، فحلفتُ بأيمان البَيْعةِ وأكَّدْتُها على نفسي أنهَا تَصْدُقُنِي عن خَبَره ، فإن لم تصدقني ضَرَبْتُها بسيفي هذا حتى أُبَضِّعَها قطعاً ، قال أبو يوسف : يا أمير المؤمنين ! قد أخرجك اللّه تعالى من يمينك ، فمر بالسيف يُرَدُّ إلى غِمْده ، فأمر به فَرُدَّ إلى غِمده ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! سَلْها وعَرِّفْها يمينك ، فسألها وغَلَّظَ عليها الأمر ، قال : قُلْ لَها : لا تُجيبُك حتى أقولَ لها ، ثم قال لها أبو يوسف : قولي قد أخذتُه ، فقالت : قد أخذتُه ، فقال أبو يوسف : أمسكي ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ! فسلها ثانية ، فسألها وغَلَّظَ عليها ما حلفَ به ، فقال لها أبو يوسف : قولي إني لم آخذه ، فقالت : لم آخذه .

---

(١) انظر الخبر التالي في أخبار الأذكياء لابن الجوزي ٨٣ .

ثم التفت إلي أمير المؤمنين ، فقال : قد صَدَقْتُك في أحد القولين ، إن كانت أخذتْه فقد صدقَتْ ، وإن كانت لم تأخذه فقد صدقْتُك .

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقاما وخرجا من البيت الذي كانا فيه إلى خِزانة ، فأمر بها فَفُتِحَتْ وأُخرج إليه أسفاطٌ فأمر بها فحُلّتْ ، فإذا فيها جوهر له خَطَر ، فقال أبو يوسف : يا أمير المؤمنين ! ما رأيتُ أحسن من هذا ، فإن رأيت أن تهبه لي ؟ فقال : لا والله ما نفسي بذلك طَيِّبة ، فقال : فهبه لأم جعفر ، فقال : لا واللّهِ ، ولا نَفْسِي به طَيِّبة ، قال : يا أمير المؤمنين ! فإن لم تفعل لا هذا ولا ذا فتُعْلِمْ أمَّ جعفرٍ أني سَألْتُك أن تهب لها هذه العقود فأبيت ، قال : أمّا ذا فَنَعَم ، فأعلم أمَّ جعفرٍ بذاك فأنفذَتْ إلى أبي يوسف بمائة ألف درهم .

[سبب شدة المنصور على مخالفيه]

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا أحمد بن يحيى ، عن محمد بن إسماعيل ، عن أبيه ، قال :

قال عبدالصمد بن عليٍّ للمنصور : يا أمير المؤمنين ! لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو ، فقال : لأنَّ بني مروان لم تَبْلَ رِمَمُهُم ، وآلَ أبي طالب لم تُغْمَدْ سُيُوفُهُم ، ونحن بين قومٍ قد رَأَوْنَا أمسِ سُوقَةً واليوم خُلَفاءَ ، فليس تتمهَّد هيبتُنا في صُدُورهم إلاَّ بنسيان العَفْو واستعمال العقوبة ، ولو لم أفعل هذا لاحتجنا إلى ما هو أعظم منه .

[من مروءة الحسن البصري]

حدثنا أبي رضي الله عنه ، قال : حدثني أبو أحمد الختلي ، قال :

أخبرنا أبو حفص النسائي ، قال : حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير ، قال : حدثنا محمد بن كثير بن مخلد بن الحسين ، عن هشام بن حسان ، قال :

كان الحسن إذا اشترى له شيء بكذا وكذا ونصف أتمه به ، فباع الحسنُ بَغْلاً له بأربع مائة درهم ، فقيل لصاحبه ، لو أتيته فاستَحْطَطْتُه من ثمنه شيئاً ، فأتاه فقال : يا أبا سعيد ! إن رأيت أن تُخَفِّف عني من ثمن البغل ؟ فقال له : خمسون درهماً أرضيت ؟ قال : نعم ، يا أبا سعيد ، قال : فلك خمسون أخرى أرضيت ؟ قال : نعم ، رضي الله عنك ، قال : فلما أدبر الرجل قال : هَلُمَّ فإنه بلغني أن من الإحسان أن يَضَعَ الرجل نصف حَقِّه ، اذهب فلك مائتان .

المجلس السادس والأربعون

[قصة مقتل أمية بن خلف]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، عن أبي الفضل العباس بن ميمون ، عن يعقوب بن محمد الزُّهَري ، عن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن جَدِّه عبدالرحمن بن عوف ، قال[1] :

كنت أُعْرَفُ بعبد عمرو فسمَّاني رسولُ الله ﷺ عبدالرحمن ، فلما كان يوم بدر سَلَبْتُ أربعة أَدْرَاعٍ من دُرُوع المشركين وأقبلت بهنّ ، فمرَّ بي أميةُ بنُ خَلَف وابنُه عليّ ، فناداني أميةُ : يا عبد عمرو ! فلم أجبه ، فقال : يا عبدالرحمن[2] ! قلت : وما شأنُك ؟ قال : أنا وابني خَيْرٌ لك من هذه الأدراع ، فألقيتُهن وأقبلتُ بهما ، فبصُر بهما بلالٌ فأقبل بسيفه ، وقال : أمية رأسُ الكفر ؟ الحمدُ لِلّه الذي أمكنني منك[3] ، فقلت : يا بلالُ !

---

(١) الخبر التالي في السيرة لابن هشام ١/ ٦٣١ ، ٦٣٢ .

(٢) في السيرة أن أمية كان يسميه عبد الإله ويرفض أن يسميه عبد الرحمن .

(٣) من المعروف أن أميه بن خلف هو الذي كان يعذب بلالا بمكة ليترك الاسلام فكان يخرجه إلى الرمضاء بمكة إذا حميت فيصجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد ، فيقول بلال : أحد أحد .

كانت معي والله أربعة أدْراع وألقيتُهن واعتمدت على هذين ، فلا تَفْجَعَني بهما .

فأقبل يريدهما فقلت : تنحَّ يا ابن السَّوْداء ، وقام إلى قوم من الأنصار ، فقال : معاشر المسلمين ! أُميّة رأس الكفر وابنه ، فأقبلوا بالسيوف إليهما ، فما ملكوني من أمرهما شيئاً ، فضُرب عليٌّ ضربةً فطَنَّتْ ساقه[1] ، فصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط ، ثم حملوا فذففوا عليهما .

فكان عبدالرحمن يقول : رحم اللّهُ بلالاً ، فجعني بأسيريَّ وذهبتْ أدراعي .

معنى ذففوا : أجهزوا ، قال أبو بكر : قال أبي : قال العباس : فحدثت بهذا الحديث ابن عائشة ، فقال لي : حدثني أبي أن شاعراً من المسلمين مدح بلالاً لمّا فعل ذلك ، فقال :

هنيئاً زادك الرحمن خيراً فقد أدْرَكتَ ثأرَكَ يا بلالُ
فما نِكْساً وُجِدْتَ ولا جباناً غداة تنوشك الأسْلُ الطِّوالُ

[معنى التناوش مهموزاً وغير مهموز]

قال القاضي : معنى تنوشك : تناولك ، وهو من المناوشة ، وقيل : إن التناوش : التناول من قريب بغير همز ، والتناؤش بالهمز : التناول من بعيد ، قال الراجز :

---

(١) طنت ساقه : أي سمع لقطعها صوت .

فهي تَنُوشُ الحَوْضَ نَوْشاً مِنْ عَلاَ   نَوْشاً به تَقْطَعُ أَجْوَازَ الفَلاَ[1]

فهذا غير مهموز ، وقال نَهْشَلُ بنُ حَرِّيٍّ في الهمز :

تَمَنَّى نَئِيشاً أن يكون أطاعني   وقد حَدَثَتْ بعد الأُمُورِ أُمُورُ[2]

وقد قرأت القَرَأَة : ﴿ وأَنَّى لَهُمُ التَّنَاؤُشُ ﴾[3] بالهمز وتركه ، ونسب الصولي شيخنا أبا جعفر رحمه الله إلى التصحيف في بيت نهشل ، وذكر أنه رواه تمنى حُبَيْشُ ، وجرت بيننا وبينه في هذا مخاطبة قمعته بحضرة جماعة منهم أولو علم ومعرفة ، ولنا في هذا رسالة أوضحنا فيها سقوط ما أورده الصولي وحكاه ، وضمناها من خطأ الصولي وتصحيفه وتعاطيه ما لا يحسنه في مواضع من تأليفه ، ومن نَظَر في ذلك أشرف منه على علم مستفاد ، وبيان مستجاد ، إن شاء الله .

[الوليد يتوله بجارية نصرانية]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرنا أبو حاتم ، قال :

---

(١) البيت لغيلان بن حريث ، انظره في اللسان (نوش) ، قال : والضمير في قوله فهي : للإبل ، وتنوش الحوض : تتناول ملأه ، وقوله : من علا أي من فوق يريد أنها عالية الأجسام طويلة الأعناق ، وذلك النوش الذي تناله هو الذي يعينها على قطع الفلوات ، والأجواز : جمع جوز ، وهو الوسط . أي هذه الإبل تتناول ماء الحوض من فوق ، وتشرب شرباً كثيراً ، وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج إلى ماء آخر .

(٢) أحد ثلاثة أبيات وردت في اللسان (نأش) وقبل البيت :

ومولى عصاني واستبد برأيه   كما لم يطع فيها أشار قصير

فلما رأى ما غب أمري وأمره   وناءت بأعجاز الأمور صدور

تمني نئيشا . . . الخ .

ونئيشا : أي تمني في الأخير وبعد الفوت أن لو أطاعني ، وقد حدثت أمور لا يستدرك بها ما فات ، أي أطاعني في وقت لا تنفعه فيه الطاعة ، ويقال فعله نئيشاً أي أخيراً .

والنئيش أيضاً البعيد ، عن ثعلب ، والتناؤش الأخذ من بعد ، كما ذكر المؤلف هنا ، وكما هو وارد عن ثعلب أيضاً ، وانظر تخريج هذه الكلمة ومأخذها ، في اللسان (نأش) .

(٣) سورة سبأ ، الآية ٥٢ .

أخبرنا العتبي ، قال[1] :

كان الوليد بن يزيد نظر إلى جارية نصرانية من أهيأ الناس يقال لها سفرى ، فجُنَّ بها وجعل يراسلها وتأبى عليه ، حتى بلغه أن عيداً للنصارى قد قرب ، وأنها ستخرج فيه وكان في موضع العيد بستانٌ حَسَن ، وكان النساءُ يَدْخُلْنه ، فصانع الوليد صاحبَ البستان أن يُدخله فينظر إليها فَتَابَعَهُ ، وحضر الوليد وقد تقشَّف وغير حِلْيَته ، ودخلتْ سَفْرى البستان فجعلت تمشي حتى انتهت إليه ، فقالت لصاحب البستان : من هذا ؟ قال لها : رجلٌ مصابٌ ، فجعلت تمازحه وتضاحكه حتى اشتفى من النظر إليها ومن حديثها ، فقيل لها : ويلك ! تدرين من ذلك الرجل ؟ قالت : لا ، فقيل لها : الوليد بن يزيد فإنما تقشف حتى ينظر إليك ، فجُنَّتْ به بعد ذلك ، وكانتْ عليه أحرص منه عليها ، فقال الوليد في ذلك :

أَضْحَى فُؤَادُكَ يا وليدُ عَمِيدَا ... صَبّاً قديماً[2] للحسانِ صَيُودا
من حُبِّ واضحةِ العَوَارِضِ طَفْلَةٍ ... بَرَزَتْ لنا نحو الكنيسة عيدا
ما زلتُ أرمُقها بعينيْ وامِق ... حتى بَصُرْتُ بها تقبِّلُ عُودا
عودَ الصليب فَوَيْح نفسِي من رأى ... منكم صَلِيباً مِثله مَعْبُودا
فسألتُ ربي أن أكونَ مكانَهُ ... وأكونَ في لهب الجحيم وَقودا

قال القاضي : لم يَبْلُغْ مُدْرِكُ الشيباني[3] هذا الحد من الخلاعة فيما قال في عمرو النصراني :

يا ليتني كنتُ له صَلِيبَا ... وكنتُ منه أَبَداً قَرِيبا

(١) الخبر التالي في مصارع العشاق ٢٦٢ ، ، نقلاً عما هنا .
(٢) في المرجع السابق : كليما .
(٣) سبقت ترجمته والحديث عنه في الجزء الأول من الكتاب .

أَبْصِـرُ حُسْنـاً وأشُمُّ طيبـاً لا واشِيـاً أخْشَى ولا رَقِيبا

فلما ظهر أمره وعلمه الناس ، قال :

ألاَ حَبَّذَا سَفْرِي وإن قيل إنني كَلِفْتُ بنصرانيةٍ تَشْرَبُ الخمرا
يهونُ عَلَيْنَا[1] أن نَظَلَّ نهَارَنا إلى الليل لا أُولَى نُصَلِّي ولا عَصْرا

وللوليد في هذا النحو من الخلاعة والمجون وسخافة الدين ما يطول ذكره ، وقد ناقضناه في أشياء من منظوم شعره والمتضمن ركيك ضلاله وكفره ، ما لعلّنا نُورده فيما نستقبله من مجالس كتابنا هذا .

[حكم الوادي يضطرب أمام الوليد]

حدثنا المظفر بن يحيى بن أحمد المعروف بابن الشرابي ، قال : حدثنا أبو العباس المرثدي ، قال : حدثنا أبو إسحاق الثلجي ، قال : أخبرني أبي ، عن حَكَم الوادي[2] ، قال :

قال الوليد بن يزيد بن عبدالملك لجلسائه من المغنيين : إني لأشتهي غناء أطول من أهزاجكم وأقصر من الغناء الطويل ، قالوا جميعاً : قد أصبته يا أمير المؤمنين ، بالمدينة رجل يقال له : مالك بن أبي السمح

---

(١) في ب : علي ، ولا يستقيم معها الوزن .

(٢) حكم بن ميمون أو حكم بن يحيى بن ميمون ، مغن من الطبقة الأولى في عصره ، وكان في أول نشأته ينقل الزيت على الجمال من الشام إلى المدينة بالأجرة ، فأولع أثناء ذلك بصناعة الغناء ونقر الدف حتى اشتهر أمره وذاع صيته ، وقد بدأ أمره في عهد بني أمية وغنى للوليد ابن يزيد ، ثم اتصل ببني العباس في خلافة المنصور وانقطع إليهم ، فنال مالاً وافراً ، وعاش حتى أدرك الرشيد وغناه ، توفي نحو سنة ١٨٠ هـ .
انظر الأغاني ٦/ ٦٢ ، ولم ترد فيه هذه القصة الواردة هنا .

الطائي حليف لقريش وهذا غناؤه ، وهو أحسن الناس خلقاً وأحسنهم حديثاً ، قال : أرسلوا إليه ، فأرسل إليه فشخص حتى وافاه بالشام بدمشق .

قال : فلما دخلنا عليه في وقت النبيذ دخل معنا ، فقال له الوليد : غَنِّه ، فاندفع يضرب فلم يطاوعه حلقه ولم يصنع قليلاً ولا كثيراً ، فقال له الوليد : قم فاخرج .

قال : وأقبل علينا يعنفنا ، ويقول : ما تزالون تُغْرُونني بالرجل وتزعمون أن عنده بعضَ ما أشتهيه حتى أُدْخِلَه وأُطْلِعَه على ما لم أكن أُحِبَّ أن يَطَّلِع عليه أحد ، ثم لا أجد عنده ما أريد . فقلنا : يا أمير المؤمنين ! والله ما كذبنا ولكن عسى الرجل قد تغيَّر بعدنا ، قال : ولم نزل به حتى استرسل وطابت نفسه وغنّيْناهُ حتى نام، ثم انصرفنا فجعلنا طريقنا على مالك ، فافترينا عليه وكدنا نتناوله ، قال : فقال : ويحكم ! دخلتني له هيبةٌ منعتْني من الغناء ومن الكلام لو أردته ، فأعيدوني إليه فإني أرجو أن يرجع إلي حلقي وغنائي .

قال : فكلمنا الوليد فدعا به ، فكان في الثانية أسوأ حالاً منه في الأولى فصاح به أيضاً فخرج ، وفعلنا كفعلنا ، قال : فقال : أعيدوني إليه فامْرَأَتُهُ طالق وما يملك في سبيل الله إن لم أستنزله عن سريره إن هو أنصفني ، قال : فجئنا إلى الوليد ، قال : فأخبرناه ، قال : فقال : وعليّ مثل يمينه إن هو لم يستنزلْني أن أُنَفِّذَ فيه ما حَلَف به فهو أعلم .

قال : فأتيناه فأخبرناه بمقالة الوليد ويمينه ، قال : قد قبلت ، قال : فحضرنا معه داراً نكون فيها إلى أن يدعي بنا ، فمرّ به صاحب الشراب فأعطاه ديناراً على أن يأتيَهُ بقدحٍ حَبَشَانِي مملوءٍ شراباً من شراب الوليد ،

فأتاه بقدح ثم بقدح ثم بقدح، بثلاثة أقداح، فأعطاه ثلاثة دنانير ثم أدخلناه عليه ، فقال له الوليد : هات ، فقال : لا ، والله أوترجع إليّ نفسي وأطرب وأرى للغناء موضعاً ، قال : فذاك لك ، قال : فاشرب يا أمير المؤمنين ، قال : فشرب وجعل هو يشرب ويغني المغنون ، حتى إذا ثمل الوليد وثمل هو سلَّ صوتاً فأحسن وجاء بما يُغْرِب ، فطربنا وطرب الوليد وتحرك ، وقال : اسقني يا غلام فسُقِي وتَغَنَّى مالكٌ صوتاً آخر فجاء بالعجب ، فقال له الوليد : أحسنت أحسنت أحسن الله إليك ، فقال : الأرض الأرض يا أمير المؤمنين ، قال : ذاك له ونزل فحيَّاهُ وأحسن إليه ، ولم يزل معه ، حتى قُتِل الوليد .

[إلا أن تحج ثانية يا أمير المؤمنين]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا أبو الفضل الربعي ، قال : حدثنا إسحاق الموصلي ، قال : حدثني أبي ، عن إبراهيم الجرجاني ، قال :

حَججتُ مع أمير المؤمنين الرشيد فدخلتُ مسجد رسول الله ﷺ ، فبينا أنا بين القبر والمنبر ، إذ أنا عن يميني برجل حَسَن الهيئة خَاضِب ، معه رجلٌ في مِثْل حاله ، فحانَتْ مني لَفْتة نحوه فإذا هو يكسر حاجبه ، ويفتح فاه ، ويلوي عنقه ، ويشير بيده ، فتجوزتُ في صلاتي وسلّمت ، فقلت : أفي مسجد رسول الله ﷺ تَتَغَنَّى ؟ قال : قَنَّعَكَ[1] اللَّهُ دارَ مَخْرمة ، ما أجهلك ! ـ قال : ودارُ مَخْرَمة صَخْرة ـ أمَا في الجنة غناء ؟ قلت : بلى ، فيها ما تشتهي الأنفس وتَلَذُّ الأعين ، قال : فأنا في روضة

(١) قنعه بالشيء من سيف أو عصا أو حجر : علاه به .

من رياض الجنة ، قلت : لا ، قال : واحَرَبَاه[1]! أتردُّ على رسول الله ﷺ قوله : « بَيْنَ قَبْرِي ومِنْبري روضةٌ من رياض الجنة »[2]، فنحن في تلك الروضة ، فقلت : قَبَّح اللَّهُ شيخاً وشارة[3]، ما أسفهك ! فقال : بالقبرِ لما أنْصَتَّ إليَّ ، فتخوفت ألا أُنْصِتَ إليه ، فاندفع فتغَنَّى بصوتٍ يُخْفِيه :

فليستْ عَشِيَّاتُ الحِمَى بِرَوَاجِع   عليك ولكنْ خَلِّ عَينَك تَدْمَعَا

فوالله إن قمت للصلاة مما دخلَ عَليَّ ، فلما رأى ما نزل بي ، قال : يا ابن أمي ! أرى نفسك قد استجابت وطابت ، فهل لك في زيادة ؟ قلت : ويحك ! مسجد رسول الله ﷺ ، قال : أنا أَعْرَفُ بالله ورسوله منك ، فدعنا من جهلك ، وتغنى :

فلو كان واشٍ باليمـامةَ دَارُهُ   ودَارِي بأعْلَى حَضْرموت اهْتَدَى لِيَا
وما بالُهم لا أَحْسَنَ اللَّهُ حِفْظَهُمْ   من الحظِّ هم في نَصْرِ هم لَيْلَى حِيَالِيَا

قال : فقال له صاحبه : يا ابن أخي ! أحسنت والله ، عتق ما يملك لو أن هذا في موضع أمير المؤمنين الرشيد لخلع عليك ثيابه مشقوقةً طرباً ، قال : فقمتُ وهما لا يعلمان من أنا ، فدخلتُ على أمير المؤمنين الرشيد ، فحدثته ، فقال : أدركهما لا يفوتانك ، فوجهت من أتى بهما ، فلما دخلَا عليه ودخلا بوجوهٍ قد ذَهَبَ مَاؤُها ، وأنا قائمٌ على رأسه ، فقال : يا إبراهيم ! هذان هما ؟ قلت : نعم ، يا أمير المؤمنين ، فنظر المغنِّي منهما

---

(١) الحرب : الويل والهلاك ، ويقال : واحرباه عند إظهار الحزن والتأسف على عزيز .
(٢) الحديث الشريف في الجامع الكبير ١/ ٦٩٩ ، وذكر أنه في مسند الإمام أحمد ، ومسند أبي يعلى ، برواية أبي سعيد ، وورد في شعب الإيمان للبيهقي ، وتاريخ بغداد ، وابن عساكر برواية جابر بن عبد الله ، ورواية سعد بن أبي وقاص .
(٣) الشارة : الهيئة والزي .

إليّ وقال : سعاية في جوار قبر الرسول ﷺ ؟ فسُرِّيَ عن أمير المؤمنير بعض غضبه ، فقال : ما كنتما فيه ؟ قالا : خيرٌ ، قال : فما مِنْ ذلك الخير ؟ فسكتا ، فقال للمُغَنِّي منهما : من أنت ؟ فابتدره جماعةٌ فقالوا : يا أمير المؤمنين ! هذا ابنُ جُرَيْج[1] فقيهُ أهل مكة ، فقال : فقيهٌ يَتَغَنَّى في مسجد رسول الله ﷺ ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! لم يكن ذلك بالقصد مني ، ولكنّي كنت سمعت من هذا المخزومي ـ يعني صاحبه ـ صوتين لم يزالا في قلبي حتى التقينا وأحببت أن يأخذهما عليّ فأخذهما عليَّ ، وحلف أنِّي قد أحسنت وأنه لو كان في موضع أمير المؤمنين لخلع عليَّ ، وسكت .

فقال : إن كنتَ تركْتَ من الحديث شيئاً فَهاتِه ، فقال : ما تركت يا أمير المؤمنين شيئاً ، قال : والله لتقولَنَّ ما قال أو لأضْرِبنَّ عنقك .

قال : يا أمير المؤمنين ! قال : لو كنتُ في موضعه لخلعتُ عليه ثيابك مشقوقة طرباً ، فتبسم الرشيد وقال : أما هذا فلا ، ولكن سأنبذها لك صحيحة فهو خيرٌ لك ، ثم دعا بثيابٍ ونبذ إليه ثيابه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، ولصاحبه بخمسة آلاف درهم ، وقال : لا تَعُودَا لمثل هذا .

قال : فقال صاحبُ ابن جُرَيج : إلّا أن تَحُجَّ ثانيةً يا أمير المؤمنين ، فضحك وقال : ألحقُوه بصاحبه في الجائزة .

---

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، أبو الوليد ، فقيه الحرم المكي ، كان إمام أهل الحجاز في عصره ، وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة ، وهو رومي الأصل ، من موالي قريش ، مكي المولد والوفاة ، ولد سنة ٨٠ هـ ، وتوفي سنة ١٥٠ هـ .
انظر في ترجمته تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٠ ، وتاريخ بغداد ١٠/ ٤٠٠ ، والخبر فيه .

[وصية أعرابية لولدها]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عبدالله بن محمد بن رستم ، قال : حدثني محمد بن عيسى النحوي ، قال : قال أبان بن تَغْلِب[1] ـ وكان عابداً من عبّاد البصرة :

شهدت أعرابية وهي توصي ولداً لها يريد سفراً وهي تقول له : أي بُنَيّ ! اجلس أمنحْك وصيَّتي ، وبالله تعالى توفيقُك ، فإنَّ الوصيّة أجدى عليك من كثير عقلك .

قال أبان : فوقفتُ مُسْتَمِعاً لكلامها مستحسناً لوصيتها فإذا هي تقول : أي بنيّ ! إيّاك والنميمة ، فإنها تَزْرَع الضغينة وتفرِّقُ بين المحبين ، وإياك والتَّعَرُّضَ للعيوب ، فتُتَّخذَ غَرَضاً ، وخليق ألّا يثبت الغَرَض على كثرة السِّهَام ، وقلَّ ما اعْتَوَرَتِ السِّهامُ هَدَفاً[2] إلّا كَلَمَتْهُ حتى يَهِي ما اشتدَّ من قُوَّته ، وإياك والجودَ بدينك ، والبخلَ بمالك ، وإذا هَزَزْتَ فاهزُزْ كريماً يَلِينْ لِهزَّتك ، ولا تَهْزُزْ اللّئيم فإنه صخرة لا يتفجَّرُ ماؤُها ، ومَثِّل لنفسك أمثالَ ما استحسنتَ من غيرك فاعمل به ، وما استقبحتَ من غيرك فاجْتَنِبْهُ ، فإن المرءَ لا يرى عيب نفسه ، ومن كانت مودته بِشْرَه ، وخالف ذلك فِعْلَه ، كان صديقُه منه على مثل الريح في تصرُّفِها ، ثم أمسكَتْ . فدنوتُ منها فقلت : باللّهِ يا أعرابيّة إلاَّ زِدْتيه في الوصية ، قالت : أوقد أعجبك

---

(١) هو أبان بن تغلب بن رباح البكري الجريري بالولاء ، أبو سعيد ، قاريء ، لغوي ، من غلاة الشيعة ، من كتبه : غريب القرآن ولعله أول من صنف فيه ، وله : القراءات ، وصفين ، والفضائل ، ومعاني القرآن ، وغيرها ، توفي عام ١٤١ هـ .
انظر ترجمته في فهرست ابن النديم ، واللباب ١/ ٢٢٤ .

(٢) انظر هذه الوصية في أمالي القالي ٢/ ٧٩ .

(٣) في الأمالي : غرضا .

كلام الأعراب[1] يا عراقيّ ؟ قلت : نعم ، قالت : والغدر أقبح ما تعامل به الناسُ بينهم ، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحُلَّةَ رَيْطَتَها[2] وسِرْبَالَها .

[عندما يسمع المحبُّ اسمَ حبيبه]

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا عون بن محمد ، قال : حدثني إدريس بن بدر أخو الجَهْم بن بدر ، قال[3]:

كان أبي منقطعاً إلى الفضل بن يحيى ، فكان معه يوماً في موكبه ، فقال أبي : فرأيتُ من الفضل حِيرةً وجَوْلة ، فنظر إليّ ففطن أني قد استبنت ما كان فيه ، فقال : عَرِّفْني يا بدر ، كيف قال المجنون : وداع دعا . . . ؟ فأنشده :

ودَاعٍ دَعَا إذْ نحن بالخِيفِ من مِنًى ... فَهيَّجَ أحزانَ الفؤادِ وما يدري
دَعَا باسم ليلى غيرها فكأنما ... أطار بليلى طائراً كان في صدري

قال : هذه واللّهِ قِصَّتي ، كنت أهوى جاريةً يقال لها خِشْف ، ثم ملكتها فَقَرُبَتْ من قلبي ، فسمعت الساعة صائحاً يصيح : يا خِشْف ، فكان مني ما رأيت ونالني مثل ما نال المجنون .

[كُتَّاب سُوء الأدب]

حدثنا محمد بن الحسن بنِ زياد المقري ، قال : حدثنا محمد بن

---

(1) في الأمالي : العرب .
(2) الريطة : الثوب اللين الرقيق .
(3) الخبر التالي نقلاً عما هنا في مصارع العشاق ٢٩٤ .

عبد الرحمن الشامي بهراة ، قال : أخبرني علي بن الجَعْد ، قال :

كتب أبو يوسف القاضي يوماً وعن يمينه إنسان ، فلا حظه يقرأ ما يكتب ، ففطن به أبو يوسف ، فقال له : وقفتَ على شيءٍ من خطأ ؟ قال : لا ، والله ، ولا حرف . فقال له أبو يوسف : جُزِيتَ خيراً كَفَيْتَنَا مَؤُونة قراءته ، ثم أنشأ يقول :

كـأنَّـهُ مـن سُـوءِ تَـأْدَابِـهِ   تَعَلَّم في كُتَّابِ سُوءِ الأدب

[لم يدعه يسأل غيره]

حدثنا عبيدالله بن محمد بن جعفر الأزدي ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا ، قال : حدثني سليمان بن منصور الخزاعي ، قال : حدثنا أبو سفيان الحميري ، عن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري ، قال :

قدم أعرابيٌّ المدينة يطلبُ في أربع دياتٍ حَمَلها ، فقيل له : عليك بحسن ابن عليّ ، وعليك بعبداللّه بن جعفر ، وعليك بسعيد بن العاص ، وعليك بعبدالله بن العباس ، فدخل المسجد فرأى رجلاً يَخْرُج ومعه جماعة ، فقال : من هذا ؟ قيل : سعيد بن العاص ، قال : هذا أحدُ أصحابي الذين ذُكِرُوا لي ، فمشى معه فأخبره بالذي قدم له ، ومن ذكره وأنه أحدهم ، وهو ساكتٌ لا يجيبه ، فلما بلغ باب منزله قال لخازنه : قل لهذا الأعرابي فليأتِ بمن يَحْمِلُ له ، فقيل له : ائت بمن يحمل ، قال : عافى الله سعيداً ، إنما سألناه وَرِقاً ولم نسأله تمراً ، قال : ويحك إئتِ بمن يحمل لك ، فأخرج إليه أربعين ألفاً ، فاحتملها الأعرابيُّ فمضى إلى البادية ولم يلق غيره .

[كيف خلصه الله من الغلام]

حدثنا محمد بن أحمد بن أبي الثلج ، قال : حدثنا الحسين بن فهم ، قال : حدثنا عمر بن شَبَّة ، عن فلان من أهل البصرة ، قال :

مررت بالنخّاسين ببغداد فإذا أنا برجل ينادي على غلام نظيف له هيئة وجمال ، وهو يقول : من يشتري غلاماً سارقاً آبقاً قَتُولاً لمواليه ؟ فعدّ خِلالَ سُوء ، قال : فقلت : يا غلام ! ما هذه الصفاتُ بك ؟ قال : فقال لي : امضِ إلى عملك إن أردت أن تَمْضي ، فإنّ مولاي يريدُ أن يستعيبَني بهذا ، قال : فَرَغَّبني هذا الكلامُ فيه ، فقلتُ للمنادِي : بِعْنِيهِ ، فقال : مع كلٍّ ما وصفتُ من الخلال المذمومة فيه ؟ قال : فقلت : ارْمِ بثمن هذا في البحر .

فاشتريته بسبعة عشر ديناراً وصرت به إلى منزلي ، فمكثتُ شهوراً لا أرى إلاَّ كلَّ خَلَّةٍ جميلة ، حَيْطَة وشفقة ونُصْحاً حتى أمِنْتُه وسلَّمتُ إليه ، فقبض على كيسٍ لي فيه جملةٌ ثم هرب ، فلم أعرف له خَبَراً ، ولم يكن لي على بيعه حُجَّةٌ لما بيَّن من خِلاله .

قال : فقلت : ما أرى كلَّ ما قيل فيه إلاَّ حقًّا ، وحمدت الله عزّ وجل إذ كانت النازلة بمالي ولم تكن بي . قال : ثم اتصل بي الخبر أنه بالكوفة قد انقطع إلى صَيْرفيٍّ ، قال : فخرجتُ خلفه فأراه قاعداً في الصيارف في دُكّان رَجُل نبيلٍ منهم ، قال : فقبضتُ عليه وقلت : يا عدوَّ الله يا آبق ! قال : فقال الصيرفيّ : أهو مملوكٌ ؟ قال : فقلت : نعم ، هو عبدي ، قال : فقال الغلام : نعم ، هو مولاي وأنا مَمْلوكه ، فراعني تَمَاوُته ، قال : وخفتُ أن ينالَني ما قال المنادي أنه قتولٌ لمواليه ، قال : فجئتُ به إلى

حدّادٍ فقلت له : ضَعْ بيدي ويده مَصَكَّةً[1] وثيقة ، قال : وقلت : والله لا نزال هكذا إلى بغداد ، وخرجت من الكوفة أمشي ويمشي لا يتهيأ لنا الركوب من أجل المصكّة ، حتى وافينا بريقْيَا ، قال : فنمنا في الخان على تَعَب ، قال : فما شعرت إلا بوثبة الأسد فوق الغلام ، قال : فأخذه يجرّه ويجرّني معه بالمصكّةِ قال : فذكرْتُ سكيناً في خُفِّي صغيرة ، فأخرجتها فخرزت يده فبقيت في المصكّة ، ومضى به الأسد ، ثم نزعت المصكةَ ودفنتُ يَده .

[رواية أخرى للخبر]

حدثنا أبو النضر العقيلي بنحو هذا عن أبي الحسن بن راهويه الكاتب ، قال : حكى بعض التجار أن مملوكاً سرق منه كيساً فيه جملة من الدنانير وهرب ، قال : فخرجت في طلبه فأدركني المساء في موضع حَدَّدَه وذكر لي أنه مُسْبِعٌ[2] ، فرأيت شجرةً عالية فتسنَّمتُها ، فلما كان في الليل أقبل الأسد والأرض كادت تنشقُّ من زئيره ، فجزعت وجذبت غُصْناً من الشجرة متعلقاً به لأرتفع من مكاني وازداد بعداً من الأرض ، فسقط شخص من الشجرة سمعت وجْبَتَه[3] ، فوثب الأسد عليه وجعل يَلَغُ في دمه ، ويلتهم لحمه ثم ولَّى ، وأقمتُ بمكاني حتى جاء الصبح وانتشر الناس . فنزلت فإذا رأس غلامي ملقى وإلى جنبه كيسي بحاله ، فأخذته وانصرفت .

(١) المصكة : المغلاق .
(٢) المسبع : الكثير السباع .
(٣) وجبته : صوت سقطته .

[أبى إلّا الحقَّ]

حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي ، قال : حدثني إسماعيل بن حسان قال : حدثنا حماد بن داود التغلبي ، عن عوانة بن الحكم ، قال :

أتى الحجاج برجلين من الخوارج ، فقال لأحدهما : ما دِينُك ؟ قال : دِينُ إبراهيمَ حنيفاً مُسْلماً وما أنا من المشركين ، فقال : يا حَرَسِيُّ ! اضرب عنقه ، ثم قال للآخر : أنت ما دِينُك ؟ قال : دينُ الشيخ يُوسُف بن الحكم - يعني أبا الحجاج - قال : ويحك أَخَبَرْتُه ؟ لقد كان صَوَّاماً قَوَّاماً ، يا حَرَسِيّ ! خلِّ عنه ، فقال : ويحك يا حجاج ! أشقيتَ نفسك وأثمت بربِّك ، قتلتَ رجلاً على دين إبراهيم ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿ ومَنْ يَرْغَبُ عن مِلَّةِ إبْراهيمَ إلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾(١) : فقال : أَبَيْتَ ، يا حَرَسِيّ ! اضرب عنقه ، فانطلق به ، فأنشأ يقول :

سُبحان ربٍّ قد يَرَى ويَسْمَعُ وقد مَضَى في علمه ما تَصْنعُ
ولو يَشَا في ساعةٍ بل أسرعُ فيرسِلَنْ عليك ناراً تَسْطعُ
فيترك السَّرِير منك بلقعُ

فضُربت عنقه .

[من طرائف القضاة]

حدثنا جعفر بن أحمد بن جعفر النهرواني ، قال : حدثني أبي ، عمن حدثه ، قال :

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٣٠ .

ولى يحيى بن أكثم إسماعيل بن سماعة[1] القضاء بغربي بغداد ، وولى سوار بن عبدالله[2] شرقيّها ، وكانا أعورين ، فكتب فيه محمد بن راشد الكاتب :

رأيتُ من العجائب قاضيين ... هما أُحْدُوثَةٌ في الخافقين

هما فَالُ الزمان بهُلْكِ يَحْيى ... إذِ افتتح القضاء بأعورين

فلو جُمع العَمَى يوماً بأفْقٍ ... لكانا للزَّمانة خَلتين

وتحسب منهما من هزّ رأساً ... لينظر في مواريثِ ودَيْنِ

كأنك قد جعلت عليه دِنًّا ... فتحتَ بُزَالَهُ من فَرْدِ عَيْن[3]

وكان يحيى بن أكثم أعور .

[من رسائل العَتَّابي]

حدثنا الحسين بن المرزبان النحوي ، قال : حدثني محمد بن العباس اليزيدي ، قال : حدثني أبو جعفر محمد بن صدقة النحوي ، قال :

كتب العَتَّابي[3] إلى داود بن يزيد بن المهلب[4] : أما بعد ، فإني امرؤ فيَّ خُلَّتَان : حَصَرٌ مُقَيَّدٌ بالحياء ، وعِزَّةُ نَفْسٍ شبيهةٌ بالجفاء ، ولم

---

(١) صحة هذا الاسم محمد بن سماعة كما تاريخ بغداد ٥/ ٣٤١ نقلاً عما هنا ، وهو محمد بن سماعة بن عبد الله بن هلال التميمي ، أبو عبد الله ، حافظ ثقة ، ولي القضاء للرشيد ببغداد ، وضعف بصره فعزله المعتصم ، وكان كامل القوة وقد تجاوز المائة ، يصلي في كل يوم مائتي ركعة ، توفي سنة ٢٣٣ هـ .
انظر الوافي بالوفيات ٣/ ١٣٩ ، وتهذيب التهذيب ٩/ ٢٠٤ .

(٢) سبقت ترجمته فيما مر .

(٣) بزاله : أي ثقبه الذي ينزل منه الشراب .

(٤) هو كلثوم بن عمرو العتابي ، كاتب حسن الترسل وشاعر مجيد يسلك طريقة النابغة ، يتصل نسبه بعمرو بن كلثوم صاحب المعلقة ، وهو من أهل الشام . كان ينزل قنسرين ثم سكن =

أزل أرغبُ بنفسي في صحبة غَطارفة الرجال ، وأبناء ذوي الفَعَال ، فوردت العسكر فرفع إليَّ أقوام منهم من يرتاشُ حاله ، ولا يَشْرُفُ إلاّ بماله ، ومنهم من أنْحَلَ أديمه ، ولم يصل قديمه ، في طبقات شَتّى يضيقُ عنهم المدح ، ويتسع فيهم الذمّ ، ورأيت وجوه القبائل تصدر عنك بأنواع الفضائل في حمل الدِّيَات ، وفضل الهبات ، ورأيتُك من نَبْعةٍ أصلُها الكَرَم ، وأغصانها الهِمَم ، تُثْمِرُ الحمد ، وتَرْقَعُ المجد ، فحطَطْتُ رَحْلى بفِنَائك وشددتُ عُراه بأطنابِ وفائك ، وقلت في ذلك :

داودُ خيـرُ فَتًى يُعَـاذُ بـرُكْنِـهِ   مَلِكٌ يُجيرُ من الزَّمانِ القَاسِي
كم من يدٍ لك أصبحتْ مَشهورةً   بيضـاءَ تَجْلُو ظلمة الإبْـلاَسِ
فـلقـلمـا تـلقـاهُ إلاَّ واقـفـاً   مُتَحـرِّمـاً بين النـدى والبـاس

[أثر الهدية في النفوس]

حدثنا أبي ، قال : حدثنا أبو أحمد الختلي ، قال : أخبرنا أبو حفص - يعني النسائي - قال : حدثني أحمد بن محمد بن يعقوب التميمي ، عن عليّ بن محمد القرشي ، قال : حدثنا حفص بن عمرو بن

بغداد فمدح هارون الرشيد وآخرين ، ورمي بالزندقة فطلبه الرشيد فهرب إلى اليمن ، ثم سعى لنصل بن يحيى في العفو عنه ، فعفا عنه الرشيد وأمنه ، وكان يحيى بن برمك معجباً به حتى أنه كان يقول لأولاده ، لو استطعتم كتابة أنفاس العتابي فاكتبوها . توفي سنة ٢٢٠ هـ .

انظر معجم الأدباء ٦/ ٢١٢ ، والموشح ٢٩٣ ، وتاريخ بغداد ١٢/ ٤٨٨ ، الأغاني ١٣/ ١٠٩ - ١٢٥ .

(١) هو داود بن يزيد بن حاتم المهلبي الطائي ، من أبناء المهلب بن أبي صفرة ، أمير من الشجعان العقلاء ، تولى افريقية ، ثم مصر ، ثم تولى السند سنة ١٨٤ فبقي فيها حتى توفي سنة ٢٠٥ هـ ، وكان سائساً ممتازاً في كل ولاية تولاها .
انظر ترجمته في النجوم الزاهرة ٢/ ٣ ، ٧٥ ، ١١٦ .

خاقان ، قال : حدثني يونس بن عبيد[1] ، قال :

أتيت محمد بن سيرين ، فقلت : قولوا له : يونس بن عبيد بالباب ، فقال : قولوا له : أنا نائم ، فقلت : قولوا له : إن معي هدية ، فقال : كما أنت إذاً[2] .

[هل كذب ابن سيرين]

قال القاضي : قول ابن سيرين ، فقال : قولوا له : إنه نائم وليس بنائم ، أراد به ـ والله أعلم ـ أنه نائمٌ بعد هذا الوقت ، كقول الرجل : أنا قائم غداً ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إنك مَيِّتٌ وإنَّهُمْ مَيِّتُون ﴾[3] ، وابن سيرين ممن تنزه عن الكذب لدينه ووَرَعِه . وقد رُوِي عنه في ذمِّ الكذب أشياءَ كثيرة .

[لماذا يهدأ ولماذا يضطرب ؟]

حدثنا أحمد بن محمد بن السَّري التميمي ، قال : حدثنا أحمد بن فرج ، قال : سمعت أبا عمر الدفتري ، يقول : سمعت الكسائي يقول : كنت يوماً أقرأ على حمزة فدخل سُلَيم[4] فاضطربت ، فقال لي حمزة : يا هذا ! تقرأ عليَّ وأنت مستمرٌّ حتى إذا دخل سُليم اضطربت ؟ قلت : إني إذا قرأتُ عليك فأخطأتُ قَوَّمْتَني ، وإذا أخطأتُ فسمعني سُليمُ عَيَّرني .

---

(١) يونس بن عبيد بن دينار العبدي ولاء ، أبو عبد الله ، من حفاظ الحديث الثقات ، ومن أصحاب الحسن البصري ، نعته الذهبي بأنه أحد أعلام الهدى ، له نحو من مائتي حديث . توفي سنة ١٣٩ هـ .
انظر ترجمته في تاريخ الإسلام للذهبي ٥/ ٣١٨ـ ٣٢٠ ، وتهذيب التهذيب .

(٢) انظر الخبر في بهجة المجالس ١/ ٢٣٢ .

(٣) سورة الزمر ، الآية ٣٠ .

(٤) هو سليم بن عيسى الحنفي ولاءً ، الكوفي ، إمام في القراءة ، كان أخص أصحاب حمزة الزيات ـ أحد القراء السبعة ـ وأثبتهم ، وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة ، توفي سنة ١٨٨ هـ . انظر غاية النهاية ١/ ٣١٨ .

[القصة يرويها الكسائي]

حدثنا محمد بن الحسين بن مقسم ، قال : حدثنا أبو أحمد المخرمي ، قال : حدثنا أبو هشام ، قال حدثني سُلَيم ، قال :

رأيت الكسائي يقرأ على حمزة فجئتُه فاستندتُ إلى المحراب بجنب حمزة ، فجعل الكسائي يَرْعَد ، فقال له حمزة : كأنَّه أَهْيَبُ في عينك مِنِّي ؟ قال : لا ، ولكنِّي إذا أخطأتُ عَلَّمْتَني ، وهذا إذا سمعني أُخْطِىءُ شَنَّع عليَّ .

[ألفاظ التلبية]

حدثنا عبدالله بن الحسن بن محمد ، أبو عمر البزاز ، قال : حدثنا محمد بن خلف ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثنا الحسن بن موسى ، قال : حدثنا زهير ، قال :

قال ابن إسحاق لأخي : يا رُجَيل ! قال : لَبَّيْك ، قال : لَبَّى يديك .

قال القاضي : قول القائل : لَبَّيْك ، بالإضافة فيه إلى كاف المخاطبة ، وليست الإضافةُ فيه إلى الأسماء الظاهرة أعْلَامها ومُبْهَمها ، كقولك : لَبَّى زيد ، ولبى هذا الظاهر المستعمل في العربية ، وقد أتى على شذوذه كما أتى في هذه الكلمة ، أعني لَبَّىْ يَدَيْك ، وذلك أن عدداً من النحويين أنشدوني هذا البيت :

دَعَـوْتُ لما نَـابَنِي مِسْـوَراً فَلبَّى فَلَبَّىْ يَـدَيْ مِسْـوَرِ[1]

وللتلبية أحكام قد رسمنا فيها رسالةً تحوي تفسير معانيها ، وما اتفق

البيت للأسدي كما في اللسان (لبى) والكتاب لسيبويه ١ / ٣٥٢ ، وخزانة الأدب ١ / ٣٦٨

(١) وقال إن الشاعر يقول : دعوت مسورا لرفع نائبة عني فأجابني وكفاني مئونتها .

عليه واختلف فيه منها ، من جهة النحو والإعراب ، وأبواب الفقه ، وسببها ومجاريها في الحج والعمرة ، ومن نَظَر فيه أَشْرَفَ على أنواعٍ من الفائدة .

[الهموم تزيد مع النعم]

حدثنا أبي ، قال : وحدثني بعض أصحابنا ، قال : حدثنا أبو عمرو الضرير بالكوفة ، قال : قال يحيى بن معين :

كنت أنا وأحمد بن حنبل عند عبد الرَّزَّاق ، وكنت أكتب الشعر والحديث ، وكان أحمد يكتب الحديث وحده ، فخرج إلينا يوماً عبد الرزاق ، وهو يقول :

كن مُوسِراً إن شئتَ أو مُعْسِراً — لا بدّ في الدنيا من الهمِّ
وكلما زادك من نِعمه زَا — دَكَ ما زادكَ من غَمِّ

فقال له أحمد : كيف قلت ؟ كيف قلت ؟ فأعادها عليه فكتبها .

[رواية أخرى للخبر فيها زيادة]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : وحدثني أبي ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عاصم ، عن ابن جريج .

قال : خرجت في السحر ، فرأيت رُقْعةً تَضْربها الرياح فأخذتها فلما أضاء الصُّبْح فتحتُها ، فإذا فيها :

كن موسراً إن شئت أو معسراً — لا بدّ في الدنيا من الهمِّ
وكلما زادك من نعمةٍ — زادك الذي زادك في الغَمِّ
إنّي رأيت الناسَ في دهرنا — لا يطلبون العلم للعلمِ
إلاّ مباهاةً لأصحابهم — وعُدَّةً للغَشْمِ والظلمِ

قال ابن جريج : والله لقد مَنَعَتْني هذه الأبيات عن أشياء كثيرة .

المجلس السابع والأربعون

[تأكل من فم رسول الله]

حدثنا محمد بن أحمد بن أبي الثلج ، قال : حدثنا حسين بن فهم ، قال : حدثنا عبدالله بن الرومي ، قال : حدثنا النضر بن محمد ، عن عكرمة بن عمار ، عن أثال بن قرَّة ، عن شهر بن حوشب ، قال :

« كانت بالمدينةِ امرأةٌ تُضْحِكُ الثَّكْلَى ، قال : فدخلتْ على عائشة ورسول الله ﷺ عندها وهو يأكل قَدِيداً ، فقالت : انظروا يأكلُ ولا يُطْعِمني ! قال : فناولها رسول الله ﷺ مما كان بين يديه ، فقالت : لا آكله إلاَّ من فيك ، فأخرج لها النبي ﷺ من فيه فأكلت ، فما تكلَّمتْ بعد ذلك بكلمة بَطَّالة » .

[تعليق المؤلف]

قال القاضي : وكيف يُسْتَبْعَدُ هذا وقد أكَلَتْ من طعامٍ كان في وعاء الصدق ، وظَرْفِ الحقّ ، وصريق العلم ، والوقار والحلم .

وفي القصة التي أتى هذا الخبر بها ما فيه البيان عن فضل النبي ﷺ وبركته، ويُمْنِ نقيبته، ووضوح أعلام نُبُوَّته، وظهور جاهه عند ربّه. ونحن نحمد الله تعالى على هدايتنا لتصديقه، وتوفيقنا للإيمان به، ونسأله أن يثبتنا على التمسك بملته، وحفظ شريعته، ويعصمنا من معصيته ويجعلنا من الفائزين يوم الحساب بولايته فيسعدنا برفع الدرجات بشفاعته إنه سميع الدعاء، لطيف لما يشاء.

[اللحن في أذنه أوقع]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرنا أبو معمر، عن أبيه، قال:

كان أمير على الكوفة من بني هاشم، وكان لحَّاناً فاشترى دوراً من جيرانه ليزيدها في داره، فاجتمع إليه جيرانه فقالوا له: أصلحك الله، هذا الشتاء قد هجم علينا فتمهلنا إن رأيت حتى يقبل الصيف ونتحول، فقال: لسنا بِخَارِجيكُم.

قال: ودعا يوماً بابنه وبمؤدبه، وهو على سطح فمرّ ثوران في الطريق، فقال الغلام: ما أحسن هذان الثوران! فلما نزلا من عنده قال المؤدب للغلام: ويحك! أهلكْتَني، فقال له الغلام: هذا حمار، ولو قلت هذين الثورين ما وقع عنده موقعًا وستنظر ما يكون؟ فلم يلبث أن جاءته خمس مائة درهم وتَخْتُ ثيابٍ، فقال: كيف رأيت؟

[تخريج قولهم: ما أحسن هذان]

قال القاضي: أما قول هذا اللحان الجاهل: لسنا بخارجيكم يريد

بمخرجيكم ، فمن النوادر المضحكة الدالة على انحطاط منزلة المتكلم وركاكته . وأما قول ابنه : ما أحسن هذان الثوران ، فليس بلحن ، وإن كان الفصيح المختار خلافه ، وقد رسمنا من القول في هذا ما يوضح عن علله ووجوهه فيما بيناه في وجه قراءة من قرأ : ﴿ إنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَان ﴾[1] ، ولا حاجة بنا في هذا الموضع إلى التشاغل به .

[حيلة عراقي في أخذ جارية ابن جعفر]

حدثنا أبو النضر العقيلي ، قال : حدثني عبدالله بن أحمد بن حمدون النديم ، عن أبي بكر العجلي ، عن جماعة من مشايخ قريش من أهل المدينة ، قالوا[2] :

كانت عند عبداللّهِ بن جعفر جاريةٌ مُغنية يقال لها عمارة ، وكان يَجِدُ بها وجداً شديداً ، وكان لها منه مكانٌ لم يكن لأحدٍ من جواريه ، فلما وفد عبدالله بن جعفر على معاوية خرج بها معه ، فزاره يَزِيدُ ذات يوم فأخرجها إليه ، فلما نظر إليها وسمع غناءها وقعتْ في نفسه ، فأخذَهُ عليها ما لا يملكه ، وجعل لا يمنعه من أن يبوح بما يجد بها إلا مكان أبيه مع يأسه من الظفر بها .

ولم يزل يكاتمُ الناس أمرها إلى أن مات معاوية وأفضى الأمر إليه ، فاستشار بعض من قَدم عليه من أهل المدينة وعامةَ من يثق به في أمرها وكيف الحيلة فيها ، فقيل له : إن أمر عبداللّهِ بن جعفر لا يُرام ، ومنزلته من الخاصة والعامة ومنك ما قد علَمت ، وأنت لا تستجيزُ إكراهه ، وهو لا

---

(١) سورة طه ، الآية ٦٣ .

(٢) الخبر التالي في مصارع العشاق ٢٣٩ ، نقلاً عن المعافي .

يبيعها بشيء أبداً ، وليس يُغني في هذا إلّا الحيلة .

فقال : انظروا لي رجلاً عراقيًا له أدبٌ وظَرْفٌ ومعرفة ، فطلبوه فأتوه به ، فلما دخل رأى بياناً وحلاوة وفَهْماً ، فقال يزيد : إني دعوتُك لأمر إن ظفرت به فهو حُظْوَتُك[1] آخر الدهر ، ويدٌ أكافئك عليها إن شاء الله ، ثم أخبره بأمره فقال له : إن عبدالله بن جعفر ليس يُرام ما قِبَلَهُ إلّا بالخديعة ، ولن يقدر أحدٌ على ما سألت ، وأرجو أن أكونه والقوّة بالله ، فأَعِنِّي بالمال ، قال : خذ ما أحببت ، فأخذ من طُرف الشام وثياب مصر واشترى متاعاً للتجارة من رقيقٍ ودواب وغير ذلك ، ثم شخص إلى المدينة فأناخ بعَرْصَة عبدالله بن جعفر ، واكترى منزلاً إلى جانبه ثم توسل إليه ، وقال : رجلٌ من أهل العراق قدمتُ بتجارة وأحببت أن أكون في عزّ جوارك وكنفك إلى أن أبيع ما جئت به .

فبعث عبدالله إلى قهرمانه أن أكرم الرجل ووسِّع عليه في نُزُله ، فلما اطمأن العراقيُّ سلَّم عليه أياماً وعرفه نفسه وهيّأ له بغلة فارهة وثياباً من ثياب العراق وألطافاً ، فبعث بها إليه وكتب معها : إني يا سيِّدي رجلٌ تاجر ونعمة الله تعالى عليَّ سابغة ، وقد بعثت إليك بشيء من لَطَفٍ[2] وكذا وكذا من الثياب والعطر ، وبعثت ببغلة خفيفة العنان وطيئة الظهر فاتخذها لرجلك ، فأنا أسألك بقرابتك من رسول الله ﷺ إلا قبلت هديّتي ، ولا توحشني بردّها ، فإني أدين لله تعالى بمحبتك وحبِّ أهل بيتك ، فإن أعظم أملي في سفرتي هذه أن أستفيد الأنس بك والتحرم بمواصلتك .

فأمر عبدالله بقبض هديته وخرج إلى الصلاة ، فلما رجع مرّ بالعراقيّ

---

(١) في مصارع العشاق : حظك .
(٢) اللطف : الهدية ، وفي المرجع السابق : من تحف .

في منزله فقام إليه وقبّل يده واستكثر منه ، فرأى أدباً وظَرفاً وفصاحةً فأعجب به وسُرَّ بنزوله عليه ، فجعل العراقيُّ في كلِّ يوم يبعث إلى عبدالله بلَطَف وطُرَفٍ ، فقال عبدالله : جزى اللَّهُ ضيفَنَا هذا خيراً ، فقد مَلأَنا شكراً وما نقدر على مكافأته ، فإنه لكذلك إلى أن دعاه عبدالله ودعا عمارة وجواريه ، فلما طاب لهما المجلس وسمع غناء عمارة تعجب وجعل يزيد في عجبه ، فلما رأى ذلك عبدالله سُرَّ به إلى أن قال له : هل رأيت مثل عمارة ؟ قال : لا والله يا سيدي ، ما رأيت مثلها ولا تصلح إلا لك ، وما ظننت أنه يكون في الدنيا مثل هذه الجارية حسن وجه وحسن غناء ، قال : وكم تساوي عندك ؟ قال : ما لها ثمن إلا الخلافة ، قال : تقول هذا لتزين لي رأيي فيها وتجتلب سروري ؟ قال له : يا سيدي والله إني لأحب سرورك ، وما قلت لك إلا الجد ، وبعد فإني تاجر أجمع الدرهم إلى الدرهم طلباً للربح ، ولو أعطيتها بعشرة آلاف دينار لأخذتها ، فقال له عبدالله عشرة آلاف دينار ؟ قال : نعم ، ولم يكن في ذلك الزمان جارية تعرف بهذا الثمن ، فقال له عبدالله : أنا أبيعكها بعشرة آلاف دينار ، قال : وقد أخذتها ، قال : هي لك ، قال : قد وجب البيع ، فانصرف العراقي .

فلما أصبح عبدالله لم يشعر إلا بالمال قد وافى به ، فقيل لعبدالله : قد بعث العراقي بعشرَة آلاف دينار ، وقال : هذا ثمن عمارة فردّها وكتب إليه : إنما كنت أمزح معك ، ومما أعلمك أن مثلي لا يبيع مثلها ، فقال له : جعلت فداك ، إن الجِدَّ والهَزْل في البيع سواء ، فقال له عبدالله : ويحك ! ما أعلم جاريةً تساوي ما بذلت ، ولو كنتُ بائعها من أحدٍ لآثرتُك ، ولكني كنت مازحاً ، وما أبيعها بملك الدنيا لحُرْمتها بي وموضعها من قلبي ، فقال العراقي : إن كنت مازحاً فإني كنت جادًّا ، وما اطَّلَعْتُ على ما فى نفسك ، وقد ملكت الجارية وبعثت إليك بثمنها ، وليست تَحِلُّ

لك وما لي من أخذها من بدّ .

فمانعه إيّاها ، فقال له : ليست لي بيِّنة ، ولكني أستحلفك عند قبر رسول الله ﷺ ومنبره ، فلما رأى عبدالله الجِدَّ قال : بئس الضيف أنت ، ما طرقنا طارقٌ ولا نَزَل بنا نازل أعظمَ علينا بَلِيَّةً منك ، تحلِّفُني فيقول الناس اضطهد عبدالله ضيفه وقهره فألجأه إلى أن أستحلفه ، أما والله ليعلمنّ الله جل ذكره أني سائله في هذا الأمر الصبر وحسن العزاء ، ثم أمر قهرمانه بقبض المال منه وتجهيز الجارية بما يشبهها من الثياب والخدم والطيب ، فجُهزت بنحو من ثلاثة آلاف دينار ، وقال : هذا لك ولها عوضاً مما ألطفتنا ، والله المستعان .

فقبض العراقي الجارية وخرج بها ، فلما برز من المدينة قال لها : يا عمارة ! إني والله ما ملكتُك قط ، ولا أنت لي ، ولا مثلي يشتري جارية بعشرة آلاف دينار ، وما كنت لأقدم على ابن عم رسول الله ﷺ ، فأستلبه أحبَّ الناس إليه لنفسي ، ولكنني دسيسٌ من يزيد بن معاوية وأنت له ، وفي طلبك بعث بي فاستترى منِّي ، وإن داخلني الشيطانُ في أمرك وتاقت نفسي إليك فامتنعي .

ثم مضى بها حتى ورد دمشق فتلقاه الناس بجنازة يزيد ، وقد استُخْلِف ابنه معاوية بن يزيد ، فأقام الرجل أياماً ثم تلطف للدخول عليه فشرح له القصة - وروي أنه لم يكن أحدٌ من بني أمية يعدل بمعاوية بن يزيد في زمانه نُبْلا ونُسكا - فلما أخبره قال : هي لك ، وكل ما دفعه إليك في أمرها فهو لك ، وارحل من يومك فلا أسمع من خبرك في بلاد الشام ، فرحل العراقيّ ، ثم قال للجارية : إني قلت لك ما قلت حين خرجتُ بكِ من المدينة ، وأخبرتُكِ أنك ليزيد وقد صرت لي ، وأنا أُشْهد الله أنك

لعبدالله بن جعفر ، فإني قد رددتك عليه فاستتري مني ، ثم خرج بها حتى قدم المدينة فنزل قريباً من عبدالله بن جعفر ، فدخل عليه بعض خدمه ، فقال له : هذا العراقي ، ضيفُك الذي صنع بنا ما صنع وقد نزل العَرْصَة لا حياه الله .

فقال عبدالله : مه ! أنزلوا الرجل وأكرموه .

فلما استقرّ به ، بعث إلى عبدالله : جُعلتُ فِداك ، إن رأيت أن تأذَنَ لي أُذْنة خفيفة لأُشَافهك بشيء ؟

فقلت : فأذن له ، فلما دخل سلّم عليه وقبل يده وقرّبه عبدالله ثم اقتص عليه القصة حتى فرغ ، ثم قال : قد ـ والله ـ وهبتُها لك قبل أن أراها أو أضع يدي عليها فهي لك ، ومَرْدُودة عليك ، وقد علم الله جلّ وعزّ أني ما رأيت لها وجهاً إلاّ عندك ، وبعث إليها فجاءت وجاءتْ بما جهزها به موفّراً ، فلما نظرت إلى عبدالله خَرَّتْ مغشيّاً عليها ، وأهوى إليها عبدالله وضمها إليه .

وخرج العراقي وتصايح أهل الدار : عمارة عمارة ، فجعل عبدالله يقول ودموعه تجري : أحُلْمٌ هذا ؟ أحقٌّ هذا ؟ ما أصدق هذا ! فقال له العراقي : جعلت فداءك ، ردّها الله عليك بإيثارك الوفاء وصبرك على الحق ، وانقيادك له ، فقال عبدالله : الحمد لله ، اللهم إنك تعلم أني صبرت عنها ، وآثرتُ الوفاء وسلَّمتُ لأمرك ، فرددتها عليَّ بمنّك ، ولك والحمد .

ثم قال : يا أخا العراق ! ما في الأرض أعظم مِنَّةً منك ، وسيجازيك الله تعالى .

فأقام العراقيُّ أياماً ، وباع عبدالله غنماً له بثلاثة عشر ألف دينار ، وقال لقهرمانة : احملها إليه ، وقل له : اعذر واعلم أني لو وصلتُكَ بكلِّ ما أملك لرأيتك أهلاً لأكثر منه .

فرحل العراقيُّ محموداً وافر العِرْض والمال .

[الوليد وعَطَرَّد المُغني]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا محمد بن عجلان أبو بكر ، قال : حدثني حماد بن إسحاق ، عن أبيه ، قال : حدثني محمد بن عبدالحميد بن إسماعيل بن عبدالحميد بن يحيى ، عن عمه أيوب بن إسماعيل ، قال[1] :

لما استُخْلِف الوليد كتب إلى عامله بالمدينة : أن أَشْخِص إليّ عَطَرَّدَ المغني[2] قال عطرد : فدفع إلي العامل الكتاب فقرأته ، وقلت : سمعاً وطاعة .

فدخلت عليه في قصره وهو قاعدٌ على شفير بِرْكة ليست بالكبيرة ، يدور فيها الرجل سباحة ، فوالله ما كلمني كلمة حتى قال : أعَطَرَّد ؟ فقلت : لبَّيك يا أمير المؤمنين ، قال : غَنِّني حَيِّ الحُمُول . قال عَطَرّد : فغنيتُ :

حيّ الحُمُولَ بجانب العَزْلِ[3] إذْ لا يُناسِبُ شَكْلُها شَكْلِي

---

(١) الخبر التالي في الأغاني ٣/ ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

(٢) عطرد مولى الأنصار ، مدني يكني أبا هارون ، وكان جميل الوجه ، حسن الغناء ، طيب الصوت ، جيد الصنعة ، أدرك دولة بني أمية وبقي إلى أيام الرشيد .
انظر أخباره في الأغاني ٣/ ٣٠٣- ٣٠٩ .

(٣) الحمول : الإبل الحاملة للمرتحلين ، والعزل : موضع في ديار قيس ، انظر معجم ما استعجم ٢/ ٦٥٩ .

اللَّهُ أنجحُ ما طلبتَ بِهِ والبِرُّ خيرُ حقيبةِ الرَّحْلِ[1]
إنّي بحبْلِك واصلٌ حَبْلِي وبِريش نبلك رائشٌ نَبْلِي
وشَمَائِلِي ما قد علمتَ وَمَا نَبَحَتْ كلابُك طارقاً مِثْلي

قال : فوالله ما تكلم بكلمة حتى شقّ بُرْدةً صنعانية عليه ـ ما يدري ما ثمنها ـ نصفين فخرج منها كما ولدته أمّه ، ثم رمى بنفسه في البركة فنهل منها حتى تعرفت فيها النقصان فأخرج منها ميّتاً سُكْراً ، فضربت يدي إلى البردة فأخذتها فوالله ما قال لي الخادم خذها ولا دعها ، وانصرفت إلى منزلي وأنا أفكِّر فيه وفيما رأيت منه .

فلما كان من الغد دعاني في مثل ذلك الوقت ، وهو قاعد في مثل ذلك الموضع ، فقال : عطرد ؟ قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : غَنِّني ، فغنيته :

أيَذْهَبُ عُمْرِي هكذا لم أَنَلْ به مَجَالِسَ تَشْفي قَرْحَ قَلبي من الوَجْدِ
وقالوا : تَدَاوَى إنَّ في الطبِّ راحةً فعَزّيتُ نفسي بالدَّواءِ فلم يُجْدِ

فلم يتكلم حتى شق بردة كانت عليه مثل البردة والأُمْسِيَّة فخرج منها ورمى بنفسه في البركة فنهل والله منها حتى تبينتُ النُّقصان ، فأُخْرِج ميِّتاً سُكْراً ، وضممت البردة إليّ فما قيل لي خُذْ ولا دَعْ ، فانصرفتُ إلى منزلي ، فلما كان في اليوم الثالث دعاني فدخلت إليه وهو في بَهْوٍ قد كُنِّت سُتُوره ، فكلمني من وراء الستر ، فقال : أعطرد ؟ فقلت : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : كأنني بك الآن قد أتيت المدينة فقلت : دعاني أمير

---

(١) لم يرد البيت في الأغاني . في هذا الخبر ، بل ورد في خبر آخر في الترجمة نفسها ، ونسبت الأبيات لامرىء القيس بن عابس الكندي ، انظر ٣/ ٣٠٤ .

المؤمنين فدخلت إليه ففعل وفعل ، قال يا ابن الفاعلة لئن تكلمت ـ بشيءٍ مما كان ـ شَفَتَاكَ ، لأطرحنَّ الذي فيه عيناك ، يا غلام ! أعطه خمسمائة ، الحق بالمدينة .

قلت : أفلا يأذن لي أمير المؤمنين فأقبل يده وأتزود نظرة إلى وجهه ، قال : لا ، قال عطرد : فخرجت من عنده فما تكلمت بشيء من هذا حتى دَخَلَتْ الهاشميَّة .

قوله : وقالوا تداوى[1] . . . خرّجه على الأصل لإقامة الوزن ، وقد بيّنا هذا فيما مضى بشواهده .

[شعر لا يصدر من قلب سليم]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثنا أحمد بن يحيى النحوي ، قال : حدثنا عبدالله بن شبيب ، عن عمرو بن عثمان ، قال :

مرت سُكَيْنَةُ بعُروة بن أُذَيْنة ، وكان يتنسَّك ، فقالت له : يا أبا عامر ! ألست القائل :

إذا وَجَدْتُ أذًى للحبِّ في كبدي أقبلتُ نحو شفاء الحبِّ أبْتَردُ
هذا بَرَدْتُ ببرد المـــاءِ ظاهرَهُ فمن لِحَرٍّ على الأحشاء يتّقِدُ

أولست القائل :

قالت وأبثثتُها سِرِّي فبحتُ به قد كنت عهدي تُحِبُّ السِّتْر فاسْتَتِرِ
ألستَ تبصرُ مَنْ حَوْلي فقلتُ لها غطّى هواكِ ومَا أُلْقَى على بَصَري

هؤلاء أحرار ـ وأشارت إلى جواريها ـ إن كان هذا خرج من قلب سليم .

قال القاضي : وأنشدنا بيتي عروة الأولين من غير هذه الرواية .

لما وجدتُ أُوَار الحبِّ في كَبِدي   أقبلتُ نحو سجَال القوم أبْتَرِدُ
هذا بَرَدْتُ ببردِ الماءِ ظَاهِرَهُ   فمن لنارٍ على الأحشاءِ تَتَّقِدُ

والأُوار : ما يجدُ من الغُلَّةِ والحرارة ، كما قال الشاعر :

والنارُ قد تَشْفِي من الأُوَار[1]

وأما السِّجَالُ فجمع سجْلٍ ، وهو الكبير من الدِّلاء ، قال الراجز :

لطالما حَلَّأْتُمَاهَا لا تَرِدْ   فَخَلِّيَاهَا والسِّجَالَ تبتَرِدْ[2]

وأما قوله : أبترد فهوافتعلُ من قولهم : بَرَّدَ الماءُ حرارةَ جوفي ، قال الشاعر :

وعَطِّلْ قَلُوصِي في الرِّكابِ فإنَّها   سَتَبْرُدُ أكْبَاداً وتُبْكِي بواكيا[3]

وروي لنا قوله في الشعر الثاني : وأبثثتُها وَجْدي مكان سِرِّي .

[الالتذاذ بالتلاقي بعد الفراق]

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا المبرد ، قال :

---

(١) بيت من الرجز ، ورد في اللسان (أور) دون نسبة ، وقال فيه : النار ها هنا السمات .

(٢) ورد البيت في اللسان (حلأ) ، وفيه : قال ابن الأعرابي : قالت قريبة : كان رجل عاشق لامرأة فتزوجها ، فجاء النساء وقال بعضهن البعض . . . البيت ، ورواية اللسان : قد طالما ، وحلأتماها : طردتماها عن الورود إلى الماء ، وانظر الرواية كما هنا في (برد) .

(٣) البيت لمالك بن الريب ، وكانت المنية قد حضرته فوصى من يحضى لأهله ويخبرهم بأن تعطل قلوصه في الركاب فلا يركبها أحد وبذلك يعلم مدته ، وذلك يسر أعداءه ويحزن أولياءه ، اللسان (برد) ، وقال بردت الماء بالتخفيف ولا يقال بالتشديد إلا في لغة رديئة .

حَرَّم محمد بن عبدالله[1] القِيَان ، وكتب إليه أحمد بن عبدالسلام الخزاعي رقعة ولم يُترجمها ودَسَّها في رقاع المتظلمين ، فيها :

عَـرَفَـاتُ الأميـر أيَّـده اللـــــه بطول التـوفيق والتَّسْـديـدِ
فـرَّقـت بيننـا وبيـن مُـدِلٍّ وعُـجـابٍ ومُنْصِـفٍ وفـريـد
كم قلوب قد أحرقت في صُدورٍ ودموعٍ قد أقْرَحَتْ من خُدودِ

فوقع محمد بن عبدالله بن طاهر في رقعته :

حُسْنُ رأي الأمير في العُشَّاق وفُـر الحُبَّ بـامتنـاعِ التـلاق
خاف أن تُحْدِثَ المَلالُ سُلوّاً فتـلافى الهَوَى ببعض الفـراق
وأغضَّ اللقـاءِ مـا كـان منـه من تنـاءٍ وبَعْدَ طُـول اشتياق
شَجَـرٌ غَـرْسُــهُ كـريـهُ ولكنْ يُجْتَنَى غِبُّـهُ لـذيـذَ المـذاق

قال القاضي : قد قال الناس في تضاعيف الالتذاذ بالتلاقي بعد الفراق ، وفي تسهيل الفراق ، واستحبابه لوفور الاستمتاع بالأوبة والاتفاق ، فأكثروا ، وإن كان أكثرهم يعلِّلُ نفسه ويُرضيها بما لو خُلِّيَ وما يختاره لم يرضه لها ، لم نبن كتابنا هذا على استقصاء أنواعه ، واستيفاء الأبواب فيه ، فنجمع ذلك ونستوعبه ، وهو يأتي في هذه المجالس متفرقاً بحسب ما يحضرنا ، ويخرج لنا ، وبالله توفيقنا ، وبمشيئته وحُسْنِ معرفته نرجو أن تَجْري مقاصدنا ومتصرفاتنا .

[أبيات وجدت على سدّ مأرب]

حدثنا عبيدالله بن محمد بن جعفر الأزدي ، قال : حدثنا أبو بكر بن

(١) هو محمد بن عبد الله بن طاهر الخزاعي ، أبو العباس ، أمير حازم من الشجعان ، تولى نيابة بغداد في أيام المتوكل ، وكان فاضلاً أديباً جواداً ، ثالفاً لأهل العلم والأدب .
ترجمته في تاريخ بغداد ٥/ ٤١٨ ، والوافي بالوفيات ٣/ ٣٠٤ .

أبي الدنيا ، قال : حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثني بعض أصحابنا ، قال :

لما هُدّمَتْ مَأْرِبُ سَبَأ أصيب في ركن من أركانها :

ستأتي سنونُ هي المُعْضلا ... تُ تُرجعُ مل الهَجْعةِ الأَجْدَلُ(١)
وفيها يُهينُ الصَّغيرُ الكبيرَ ... وذُو الحلم يُسْكِتُه الأجهلُ
ترى الشيخ يُلْقِي العصا طائعاً ... ويمشي عليها الفتى الأَرْجَلُ

وفي الركن الثاني :

ما يكن كائناً لا شك فيه ... يَزِدْهُ الصُّبْحُ والليل اقترابا
وليسا زَائِدِي شيئاً تَوَلَّى ... وحَالاً دُونَهُ إلَّا ذَهَابَا

وفي الركن الثالث :

أيَالَكَ دَهْراً قد خَلاَ عَجَبُهْ ... دَهْراً تَحَوَّلَ رَأْسَهُ ذَنَبُهْ
دَهْراً تَدَاوَلَهُ الإماءُ فَقَدْ ... تَرْضَى بماءِ بُطُونِهَا عَرَبُهْ

وفي الركن الرابع الأخير :

الأخيرُ شَرٌّ ، الأخيرُ شَرّ

قال القاضي : تُرْجع مِلْ الهَجْعة أراد من الهجعة ، فحذف النون ، ولم يأت بالكلمة على أصلها لئلا ينكسر الشعر ، وهذا مذهبٌ معروف في العربية إذا كانت هذه اللاَّم ظاهرةً كقولهم : بَلْعَنْبر وبَلْحَرث وبَلْقَيْن ، فإذا كانت اللام لا تظهر أخرج على أصله كقولك ، بنو الرحل ويقولون : بَلْمَرة لظهور اللام ، قال الشاعر :

---

(١) الأجدل : الصقر .

غدا . بني علباء بكر بن وائل وعجا صدور الخيل نحر تميم

ومن الكثير الفاشي من هذا الباب في كلامهم قولهم : ما أنْسَ مِلْ أشياء بمعنى من الأشياء ، قال الأعشى :

فما أنسى مِلْ أشياءِ لا أنسى قَوْلَها لعلَّ النَّوى بعد التَّفَرُّقِ تُصْقِبُ[1]

وقال الطِّرِمَّاحُ بن حكيم :

فما أنسى ملْ أشياءِ لا أنسى قَوْلَها وأدمُعها يَغْسِلْن حَشْو المكاحِلِ

وهذا باب يتسع ، ويتصل به البيان عن قراءة أبي عمرو : ﴿ وأَنَّهُ أهْلَكَ عَادَلْ أولَى ﴾[2] ، وقال الشَّمَاخُ بن ضِرار يمدح عَرَابَةَ الأوسي :

رأيتُ عَـرَابَتَـلْ أَوْسِيَّ يَسْمُـو إلى الخيراتِ مُنْقَطِعَ القَرِين[3]

ولِشَرْح هذا المعنى موضع من كتبنا هو أحقُّ به .

---

(١) سبق بيت الأعشى وتفسيره في الجزء الأول .
(٢) سورة النجم ، الآية ٥٠ .
(٣) سبق البيت فيما مر من صفحات .

المجلس الثامن والأربعون

[خبر بني أبيرق]

حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد ، سنة ثماني عشرة وثلثمائة ، قال : حدثنا أبو مسلم الحسن بن أحمد الحراني ببغداد سنة ثمان وأربعين ومائتين ، قال : حدثنا محمد بن سلمة الحراني ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر ، عن قتادة ، عن أبيه ، عن جده قتادة بن النعمان ، قال[1] :

كان أهلُ بيتٍ مِنَّا يقالُ لهم «بنو أُبَيْرق»: بِشْر وبُشَيْرٌ ومُبَشِّر ، وكان بُشَير رجلاً مُنَافِقاً ، وكان يقولُ الشِّعْر يهجُو به أصحابَ رسول الله ﷺ ، ثم يَنْحَلُه بعضَ العرب ، ثم يقول : قال فلان كذا وقال فلان كذا ، فإذا سمع أصحابُ رسول الله ﷺ ذلك الشعر ، قالوا : واللَّهِ ما يقولُ هذا الشِّعْر إلاّ الخَبيث ، فقال :

(١) الحديث التالي في سنن الترمذي ، باب تفسير سورة النساء ، وانظر تفسير هذه السورة في الآيات ١٠٥ - ١١٥ في البحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٣٤٢ - ٣٤٧ .

أَوَ كُلَّمَا قالَ الرجالُ قصيـدةً أَصْمَوْا[1] وقالوا ابنُ الأبيرقِ قَالَها ؟

وكانوا أهلَ بيتِ فاقةٍ وحاجةٍ في الجاهلية والإسلام ، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشَّعِير ، وكان الرجلُ إذا كان له يَسَارٌ فقدمتْ ضَافِطةٌ[2] من الشام ، ابتاع الرَّجُلُ منها فَخُصَّ به نفسه ، فأما العيالُ فإنما طعامهم التمر والشعير ، فقدمتْ ضافطةٌ من الشام فابتاع عمي رفاعة بن زيدٍ جِمْلاً من الدَّرْمَكِ فجعله في مشربة له ، وفي المشربة سِلاحٌ له درعان وسيفاهما وما يُصلحهما ، فعُدِي عليه من تحت الليل فنُقبت المشربة فأُخذ الطعام والسلاح ، فأتى عَمِّي رفاعة ، فقال : ابْنَ أخ ! أتَعْلَمُ أنه قد عُدي علينا في ليلتنا هذه ، فنقبتْ مَشْرَبتُنا فذُهب بطعامِنا وشرابنا وسلاحنا ، قـال : فتحسسنـا في الـدار وسألنا ، فقيل لنـا: قد رأينا بني أبَيْرق اسْتَوْقَرُوا في هذه الليلة ، ولا نرى فيما نراه إلاّ بعضَ طعامكم ، قال : وقد كان بنو أبيرق ـ قالوا ونحن نسأل في الدار : والله ما نرى صاحبكم إلاّ لَبِيدَ بن سَهْل ـ رجلٌ منّا له صلاحٌ وإسلام ـ فلما سمع ذلك لبيدُ اخترط سيفه وقال : أبني أبيرق ! والله ليخالِطَنَّكُم هذا السيف أو لَتُبِنُنَّ هذه السرقة ، قالوا : إليك عنّا أيها الرجل ، فوالله ما أنت بصاحبها ، فسألنا في الدار ، حتى لم نشُكَّ أنهم أصحابُها ، فقال : لي عمّي : يا ابن أخي لو أتيتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ فذكرتَ له ذلك، قال: قتادة: فأتيتُ رسول اللَّه ﷺ فذكرتُ ذلك له ، فقلت له : يا رسول الله ! إن أهل بيتٍ منّا أهل جفاءٍ عَمدُوا إلى عمِّي رفاعة بن زيدٍ فنَقَبُوا مشربةً له وأخذوا سلاحه وطعامه ، فليردُّوا سلاحنا فأما الطعامُ فلا حاجة لنا به ، فقال رسول الله ﷺ : سأنظرُ

---

(١) أصْمَوْا : أي أسرعوا وخفوا إلى القول .

(٢) سوف يشرح المؤلف في نهاية حديثه هذا اللفظ وشبهه .

في ذلك ، فلما سمع ذلك بنو أُبَيْرِق أَتَوْا رجلاً منهم ، يقال له : أُسَيْدُ بن عُرْوَة فكلّموه في ذلك ، واجتمع إليه قومٌ من أهل الدار فأتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : إن قتادةَ بنَ النعمان وعَمَّه عمدوا إلى بيتٍ منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة على غير بَيِّنَةٍ ولا تَثَبُّتٍ ، قال قتادة : فأتيت رسول الله ﷺ فكلَّمْتُه ، فقال : عمدت إلى أهل بيتٍ ذُكر فيه[1] إسلام وصلاح تَرْميهم بالسرقة على غير تثَبُّتٍ ولا بَيِّنة ، قال : فرجعتُ ولَوَدِدْت أنّي خرجتُ من بعض مالي ولم أُكَلِّم رسول الله ﷺ في ذلك ، فأتى عَمّي رفاعة ، فقال يا ابن أخ ! ما صنعتَ ؟ فأخبرتُه بما قال رسول الله ﷺ ، فقال : اللهُ المستعان ، فلم يلبث أن نزل القرآن ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحكُمَ بين النَّاسِ بما أَرَاكَ اللَّهُ ولا تَكُنْ للخائنين خَصِيماً ـ أي بني أبيرق ـ وأنت ، واسْتَغْفِرِ اللهَ إنّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً ـ أي ممَّا قلت لقتادة ـ ، وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهم ـ أي بني أبيرق ـ إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كان خَوَّاناً أثِيماً ، يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ ولا يَسْتَخْفُونَ من اللّه وهُوَ مَعْهُم إذ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى من القَوْلِ وكَانَ اللَّهُ بما يعملون مُحِيطاً ، هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُم عنهم في الحياةِ الدُّنْيَا فمن يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُم يومَ القِيَامَةِ أَمْ مَنْ يكُونُ عليهم وَكِيلَا ، ومن يَعْمَل سُوءاً أو يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً ـ أي أنهم لو استغفَروا الله غفر لهم ـ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نفسه وكان اللَّهُ عليماً حكيماً ، وَمَنْ يَكْسِبْ خطيئةً أو إثماً ثم يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فقد احتمل بهتاناً وإثْماً مُبيناً ، ولولا فَضْلُ اللّه عليكَ ورحمتُهُ لَهَمَّتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ أنْ يُضِلُّوكَ وما يُضِلُّونَ إلاّ أنْفُسَهم وَمَا يَضُرُّونَكَ

---

(١) ذكر فيه : أي شهد لهم بذلك ، والذي شهد لهم به هو أسيد بن عروة كما ورد ذلك بينا في البحر المحيط .

مِنْ شَيْءٍ ، وأنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الكتابَ والحِكْمَةَ وعَلَّمَكَ مَا لَمْ تكُنْ تَعْلَمْ ، وكَانَ فَضْلُ الله عَلَيْكَ عَظِيماً ، لا خَيْرَ في كَثِيرٍ مِنْ نَجواهُمْ إلاَّ مَنْ أمَرَ بصَدَقَةٍ أو مَعرُوفٍ أو إصْلاَحٍ بَيْن النَّاسِ ، ومَنْ يَفْعَلْ ذلك ابْتغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فسوف نُؤْتِيهِ أجْراً عَظِيماً ﴾ إلى : وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ[1] . فَلَمّا نزل القُرآن إلى رسول الله ﷺ فرده إلى رفاعة ، قال : قتادة : فلما أتيت عمّي بالسلاح وكان شيخاً قد عُمِيَ في الجاهلية وكنت أرى إسلامه مدخولاً ، فلما أتيتهُ بالسلاح ، قال : يا ابن أخي ! هو في سبيل الله ، قال : فعرفتُ أن إسلامه كان صحيحاً ، فلما نزل القرآن لحق بشيرٌ بالمشركين ونزل على سُلاَفَة بنت سعد بن شهيد ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غير سَبِيلِ المُؤْمِنين نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ونُصْلِهِ جَهَنَّمَ وسَاءَتْ مَصِيرَا ، إنّ اللَّهَ لا يَغْفِر أنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ إلى آخر الآية ، فلما نزل على سُلافة رَمَاها حَسّانُ بأبياتٍ من شعر ، فأخذت رَحْلَهُ فوضَعَتْهُ على رأسها ثم خرجت به فرمَتْه في الأبْطَحِ ، ثم قالت : أهدَيْتَ إلى شِعر حَسّان ، ما كنتَ تأتيني بخير .

[معنى : الضافطة ، والدرمك]

قال القاضي : قول الرّاوي في هذا الخبر : ضافطة أراد عَيْراً أو رُفْقه فيها ميرة ، وقوله : الدَّرْمَكُ يُريد النَّقى ، ومنه الخبر : « أنَّ الأرض بعد البعث دَرْمكةٌ بيضاء »[2] ، قال : أعشى بني قيس بن ثعلبة :

---

(١) الآيات ١٠٥ ـ ١١٥ من سورة النساء .

(٢) انظر صحيح مسلم ، باب الفتن ٩٢ ، ٩٣ ، وسنن الترمذي تفسير سورة النساء ٤/ ٣٧ ، ومسند الإمام أحمد ٣/ ٤ ، ٢٥ ، ٤٣ .

لَهُ دَرْمَكٌ في رَأْسِهِ وَمَشَارِبٌ   وقِدْرٌ وخَبَّازٌ وصاعٌ وَدَيْسَقُ[1]

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : في تربة الجنة : إنها الخُبْزُ **من** الدَّرْمَك ،

وقال ابن الأنباريّ : الدَّرْمَكُ خُبْزُ الحَوَّارَى[2] ، وأنشد :

ذَهَب الَّذِينَ إذَا اسْتَجَعْتُ فَزُرْتُهُمْ   خَبَزُوا الفؤادَ بِدَرْمَكٍ وشَرَابِ

[حذف الياء في مثل : يا ابن أخ ويا ابن أم]

وفي الخبر : يا ابن أخ ، بحذف الياء المضاف إليها وإبقاء الكسرة دلالة عليها ، وهذا وجه معروف في كلام العرب ، غير أن معظم النحويين زعموا أن الذي يكثر استعماله في هذا الباب موضعان : يا ابن أمّ ويا ابن عم ، على اختلاف القراءة في فتح الميم وكسرها من قوله يا بن أم ، وعلى ما في هذه الكلمة من لغات العرب ، واعتل بعضهم في اختصاص هذين الاسمين لهذا المعنى بابن الرجل يقول : يا ابن أم ويا ابن عم ، لمن ليس بأخيه ولا ابن عمّه ، وهذا عندي لازم في يا أخي ويااابن أخي لكثرة قولهم : يا أخي ويا ابن خي للأجنبي ، وقد يقولون يا ابن أمي في الإضافة في يا ابن أمي ، ويُسَكِّنُونها تارةً ويحركونها أخرى ، قال الشاعر :

---

(١) هذا البيت ملفق من بيتين هما :

له درمك في رأسه ومشارب   ومسك وريحان وراح تصفق

وحور كأمثال الدمى ومناصف   وقدر وطباخ وصاع وديسق

والدرمك هنا التراب الناعم ، وهو يصف حصن السموءل بن عادياء اليهودي ، المعروف بالأبلق في تيماء فيقول فيه كذا وكذا ، والديسق : الخوان من الفضة .

انظر ديوانه ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) الحواري بضم الحاء وتشديد الواو ، الخبز النقي المصنوع من خالص الدقيق وناعمه .

يا ابْنَ أُمِّي ويا شُقَيِّقَ نَفْسِي أنت خلَّيْتَنِي لِدَهْرٍ شَدِيدِ[1]

وقال آخر :

يا ابن أُمِّيَ ولو شَهِدْتُكَ إذْ تَدْعُو تميماً وأنتَ غَيْرُ مُجَابِ

وقوله : وكان شيخاً قد عسى ، يعني أن الكِبَرَ قد بلغ منه وأثَّر فيه ، وقد قرىء ﴿ وقَدْ بَلَغْتُ من الكِبَرِ عِسِيّاً ﴾[2] وعُسِيًّا على ما بين القُرَّاءِ من الاختلاف في ضَمِّ العين على الأصل[3] وكسرها ، قال الشاعر :

لولا الحياءُ وأن رَأْسِيَ قد عَسَا فيه المَشِيبُ لَزُرْتُ أمَّ القَاسِمِ[4]

ويروى : وقد بدا ، ويقال : في هذا الباب العُسُوُّ والعُتُوّ .

[كتب بني أمية أقصر من كتب بني العباس]

حدثنا محمد بن الحسين بن دريد ، قال : حدثنا أبو حاتم ، قال : سمعت بعض أصحابنا يُحَدِّثُ عن عبدالله بن سَوَّار ، قال : كنت غلاماً أكتب بين يدي يحيى بن خالد ، فدخل عليه شيخٌ ضخمٌ جميل الهيئة ، فأعظمه يحيى وأقعده إلى جانِبه وحَادَثَه ثم قال له : ما بالكم كنتم تكتبون

---

(١) البيت لأبي زبيد الطائي ، انظره في ديوانه ٤٨ ، وكتاب سيبويه ٢ / ٢١٨ ، واللسان (شقق) .

(٢) سورة مريم الآية ٨ ، والقراءة بالسين مكان التاء حكاها الداني عن ابن عباس ، وحكاها الزمخشري عن أبي ومجاهد ، وكان ابن عباس يقول : قد علمت السنة كلها غير أنني لا أدري إذا كان رسول الله يقرأ عتياً أو عسياً .

(٣) لأنهما من العسو او العتو بضم العين كما يذكر المؤلف .

(٤) البيت لابن الرّقاع ، انظر ، في اللسان (عثا) وذكر أن عثا بمعنى أفسد أشد الإفساد وقد =

الكتب إلى عُمّالكم في سائر أموركم فلا تطيلون ، وإنما الكتاب بقدر الفضل من كتبنا ، ونحن نطيل إطالة لا يمكنّا غير ذلك ، فقال : اِعْفِني ، فأبى عليه إلاّ أن يجيبه ، فقال وأنت غيرُ ساخطٍ ؟ قال : نعم ، قال : إن بني أمية كانت لا تكتب في الباطل أنه حقٌّ ، ولا في الحق أنه باطل فلا تُعْقِب أمراً قد نفذ بخلافه أمرٌ ، فلا يحتاجون إلى الإطالة وطلب المعاذير والتلبيس ، وأنتم تكتبون في الشيء الحق أنه باطل والباطل أنه حق ، ثم تُعْقبون ذلك بخلافه فلا بد لكم من الإطالة .

قال عبدالله بن سَوَّار : فسألت عن الشيخ فقيل لي : هذا رجلٌ من كُتّاب بني أمية القدماء من أهل الشام .

قال القاضي : قول يحيى لهذا الكاتب في سائر أموركم ، إن كان أراد به فيما يسير وينتشر من أموركم فهو صواب في اللفظ ، وإن كان أراد به العموم والإحاطة على معنى جميع أموركم ، فهو خطأ من جهة اللفظ والمعنى ، إذ السائرُ في هذا المعنى تأويله الباقي ، وإنما يقال : فعلت في باب كذا كَيْتَ وكيت وفي سائر الأبواب لمعنى الفاضل والبقية ، يقال : أسأرت في الإناء أسأر بالهمز قال الشاعر :

أعطِ المُلَوَّحَ سُؤْرَ الكلبِ يشربُهُ   إن المُلَوَّحَ شَرَّابٌ على الكَدَرِ

ذكره المؤلف هنا بالسين وليس هذا مكانه ، وعسا أي كبر ، وقال في اللسان ، وفي حديث قتادة بن النعمان : لما أتيت عمي بالسلاح وكان شيخاً قد عسا أو عشا . . . ، عسا بالسين المهملة : كبر وأسن ، من عسا القضيب إذا يبس ، وبالمعجمة أي قل بصره وضعف .

وقال الأعشى :

بَانَتْ وقد أسْأَرَتْ في النَّفْسِ حاجتها بعد ائتلَافٍ وخَيْرُ الودِّ ما نَفَعَا[1]

وقال أيضاً :

فبانتْ وقد أسْأَرَتْ في الفُؤَا دِ صَدْعاً على نَأْيِهَا مُسْتَطِيرَا[2]

وقال حُمَيْدُ بن ثور الهلاليّ :

ألَا إنَّ أُمِّي ما يزالُ مِطَالُها شديداً وفيها سُؤْرَةٌ وهي قاعِدُ[3]

يعني بقيةً من الشباب ، وهي من القواعد ، وقد روي بيت الأخطل على وجهين :

وشاربٍ مُرْبِحٍ بالكأسِ نَادَمَني لا بالحَصُورِ ولا فيها بِسَوَّارِ[4]

بالهمز في سوار وغيره فمن رواه مهموزاً فالمعنى أنه لا يُفْضِل في الكأس شيئاً إذ أن هذا عيبٌ عندهم من وجهين ، أحدهما : أنه يدلُّ على عجزه عن الشراب أو كراهية الشراب والنَّدام ، ومن رواه بسوّار غير مهموز فمعناه بوثّاب من المساورة والمواثبة ، فهذا بيان الخطأ في هذا من جهة اللفظ ، وأما من جهة المعنى فلكثرة كتب بني أمية في عظيم الآثام ،

---

(١) البيت في ديوانه ١٠٥ من قصيدة يمدح فيها هوذة بن علي الحنفي .

(٢) وهذا البيت من قصيدة يمدح فيها الحنفي أيضاً ، انظر ، في صفحة ٨٥ .

(٣) البيت في ديوانه ٣١٨ ، وهو في اللسان (سأر) ، والرواية فيه :

إزاء معاش ما يحل إزارها من الكيس فيها سؤرة وهي قاعد

أي أن فيها بقية ، ويقال ذلك للمرأة التي جاوزت عنفوان الشباب ، ويروى البيت أيضاً برواية :

إزاء معاش لا يزال نطاقها شديداً وفيها سؤرة وهي قاعد

(٤) البيت في ديوانه ٤٥ ،والحصور : الممسك البخيل ،أو الذي لا ينفق على الندامى ، وانظر اللسان (حصر) .

وجسيم الا ىرام ، وذميم الجور والأحكام ، ولكثرة الإطالة في كتبهم ، والعجب من يحيى كيف أمسك عن جواب هذا المتكلم من أن يريَهُ من إطالة كُتُب بني أمية وخطأ معانيها ، ونَقْضِها أكثر ما أصدرت من أحكامها .

[ما للشيطان ذنب في هذا]

صلى رجل منهم خلف إمام فلما قرأ (الحمدُ) أرتج عليه فلم يدر ما يقول ، فجعل يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، يردِّدُ ذلك مراراً ، فقال الشَّاطر من خلفه : ما للشيطان ذنبٌ إلاّ أنك أنت ما تحسنُ تقرأ[1] .

[مجّان الشعراء يصفون صلاة أحدهم]

حدثنا أبو النَّضْر العُقَيلي ، قال : حدثنا أبو الحسن بن رَاهَوَيْه ، قال : صلّى يحيى بن المعلّى الكاتب ، وكان في مجلسٍ فيه أبو نواس ووالبة بن الحُباب وعليّ بن الخليل والحسين الخليع صلاةً فقرأ فيها : قل هو الله أحد ، فغلط فسلّم ، فقال : أبو نواس :

أكْـثَـرَ يَـحْـيَـى غَـلَطاً فـي قُـلْ هُـو اللّهُ أحَـدْ

فقال والبةُ :

قـام طـويـلاً سَـاكِـنـاً حـتـى إذا أُعْـيَـ سَـجَـدْ

فقال عليُّ بن الخليل :

يـزحَـرُ فـي مـحـرابِـهِ زحـيـرُ حُـبْـلى بـولـد

(١) أنظر أخبار الظراف والمتماجنين ١٠٢ .

فقال الحسين الخليع :

كأنّما لِسانُهُ شُدّ بِحَبْلٍ من مَسَدْ

[منزلة أبي العتاهية عند العباسيين]

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا عون بن محمد ، قال : حدثنا إبراهيم بن الحسن ، قال : سمعت أبا العتاهية ينشد المأمون :

مولاي أعْلَمُ ذي عِلْمٍ بما يأتي   يزيدُني كلَّ يومٍ في كراماتي
لم يأتِ شيئاً من الأشياء أعْلمُهُ   إلّا تحرّى به برِّي ومرضاتي
أُعْطِيتُ فوق المنى من سيِّدٍ مَلِكٍ   وخصّني اللهُ منه بالكراماتِ
عَدُوُّهُ من جميع الناس كلهم   فالحمد لله من يَبْغِي معاداتي
فقل لحاسدِ هذا الحبِّ مُتْ كمداً   فالحبُّ يَقْسِمُهُ ربُّ السَّموات
إن لم يعاودْهُ شكري في مدائحِهِ   فلا تملَّيْتُ منه حُسْنَ عاداتي

فقال المأمون : أنت يا أبا إسحاق تمدحنا منذ خمسين سنة ، لو كنت تَذُمُّنا لكانت لك حُرْمة ، وكلُّ ما نفعلُه بك من استحقاقك .

المجلس التاسع والأربعون

[الحبُّ في الله ومنزلته]

أخبرنا المعافي ، قال : حدثنا الفضل بن أحمد بن منصور المُقْري أبو العباس الزُّبَيْدي ، قال : حدثنا عبدالأعلى بن حماد الرَّسّي ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البُناني ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة[1] .

عن النبي ﷺ أنه قال في رجلٍ زار أخاً له في قرية أخرى ، فأرصد اللَّهُ على مَدْرَجَتِهِ[2] مَلَكاً ، فلما أتى عليه قال له المَلَكُ : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية أسَلِّم عليه ، قال : هل له عليك قَرْضٌ[3] ؟ قال : لا ، غير أني احببته في الله ، قال : فإنّي رسول الله إليك يُعْلِمك أنَّهُ قد أحبك كما أحببته فيه »

(١) الحديث الشريف في سنن الترمذي ، باب البر ٣٨ ، ومسند الإمام أحمد ٣/ ٢٩٢ ، ٤٠٨ ، ٤٦٢ ، ٥٠٨ ، وانظر الجامع الكبير ١/ ٢٤٣ .

(٢) المدرجة : ممر الأشياء على الطريق وغيره ، والطريق نفسه .

(٣) في المسند : « هل عليكم من نعمة ترابها » .

[تعليق المؤلف]

قال القاضي : هذا خبرٌ معروف قد كتبناه عن عددٍ من الشيوخ من طرق شتّى ، وأتى في معناه عن النبي ﷺ عدةٌ من الأخبار ، وأنه قال في بعضها : إن الله تعالى ذكره ، قال : « حَقّتْ محبّتي للمتحابّين فيّ ، وحَقّتْ محبّتي للمتزاورين فيّ ، وحقّت محبتي للمتباذلين فيّ ، وإن المتحابِّين في الله يوم القيامة على منابر من نُور »[1] .

ممّا أشبه هذا مما يرغّب في التحابِّ في الله والتواصُل فيه ، وإنما يُخْلص المودة والمخالة في الله وله مع التقوى ، وقد جاء في الأثر : « أنه ما تحابّ قطُّ رجلان في اللّه إلاّ كان أحبُّهما إلى الله أشدُّهما حُبّاً لصاحبه »[2] ، ومتى عَرِيَ المتحابَّان من تقوى اللّه فإلى أشدِّ العداوة مآلهما ، وأقبحُ التباغُض عاقبة أمرهما ، وقد قال الله جل جلاله : ﴿ الأخِلاَّءُ يومئذٍ بَعْضُهُمْ لبعضٍ عدوٌّ إلاّ المتّقِين ﴾[3] وقد اقتصّ اللهُ من أحوال الكُفّار وإخوانهم وطَوَاغِيتهم وأذْنَابِهم ، ومن تَبَرُّؤ بعضهم من بعض ، ولَعْنِ بعضهم بعضاً ، ما فيه تنبيهٌ للناظرين ، وعظةٌ للمعتبرين ، والله نسأل التوفيق لما يرضيه ، والعِصْمة من جميع معاصيه .

[من أعلام النبوة]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا أبو حاتم ، عن أبي

---

(١) انظر الجامع الكبير للسيوطي ١/ ٥٠٢ ، وذكر أنه في سنن البيهقي عن عبادة بن الصامت .

(٢) أنظر أيضاً الجامع الكبير ١/ ٦٩٩ ، وفيه أنه رواية عن أنس في البخاري في الأدب ، ومسند أبي يعلى ، وصحيح ابن حيان ، والمستدرك للحاكم ، والمعجم الأوسط للطبراني ، والبيهقي في شعب الإيمان .

(٣) سورة الزخرف ، الآية ٦٧ .

عبيدة ، عن يونس ، قال : قال رجلٌ من بني ليثٍ[1] : بعثني قومي إلى النبيِّ ﷺ لما دخل مكّة لآتيهم بخبره ، فقدمتُ فبتُّ في جبل آل خويلد ، ومعي فلان ابن فلان ، فلم أرَ كَرُعْبِه ، فقلت : أبِهذا القلب تقاتِلُ محمداً ﷺ ، فقال : إن نفسي تخبِّرُني أنه إن رآني قَتَلَني ، فلما أصبح أتيتُ النبيَّ ﷺ وقد قال لي الرجل : ائتني بخبره ولا يَعْلَمَنْ بمكاني ، قال : فأتيتُه فأجدُه جالساً بالأبطح في ثوبين أبْيَضَين كأني انظر إلى أعْكانِ بطنه ، وبلالٌ قائم يقرأ ﴿يس، والقُرْآنِ الحكيم﴾[2] فقلت له : مُرْهُ فليزِدْنَا من هذا الكلام الطيِّب ، فقال : زِدْه يا بلال ، فقرأ ﴿ اقْتَرَبَت السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَر ﴾[3] فدنَوْتُ منه فقلت : يا رسول الله ، كيف الإسلام ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتفعلُ ما تُؤْمَرُ به وتَنْهَى عما تُنْهَى عنه ، فقلت : يا رسول الله ! إنّ عندي أمانةً لرجلٍ أفأكتُمها أم أحدِّثُك بها ؟ فقال رسول الله ﷺ : اكْتُمْها وهو فلان ابن فلان ، بَات معك في هذه الليلة في جبل آل خُويلد وللظالمين مصارع، الله صَارِعُه فيها ؟ قال : ورَحَل رسولُ الله ﷺ وسلم إلى حُنَيْن ورَحلْتُ معه فانكشفتْ هَوَازِن ، ووقف رسولُ الله ﷺ على ذلك الرجل صريعاً يركضُ برجْليْه ، فقال : أبعدك الله فإنك كنتَ تُبْغِضُ قُريشاً .

قال القاضي : في هذا الخبر عَلَمٌ من أعلام النبيِّ ﷺ الدَّالَّةِ على ثبوتِ رسالته ، وصحّةِ نُبُوّتِه ، وما أطلعهُ الله عليه من غَيْبه ، الذي يُكرم من يَخُصُّهُ به ، وعلى منزلةِ قريش قومِ رسول اللّهِ ﷺ وأسرته ورَهْطه الأَدْنين وعِزّته . وقد روي عن النبي ﷺ أنه ، قال : « من يُرِدْ هَوَانَ قُريش أهانَهُ

(١) انظر الجامع الكبير للسيوطي ، وفيه : رواه الطبراني في المعجم الكبير عن المغيرة .
(٢) سورة يس ، الآية ١ .
(٣) سورة القمر ، الآية ١ .

الله »[1] وكيف يُبغِضُ ذُو حجىً قَبِيلاً منهم رسول الله ﷺ ، سيِّد أصْفيائه ، وخَاتَم أنبيائه .

[يستحيي من النهر]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق القاضي ، قال : حدثنا يحيى بن صالح الوَحَاصِيُّ ، قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن صفوان بن عمرو ، عن شريح بن عبيد الحضرمي ، عن كعب الأحبار .

أن رجلاً من بني إسرائيل أتى فاحشة فدخل نهراً يغتسل فيه ، فناداه المـاءُ : يا فلان ألا تستحيي ألم تتب من هذا الذنب ؟ فقلت إنك لا تعود فيه ؟ فخرج من الماء فزعاً وهو يقول : لا أعصي الله ، فأتى جبلاً فيه اثنا عشر رجلاً يعبدون الله فلم يزل معهم حتى تَخَطَّوْا موضعهم فنزلوا يطلبون الكَلأ ، فمرُّوا على ذلك النهر ، فقال الرجل : أما أنا فلستُ بذاهب معكم ، قالوا له : لم ؟ قال : لأنَّ ثَمَّ من قد اطَّلع منّي على خطيئةٍ فأنا أستحيي منه أن يراني ، فتركوه ومَضَوْا ، فناداهم النهر : يا أيّها العُبَّاد ! ما فعل صاحبكم ؟ قالوا : زَعَم لنا أن ها هنا من قد اطلع منه على خطيئةٍ فهو يستحيي منه أن يراه، قال : يا سبحان الله ! إن بعضكم ليغضب على ولده أو على بعض قراباته ، فإذا تاب ورجع إلى ما يحبّ أحبّه ، وإن صاحبكم قد تاب ورجع إلى ما أُحِب فأنا أحبُّه ، فأْتوه فأَخْبِرُوه ، واعْبُدُوا اللَّه على شَاطِئِي . فأخبروه فجاء معهم فأقاموا يعبدون الله زماناً ، ثم إن صاحب

---

(1) الحديث الشريف في سنن الترمذي ، باب المناقب ٦٥ ، ومسند الإمام أحمد ١/ ٦٤ ، ١٧١ ، ١٨٣ .

الفاحشة تُوفي ، فناداهم النهر : يا أيّها العُبّاد والعبيد الزُّهاد ! غَسِّلُوه من مائي وادْفُنُوه على شاطئي حتى يبعث يوم القيامة من قُرْبِي ، ففعلوا به ذلك ، وقالوا : نبيتُ ليلتنا هذه على قبره نبْكي ، فإذا أصحبنا سِرنا ، فباتوا على قبره يبكون ، فلما جاء وَجْهُ السَّحَر غَشِيَهُم النُّعَاسُ ، فأصْبحوا وقد أنبت الله على قبره اثنتي عشرة سروة ، فكان أول سروٍ أنْبَتَهُ الله على وجه الأرض ، فقالوا : ما أنبت هذا الشجر في هذا المكان إلا وقد أحبّ عبادتَنَا فيه ، فأقاموا يعبدون الله على قبره ، كلما مات منهم رجلٌ دفنوه إلى جانبه حتى ماتوا بأجمعهم ، قال كعب : فكانت بنو إسرائيل يحجون إلى قبورهم .

[خطبة زياد البتراء ، وتعليق بعض من سمعها]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن أبي يعقوب الدينَوَرِيّ ، قال : حدثنا عبدالله بن محمد الفِرْيَابِي ، قال : حدثنا سفيان بن عُيَيْنَة ، قال : حدثنا عبدالملك بن عمير ، قال :

شهدتُ زيادَ بن أبي سفيان وقد صعد المنبر فسَلَّم تسليماً خَفِيّاً ، وانْحرف انحرافاً بطيّاً ، وخطب خطبةً بُتَيْرا[1] ، قال ابن الفِريابي : والبُتَيْرا : التي لا يُصَلَّى فيها على النبيِّ صلّى الله عليه وعلى آله وسلم ، ثم قال : إن أمير المؤمنين قد قال ما سمعتم ، وشهدت الشهود بما قد علمتم ، وإنما كنتُ امْرأً حفظ الله مني ما ضيّع الناس ، ووصل منّي ما

(١) ترد هذه الخطبة الشهيرة في كثير من المراجع مع اختلاف في بعض ألفاظ الرواية من مرجع إلى آخر ، انظر : عيون الأخبار ٢/ ٢٤١ ، والنوادر للقالي ١٨٥ ـ ١٨٦ ، والبيان والتبين ٢/ ٦٤ ، ٦٥ ، والعقد الفريد ٢/ ١٨٣ ، والكامل لابن الأثير ٣/ ٣٧٤ .

قطعوا، ألاَ إنّا قد سُسْنا وساسنا السائِسُون، وجَرَّبْنا وجَرَّبَنَا المجرِّبُون، ووُلِّينا ووَلِيَ علينا الوالون، وإنا وجدنا هذا الأمر لا يصلحه إلا شدّةٌ في غير عُنْف، ولينٌ في غير ضَعف، وأيم الله إن لي فيكم صَرْعَى، فليحذر كلٌ رجل منكم أن يكون من صَرْعاي، فوالله لآخُذَنَّ البريءَ بالقسيم، والمطيعَ بالعاصِي، والمُقبل بالمدبر، حتى تلين لي قناتكم، وحتى يقول القائل: «أُنْجُ سَعْد، فقد قُتِل سُعَيْد»[1]، ألاَ رُبَّ فَرِحٍ بإمارتي لن تَنْفَعَه، ورُبَّ كارهٍ لها لن تَضُرَّه، وقد كانت بيني وبين أقوام منكم إحَنٌ وأحْقَاد، وقد جعلتُ ذلك خلف ظهري وتحت قدميّ، ولو بلغني عن أحدكم أن البُغْضَ لي قَتَلَهُ ما كَشفْتُ له قِناعاً، ولا هَتكتُ له سِتْراً، حتى يُبْدِيَ لي صَفْحَته، فإذا أبداها لم أُقِلْه عَثْرته، ألاَ ولا كذبةَ أكثرُ شاهدٍ عليها من كَذِبَةِ إمام على مِنْبر، فإذا سمعتموها مني فاغتمزوها فيّ، وإذا وعدتكم خيراً أو شرّاً فلم أفِ به فلا طاعة لي في رقابكم، ألا وأيّما رجلٍ منكم كان مكتبه خراسان فأَجَلُه سنَتَان ثم هو أميرُ نفسه، وأيّما رجل منكم كان مكتبه دون خراسان فأجله سِتّةُ أشهر ثم هو أمير نفسه، وأيُّما امرأةٍ احتاجت فإننا نعطيها عطاءَ زوجها ثم نُقَاصُّهُ به، وأيما عقال فَقَدْتُمُوه من مُقامِي هذا إلى خراسان فأنا له ضامنٌ، فقام إليه نُعيم بن الأهتم المِنْقَرِيّ[2]، فقال: أشهدُ قد أوتيت

---

(١) أصل هذا المثل أنه كان لضبة بن أدّ ابنان: سعد وسعيد، فخرجا يطلبان إبلاً لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد، فكان ضبة إذا رأى سواداً تحت الليل قال: سعد أم سعيد؟ هذا أصل المثل، فأخذ ذلك اللفظ منه وصار مما يتشاءم به، وهو يضرب مثلاً في العناية بذي الرحم، وبالاستخبار عن الأمرين أيهما وقع الخير أم الشر؟. (انظر اللسان «سعد»).
والواقع أنه مستعمل هنا للنجاء بالنفس والبعد بها عن الفتن وإيثار السلامة.

(٢) في العقد والبيان وكامل ابن الأثير: عبد الله بن الأهتم التميمي، وقد نقل هذا الاسم محققو عيون الأخبار، وورد في الهامش قولهم: آثرنا ما في المصادر الأولى لأن الوقوف في مثل هذا الموقف يقتضي جرأة وشجاعة، وفي عبد الله بن الأهتم قدر موفور، أما نعيم، وعبد الله

الحكمة وفَصْل الخطاب ، فقال : كذبت أيّها الرجل ذاك نبيُّ اللّهِ داودُ عليه السلام ، ثم قام إليه الأحنف بن قيس ، فقال : أيها الرجل إنما الجوادُ بِشَدِّه ، والسيفُ بِحَدِّه ، والمرء بِجَدِّه ، وقد بلَّغَك جَدُّك ما ترى ، وإنما الشكر بعد العطاء، والثناءُ بعد البلاء ، ولسنا نُثْنِي عليك حتى نَبْتليَك ، فقال : صدقت ، ثم قام أبو بلال مِرْداسُ ابن أُدَيَّة[1] ، فقال : أيها الرجل : قد سمعت قولك : والله لآخذن البريء بالسقيم والمطيع بالعاصي والمقبل بالمدبر ، ولَعَمْرِي لقد خالفت ما حكم الله في كتابه إذ يقول : ﴿ ولاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾[2] فقال : إيهاً عنّي ، فوالله ما أجدُ السَّبيل إلى ما تريدُ أنْتَ وأصحابُك حتى أخوضَ الباطل خوضاً[3] . ثم نزل .

فقام مِرْداسُ بن أُدَيَّة، وهو يقول :

يا طالب الخير نهر الجَوْرِ مُعْتَرِضٌ   طولُ التهجُّدِ أو فَتْـكٌ بِجَبَّارِ
لا كنتُ إن لم أصمْ عن كلِّ غانيةٍ   حتى يكون بريقُ الحُورِ إفطارِي

هذا عمه فكان كما يقول ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٤٠٢ : فيه تأنيث . . .
أقول : وليس هذا الرأي بشيء ، فإن ما قاله الرجل هنا لزياد : من كونه أوتي الحكمة وفصل الخطاب لا يقتضي شجاعة ما ، بل هو أشبه بهذا الذي فيه تأنيث ، وعلى ذلك فقد آثرنا وجود اسمه في الرواية . فتأمل .

(١) أحد الخوارج الشراة ، وأحد الخطباء العباد ، وقد خرج في أيام يزيد بن معاوية بالبصرة ، على عبيد الله بن زياد فبعث إليه هذا زرعة بن مسلم العامري فهزمه ، ثم بعث إليه بجيش آخر عليه عباد بن علقمة فهزمه وحدث بينهم مهادنة ، ثم استعر القتال بينهم في يوم الجمعة فتوادع الفريقان إلى ما بعد الصلاة ، فلما كان مرواس وأصحابه في صلاتهم أحاط بهم عباد فقتلهم عن آخرهم ، وحمل رأس مرداس إلى ابن زياد ، وكان ذلك سنة ٦١ هـ .
انظر الكامل لابن الأثير ٣/ ٢٠٣ ، ٤/ ٣٨ ، تاريخ الطبري ٩/ ٢٧١ واسمه فيه مرداس بن عمرو

(٢) سورة النجم ، الآية ٣٨ ، وصحتها : ألا تزر وازرة الخ .

(٣) لعل صحة هذه العبارة هي : إنا لا نبلغ ما نريد فيك وفي أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوضاً . أنظر البيان ٢/ ٦٥ .

فقال له رجلٌ : أصحابك يا أبا بلال شباب ، فقال : شباب مكتهلون في شبابهم ، ثم قال :

إذا ما الليل أظْلم كَابَدُوهُ فيُسْفِرُ عَنْهُمْ وهُمْ سُجُودُ

فسرى وانجفل[1] الناس معه ، فكان قد ضيّق الكوفة على زياد .

[شريطة بشّار]

حدثنا محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا عوف بن محمد ، قال :

قال دِعْبَل لإبراهيم بن العبّاس : أريد أن أصحبك إلى خراسان ، فقال له إبراهيم : حَبَّذَا أنت صاحباً مصحوباً إن كُنَّا على شريطة بشار قال : وما شريطة بشار قال : قوله :

أخٌ خيرُ من آخيتُ أحملُ ثِقْلَهُ ويحملُ عَنّي حينَ يَفْدَحُني ثِقَلِي
أخٌ إن نَبَا دَهْرٌ به كُنْتُ دُونَهُ وإن كانَ كَوْنٌ كان لي ثقةً مِثْلي
أخٌ مالُهُ لي لستُ أرهبُ بُخْلَهُ ومالي له لا يرهبُ الدهرَ من بُخْلِي

قال : ذلك لك ومزية فاصطحبا .

[من كنوز العلم]

حدثنا عبدالباقي بن قانع ، قال : محمد ـ يعني بن زكريا الغَلَّابي ـ ، قال : حدثنا ابن عائشة ، قال : قال : ابن يحيى الأسلمي ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال :

---

(١) الجفل : شرد ونفر .

شهدتُ مائِدةً عليها الحسن والحسين ، ومحمد بنو علي بن أبي طالب ، وعبدالله بن عباس ، وعبدالله بن جعفر ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالله بن صفوان ، فسقطتْ جَرَادَةٌ على المائِدة ، فقال ابن عباس لمحمد بن الحنفية : يا أبا القاسم ! ما كان أبوكَ يقول على جناح الجرادةِ مكتوب ؟ قال : ما كنت لأتكلم بحضرة أبي محمد - يعني الحسن - فقال : يا أبا محمد ! ما كان أبوكَ يقول ؟ قال : كان أبي يقول : على جناح الجرادة مكتوب بالسُّرْيانية : أنا الله ربُّ الجرادة وخالقُها ، فإذا شِئْتُ أن أبعثها رزقاً لقومٍ فعلتُ ، وإذا شِئْتُ أن أبعثها عذاباً على قومٍ فعلتُ ، فقام محمد إلى الحسن فقبّل رأسَه ، وقال : هذا والله من كنوز العلم .

[سبب غضب بشار على سلم]

حدثنا عبدالله بن الحسن بن محمد البزاز ، حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان ، حدثني أبو الحسن علي بن يحيى ، حدثني أحمد بن صالح المؤدب وكان أحد العلماء ، قال[1] :

أخبرني جماعة من أهل الأدب أن بَشّاراً غَضِبَ على سَلْمٍ الخاسر[2] وكان من تلامذته ورُواته ، فاستشفع عليه : بجماعة من إخوانه فأتَوْه ، فقالوا : جئناك في حاجة ، قال : كلُّ حاجةٍ لكم مَقْضِيَّة إلاّ سَلْماً ، قالوا : ما جئناك إلاّ في سَلْم فلا بُدَّ من أن ترضى عنه ، قال : فأين هو ؟ قال :

---

(١) الخبر التالي من تاريخ بغداد ٩/ ١٣٦ ، والأغاني .

(٢) هو سلم بن عمرو بن حماد شاعر خليع ماجن من أهل البصرة ، سكن بغداد ، وله مدائح في المهدي والرشيد ، وأخبار مع بشار بن برد وأبي العتاهية ، وشعره رقيق رصين ، سمي الخاسر لأنه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً .
أنظر وفيات الأعيان ١/ ١٩٨ ، وتاريخ بغداد ٩/ ٩٣٦ .

هوذا فقام سلْمٌ فقبّل رَأْسَهُ ويَدَيْه ، وقال : يا أبا مُعَاذ ! خرِّيجُكَ وأديبك، قال : يا ُسَلْم! من الذي يقول :

من رَاقَبَ الناسَ لَمْ يَظْفَرْ بحاجَتِهِ وفاز بالطَّيباتِ الفاتكُ اللَّهِجُ

قال : أنت يا أبا معاذ ، جعلني الله فداك ، قال : فمن الذي يقول :

مَنْ رَاقَب النَّاسَ مَاتَ غَمّاً وفاز باللَّذَّةِ الجَسُورُ

قال : خرِّيجُك يقول ذاك ـ يعني نفسه ـ فقال : فتأخُذُ مَعَانِيَّ التي عِنَيتُ بها ، وتَعِبْتُ في اسْتنباطها ، فتكْسُوها ألفاظاً أخفَّ من لفاظي حتى يُرْوَى ما تَقُول : ويذهبَ شِعْرِي ، لا أرْضَى عنك أبداً ، قال : فما زال يتضرَّع إليه وتشفعُ له الجماعة حتى رضي عنه .

[انتقام العنزي]

حدثني عبيدالله بن محمد بن جعفر الأزدي ، حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي ،

قال : كان رجل من عَنْزَةَ دعا رؤبةَ بنَ العَجَّاجِ فأطعمه وسقاه ، وأنشده فَخْرَه على عَنزةَ ، فساء ذلك العَنزِيَّ ، فقال لغلامه سِرّاً : اركب فَرَسِي وجِئْني بأبي النَّجْم[1] ، فطلبه فجاء وعليه جُبَّةُ خَزٍّ وبَتٌّ[2] من غير

---

(١) هو الفضل بن قدامة العجلي ، من بني بكر بن وائل ، من أكابر الرجاز ، ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر ، نبغ في العصر الأموي وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام وكان يقال إنه أبلغ من العجاج في النعت ، توفي سنة ١٣٠ هـ .
انظر الأغاني ١٠/ ١٥٠ ، خزانة الأدب ١/ ٤٩ ، ٤٠٦ .

(٢) البت : كساء غليظ من صوف أو وبر .

سراويل ، فدخل وأكل وشرب ، ثم قال : العَنْزَيّ : أنشدنا يا أبا النَّجم ورؤبة لا يعرفه ، فانتحى في قوله :

الحَمْدُ للهِ الوَهُـوبِ السجْزِلِ

حتى بلغ :

تبقّلَتْ من أوَّلِ التَّبَقُّلِ بين رِمَاحَيْ مَالِكٍ وِنَهْشَلِ

قال القاضي : ثَنَّى أبو النجم في قوله بين رماحي ، لأن رماح الفريقين وإن كانت جمعاً جملتان كما قال الشاعر :

ألم يُحْزِنْكَ أن جبَالَ قيسٍ وتَغْلِبَ قَد تَبَايَنَتَا انْقِطَاعا

وقد قال الله عز وجل : ﴿ هذان خصمان اختصموا ﴾[1] وقال جل ذكره : ﴿ سَنَفْرُغُ لكم أيُّها الثَّقَلَانْ ﴾[2] فثنّى وجمع على ما فسرناه ، فقال له رؤبة : إن نهشلاً ابن مالك يرحمك الله ، فقال له : يا ابن أخي إن النّاس أشباه[3] ، إنه ليس مالك بن حنظلة ، إنه مالك بن ضُبَيْعة[4] ، قال : فَخَزِيَ رُؤْبةُ وحَيِيَ من غَلَبَةِ أبي النجم إياه ، ثم أنشده أبو النَّجم فَخْرَهُ على تميم ، فاغتمّ رُؤبة ، وقال لصاحب البيت : لا يحبُّك قلبي أبداً .

قال القاضي :

(١) سورة الحج ، الآية ١٩ .

(٢) سورة الرحمن ، الآية ٣١ .

(٣) في الأغاني : إن الكمر تشابه .

(٤) أي أن رعي القبيلة للبقل ليست في المنطقة الواقعة بين مالك بن حنظلة وابنه نهشل ، فهذا مكان آمن لا شك فيه ، ولكنه يريد مالك بن ضبيعة وهؤلاء كانت منازلهم بعيدة وكان بينهم وبين جيرانهم حروب فظلت المنطقة بينهم حراماً لا يقربها أحد حتى طال عشبها وكثر بقلها ، فجاءت قبيلته فرعت هذه المنطقة لعزتها وقوتها ، انظر الأغاني ١٠/ ١٥٣ .

والبَتُّ : الكساء ويجمعُ بُتُوتاً .

وقد ذكر أن رؤبة ذوكِر بالأراجيز ، فقال : وقد ذكر أبو النجم قصيدتَهُ تلك : لعنها الله ، يعني هذه اللامية لاستجادته إياها وغضبه منها وحَسَدِه عليها .

[القصيدة أيضاً]

حدثنا المظفر بن يحيى بن أحمد ، قال : حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن عبدالله بن بشر المرشدي ، أخبرني أبو إسحاق الطلحي ، حدثنا المازني ، قال : حدثنا الأصمعيُّ ، قال : حدثني أبو سليم العَلاَء ، قال : قلت لرؤبة : كيف رَجَزُ أبي النجم عندكم ؟ قال : لامِيَّتُهُ تلك عليها لعنةُ الله ، قال : فإذا هي قد غَاظَتْهُ وبلغتْ منه .

[أسوأ الناس حالا]

حدثنا أحمد بن محمد بن سلم الكاتب ، قال : حدثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : قال بعضهم : أسوأ الناس حالاً من قويت شهوته ، وبعدت همته ، واتسعت معرفته وضاقت مقدرته .

[أين حدث الخرق]

قال : وقال : الزبير : كان بالبصرة رجل بصيرٌ بالغناء ، فحضر مجلس بعض الأشراف فحفظ عنه بعضُهم صوتاً أخلّ به بَعْدُ ، فلقيه يوماً بباب بعض الأمراء ، فقال : يا أبا فلان ! الثوب الذي أعْطَيتنا كان فيه خَرْق ، فقال : عندكم حدث ذلك .

[هذه الأحاديث الصغار]

حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي ، قال : سمعت محمد بن يونس ، يقول : سمعت أبا عاصم وذكر هذه الأحاديث الصغار ، فقال : هذا اللؤلؤ .

[شكر وردٌّ عليه]

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المُقْري ، قال : حدثنا أبو خليفة قال : أخبرني القاضي محمد بن الفتح السَّيَّارِي .

قال : اجْتَزْتُ بالكوفةِ في بعض شوارعها ، فأخَذَنِي بَطْني فلم أدْرِ ما أصنع ، إذ رأيتُ خِصِيًّا على باب كبير ، فقلت : أصلحك الله ، هل من موضعٍ أبولُ فيه ؟ فقال لي : ادخُل ، فدخلتُ فإذا دار كبيرة قَوْراء[1] ، في وسطها بُسْتان ، فرأيت عيناً من ثُقْبٍ في السِّتَارة ، ووجهاً لا ينبغي أن يكون أحسن منه ، فلما قضيتُ حاجتي ، قلت في نفسي : إن كان مع هذا الوجهِ الحَسَنِ براعةُ لسانٍ فهو غاية ، فقلت وأنا خارج لأُسْمِعَها : أحسن اللَّهُ لكم ، وبارك عليكم ، وتولَّى مكافأتكم بالحُسْنى ، فقالت مسرعةً : وأنت ، فبارك الله عليك وأحسن إليك ، فما رأينا خَارِئاً أشكرَ منك ، فأفْحَمَتْنِي .

[لا ، ولا العوراء]

حدثنا الحسين بن محمد بن سعيد المطيقي ، حدثنا يوسف بن موسى المروزي ، قال : قال عبدالله بن خُبيق ، سمعت بعض أصحابنا ،

---

(١) القوراء : الواسعة .

بقول: قيل للفُضَيْلِ بن عِياض[1] مات حمّادُ البربريُّ وأوصى بخمسة أفراس ، قال فُضَيل : وأصابوا من يَقْبَلُها ؟ قالوا : نعم ، قال : وإيش يَطْلُبُون عَلَيْها ، قالوا : الحوراء[2] ، قال : لا ولا العوراء .

[معنى الرِّفْه]

حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي ، قال : أنبأنا أحمد بن أبي خيْثمة ، قال : أنشدتُ لسعيد بن سليمان المساحقي القاضي ، في هارون بن زكريّا كاتب العباس بن محمد[3] :

أَزُورُكَ رِفْهاً كُلَّ يومٍ وليلةٍ وَدَرُّكَ مَخْزُونٌ عَلَيَّ قصيرُ
لأيِّ زمانٍ أرْتَجيكَ وخَلَّةٍ إذا أنت لم تَنْفَعْ وأنتَ وزيرُ
فإنّ الفتى ذا اللُّبِّ يطلبُ مَالَهُ وفي وجهه للطالبين بَشِيرُ

قال القاضي قوله : أزورك رِفْهاً ، يعني كلَّ يوم من غير إغْبَابٍ ، وقد أبان ذلك بقوله : كل يوم وليلة ، وهو مأخوذ من قولهم في الإبل : هي تردُ

---

(١) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي ، أبو علي ، شيخ الحرم المكي ، من أكابر العباد الصلحاء ، كان ثقة في الحديث ، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي ، أصله من الكوفة ثم سكن مكة ، وتوفي بها سنة ١٨٧ هـ ، من كلامه : من عرف الناس استراح . انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ ١/ ٢٢٥ ، وتهذيب التهذيب .

(٢) الحوراء من النساء : البيضاء ، لا يقصد بذلك حور عينيها ، وجمعها : حور ، ولعله يعني : الحور العين في الجنان .

(٣) هو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، أبو الفضل الهاشمي ، أخو المنصور والسفاح ، ولاه المنصور الشام كلها ، وولي الجزيرة أيام الرشيد ، وأرسله المنصور لغزو الروم في ستين ألفاً ، وحج بالناس مرات ، وكان من أجود الناس رأياً ، وإليه تنسب العباسية بالجانب الغربي ببغداد ، ودفن فيها حين توفي سنة ١٨٦هـ .
ترجمته في تاريخ بغداد ١/ ٩٥ ، وتهذيب ابن عساكر ٧/ ٢٥٣ .

الماء رِفْهاً ، إذا اتّصل وِرْدُها ، ثم يقال في إظمائها غِبٌّ ورِبْعٌ وخِمس إلى عشر ، وهو أقصى الإظماء ، وكنت بحضرة بعض المجدُودين يوماً ممّن حكّمه زمانُ السُّوءِ فينا ، وجَارَ بِبَسْطِ يده وقَبْضِ أيدينا ، وأشاع له في عامّة الناس وعُشرائهم ، وأغمارهِم وغوغائِهم ، أنه أوحدُ دهره ، وقريعُ عصره ، علماً وذكاءً ، وأدَباً ومضاء ، فتمثّل ببيت البُحْتُري من كلمته السِّينيَّة التي يصفُ فيها إيوانَ كِسْرى ، وهي من جيد شعره وحَسَنِه ، وأولها :

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِي وترفَّعْتُ عن جَدَا كُلِّ جِبْسِ

والبيت الذي تمثّل به هذا الرجل على قبح خَطئِهِ فيه :

وبعيدٌ ما بين وَارِدِ خِمْسٍ عَلَلٍ شِرْبُهُ وَوَارِدِ سُدْسِ

فما رأيت أحداً من حَاضِرِي مجلسه يومئذٍ على كثْرتِهم قد تبيَّن منه إنكارُ هذا في لفظ ولا لَحْظ ، وعاد بعدُ بمثْل هذا في مجلس آخر ، ثم إنني كنت أنا وهو يوماً خَالِيَيْن ، فأنشد هذا البيت غير مرَّةٍ على الوجه الذي أنكرتُه ، فقلت له : قد سمعتُك تنشدُ هذا البيت غير مرّةٍ على ما أنشدته في هذا الوقت ، ولست أدري كيف اتفق لك الخطأ فيه مع ظهوره ؟ وكيف لم تتأمَّلْهُ فتعرفَ فسادَ المعنى الذي إنشادك عبارة عنه ؟ قال : فكيف هو ؟ فقلت له :

وبعيدٌ ما بين وَارد رِفْهٍ عَلَلٍ شِرْبُهُ ووارِدِ خِمْسِ

فقال : لا ، وهو على ما رويتُه ، فقلت له : وأيّ بُعد بين الخُمْسِ والسُّدْس ؟ هو تاليه المتصل به الذي يليه ، وبين الرِّفْهِ وبين الخِمْس وما دُونه بَعْدٌ ظاهر ، وفضل حائِل ، فلم يَبِنْ لي منه رُجُوع ، وقد كان كثيراً ، ما يرجعُ في أشياء كثيرةٍ إليّ ، ويرجع عنها عند توقيفي إيّاه وتثبيتي له.

المجلس الخمسون

[لا نستعمل على عملنا من طلبه]

حدثنا أحمد بن محمد بن المغلس ، قال : حدثنا حماد بن الحسن ، حدثنا عبد العزيز بن الخطاب ، حدثنا مندل ، عن أبي إسحاق ، عن عبدالله بن أبي بُردة ، عن أبيه ،

قال : قال أبو مُوسى : « دخلتُ على رسول الله ﷺ ومعي رجل ، فقال : اسْتَعْمِلْني ، فقال : إنّا لا نستعملُ على عملنا من طَلَبَهُ ولا من حَرِصَ عليه »[1] .

[شرح السبب في ذلك]

قال القاضي : تأملوا رحمنا الله وإياكم ، ما ورد به هذا الخبر عن نبيِّنا ﷺ من إخبارِهِ أنه لا يستعملُ على الناس من طلب العمل عليهم ، ولا

(1) الحديث الشريف في الجامع الكبير ١/ ٢٨٤ ، وقال رواه الطبراني عن أبي موسى في المعجم الكبير .

من حَرِصَ على ولاية أمورهم ، لأن من سأل هذا وحرص عليه لم يُؤْمَنْ زَيْغُه عن العدل في من يلي عليه ، ومحاباته لمن يُواليه ، وشفاءِ غيظه ممن يُعاديه ، والإستطالة بما بُسط فيه على من بُسط عليه ، فيجورُ في حكمه ، ويستعينُ بسلطانه على ظُلمه ، وقد روي عن النبيّ ﷺ فيمن سأل القضاء ، واستعان عليه بالشُّفَعَاء ، ما روي من أن الله وَكَلَهُ إلى نفسه .

وروي عن عبد الرحمن بن سَمُرة[1] « أن رسول الله ﷺ ، قال له[2] : « يا عبد الرحمن ! لا تسل الإمارة ، فإنك إن أُوتِيتَها عن غير مسألةٍ أُعِنْتَ عليها ، وإن أوتيْتها عن مسألةٍ وُكِلْتَ إليها » .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يَحْرِصَنَّ أحدٌ على الإمارة فيُعزل »[3] .

وقد كان سُلَفاؤُنا من علماءِ المسلمين يَنْأون عن الولايات ويمتنعون من ملابستها والدخول فيها ، ويجانبون أهلها مع دعائهم إليها وإكراههم عليها ، حتى إن منهم من يتهيَّبُ الفُتْيا في الدِّين ، ويَكلُ مُسْتفْتيهِ إلى غيره من المُفْتِين ، ولو ذكرنا ما روي في تفصيل هذه الجملة لأطلنا القول والوصف ، وملأنا الأجلاد والصحف ، وقد مضى في بعض ما تقدم من مجالس كتابنا هذا من ذلك طَرَفٌ ، ولعلنا نأتي بكثير من هذا الباب في

---

(١) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي ، أبو سعيد ، صحابي من القادة الولاة ، أسلم يوم فتح مكة ، وشهد غزوة مؤتة ، وسكن البصرة ، وافتتح سجستان وولي عليها ، وغزا خراسان ففتح بها فتوحاً ، ثم عاد إلى البصرة فتوفي بها سنة ٥٠ هـ . ترجمته في الإصابة الترجمة ٥١٢٥ ، وتهذيب التهذيب .

(٢) الحديث الشريف في الجامع الكبير ٢/ ٥٥٨ ، وقال : رواه ابن عساكر في تاريخه .

(٣) الحديث الشريف في مسند الفردوس للديلمي ، انظر الجامع الكبير ١/ ٩٢٣ .

المؤتنف ، وبالله نستعين ، وإلى الله المشتكى مما يُرَاد في زماننا هذا ، من تقليد السَّفَلَةِ والجُهّالِ السُّخَفاءِ الضُّلاَّل للأحكام ، وإجلاسهم مجالس الأئمة الأعلام ، مع عظيم جهالتهم ، وسُقوط عدالتهم ، وفساد أمانتهم ، وقُبْح الظاهر والباطن من أمرهم ، والله وليُّ الإنتقام ممن يطوي في هذا الباب بصحة الإمام ، ويسعى لما يُساق إليه من الأحكام ، في هدم شريعة الإسلام ، ونستعين الله على تمكيننا من إيضاح هذا الأمر ، وإنهائه إلى من إليه الأمر ، ساسة الأمة ، ومُدَبِّري الملَّة ، حتى تنكشف له نصيحة المحقِّين ، وفضيلة المحقِّقين ، ويظهر له تمويه المُمَخْرقين ، وما تَنَحَّوْهُ ولبَّسُوه ، وتبجحوا فيه ودَنَّسوه ، ويوفقه الله جلَّ جلاله لتأمله حَقَّ تأمله ، والإصغاء إليه وتقبُّله ، ويبسط فيه لسانه ويده ، ويُعلى فيه أمره ونَهْيه ، فينزل كلَّ ذي منزلةٍ منزلته ، ويَقِفُ كُلَّ امرىءٍ عند انتهاء قدره ، اللهم فَبِكَ نستعين ، وأنت خير معين ، وأنت أرضى بما نُحِبّه ، وأكره لما نكرهه ، وأقدر على نصرة الحق وأهله ، ومَحْق الباطل وحِزْبِه .

[الشكوى من تولّي الجهال الأمر]

وقد حدثنا عبيداللَّه بن محمد بن جعفر الأزدي ، حدثنا أحمد بن يحيى ، أخبرني أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابيّ ، قال : كان من كلام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وكثيراً ما يقوله في حرُوبه : اللهم أنت أرضى للتّرضي ، وأسخطَ للسخط ، وأقْدَر على أن تُغَيِّر ما كرهت ، وأعلم بما تقدر ، ولا تُغْلَب على باطل ، ولا تَعْجز عن حقٍّ ، وما أنت بغافلٍ عمّا يعمل الظالمون .

ثم إني أقول : اللهم إني أستعْدِي على الوسائط الفُجّار ، والسُّفَراء الأشرار ، وكلّ ساخط خامل ، وسفيه جاهل ، ممن قُدّم على نبيهٍ فاضل ،

ورُضِيَ به بدلا من كُلِّ عالم عاقل ، فهو يَغُرُّ إمَامَه ، ويَفْجُرُ أمَامَه ، وتأملوا أيّها الألبّاء قضاةُ الحَضْرَة ، والعِرَاقَيْن الكوفة والبصرة ، بَلْهَ أطراف البلاد ورَسَا تِيق السَّوَاد ، أين هم من العلم بالكتاب والسُّنَّة وفقه الشريعة ؟ وأي حظٍّ لهم من العدالة والعفاف والأمانة ؟ وقد كان الأئمةُ في ما مضى ربّما دَلَّسَ عليهم في أعمالهم من هو على بعض الصفات التي قدمنا ذكرها ، فينتبهُ الرَّاقدُ منهم من غفلته ، ويَسْتيقظ الوَسْنانُ من رقدته ، ويقبل على سَوَامِ رعيته ، فيبني ما انْهدم ، ويَسُدُّ ما انْثَلَم ، ويستدركُ الفاسدَ بإصلاحه ، ويتلافى التفريط باستصلاحه ، وكانت الرَّعايا تَمْتَعِضُ من منكر هذا النوع ، وتشمئزُّ منه فلا تُقَارّ عليه ، فيؤدي ذلك إلى رفض الأراذل ، وإجتباء الأماثل ، وتقديم الأفاضل ، ولم يكن أحد يُقَلَّدُ شيئاً من شعب الدين والمملكة ، إلاّ بعد الإبتلاء والخبرة ، والإمتحَان والتجربة .

[ما قيل في تقلد نوح بن دراج القضاء]

وقد حدثنا الحسن بن علي أبو سعيد البصريّ ، قال : حدثنا الحسن بن علي بن راشد ، قال : قيل لشريك بن عبداللّه : قد تقلّد القضاء نُوحُ بن دَرَّاج[1] ، فقال : ذهبت العربُ الذين كانوا إذا غضبوا كَفَرُوا ، وقد كان لنوح بن درّاج في العلم والمعرفة والفهم منزلة معروفة ، لا ينكرها ذو

---

(١) هو نوح بن دراج النخعي مولاهم ، أبو محمد ، من أصحاب أبي حنيفة ، وهو من النبط وكان أبوه حائكاً ، وكان له أربعة أبناء تولوا كلهم القضاء ، وولي هو بالكوفة ، فقال فيه شاعر :

إن القيامة فيها أحسب اقتربت　　إذ صار قاضينا نوح بن دراج

وأصيبت عيناه ، فكان يقضي وهو أعمى واستمر ثلاث سنين لا يعلم بعماه أحد ، وتوفي وهو قاض على الجانب الشرقي من بغداد ، توفي سنة ١٨٢ هـ .

انظر تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٨٢ ، ونكت الهميان ٣٠١ ، أخبار القضاة ٣/ ١٨٢ .

معرفة ، وقد كان اسْتدرك بعضَ ما أغفله رجلٌ من علماء القضاة ، حتى قال ذلك القاضي :

كادتْ تَزِلُّ به من حَالِقٍ قدمٌ   لولا تدارُكُها نوحُ بن دَرَّاجِ[1]

[تصحيح رواية البيت]

قال القاضي : رأيت المحدّثين يقولون في رواية هذا البيت : لولا تداركها بفتح الرَّآء والكاف ، وهذا خطأ منهم ، لأنه إذا كان على هذا كانت لولا فيه بمعنى التَّحْضِيض ، كقولك : يا هذا فعلت كذا ولولا ما فعلت وإلاّ فعلت ، ولا معنى لذلك هاهنا ، وإنما المراد لولا التي تُؤْذِن بامْتناع الشيء لوجود غيره ، كقولك لولا أنت للقيتُ زيداً ، والصواب إذاً أن تُروى لولا تَدَارُكُها بضم الرآء والكاف على إعمال المصدر ، والمعنى لولا أن تداركها ، كقول الله تعالى : ﴿ لولا أن تَدَارَكَهُ نعمةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾[2] ومن قصد هذا المعنى فقد أخطأ بحذفه الموصول وإبقائه الصلة .

[فهم القضية ، فولاّه القضاء]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا عبد الأول بن مريد ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عَدِيّ ، عن مجالد ، عن الشَّعْبي ، قال[3] :

---

(١) انظر هذا الخبر في أخبار القضاة ١/ ١٨٢ ، ١٨٣ ، وفيه : جاءت مسألة إلى ابن شبرمة ، فقال لنوح بن دراج : أجب فيها يا نوح ، فأجاب فأصاب فقال ابن شبرمة وساق البيت ، وبعده بيت آخر هو :

لما رأى هفوة القاضي أخرجها   من معدن الحكم نوح أي إخراج

(٢) سورة والقلم ، الآية ٤٩ .

(٣) الخبر التالي في أخبار القضاة ١/ ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، وأخبار الأذكياء .

أتتْ امرأةٌ عمر رضي اللّهُ عنه ، فقالت : يا أمير المؤمنين ! ما رأيت أفضلَ من زوجي ، إنه ليقوم الليل ولا ينام ، ويصوم النهار ما يُفطر ، فقال عمر : جَزاكِ الله خيراً ، مِثْلُك أثْنى بالخير ، فاستحيت ثم ولَّتْ ، وكان كعبُ بن سُور الأزدي ثم أحد بني لَقِيط بن الحارث بن مالك بن فَهْمٍ حاضراً ، فقال : يا أمير المؤمنين ألَا أَعْدَيْتَ المرأة إذ جاءتك تَسْتَعْدِي ؟ قال : أوليس إنما جاءتْ تُثْني على زوجها وتذكر خصال الخير ؟ فقال : والّذي أعظم حَقَّك لقد جاءت تَسْتَعْدِي ، فقال عمر : عليّ بها ، فجاءت ، فقال لها عمر : أَصْدُقيني فلا بأس بالحقّ ، فقالت : والله يا أمير المؤمنين إني لامرأة ، وإنّي لأشتهي كما يشتهي النساء ، فقال : يا كعب ! اقْضِ بينهما فإنك قد فهمتَ من أمْرِهما ما لم أفهم ، فقال : يا أمير المؤمنين ! تحلُّ له من النساء أربعٌ ، فله ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ يتعبَّد فيهنّ ما شاء ، ولها يومها وليلتها ، فقال عمر : ما الحقُّ إلّا هذا ، اذهب فأنت قاضٍ على أهل البصرة ، فلم يزل قاضياً بقية خلافة عمر وخلافة عثمان ، فلما كان يوم الجمل تقلَّد مُصحفاً وخرج يصلّي بين الناس فأتاه سَهْمٌ غَرْبٌ فقتله ، وقُتِل يومئذٍ أخوان[1] فجاءت أمُّهم بعدما انقضت الحرب فحملتهم وهي تقول :

أَعَيْنيَّ جُودَا بِدَمْعٍ سَربْ ... فتيةٍ من خيار العَرَبْ
وما ضرَّهُمْ غير حتفِ النُّفُو ... سِ أيَّ أميريْ قريشٍ غَلَبْ

قال القاضي : الذي قضى به كعبُ بن سُور فيما بين هذه المرأة وبين زوجها هو قول علماء السَّلَف ، وعليه فقهاءُ الخَلَف وبه تقول ، وما احتج

(١) في أخبار القضاء : أن كعب بن سور أصيب ذلك اليوم ومع ثلاثة إخوة أو أربعة . . . الخ ثم أورد البيتين .

به كعبٌ فيه صحيح على ما ذكره .

[السبب في زوال ملك بني أمية في رأي ملك النوبة]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا أبو العباس الفضل بن العباس الرَّبَعي ، قال : حدثني إبراهيم بن عيسى بن أبي جعفر المنصور ، قال : سمعتُ عمِّي سُليمانَ بن أبي جعفر . يقول[1] :

كنت واقفاً على رأس المنصور ليلةً وعنده إسماعيل بن علي ، وصالح بن علي ، وسليمان بن علي ، وعيسى بن علي[2] فتذاكروا زوال ملك بني أمية وما صنع بهم عبدالله ، وقَتْل من قتل منهم بنهر أبي فِطْرَس ، فقال المنصور : رحمة الله ورضوانه على عمِّي ، ألاّ مَنَّ عليهم حتى يَرَوْا من دوْلَتِنا ما رأينا من دولتهم ، ويرغبوا إلينا كما رغبنا إليهم ، فلقد لَعَمْرِي عاشوا سُعَداء وماتوا فقراء ، فقال له إسماعيل بن علي : يا أمير المؤمنين ! إنّ في حَبْسِك عبدالله[3] بن مروان بن محمد ، وقد كانت له قصة عجيبة مع ملك النُّوبة ، فابعث فَسَلْهُ عنها ، فقال : يا مُسَيِّب ! عليّ به ، فأخرج فَتًى مقيّداً بقيدٍ ثقيل وغُلٍّ ثقيل فمثُل بين يديه ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال : يا عبدالله ! رَدُّ السَّلَامِ أَمْنٌ ، ولم تَسْمَحْ لك نفسي بذلك بَعْدُ ، ولكنْ اقْعُد ، فجاءُوا بوسادةٍ فثُنِّيتْ فقعد عليها ، فقال له : لقد بلغني أنه كانتْ لك قِصَّةٌ عجيبةٌ مع ملك النوبة فما

---

(١) الخبر التالي في عيون الأخبار ١/ ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، باختصار عما هنا .

(٢) هؤلاء الأربعة هم من عمومة أبي جعفر المنصور ، وممن أسهموا في تأسيس الدولة وإرساء دعائمها ، انظر المعارف ٣٧٥ .

(٣) في الأصل : عبيد الله ، والصحيح ما أثبتنا ، ذلك لأنه وإن كان لمروان بن محمد ابنان باسم عبد الله وعبيد الله إلا أن ولي عهده كان عبد الله ، انظر المعارف .

هي ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! لا والذي أكرمك بالخلافة ، ما أقدِرُ على النَّفَسِ من ثِقَلِ الحديد ، ولقد صَدِيء قَيْدي مما أُرَشِّشُ عليه من البَوْل ، وأصبُّ عليه الماء في أوقات الصلوات ، فقال : يا مسيِّب ! أطلق عنه حَدِيدَه ، ثم قال : نعم يا أمير المؤمنين ، لما قَصدَ عبدُالله بن عليٍّ إلينا ، كنتُ المطلوبَ من بين الجماعة ، لأنِّي كنتُ وليَّ عَهْدِ أبِي مِنْ بعده ، فدخلتُ إلى خزانة فاستخرجتُ منها عشرة آلاف دينار ، ثم دعوتُ عشرة من غلماني وحمَّلتُ كلَّ واحدٍ على دابَّة ودفعتُ إلى كُلِّ غلامٍ ألف دينار وأوقرتُ خمسة أبغُلٍ فُرْشاً ، وشَدَدْت في وسطي جوهراً له قيمة مع ألف دينار ، وخرجت هارباً إلى بلاد النوبة فَسِرْتُ فيها ثلاثاً ، فوقفت إلى مدينة خراب فأمرت الغلمان فعدلوا إليها وكشحُوا منها ما كان قذراً ثم ، بسطنا بعض تلك الفُرُش ، ودعوتُ غلاماً لي كنت أثق بعقله ، فقلت : انطلق إلى الملك فأقْرِئهِ مني السَّلام ، وخُذ لي منه الأمانَ وابْتَعْ لي مِيَرةً ، قال : فأبطأ عليَّ حتى سُؤْتُ به ظَنًّا ، ثم أقبل ومعه رجل آخر ، فلما أن دخل كَفَرَ لي[1] ثم قعد بين يديّ ، فقال لي : الملك يقرأ عليك السلام ، ويقول : لك من أنت ؟ وما جاء بك إلى بلادي ؟ أمحارب أم راغب إليَّ أم مُسْتَجِيرٌ بي ، قلت : تردّ على الملك السلام ، وتقول له : أما محارباً لك فمعاذ الله فأما راغباً في دينك فما كنت أبغي بديني بَدَلاً ، وأما مُستجيرٌ بك فَلَعَمْري ، قال : فذهب ثم رجع إليّ ، فقال : إن الملك يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : أنا صائر إليك غداً فلا تُحْدِثَنَّ في نفسك حَدَثاً ولا تَتَّخِذْ شيئاً من مِيَرةٍ فإنها تأتيك وما تحتاج إليه ، فأقبلت الميرةُ فأمرتُ غلماني ففرشوا ذلك الفرش كله وأمرت بفُرُشٍ فنُصِبَت له ولي مثله ،

---

(١) كفر لي : أي سجد لي ، وهذا ما يعتبر كفراً إذ لا يجوز السجود لغير الله ، ولكن ذلك كان كثيراً ما تفعله الرعية للملوك .

وأقبلتُ من غدٍ أرْقُب مجيئه ، فبينا أنا كذلك إذ أقبل غلماني يحضرون[1] ، قالوا : إن الملك قد أقبل ، فقمتُ بين شُرْفتين من شُرَف القَصْر أنظر إليه ، فإذا أنا برجلٍ قد لَبِس بُرْدَيْن ائْتَزر بأحدهما وارتدى الآخر ، حَافٍ راجلٍ وإذا عشرة معهم الحراب ثلاثة يقدمونه وسبعة خلفه ، وإذا الرجل الموجّهُ إليّ جَنْبة فاستصغرتُ أمره ، وهان عليّ لمّا رأيتُه في تلك الحال ، وسوّلَتْ لي نفسي قتله ، فلما قَرُب من الدار إذا أنا بسواد عظيم ، فقلت : ما هذا السَّواد ؟ فقيل : الخيلُ ، فوافى يا أمير المؤمنين زهاء عشرة آلاف عنان ، وكان موافاة الخيل الدار في وقت دخوله فأحْدَ قُوابها ، فدخل إليّ فلما نظر إليّ ، قال : لترجمانه : أين الرجل ؟ فأومأ الترجمانُ إلي ، فلما نظر إلي وثبت له فأعظم ذلك وأخذ بيدي فقبّلها ووضعها على صدره ، وجعل يدفع ما والى الفُسطاط برجله ويشوِّش الفَرْشَ ، فظننتُ أن ذلك شيئاً يجلّونه أن يطؤوا على مثله ، حتى انتهى إلى الفَرْشِ ، فقلت لترجمانه : سبحان الله لِمَ لَمْ يقعد على الموضع الذي قد وُطِّىء ، فقال : قل له : إني مَلِكٌ ، وحقٌّ كلّ ملك أن يتواضع لعظمةِ الله إذ رفعه الله ، قال : ثم أقبل طويلاً ينكت بإصبعه في الأرض ثم رفع رأسه ، فقال لي ، كيف سُلِبتم هذا المُلْك وأُخِذ منكم وأنت أقرب الناس إلى نبيِّكم ﷺ ، فقلت : جاء منَ كان أقرب قرابة إلى نبينا ﷺ فسلبنا وقتلنا فَطُرِدْنا ، فخرجت إليك مُستجيراً بالله عزّ وجلّ ثم بك ، قال : فلم كنتم تشربون الخمر وهي محرّمةٌ عليكم في كتابكم ؟ فقلت : فعل ذلك عبيدٌ وأتباعٌ وأعاجم دخلوا في ملكنا ، من غير رأينا ، قال : فلم كنتم تَلْبَسُون الحرير والدِّيباج ، وعلى دوابّكم الذهبُ والفِضّة وقد حُرِّم ذلك عليكم ، قلت : عبيدٌ وأتباعٌ دَخَلُوا في مُلْكنا ،

(١) يحفرون : أي يجرون كجري الفرس .

قال : قال : فلم كنتم أنتم بأعيانكم إذا خرجتُم إلى نُزَهِكُم وصَيْدكُم تَقَحَّمْتم على القُرى فكلَّفْتم أهلها ما لا طاقة لهم به ، بالضَّرب الوجيع ثم لا يُقْنِعكُم ذلك حتى تدوسُوا زُرُوعَكُم فتُفْسِدُوها في طلب دُرَّاجٍ قيمتُه نصف درهم ، أو في عصفور قيمتُه لا شيْءَ والفساد محرَّمٌ عليكم في دينكم ، قلت : عبيدٌ وأتباع ، قال : لا ولكنكم استحللتم ما حَرَّم الله عليكم وأتَيْتُمْ ما عنه نَهاكُم ، فَسَلبَكُمْ الله العزَّ وألبسكم الذُّلّ ، ولله فيكم نقمة لم تبلغْ غايتها بعدُ ، وإني أتخوَّف أن تنزل النِّقْمةُ وهي إذا نزلت عَمَّتْ وشَمِلتْ ، فاخْرُجْ بعد ثلاث ، فإني إن وجدتُك بعدها أخذْتُ جميع ما معك وقتلتُك وقتلتُ جميعَ مَنْ معك ، ثم وثب فخرج . فأقمت ثلاثاً وخرجت إلى مصر ، فأخَذَني واليك فبعث بي إليك فهأنذا والموت أحبُّ إليّ من الحياة ، قال : فَهَمَّ أبو جعفر بإطلاقه ، فقال له إسماعيل بن علي : في عُنُقي بيعةٌ له ، قال : فماذا ترى ؟ قال : ينزلُ في دارٍ من دُورنا ونُجْرِي عليه ما يَجْري على مِثله ، قال : ففُعِل ذلك به ، فوالله ما أدري أمات في حبسه أم أطلقه المهديُّ .

قال القاضي في هذا الخبر اتعاظٌ ومعتبر وتحذيرٌ ومُزْدجر ، والله نسأل توفيقنا وعصمتنا مما يوجب حلول الغِيَر ، ويُلْهمنا الشكر ، ويُيَسِّرُنا لأعمال البر ، وان يُحكم عقدة الأنس بيننا وبين نِعمه ، حتى يَأْلَفنا لشكرنا إياها ، وتأدية حقّ ربنا المُنْعم علينا بها ، ويُوَطِّنُها فلا نَنْأى عنها .

[أبيات في تحذير بني العباس]

حدثنا محمد بن يحيى الصُّولي ، حدثني عبداللّه الألُوسِيّ ، قال :

لما صار جيشُ الدَّعِيِّ[1] بالبصرة إلى النُّعمانية[2] طُرِحَتْ رُقْعة في دار الناصر مختومة ، فجاءُوا بها إلى الموفَّق ، فقال : فيها عَقْربٌ لا شكَّ ، ففتحوها فإذا فيها :

أرى ناراً تأجَّجُ من بعيدٍ ... لها في كُلِّ ناحيةٍ شُعاعُ
وقد نامَتْ بنُو العبّاس عنها ... وأصبحتْ وهي غافلة رِتَاعُ
كما نامت أُمَيّةُ ثم هَبَّتْ ... لتدفع حين لَيْس لها دِفَاعُ

فأمر الموفَّق من ساعته بالإرتحال إلى البصرة .

قال القاضي : وهذا الشعر مما يُجَابِهُ قائلُهُ قولَ القائل في بني أميَّة :

أرى تحت الرَّماد وَمِيضَ جَمْرٍ ... وأخْلِقْ أن يكونَ له ضِرَامُ
وقد غفلتْ أميةُ عن سَنَاها ... ويوشكُ أن يكون لها اضطرامُ
أقولُ من التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْري ... أأيْقَاظٌ أُمَيَّةُ أم نِيَامُ

[مروان بن محمد حين أحيط به]

وحدثني أبو النَّضْر العُقيلي ، قال أبو الحسن بن راهَوَيْه الكاتب ، عمن أخبره :

---

(١) هو علي بن محمد الورزنيني العلوي ، صاحب الزنج ، من كبار أصحاب الفتن في العهد العباسي وعرف بصاحب الزنج لأن أكثر أنصاره منهم ، ولد ونشأ في « ورزنين » إحدى قرى الري ، وظهر في أيام المهتدي بالله سنة ٢٥٥ هـ ، والتف حوله سودان أهل البصرة ورعاها فامتلكها ، واستولى على الأبلة ، وتتابعت لقتاله الجيوش فكان يظهر عليها ويشتتها ثم امتلك الأهواز وأغار على واسط ، وبلغ عدد جيشه ثلاثمائة ألف مقاتل ، وعجز عن قتاله الخلفاء ، حتى استطاع الموفق بالله في أيام المعتمد أن يظفر به فيقتله ويبعث برأسه إلى بغداد ، وكان ذلك سنة ٢٧٠ هـ ، هذا وانتسابه إلى العلويين فيه ادعان ، وقد طعن فيه العلماء . انظر ترجمته في الطبري ١٧٤/١١ ، والمزرباني ٢٩١ .

(٢) النعمانية بضم النون ، بليدة بين واسط وبغداد ، في نصف الطريق ، على ضفة دجلة ، معدودة من أعمال الزاب الأعلى وهي قصبة وأهلها شيعة كلهم . انظر معجم البلدان .

أنَّ مروان بن محمد جلس يوماً وقد أُحيط به ، وعلى رأسه خادم له ، فقال له : ألا ترى ما نحن فيه ؟ لَهَفي على يدٍ ما ذُكرتْ ، ونِعمةٍ ما شُكرت ، ودولةٍ ما نُصِرَتْ ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! من ترك القليل حتى يكثر ، والصغير حتى يكبر ، والخَفِيَّ حتى يظهر ، وأخّر فعل اليوم لِغَدٍ ، حلّ به أكثر من هذا ، فقال : هذا القول أشدُّ عليَّ من فَقْدِ الخلافة .

قال القاضي : ونحن نلجأ إلى الله جلّ جلاله راغبين إليه ، خاضعين له ، واثقين به ، راجين لإحسانه ، مستجيرين بعفوه وكرمه ، في أن يحفظ علينا الخلافة الهاشمية والدولة العبّاسية ، ونَعُوذ به أن نَضْحَى بعد الإسْتِظْلال بِظِلِّها ، والتَّقَلُّبِ في عَدْلِها ، والبِشْرِ بخدمة أهلها ، ونسأله سؤال من وَجَّه رَغْبته إليه ، واعتمد في دينه ودنياه عليه ، أن يتمم نعمته ، ويُهنِّي مَوْهِبَتَه ، ويُوفِّر تشريفَه وتكْرِمتَه ، لعبده القادرِ بالله أمير المؤمنين ، ويعزّ نصره ، ويرفع في الملأ الأعلى ذكره ، ويُنَفِّذَ في شرق البلاد وغربها أمْرَه ، ويَبْسُطَ يده في جميع الرعايا ولسانه ، ويُديل من كُلِّ مخالفٍ عليه سلطانَه ، حتى يَفِيض العدلُ فينا ، ويُديل ظالمنا ، ويُنيل مظلومنا ، ويَظْهَرَ له ما ستره المنافقون ، ويمكِّنه من نقضِ ما أبرمه المارقون ، حتى يُدنِيَ كُلَّ أمين ، ويُقْصِيَ كُلَّ ظَنِين ، ويَسْتَبْطِن أُولِي النِّعَم من أهل الدِّين ، ويصطنع ذوي الفقه والإمامة ، ويَطَّرِح أهلَ الرِّيَبِ والخيانة ، إنه لطيفٌ خبير .

[المهتدي يتشبه بعمر بن عبد العزيز]

حدثني بعض الشيوخ ممن شاهد جماعةً من العلماء ، وخالط كثيراً

(١) الأبيات التالية أرسلها نصر بن سيار والي خراسان إلى

من الرؤساء أن هاشم بن القاسم الهاشميّ ، حَدّثه وقد حدّث هاشمٌ هذا حديثاً كثيراً ، وكتبنا عنه الآن هذه الحكاية ، لم أسمعْها منه وحدّثني بها هذا الشيخ الذي قدّمت ذكره ، قال أبو العباس هاشم بن القاسم: كنتُ بحضرة المُهْتدي[1] عَشِيَّةً من العَشَايَا ، فلما كادت الشمسُ تَغْرُب وَثَبْتُ لأنصرف ، وذلك في شهر رمضان ، فقال : اجلس فجلستُ ، ثم إن الشمسَ غابت ، وأذّن المؤذنُ لصلاة المغرب وأقام ، فتقدَّم المُهْتدي فصلّى بنا ثم ركعَ وركعْنَا ، ودعا بالطعام فأُحْضِر طبقُ خِلافٍ وعليه رُغُفٌ من الخبز النقيّ ، وفيه آنيةٌ في بعضها مِلْح وفي بعضها خَلٌّ ، وفي بعضها زيتٌ ، فدعاني إلى الأكل فابتدأت آكل مُقَدِّراً أنه سيُؤْتَى بطعامٍ له نيقةٌ وفيه سَعة ، فنظر إلي وقال لي : ألم تك صائماً ؟ قلت : بلى ، قال : أفَلَسْتَ عازماً على صوم غدٍ ، فقلت : كيف لا وهو شهر رمضان ، فقال : فكُلْ واستوفِ غِذَاءَكَ فليس هاهنا من الطعام غيرَ ما ترى ، فعجبتُ من قوله ، ثم قلت : والله لأخاطبنّه في هذا المعنى ، فقلت : ولم يا أمير المؤمنين ؟ وقد أوسع الله نعمتَه وبسط رزقه وكثّر الخَيْر من فضله ، فقال : إنّ الأمر لعلى ما وَصَفْتَ والحمد لله ، ولكنّني فكرتُ في أنه كان في بني أمية عمر بن العزيز ، وكان من التَّقَلُّلِ والتَّقَشُّفِ على ما بلغك ، فَغِرْتُ على بني هاشم أن لا يكون في خلفائهم مثله ، فأخذت نفسي بما رأيت ، قال القاضي : ولم تزل المنافسة في أعمال البر وأبواب الخير ، في أثر

---

(١) هو محمد بن هارون الواثق بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد ، بويع له بعد خلع المعتز سنة ٢٥٥ هـ ، ولم يلبث أن انتقض عليه الترك ببغداد ، فزج لقتالهم ونشبت الحرب فتفرق عنه معظم من كان معه وانضموا إلى أعدائه لأنهم أتراك مثلهم ، وجاءته طعنة فمات منها وكان ذلك سنة ٢٥٦ هـ ، وكان حميد السيرة فيه شجاعة ، يأخذ مأخذ عمر بن عبد العزيز في الصلاح .

انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٣/ ٣٤٧ ، وتاريخ الطبري ١١/ ١٦٢ .

المتقين وسبيل الصالحين ، وقد وفق الله المهتدي رضوان الله عليه من هذا لما يُرْجَى له المثوبة منه والزلفى لديه ، وفقنا الله وإياكم لطاعته وحسن عبادته .

[آراء لهشام بن عبد الملك]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباريّ ، قال : حدثني أبي أحمد بن الحارث ، قال : قال : أبو الحسن .

قال يوماً هشام بن عبد الملك وهو يسير في موكبه : يا لك دُنْيَا ما أحسنك ! لولا أنك ميراثٌ لآخرك ، وآخرك كأوّلك ، فلما حضرته الوفاة نظر إلى ولده يبكون حوله ، فقال : جَادَ لكم هشام بالدنيا وجُدْتُم عليه بالبكاء ، وترك لكم ما جمع ، وتركتم عليه ما كسب ، ما أعظم منْقَلَب هشام إن لم يغفر الله له !

[متى أحصل عندك ؟]

حدثني محمد بن عمر بن نُصَيْر الحَرْبِي ، قال : حدثنا محمد بن جعفر الكوفي ، قال : أخبرني عبدالله بن إبراهيم الورّاق ، قال :

صَحِبْتُ رجلاً في السَّفر وأنِسْتُ به لأدبه وحسن أخلاقه ، فصرنا إلى مصر ، وكنت أقصده وأبيتُ عنده الليلة والليلتين في الأسبوع ، وقل ما أُخِلُّ بزيارته في ليلةِ كلّ جمعة ، وكان ينزل غُرْفَةً من الغُرَف فقصدْت في بعض العشايا زيارته فوجدتُ غرفته مغلوقة وعليها مكتوب :

أبداً تحصلُ عندي فمتى أحْصُلُ عندكْ
إن تناصَفْنا وإلاّ أنت يا ورّاقُ وَحْدَكْ

فانصرفتُ إلى منزلي ثم لقيتُه من غدٍ فضحك كُلُّ واحدٍ منّا إلى صاحبه فيما كان من مداعبته فيما كتبه ، واستدعيتُ بعد ذلك زيارتَه إيّاي ، وكان يبيت الليالي عندي وأبيتُ عنده إلى أن فرَّقَتْ بيْننا حوادثُ الأيام .

[تأخير كل وتقديمها]

قال القاضي : قوله في هذه الحكاية : في ليلة كلِّ جُمعة واللفظ الآتي في هذا الخبر صحيح يؤدي عن هذا المعنى ، وقد جاء في بعض القرآن نحوُ هذا في موضع من القرآن ، وهو قول الله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قلبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّارٍ﴾[1] فقرأ جمهور القراء من أهل الحَرَمَيْن والشام والعِرَاقَيْن عَلَى كُلِّ قلبِ مُتَكَبِّرٍ ، بإضافة كُلّ إلى قلب ، على أن قوله متكبر جبَّار ، من صفة ذي القلب ، وإن كان القلب نفسه قد يوصف بذلك ، ونحو هذا قولهم : فلانٌ سليمُ القلب ، وقلبُ فلانٍ سليم ، فيُجْرِي الصفة على اللفظ تارةً أي على القلب إذ كانت السَّلامةُ والتكبُّر والجبريّة فيه ، وتارة على صاحبه ويجعل صفةً لجمْلَتِه لاستحقاقه الوصف لها ، وإن كانت حالة في قلبه ، وقد قرأ بعض القراء على كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ بتنوين القلب ، وجعل الصفة له إذ كانت فيه ، وممّن قرأ هكذا أبو عَمرو بن العلاء[2] من البصرة ، وذكر أنها من قراءة عبدالله بن مسعود على كل قلب متكبّر ، بإضافة قلب إلى كلّ على الوجه الذي قدمنا ذكره ، وهذه القراءة شاهدةٌ للإضافة موافقةٌ في المعنى قراءة من أضاف على الوجه

---

(١) سورة غافر ، الآية ٣٥ .

(٢) انظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان ، ٧/ ٤٦٤ ، وذكر فيه أنها قراءة أبي عمرو وذكوان والأعرج .

الآخر ، وحكى الفَرّاءُ أنه سمع بعض العرب يقول : رجل سَفَرُه يوم كل جمعة ، يريد كلّ يوم جمعة ، قال : والمعنى واحد .

قال القاضي : ولفظ قراءتنا على ما في مصاحفنا على الإضافة أولى بإبانة المعنى وطريق التحقيق دون التجوز ، لأن قراءتنا أتت بإضافة كلٍّ إلى قلب[1] ، واستوعبت قلوب المنكرين ، وجرت على إضافة جمع إلى ما دليل الجمع ظاهر في لفظه ، وقراءة عبدالله أضيف فيها واحد إلى جماعة تجوزاً وعني به معْنى الجمع وهو بمنزلة قول الشاعر :

كُلُوا في نِصْفِ بَطْنِكُمُ تَعيشُوا فـإنَّ زَمَـانـنـا زمنٌ خميصُ[2]

وقول الآخر :

كأنه وجهُ تركيّين قـد غُضِبَا مُسْتَهْدِفٌ لِطِعـان غَير تَـذْنِيبِ

وقول ابن عبدة :

بها جِيَفُ الحَسْرَى فأمَّا عِظامُها فَبِيضٌ وأما جلدُها فَصَلِيبُ[3]

وقول جرير :

الـوَارِدِينَ وتَيْمٌ في ذُرَا سَبَـإٍ قد عضّ أعناقهم جلدُ الجَوَامِيسِ[4]

---

(١) وهي قراءة الجمهور على ما في البحر المحيط .

(٢) البيت دون نسبة في كتاب سيبويه ١/ ٢١٠ برواية تعفوا مكان تعيشوا ، وزمانكم مكان زمانا ، وبعض بطنها : أي دون الشبع ، والخميص : الجائع ، أي زمان جدب ومخمصة ، والشاهد فيه استعمال بطن بمعنى الجمع ، أي بعض بطونكم .

(٣) هو علقمة بن عبدة ، والبيت في ديوانه ١٣٢ ، والحسري : جمع حسير وهي المعيبة يتركها أصحابها فتموت ، وابيضت عظامها لما أكلت السباع ما عليها من لحم ، وصليب، يابس . والشاهد فيه قوله جلدها ، وهو مفرد أريد به الجمع أي جلودها .

(٤) البيت في ديوانه ٢٥٢ ، ورواية الشطرة الأولى فيه :
تدعوك نيم وتيم في قرى سبأ

وقال الآخر :

لا تُنكِـرُوا القَتْلَ وقـد سُبِينَـا   في حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وقد شَجِينَا[1]

على أن وجه قراءة عبدالله في هذا المعنى أقوى مما في هذه الأبيات ، لأن لكلٍّ لفظاً يقتضي التوحيد ، ومعنًى يقتضي الجمع ، وقد يُتَّجه في قراءة عبدالله حملها على ما لا يتغير المعنى به من التجوّز ، الذي يُسَمّيه النحويُّون القلب ، وقد تأوّل عليه قومٌ من النحويّين كثيراً من آي القرآن وما وردت به الأخبار ، وهو الباب الذي بلغتين : أدخلتُ القَلَنْسُوَةَ رأسي، وتَهَيَّبَني الفلاة ، كما قال الشاعر :

ولا تَهَيَّبُنِي المــومـاةُ أرْكَبُهـا   إذا تجاوبتِ الأصْدَاءُ بالسَّحَرِ[2]

وهذا باب قد استقصيناه في كتبنا ، وأملْلنا منه قدْراً واسعاً على شرحٍ وتفصيل فيما أمللناه من النثر والنظم ، ومن شرح مختصر أبي عمرو الجِرْميّ في النحو ، وأتينا فيه بما لا نعلم أحداً سبقنا إليه ، ومن نظر فيما هنالك تبيّن منه ما وصفنا إن شاء الله .

وأراد بذلك أنهم أسرى في أعناقهم أطواق من جلد الجواميس ، والشاهد فيه قوله جلد حيث أفرد ، وكان حقه أن يجمع .

١) البيت للمسيب بن زيد مناة الغنوى ، كما في اللسان (شجا) ، وورد دون نسبة في كتاب سيبويه ١/ ٢٠٩ .
وهو يقول : لا تنكروا قتلنا لكم وقد سبيتم منا خلقا ، ونحن في مقابل ذلك أشجيناكم بقتلنا لكم ، في مقابل من سبيتموه .
والشاهد فيه قوله حلقكم حيث أفرده وأراد به الحلوق .

٢) البيت لأبي بن مقبل ، انظره في ديوانه ٧٩ ، ومغني اللبيب ٦٩٥ ، وهذا هو القلب عند النحويين فالشاعر هنا يقصد أنه لا يتهيب الفلاة ، ولا يعقل على الحقيقة أن تتهيبه الفلاة ، وهناك أمثلة كثيرة من شعر العرب ونثرها من ذلك القلب ، انظر المغني ٦٩٥ ، ٦٩٦ .

المجلس الحادي والخمسون

[أي الخلق أعجب إيماناً]

حدثنا محمد بن الحسن بن محمد أبو عيسى القرشي ، قال : حدثنا إبراهيم بن محمد بن إسحاق البَصْري ، قال : حدثنا منهالُ بن بَحْر ، عن هشام بن أبي عبدالله ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر ، قال : قال : رسول الله ﷺ : « أيّ الخَلْقِ أعجب إيماناً ؟ قالوا : الملائكة ، فقال رسول الله ﷺ : كيف لا يكونون مؤمنين وهم عند الرحمن ؟ قالوا : فالنبيُّون ، قال : كيف لا يكونُون مؤمنين والوحيُ ينزل عليهم ؟ قالوا : فنحن ، قال : كيف لا تكونون مؤمنين وأنا بين أظْهُرِكم ؟ وإن أعجب الخلق إيماناً قومٌ يأتون من بعدي يجدون اسمي في ورقةٍ فيؤمنون بي ويصدّقوني »[1] .

---

(١) الحديث الشريف في الجامع الكبير ١/ ١٠٩٢ ، وقال : هو في صحيح مسلم ، ومسند أبي يعلى ، وفضل العلم للمرهبي ، والمستدرك على الصحيحين للحاكم .

[تعقيب المؤلف]

قال القاضي : فالحمد لله الذي هدانا لدينه ، والإيمان بنبيّه ، وتصديقنا بكتابه ووَحْيه ، ووفّقنا لموالاة من تقدّمنا من السابقين الأوّلين ، وتابعيهم بإحسانٍ من السّلف الصالحين ، وبصَّر بأفضل أئمتنا الخلفاء الرّاشدين المهديّين ، الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا ربّنا إنك رءوف رحيم ، ونبرأ إلى الله تعالى ممن عادى الأئمة ، وسبّ الأخيار من سلف الأمة ، وكان فيما وجدته عن عمر بن ذرٍّ ، ثم وجدته عن عبدالله بن عمر ، ثم وجدته عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال ـ وقد ذُكر له أن أُناساً يَشْتمون أصحابه ـ : قاتلهم الله أيَشْتُمون قوماً ـ يعني الصحابة ـ أسلموا من مخافة الله عزّ وجلّ ، وأسلم الناس من مخافة أسيافهم ؟

[أطع كل أمير]

وقد حدثنا محمد بن الحسين بن عليّ بن سعد الترمذيّ ، قال : حدثنا عبدالله بن أحمد ، قال : حدثنا الحكم بن موسى ، قال : حدثنا إسماعيل بن عيّاش ، عن جميل بن مالك الحمصّي ، عن مكحول ، عن معاذ بن جبل ، قال :

قال لي رسول الله ﷺ : « يا مُعَاذ ! أطع كُلَّ أمير ، وصَلِّ خلف كُلِّ إمامٍ ، ولا تَسُبَنَّ أحداً من أصحابي »[1] .

قال القاضي : وما ورد في هذا الباب من الأخيار ونقل الروايات

(١) الحديث الشريف في الجامع الكبير ١/ ١١٤ ، وقال : هو في الطبراني الكبير عن معاذ .

والآثار مما لا يتسع استقصاؤه ، ويمتنع على رواته جمعه وإحصاؤه .

[كيف يسبّ أحد أصحاب النبي !]

وقد حدثنا أبي رضي الله عنه ، قال : حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا أبو بشر هارون بن حاتم البزاز ، قال : سمعتُ محمد بن صُبيح ابن السَّماك ، يقول : علمتُ أن اليهود لا يَسُبُّون أصحاب موسى عليه السلام ، وأن النصارى لا يَسُبُّون أصحاب عيسى ﷺ ، فما بالك يا جاهل سببت أصحاب محمد ﷺ ، وقد علمت من أين أتيت ، لم يشغَلْكَ ذنبُك ، أَمَا لو شَغَلَك ذنبُك لخِفْتَ ربّك ، لقد كان في ذَنْبِك شُغُل عن المسيئين ، فكيف لم يشغَلْك عن المحسنين ، أما لو كنت من المحسنين لما تناولتَ المُسِيئين ، ولرجوْتَ لَهُمْ أرحم الراحمين ، ولكنك مِن المسيئين ، فمن ثَمَّ عِبْتَ الشهداء والصَّالحين ، أيها العائِبُ لأصحاب محمد ﷺ لو نمت لَيْلَك وأفطرت نهارك لكان خيراً لك من قيام لَيْلَك وصوم نَهارك ، مع سُوء قولك في أصحاب محمد ﷺ ، فويْحَك ! لا قيامَ ليلٍ ولا صَوْم نهارٍ وأنت تتناول الأخيار ، فأبْشِر بما ليس فيه البُشرى إن لم تَتُبْ مما تسمع وترى ، ويحك ! هؤلاء شرفوا في أُحُد ، وهؤلاء جاء العفو عن الله تعالى فيهم ، فقال : ﴿ إنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكمْ يوم الْتَقى الجَمْعَانِ إنَّما اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبعْضِ ما كَسَبُوا ولقد عَفَا اللَّهُ عَنْهم ﴾[1] فما تقول فيمن عفا الله عنه ؟ نحن نَحْتجُّ بخليل الرحمن إبراهيم ، قال : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيم ﴾[2] فقد عرض العاصِي للغُفْران فلو قال : فإنَّك عزيزٌ حكيم ، أو عَذَابُك عذابٌ أليم ، فَبِمَ تحْتَجُّ يا

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٥٥ .
(٢) سورة إبراهيم ، الآية ٣٦ .

جاهل إلّا بالجاهلين ، شَرُّ الخلف خَلَفٌ شَتَم السَّلَف ، والله لواحدٌ من السَّلَف خيرٌ من ألفٍ من الخلف .

[القول في كلمة « خلف »]

قال القاضي : في هذا الخبر قد حَرَّك لام الخَلَف ، وقد اختلف أُولوا العلم باللغة والعربية في هذا ، فقال معظمهم : يُقال : هؤلاءِ خَلَفُ صِدْقٍ بالتحريك ، وخَلْف سُوءٍ بالتسكين[1] ، ومن أمثال العرب في الذي يطيل السكوت ثم يتكلم بالفاسد من الكلام : « سكت أَلْفاً ونَطَقَ خَلْفاً » ومنه قول لبيد :

ذَهَبَ الَّذِين يُعَاشُ في أَكْنَافِهِمْ وبقيتُ في خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ

وذكر أن أعرابيًا كان مع قومٍ فحَبِق فتَشَوَّر ثم أَوْمى بيده إلى اسْتِه ، فقال : خَلْفُ سُوءٍ نَطَقَتْ خَلْفاً[1] ، ويقال للمحال الفاسد من المقال : هذا خَلْف ، وذكر الأخفش أنه يقال : خَلَفٌ للمتَّبِعِ لمن سَلَف قَبْله ، وخَلْف لمن أتى بعد من تقدمه من غير تفريق منه بين المدح والذم فيه ، وهذا قول حسن غير مستبعد ، وقد يكون تحريك اللّام في الخلف في هذا الخبر لاقترانه بالسلف كما قال من قال : من العَيْر الخَيْر ، كما قالوا : الغدايا والعشايا ، وهذا باب يتسع منظومه ومنثوره ، وقد أتينا به أو بمعظمه في مواضع من كتبنا .

وقال الفَرّاءُ : هو خَلَف سُوءٍ من أبيه ، ولك عندي خَلَفٌ من مالك ، وربما ثَقّلوا خَلف سوءٍ[2] ، وهو قليل .

---

(١) انظر هذا القول بتمامة في اللسان (خلف) ، ويتضح من قراءة المادة أنه لا فرق في المعنى بين تحريك اللام أو تسكينها . انظر اللسان .

(٢) أي اللام من خلف سوء ، وانظر اللسان أيضاً .

[وصية معاوية]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أنبأنا أبو حاتم ، عن العتبي ، عن أبيه ، عن خالد ، عن أبيه ، عن عمرو بن عتبة ، قال : لما اشتكى معاوية مشكاته التي هلك فيها أرسل إلى فاس من بني أميّة فخَصّ ولم يَعُمّ ، فقال : يا بني أميّة ! إنه لمّا قَرُبَ ما لم يكن بعيداً ، وخفت أن يَسْبقكم الموتُ إليّ سبقتُه بالموعظة إليكم ، لا لأرُدَّ قَدَراً ولكن لأبلغ عُذْراً ، لو وُزِنْتُ بالدُّنيا لرجَحْتُ بها ، ولكني وُزِنْتُ بالآخرة فرجَحَتْ بِي ، إن الذي أُخَلِّفُ لكم من الدنيا أمْرٌ ستُشَارَكُون فيه أو تُغْلَبُون عليه ، والذي أخَلِّف لكم من رأيٍ أمرٌ مَقْصُور عليكم نفعه إن فعلتُموه ، مَخُوفُ عليكم ضَرَرُهُ إن ضيَّعتُموه ، فاجعلوا مكافأتي قبول وصيّتي ، إن قُرَيشاً شاركتكُمْ في نَسَبِكُم وبِنْتُم منها بفعالكم ، فقدّمكُمْ ما تقدّمتُم فيه ، إذ أخَّرَ غيرُكم ما تأَخَّرُوا له ، وبالله لقد جُهِر لي فَعلمتُ ، ونُغِم[1] لي ففهمت ، حتى كأني أنظر إلى أبنائكم بعدكم نظري إلى آبائهم قبلهم ، إنّ دولتكم ستطول ، وكل طويل مَمْلول مَخْذُول ، فإذا انْقَضَتْ مدتكم كان أوّل تجادُلِكم فيما بيْنكم ، واجتماع المختلفين عليكم ، فيُدَبِّرُ الأمر بضِدِّ الحَسَن الذي أقْبل به ، فلستُ أذكُرُ عظيماً يُرْكَبُ منكم ولا حُرْمةً تنتهك ، إلاّ والّذي أكُفُّ عن ذكره أعظم ، فلا مُعَوَّلَ عليه عند ذلك أفضلُ من الصبر ، وتوقُّعِ النَّصْر ، واحتساب الأجر ، فَيُمادُّكم القومُ دَوْلتهم امتداد العِنَانَيْن في عُنُقِ الجواد ، فإذا بلغ الله عزّ وجلّ بالأمر مداه ، وجاء الوقتُ المحتوم ، كانت الدولةُ كالإناء المكْفُوّ[2] ، فعندها أوصيكم بتقوى الله الذي لم يَتَّقِهِ غيركم فيكم ،

---

(١) نغم ينغم نغما : تكلم بكلام خفي .
(٢) المكفو : المقلوب الذي لا يعلم ما بداخله .

فجعلَ العاقبة فيكم ، والعاقبة للمتّقين .

[سليمان بن عبد الملك وشرهه إلى الطعام]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا ابن أبي سعد ، قال : حدثني علي بن محمد بن سليمان الهاشمي ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عبدالله وصله ، قال[1] :

قال : لنا سليمان يوماً : إني قد أمرت قيّم بستاني أن يُحْبِسَ عليَّ الفاكهة ولا يَجْنِي منها شيئاً حتى تُدرك ، فاغدوا عليّ مع الفجر ـ يقول : لأصحابه الذين كان يأنس بهم : لنأكل الفاكهة في برد النهار ـ فغدونا في ذلك الوقت ، فصلّى الصبح وصلينا ، ثم دخل ودخلنا معه ، فإذا الفاكهة متهدّلةٌ على أغصانها وإذا كلّ فاكهة مختارة قد أدركت كُلُّها ، فقال : كُلُوا ، ثم أقبل فأكلنا بمقدار الطاقة ، وأقبلنا نقول : يا أمير المؤمنين : هذا العنقود ، فيخرطه في فيه ، يا أمير المؤمنين ، هذه التفاحة ، كلما رأينا شيئاً نضيجاً أومأنا إليه فيأخذه فيأكله ويَحْطِمُه ، حطماً ، حتى ارتفع الضحى ومَتَع النهار[2] ، ثم أقبل على قيّم البستان ، فقال : ويحك يا فلان ، إني قد استجعتُ فهل عندك شيء تطعمنيه ؟ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين عَنَاقٌ حَوْليّة حمراء ، قال : ائْتِني بها ولا تأتين معها بخُبْز ، فجاء بها على خُوان لا قوائم له وقد انفخت وملأت الخُوان ، وجاء بها غِلْمةٌ يحْملونها فأدنوها منه وهو قائِم ، فأقبل يأخذ العضو فيجيء معه لُنْضجه

---

(١) الخبر التالي في عيون الأخبار ٤/ ٢٢٦ ، موجزاً عما هنا ، وانظرها بتمامها كما هنا في المستطرف ٢/ ٢٥١ .

(٢) متع النهار : بلغ غاية ارتفاعه وهو ما قبل الزوال .

(٣) العناق : الأنثى من أولاد الم[illegible] والغنم من حين الولادة إلى تمام حول .

فيطرحه فيخرطه في فيه ، ويلقي العظم حتى أتى عليها ، ثم عاد لأكل الفاكهة فأكل فأكثر ثم قال للقيّم : ويحك ! ما عندك شيءٌ تطعمنيه ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين ، دجاجتان قد عُبِئتا شَحْماً ، قال : ائتني بهما ، ففعل بهما كما فعل بالعَنَاق ، ثم عاد لأكل الفاكهة ، فأكل مليًّا ثم قال للقيّم : هل عندك شيء تُطْعِمُنيه ، فإني قد جُعْت ، قال : عندي سويقٌ[1] جديدة يعني الحنطة كأنه قطع الأوتار وسَمْنُ سِلاء وسُكَّر ، قال : أفَلَا أعْلَمْتني بهذا قبل : ائتني وأكْثِر ، فجاء بقَعْبٍ يَقْعُد فيه الرَّجُل ، وقد ملأه من السَّوِيق قد خلطه بالسُّكَّر وصبَّ عليه سَمْنَ سِلَاء ، وأتى بجرّة ماءٍ بارد وكُوزٍ فأخذ القَعْبَ على كفّه ، وأقبل القيِّمُ يصبُّ عليه الماءَ فيحرّكُه حتى كفأه على وجهه فارغاً ، ثم عاد لأكل الفاكهة فأكل مليًّا حتى حَرَّتْ عليه الشمسُ ، فدخل وأمرنا أن ندخل إلى مجلسه فدخل وجلسنا ، فما مكث أن خرج علينا فلما جلس قام كبير الطبّاخين حياله يُؤْذِنه بالغَدَاء ، فأومأ إليه أن أئتِ بالغداء ، فوضع يده فأكل ، فما فَقَدْنا من أكله شيئاً .

[أكفأه وكفأه]

قال القاضي : في هذا الخبر حتى أكفأه على وجهه بمعنى قَلَبه وهو خطأ إنما هو كَفَأَهُ ، فرويناه على الصواب ، يقال : كفأت الإناء فهو مكْفُوءٌ ، وأنا كافىء ، وأمّا أكفأ فإنه من الإكفاء فيَ الشِّعر[2] ، وهو من عُيوب قوافيه ، وأهل هذه الصناعة مختلفون في ماهيته ، وله موضع هو مذكور فيه على شرح لمعانيه وقد روي لنا هذا الخبر من طريق آخر ، وفيه

---

(١) السويق : طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير ، سمي بذلك لانسياقه في الحلق .

(٢) الاكفاء في الشعر : تغيير حرف الروي إلى ما يقاربه ، كراء إلى لام ، أو لام إلى ميم .

أن سليمان بن عبد الملك بعد فراغه من أكلِه هذا عرضت له حُمّى أدَّتْه إلى الموت .

[الأعرابي الذي استحمل ابن الزبير]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني أحمد بن الحارث ، قال : قال أبو الحسن ، قال أبي[1] :

أتى فَضَالةُ بن شَرِيك الكاهليُّ الأسديّ ـ أسد بن خُزَيْمة ـ عبدَاللّٰهِ بن الزُّبَير ، فقال له : قد نَفِدَتْ نفقتي ونَقِبَتْ[2] راحلتي فاحملني ، فقال له : أحضر راحلتك ، فأحضرها ، فقال له : أقبل بها أدبر بها ففعل ، فقال : ارْقَعْها بسِبْتٍ واخْصِفْها بهُلْبٍ[3] ، وأنْجِدْ بها يَبْرُدْ خُفُّها وسِرْ عليها البَرْدَيْن تَصِحّ[4] ، فقال ابنُ فَضَالة : إنما أتيتُك مستحملاً ولم آتك مُسْتَوصِفاً ، لعن الله ناقةً حملتْني إليك ، فقال ابنُ الزُّبَيْر : إنّ وراكبها ، يريد نعم وراكبها ، فانصرف ابنُ فَضالةَ وهو يقول :

أقول لِغِلْمتي شُدُّوا ركابي أفارقُ بَطْنَ مكّةَ في سَوَادِ[6]

---

(١) انظر الخبر التالي في الأغاني ١٢/ ٧١ ، وعيون الأخبار ٣/ ١٤٠ ، وغرر الخصائص الواضحة ٢٩١ .

(٢) فضالة بن شريك الوالبي الأسدي ، كان شاعراً فاتكاً صعلوكاً ، مخضرماً أدرك الجاهلية والإسلام ، انظر نسبه وأخباره في الأغاني بالرقم السابق ، وقد ذكر فيه أن تلك القصة حدثت مع ابنه عبد الله ، ثم ذكر في صفحة ٧٧ عن ابن حبيب أنها حدثت مع فضالة نفسه .

(٣) نقبت : أي حفيت أخفافها ورقت .

(٤) السبت بكسر السين : جلد البقر المدبوغ بالقرظ ، والهلب بضم الهاء : شعر الخنزير الذي تخرز به النعال ، والخصف أن يظاهر جلدين ويضعهما على الأخفاف ثم يخرزهما فيصان الخف عن وطأ الأرض .

(٥) النجد : ما ارتفع من الأرض وصلب ، والبردين : الغداة والعشي .

(٦) السواد : أي ظلمة الليل ، وفي الأغاني : أجاوز مكان افارق .

فما لي حين أقطع ذاتَ عرقٍ — إلى ابنِ الكاهليَّةِ من مَعَادِ[1]
سَيُبْعِدُ بيننا نصُّ المطايا — وتعليقُ الأداوَى والمَزَادِ[2]
وكل مُعَبَّدٍ قد أعلمتْهُ — مناسِمُهُنّ طَلَّاعِ النِّجادِ[3]
أرَى الحاجاتِ عند أبي خُبَيْبٍ — نكِدْن ولا أُميّة بالبلادِ[4]
من الأعياصِ أو من آل حَرْبٍ — أغَرَّ كَغُرّةِ الفَرَسِ الجَوَادِ

قال : فالكاهليّة إحدى جَدَّاتِ ابن الزُّبير ، فقال : علم أنها ألأم جَدَّاتي فَسَبّني بها قال القاضي رضي الله عنه : إن في قول ابن الزبير إنّ وراكبها معناها نعم ، وهي لغةٌ مشهورة يمانيّة ، وقد حمل قوم عليها إنّ في قول الله عزّ وجل : ﴿ إنّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾[5] فقالوا : المعنى نعم ، وجاء في بعض فصيح الخطب : إنّ الحمدُ لله ، برَفْعِ الحمد ، بمعنى نعم الحمد لله ، ومن ذلك قول الشاعر :

بكرت عليّ عواذلي — يَلْحَوْنَنِي وألُومُهُنَّهْ
ويَقُلْنَ شيبٌ قد علا — كَ وقد كَبِرْتَ فقُلتِ إنّهْ[6]

---

(١) ذات عرق : موضع وهو الحد بين نجد وتهامة ، ومعا : أي موعد .
(٢) نص المطايا : سيرها الشديد ، أو هو ضرب من المشي فيه ظهور وارتفاع ، ومن هذا اشتق اسم المنصه ، والأداوى جمع إداوة وهي المطهرة ، والمزاد : الأسقية واحدها : مزادة .
(٣) المعبد : الطريق الواضح الذي عبد ومهد من كثرة السير فيه ، والمناسم : أطراف أخفاف الإبل ، واحدها منسم (بفتح الميم وكسر السين) ، والنجاد : جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض ، وطلاع النجاد : هو السامي لمعالي الأمور ، وهو صفة للطريق على سبيل المجاز . وهو يريد : وكل طريق معبد لا يسلكه إلا السامق لمعالي الأمور .
(٤) أبو خبيب : كنية عبد الله بن الزبير ، ونكون : تعسرن ، وقد استشهد النحويون بهذا البيت في باب لا النافية للجنس ، وذلك أن مدخول (لا) لا يكون إلا نكرة ، وهو ها هنا معرفة ، وقد تؤول على تقدير : « ولا أمثال أمية في البلاد » ، أو على تقدير : ولا أجواد في البلاد ، لأن بني أمية اشتهروا بالجود ، فأول العلم باسم الجنس لشهرته بهذه الصفة .
(٥) سورة طه ، الآية ٦٣ .
(٦) البيتان لعبد الله بن قيس الرقيات ، وهما في ديوانه ٦٦ ، والكتاب لسيبويه ١/ ٤٧٥ ، واللسان أنن ، ومغنى اللبيب ٣٨ ، ٦٤٩ ، والبيان والتبيين ٢/ ٢٧٩

يعْني بقوله إنه : نعم ، والهاء للسّكْتِ والوقف ، كقولهم : تعاله ، والقول مستقصي عَلى شرحه في إن هذه وفيما أتى من القرآن والتلاوات في قوله : إن هذان في مواضعه من تآليفنا وإملائنا ، وقول ابن فضالة في شعره هذا : نَصُّ المَطَايا [النصُّ][1] ضَرْبٌ من السَّيْر فيه ظُهُور وارتفاع ، ومن هذا إشْتُقَّ اسم المِنَصَّة أعني الإرتفاع والظهور ، ورُوي عن النبي ﷺ في قصّة ذُكرت[2] أنه كان يسيرُ العَنَق فإذا وجد فجوة نَصَّ ، ومنه : نصصتُ الحديث إلى صاحبه أي رفعته إليه ، وقال امرؤ القيس :

وجيدٍ كجيد الرئم ليس بفاحشٍ إذا هي نَصَّته ولا بِمُعَطَّلِ[3]

وقوله : وكل معبّد : المعبّد المذلّل ، قال طرفة :

إلى أن تحامَتْني العَشِيرَةُ كلُّها وأُفْرِدْتُ إفرادَ البَعير المعَبَّدِ[4]

وأبو خُبَيْب : هو عبدالله بن الزبير ، كان يكنى أبا خبيب وأبا بكر . وقال الشاعر فيه ، وفي أخيه مصعب :

قَـدْنِيَ من نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِي ليس أَمِيري بالشَّحِيحِ المُلْحِدِ[5]

---

(١) الكلمة ساقطة من الأصل .

(٢) القصة التي ذكرت هي حجة الوداع ، وفيها هذه العبارة بنصها انظر سيرة ابن هشام .

(٣) ديوانه امرؤ القيس .

(٤) ديوانه طرفه .

(٥) انظر هذا البيت أو البيتان من الرجز المشطور في اللسان (لحد) ونسب فيه لحميد بن ثور الهلالي ، وذلك نقلاً عن الجوهري في الصحاح ، ثم نسبه لحميد الأرقط نقلاً عن ابن بري الذي نفى كونه لابن ثور كما زعم الجوهري ، وقد نسب في اللسان (خبب ، وقدد) لحميد الأرقط ، وانظر الأنصاف في مسائل الخلاف ١٣١ ، فقد ورد فيه البيت دون نسبة ، وذكر الشيخ محيى الدين نقلاً عن ابن يعيش ص ٤٤٢ أنه لأبي بحدلة ، وقد ورد في سيبويه ٢/ ٢١٨ ، وذكر الأستاذ هارون أنه لأبي نخيلة .

يروي الخُبَيْبين مثنى ، يُراد هو وأخوه ، ويروي الخَبيبِينَ على الجمع ، من باب الأشاعثة والمسامعة والمهالبة ، يرادُ هو وذَوُوه ، وقوله : ولا أميّة في البلاد نصب بلا النافية ، وإنما تعملُ في النكرة دون المعرفة ، لأنه أراد : ولا مثل أمية ، كما قال الآخر :

لا هَيْثَمَ اللَّيْلةَ لِلْمَطِيِّ(1)

أي لا مثل هيثم ، وقوله : من الأعياص ، نسب بني أمية مقسوم على الإضافتين الأعياص والعنابس والأعياص أعلاهما .

قال القاضي رحمه الله : ابن الزبير حين ذكر الكاهليَّةَ ونسبة ابن فَضَالة إياه إليها معنى لطيف ، وتَعْريض بسبِّه أبلغ من التصريح ، إذ علم أن الكاهليَّة ألأم أمهات ابن الزُّبير فسبَّه بها ، فالسَّبُّ راجعٌ عليه بأعظم من سَبِّه من هجاه ، إذ بنو كاهل رهط ابن فَضالة وعصبته .

وقول ابن الزبير : ارقعها بسِبْت ، السبت : جلودٌ يؤتى بها من اليمن تُتّخذ منها النّعال ، وهي من جلود البقر ، وكانت من ملابس الملوك ، وروي أن النبيَّ ﷺ قال لرجل رآه يمشي في المقبرة لابسا شيئاً منها : يا صاحب السبتين : اخلع سِبْتَيْك .

وقال عنترة يصف رجلاً بالنُّبل وتَمام الخَلْق :

بَطَلٌ كأنّ ثيابَهُ في سَرْحَةٍ يَحْذَى نِعَال السِّبْتِ ليس بتَوْأمِ(2)

وقوله : اخصفها بِهُلب : يعني ما أخذ من شعر الذنب ، وقوله : وأَنْجِدْ بها ، يريد : ائت بها نجداً : أنجد الرجل إذ أتى نجداً ، وأغار إذا

---

(1) البيت دون نسبة في سيبويه ٢/ ٢٩٦ وانظر هامشه .
(2) ديوان عنترة ٢٢٠ .

أتى الغور ، ومن كلام العرب « أنجد من رأى حِضْناً » أي شارف نجداً ، وحصن جُبَيْل ، قال الأعشى :

نَبيٌّ يَرَى ما لا تَرَوْنَ وذِكْرُهُ أَغَارَ لَعَمْرِي في البلاد وأَنْجَدَا[1]

وقوله : وسِر عليها البَرْدَيْن : البَرْدَان : أولُ النَّهار وآخره ، ورُوي عن النبيّ ﷺ أنه قال : « مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَل الجنَّة » . قال : الله عز وجل : ﴿ وَأَقِمِ الصلاة طَرَفَيِ النَّهارِ وزُلَفاً من اللَّيل ﴾[2] ومن الدليل على ما قلناه في معنى البَرْدَين قول حُمَيد بن ثَوْر الهلالي :

فلا الظِّلُّ من بَرْدِ الضُّحى نَستطِيعُه ولا الفَيْءُ من برد العَشِيِّ نذوقُ[3]

[ما رأيكم في صفعه]

حدثنا محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : ثنا عبدالله بن عبدالله بن طاهر ، قال : حدثني الفضل بن محمد اليزيدي ، قال :

كنتُ أختلف إلى محمد بن نصر ويقرأ عليّ أولادهُ الأشعار ، وكذلك إلى وَلَدِ عبدالله بن إسحاق بن إبراهيم ، وكان محمد بن نصر وعبداللّه بن إسحاق صِفْرَيْن من الأدب ، على جلالة مروءتهما وشرفهما وسَرْوِهما ، فاجتمعا يوماً في مجلس يشبه مجالس الخلفاء ، وأُحضر طعام كطعامهم ثم ضُرِبت ستارةٌ وجلسا وبين أيديهما أولادهما ، فغنَّت السِّتارةُ بشعر جرير :

---

(١) ديوانه ٤٦ من قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ .

(٢) الحديث الشريف في الجامع الكبير ١/ ٧٩٣ ، وقال هو في صحيح مسلم رواية عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن أبيه ، وفي صحيح ابن حبان رواية عن أبي بكر بن عمارة ، عن أبيه .

(٣) سورة هود ، الآية ١١٤ .

(٤) سبق هذا البيت فيما مر من صفحات .

ألا حَيِّ الدِّيارَ بِسُعْـدَ إنِّي   أُحِبُّ لحبِّ فاطمةَ الدِّيَارَا[1]

فقال : عبدالله بن إسحاق لمحمد بن نصر : يا أخي ! لولا حُمْق العرب وجهلها ما ذكر السُّعْدُ هاهنا ، فقال محمد بن نصر : لا تفعل يا أخي فإن فيه منافع ، يَشُدُّ اللِّثة ويُطَيِّبُ النكهة ويُصلح المعدة ، فالتفت عليّ بن محمد إلى إخوته وإلى ولد عبدالله فقال : أما أنا فقد أطلقت على هذا العلم أن يُصْفَع أبي ، فما رأيكم أنتم ؟ فقالوا : مثل رأيك ، وامتلأ المجلس ضحكاً .

[المأمون وكلب الجنة]

حدثنا عبد الباقي بن قانع ، حدثنا محمد بن زكريا ، قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن ، قال : حدثني بعضُ الهاشمين ، قال :

خرج المأمون يوماً من الرُّصَافة يريدُ الشَّمَاسِيَّة[2] فدنونا من ركابه فسلّمنا عليه وقبّلنا يده ، قال : وكان أمامي رجلٌ من الطالبيِّين يُلَقَّب بكلب الجنة ، وكان طيِّباً ظريفاً ، فلما دنا من المأمون قبَّل يده ، فقال له المأمون كالمسرِّ إليه : كيف أنت يا كلب الجنة ؟ قال : أما الدَّنانيرُ والدراهم والزِّينة فلعمرو بن مَسْعَدَة[3] وأبي عَبَّاد[4] ، وأمّا الطَّنْزُ[5] والتَّجمهر فلبني

---

(١) البيت في ديوانه ٢١٩ من مطلع قصيدة في هجاء الفرزدق ، والسعد بضم السين وسكون العين : ماء وقربة ونخل غربي اليمامة ، وقيل هو غربي اليمامة بقرقرى ، انظر معجم البلدان ٣/ ٩١ .

(٢) الشماسية : محلة مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد ، وإليها ينسب باب الشماسية ، وفيها كانت دار معز الدولة بن بويه ، وباقي المحلة كله أرض موحشة يتخطف فيها اللصوص ثياب الناس ، وهي أعلى من الرصافة ، معجم البلدين ٣/ ٣١٨ .

(٣) هو عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول ، أبو الفضل الصولي ، وزير المأمون وأحد الكتاب

هاشم ، فردّ المأمون كُمَّهُ على فيه ، وقال : ويلك كُفّ لا تفضحني ، قال : لا والله أوتضمن لي شيئاً تُعجِّلُه لي ، قال : العشية يأتيك رسولي ، فأتاه عمرو بن مَسْعدة بثلاثين ألف درهم .

[ويخرج بأسلحته لنصرة المأمون]

وحدثنا عبد الباقي بن قانع ، قال : حدثنا محمد بن زكريا ، قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن ، قال : حدثني هذا الهاشمي ، قال : ركب المأمون يوماً إلى المَطْبَق وبلغ القُوّاد ركوبه فتبعوه ، قال : فكان كَلبُ الجنة ممّن ركب تلك العَشِيّة ، قال : فَبَصُر به المأمون وفي يده خَشَبةٌ من حَطَبِ الوَقُود ، وفي اليد الأخرى لحافه ، فقال : كلب الجنة ؟ قال : نعم كَلْبُ الجنة بلغه ركوبك فجاء لِنُصْرتك ، والله ما وجدتُ سلاحاً إلّا هذه المشقّقة من حَطَب البَقّال ، ولا تُرساً إلا لحافي هذا ، وعياشُ بن القاسم في بيته ألف تُرس وألف دِرْع وألف سيف قائم غير مكترث فوصله بثلاثين ألفاً ، وجاء عياش يركض ، فشتمه المأمون وناله بمكروه .

[أوّلُ مَكْسٍ وضع في الأرض]

وحدثنا علي بن محمد بن الجهم أبو طالب الكاتب ، قال : حدثنا

البلغاء ، كان يوقع بين يدي جعفر البرمكي في أيام الرشيد واتصل بالمأمون فرفع مكانته وأغناه وله رسائل وتوقيعات كثيرة في ثنايا كتب الأدب ، وكان جواداً فاضلاً نبيلاً ، توفي في أذنة بتركيا سنة ٣١٧ هـ .

انظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٢/ ٢٠٣ ، ومعجم الأدباء ٦/ ٨٨ .

(٤) أبو عباد : هو حاجب المأمون ، وقد مر ذكره .

(٥) الطنز : السخرية .

العباس بن عبدالله الترقّفي ، قال : حدثنا محمد بن يوسف القرباني ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت هشام بن الحارث يقول :

أوّلُ مَكْسٍ وُضع على وجه الأرض ، خرجتْ عجُوزٌ على عهد سليمان النبيِّ ﷺ ، ومعها دَقيقٌ لها فسكبتْهُ الرِّيحُ فَذَرّتْه ، فأتَتْ سليمان تَسْتَعدِي على الريح ، فقال : انظروا من طابتْ له الرِّيحُ اليوم في البحر فأغرِموه دقيقها .

قال : القاضي رحمه الله : الذي أتت به شريعة النبيّ ﷺ في هذا أن لا عوض مِمّا تَذْرُوه الريح على من طابَتْ له وعلى من لم تَطِبْ له وشريعةُ نبيِّنا هي المأخوذُ بها إلى يوم القيامة وما خالف شيئاً منها في الصُّورَةِ من شرائع الأمم الخالية والقرون الماضية فهو منسوخ بما أتت ، وهذا الخبر لم يأت من طريق ينقطع العُذْر به ويقطع على مغيّبه ، ولا عُزِي إلى من تجب الحُجَّةُ بقوله ، وإن ثبت أن نبي الله سليمان عليه السلام قضى هذه القضية ، فإنها كانت هكذا في شريعته إذ هو نبيٌّ مَعْصومٌ ولا يقضي بغير الحق ، ولا يحكُم بخلاف العدْل ، وقد قال الله جلّ ذكره : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً ومِنْهاجاً ، ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدةً ولكنْ لِيَبْلُوَكُم فيمَا آتاكُمْ ﴾[1] ، وقال : جل ثناؤه : ﴿ تلك أمةٌ قَدْ خَلَتْ لها ما كَسَبَتْ ولكم ما كَسَبْتُم ولا تُسْألُون عما كانوا يَعْمَلُون ﴾[2] .

قال القاضي : ولم يكن من الصَّواب عندي أن يُعَبِّر فيما أتى به هذا الخبر بالمكس ، إذ المكسُ ما يأخُذُ الظالمون من العَشّارِين وغيرهم من المسلمين قَسْراً بغير -   وقد رُوي عن النبيّ ﷺ في بعض الزُّناة وغيرهم

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٤٨ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ١١٤ .

أنه قال : « لقد تاب هذا توبةً لو تابها صَاحِبُ مَكْسٍ لغُفِر له » ، وفي بعض المُحرَّمات : « مَنْ فعل هذا كان عليه من الإثم مثل ما عليه صاحب مَكْس » ، وكُلّ هذا ينبىءُ عن عظيم إثم المكس ، وفي المكس قول الشاعر :

وفي كل أسْواقِ العراق إتاوةٌ وفي كل ما باع امرؤ مَكْسُ درهم[1]

(١) البيت في اللسان (مكس) ضمن ثلاثة أبيات منسوبة لجابر بن حنى التغلبي ، وهو برواية ، أفي كل أسواق . . الخ .

المجلس الثاني والخمسون

[مكافأة قيمة على تصحيح كلمة من حديث شريف]

حدثنا محمد بن محمود بن أبي الأزهر الخراعي ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : حدثني النَّضْرُ بن شُمَيل[1] ، قال :

دخلتُ على أمير المؤمنين المأمون بمرو ، وعليَّ أطْمَارٌ مُتَرَعْبِلة[2] ، فقال : لي : يا نَضْر أتدخلُ على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين إن حَرّ مَرْو لا يُدفع إلاّ بمثل هذه الأخْلاقَ ، قال : لا ، ولكنّك تتقَشَّف ، قال : فتجاذبنا الحديث ، فقال المأمون : حدثني هُشَيم بن بشير[3] ، عن مُجَالد ، عن الشَّعْبي ، عن ابن عباس ،

---

(١) هو النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني التميمي ، أبو الحسن ، ولد بمرو من بلاد خراسان وانتقل إلى البصرة صغيراً مع أبيه وأصله منها فأقام زمانا ، ويعد أحد الأعلام في معرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة ، وقد اتصل بالمأمون فأكرمه وقربه ، وولاه قضاء مرو ، فتوفي بها عن ثمانين عاماً سنة ٢٠٣ هـ .
انظر ترجمته في طبقات الأدباء ٨٥ـ ٨٨ ، وفيات الأعيان ٢/ ١٦١ .

(٢) الأطمار جمع طمر وهو الثوب الخلق البالي ، والمترعبل : المتمزق المقطع .

(٣) هو هشيم بن بشير بن القاسم السلمي ، ترجمته في تهذيب التهذيب ١١/ ٥٩ .

قال : قال : رَسُول الله ﷺ : «اذا تَزَوَّج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سَدَادٌ من عَوَز »[١] . قلت : صدق قول أمير المؤمنين عن هشيم ، حدثني عوف الأعرابيّ ، عن الحسن[٢] ، أن النبيَّ ﷺ ، قال : « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سِدَادٌ من عَوَز » فكان المأمون مُتّكِئاً فاستوى جالساً ، وقال : السَّدَادُ لحنٌ يا نَضْر ؟ قلت : نعم هاهنا ، وإنما لَحَن هُشَيم وكان لَحَّاناً ، فقال : ما الفرقُ بينهما ، قلت : السَّداد : القصد في السَّبيل ، والسِّداد : البُلْغَةُ وكل ما سَدَدْت به شيئاً فهو سِداد ، قال : أفتعرف العربُ ذلك ، قلت : نعم ، هذا العَرْجِيُّ[٣] من ولد عثمان بن عفّان ، يقول :

أضَاعُوني وأيَّ فتى أَضَاعُوا ليوم كريهةٍ وسِدَادِ ثَغْرِ

فأطرق المأمون مليًّا ثم ، قال : قَبَّح الله من لا أدب له ، ثم قال : أنشدني يا نَضْر أخلب بيت للعرب ، قلت : قول ابن بيْضٍ في الحَكَمِ بن مَرْوان :

تقولُ لي والعيونُ هَاجِعَةٌ أقِمْ علينا يَوماً فلم أُقِم
أيّ الوُجُوه انتجعتَ قلتُ لها : لأيِّ وجه إلاّ إلى الحكمِ
متى يَقُلْ حاجبَا سُرَادِقِهِ هذا ابن بيضٍ بالباب ، يبتسمِ
قد كنت أسلمتُ قبلُ مقتبلاً هيهات أدْخُلُ أعْطِني سَلَمِي

قال القاضي : قوله : أسلمت مقتبلاً ، معناه أسلفت وأخذت قبل

---

(١) زاد في طبقات الأدباء : فأورده بفتح السين .
(٢) في طبقات الأدباء : عن الحسن ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
(٣) هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، المعروف بالعرجي ، شاعر مشهور ، ترجمته في الأغاني ١/ ٣٨٣ - ٤١٧ .

قبيلاً يعني كَفِيلاً ، ومن السَّلف من كَرِه الرَّهن والقبيل في السَّلَم ، ومنهم من أجازه ، وقال : استوثَقَ من حقّه ، فقال المأمون : لله دَرُّك ! فكأنما شُقَّ لك عن قلبي ، أنشدني أنصف بيت قالته العرب ، قلت : قول ابن أبي عَرُوبة المديني يا أمير المؤمنين :

إني وإن كان ابنُ عمي عاتباً ... لَمُـزَاحِم من خَلْفه وورَائِـهِ
ومُفِيدُهُ نَصْرِي وإن كان امْرَأً ... مترجْرِجاً في أرضه وسمائِه
وأكـون والي سِرِّه وأصـونُـهُ ... حتى يحيز إليَّ وقت أدائـهِ
وإذا الحوادثُ أجحفتْ بسَوَامِهِ ... قَرَنَتْ صَحِيحَيْنَا إلى جُرَبَائِـهِ
وإذا أتى من وجهه بطريفـةٍ ... لم أطَّلِعْ فيما وراء خبائِـهِ
وإذا ارتدى ثوباً جميلاً لم أقل ... يا ليت أنَّ عليَّ حُسْن رُوَائِهِ

فقال : أحسنت يا نَضْر ، أنشدني الآن أقنع بيتٍ للعرب ، فأنشدته قول ابن عبدل[1] :

إنـي امْـرُؤٌ لـم أزَلْ وَذَاك من اللّـهِ ... أديبـاً أُعَـلِّم الأَدَبـا
أُقِيمُ بالدَّارِ ما اطمأَنَّتْ بي الدّ ... ارُ وإن كنتُ نَـازحاً طَـربـا
لا أجْتَـوِي خَلَّةَ الصَّديق وَلاَ ... أُتْبِـعُ نفسِي شيئاً إذا ذهبـا
أطلبُ ما يَطْلُب الكريمُ من الرِّ ... زْقِ بنَفْسِي وأجمـلُ الـطلبـا
وأحْـلِبُ الثَّـرَّةَ الـصَّـفِـيَّ ولاَ ... أُجْهِـدُ أخْـلاَفَ غـرِيبٍ حَلَبَـا

قال ابن أبي الأزهر : ويروي الضَّفِيّ ، قال أبو بكر : وسمعتُ بُنْداراً

---

(١) في الأصل : ابن أبي عبدل ، وصحته كما أثبت ، فهو الحكم بن عبدل الأسدي ، من الشعراء المقدمين في عهد بني أمية ، أخباره في الأغاني ٢/ ١٤٤ ، وتهذيب ابن عساكر ٤/ ٣٩٦ .

الكَرْخِيّ ، يقول : لا أحب الضَّفيّ بالضاد فيما يرويه النَّاس ، لأن الضَّفِيَّ يكون للمَلِكِ دون السُّوقَة ، والصَّفِيُّ بالصاد أبلغ في المعنى لأنها الغزيرة اللبن ، قال القاضي رحمه الله : والذي حُكِيَ في هذا عن بُنْدار قريب ، وجائزٌ أن يكون الصَّفِيُّ بمعنى الشيء الذي يُخْتار ويُصطَفى ، وإن كان مُصطفيه غير ملكٍ ، لأن صَفِيَّ المال إنما وُسِمَ بهذه السِّمة لأن الملك اصطفاه لنفسه ، وجائزٌ أن يصطفيه الملك ثم يصير لبعض السوقة ، وجائز أن يقال للشيء الكريم صَفِيٌّ بمعنى أنه لنفاسته مما يصطفيه الملوك ويصلح أن يصطفوه ، فيعبَّر عنه بذلك قبل أن يُصْطَفى ، كما قال اللّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ ولا يَأْبَى الشُّهَدَاءُ إذَا مَا دُعُوا ﴾[1] فسَمَّاهم شهداء قبل أن يشهدوا ، وكقوله : ﴿ إنّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً ﴾[2] وكانت الملوكُ قبل الإسلام تَصْطفي من الغَنِيمة عِلْقاً منها كريماً أو غُرَّة مشتراة لأنفسها فيأخذه دون الجيش ، وفي ذلك يقول الشاعر[3] :

لـك المِرْبـاعُ مِنْها والصَّفَـايَـا وَحُكْمُـكَ والنَّشِيطةُ والفُضُـولُ

يعني بالمرباع : رُبْع الغنيمة ، والصَّفايا : جمع صفِيّة ، وهي ما ذكرنا ، وقوله : وحكمك أي ما تتحكَّم فيه وتحكمُ به ، والنَّشِيطَةُ ما تنشطه من المغنم فتأخذُه ، والفضول ما فضل عن القسمة أو كان القَسْمُ لا يَحْتَمله ، ثم جعل الله تبارك وتعالى لنبيِّه ﷺ فيما غنمه المسلمون من المشركين الخُمْس ولذوي القُربى من رَهْطِه ومن سَمَّى معهم ، فحطّ ما جعل له عن قَدْر ما كانت الملوك تأخذه قبله ، تَطْيِيباً

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٣٦ .

(٣) البيت لعبد الله بن عنمة يمدح عمه بسطام بن قيس ، انظره في اللسان (صفا).

لنفوس أصحابه ، وتوكيداً لما نَزَّهَهُ عن أخذ الأجر على ما جاء به ، وروي عن النبيّ ﷺ أنه قال : « مالي في هذا المال إلاّ الخُمْس ، وهو مَرْدُودٌ فيكم »[1] ، وكان ﷺ يأخذ منه حاجته لمؤونته ومؤونة أهله ، ويصرف ما بقي مما خلص له وهو خُمْس الخُمسِ في الكِراع والسِّلاح وما كان تأييداً للدّين وعَتَاداً لنوائب المسلمين ، وكان له ﷺ الصَّفِيُّ أيضاً ، فكان يأخذه من أصل الغنيمة ، وروي أنه ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غَارُّون[2] ، فقتل مقاتلهم وسَبَى ذَرَاريهم ، واصطفى منهم جُويرية ابنة الحارث .

رجعنا إلى تمام الشعر ، شعر ابن عبدل وبقيّة الخبر المتضمّن له :

إني رأيتُ الفتى الكريم إذا ... رغَّبْتَهُ في صَنِيعةٍ رَغِبَا
والعَبْدُ لا يطلُبُ العلا ولا ... يُعطيك شيئاً إلا إذا ضُربا
ولم أجد عُرْوَةَ الخَلائقِ إلا الدِّ ... يْنَ لمَّا اخْتَبَرْتُ والحَسَبَا
قَدْ يُرْزَقُ الخافِضُ المقيم وما ... شَدَّ بِعَنْسٍ رَحْلاً ولا قَتَبَا[3]
ويُحْرمُ الرِّزْقَ ذو المطيةِ والرَّ ... حْلِ ومن لا يَزَالُ مُغْتَرِبَا

قال : أحْسَنْتَ يا نضر ، أفعندك ضِدُّ هذا ؟ قلت : نعم ، أحسنُ منه ، قال : هاته ، فأنشدته :

يدُ المعروف غُنْمٌ حيثُ كانت ... تَحَمَّلَهَا كفورٌ أو شَكُورُ[4]

---

(1) نص الحديث كما ورد في الجامع الكبير للسيوطي ١/ ٧١٠ : « مالي من هذا المال إلا مثل ما لأحدكم ، إلا الخمس وهو مردود عليكم ، فأدوا الخياط والمخيط وما فوقها ، وإياكم والعلول فإنه عارٌ ونارٌ وشنارٌ على صاحبه يوم القيامة » ، وقال رواه الإمام أحمد في مسنده ، والطبراني في معجمه الكبير ، عن العرباض .

(2) غارون : غافلون .

(3) هذا البيت وما بعده في بهجة المجالس ١/ ١٤٦ ،وحماسة أبي تمام ٢/ ٥٠ ، ومعجم الأدباء ١٠/ ٢٣٩ ، والعنس : الناقة القوية .

(4) البيت لعبد الله بن المبارك رضي الله عنه ، وهو في بهجة المجالس ١/ ٣٠٧ وبعده بيت آخر هو :

فقال : أحسنتَ يا نضر ، وأخذ القِرطاسَ فكتب شئاً لا أدري ما هو ، ثم قال : كيف تقول : أَفْعِلْ من التراب ؟ قلت : أَتْرِب ، قال : الطِين؟ قلت : طِنْ ، قال : فالكتابُ ماذا ؟ قلت : مُتْرَبٌ مَطِين ، قال : هذه أحسن من الأولى ، قال : فكتب لي بخمسين ألف درهم ، ثم أمر الخادم أن يوصِّله إلى الفضل بن سهل ج فمضيتُ معه ، فلما قرأ الكتاب قال : ي نَضْر ! لَحَّنْتَ أمير المؤمنين ؟ قلت : كلّا ، ولكنّ هُشَيماً لحّانة ، فأمر لي بثلاثين ألفاً ، فخرجت إلى منزلي بثمانين ألفاً [(1)] وقال لي الفضل : يا نَضْرُ ! حدّثني عن الخليل بن أحمد ، قلت : حدّثني الخليلُ بن أحمد ، قال : أتيتُ أبا ربيعة الأعرابيّ وكان من أعلم ما رأيتُ ، وكان على سطح أو سُطَيح ، فلما رأيناه أشرنا إليه بالسَّلَام ، فقال : اسْتَوُوا ، فلم نَدْرِ ما قال ، فقال لنا شيخٌ عنده : يقول لكم : ارْتَفِعُوا ، فقال الخليل بن أحمد : هذا من قول الله جل وعزّ : ﴿ ثم اسْتَوَى إلى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾[(2)] ، ثم ارتفع ثم قال : هل لكم في خبزِ فطيرٍ ولبنٍ هجيرٍ وماءٍ نمير ، فلما فارقناه ، قال : سلاماً ، قلنا : فسِّرْ قولك هذا ، فقال : مُتَارَكَة لا خير ولا شرّ ، فقال الخليل : هذا مثل قول الله جلّ وعزّ ﴿ وإذا خَاطَبَهُم الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾[(3)] أي مُتَارِكةً .

قال القاضي رحمه الله : قوله في الخبر أطمارٌ مُتَرَعْبِلَة ، يريد ثياباً متقطعة ، يقال : رَعْبَلْتُ الثوبَ وغيرَهُ إذا قَطَّعْتُه ، قال الشاعر :

ففي شكر الشّكور لها جزاء وعند الله ما كفر الكفور

(١) القصة إلى هنا دون ما فيها من أشعار في ترجمة النضر بن شميل في طبقات الأدباء لابن الأنباري ٨٥ - ٨٨ .

(٢) سورة فصلت ، الآية ١١ .

(٣) سورة الفرقان ، الآية ٦٣ .

يا من رأى ضَرْباً يُرَعْبِلَ بعضُهُ بعضاً كَمَعْمَعَةِ الأبَاءِ المُحْرَقِ[1]

الأباء : القصب ، قال القاضي : خبر النَّضرِ بن شُمَيْل هذا قد كتبناه من طُرقٍ شتّى متقاربة الألفاظ والمعاني ، وفيه زيادة ليست في غيره ، والأشعار التي أنشدها النَّضْر المأمونَ فيه لمّا استنشده غير ما في سائر ما كتبناه من قِبَل الرواية المشهورة ، وهي بليغة حَسَنَة ، فرأيت إحضار هذه الرواية ليتكامل للناظر الفائدة في كتابنا ، وإن تكرر بعض ألفاظ مَتْنِ الخبر .

[الرواية الأخرى]

حدثنا عبدالله بن إسحاق بن إبراهيم الخراساني ، قال : أحمد بن عبيد بن ناصح ، قال : أبو زيد ، قال : النَّضْرُ بن شميل : قال : دخلتُ على المأمون ، وعليّ أطمارٌ أخلاقٌ غَسِيل[2] ، فقال لي : يا نضر ! تدخل عليّ في مثل هذه الأخلاق ؟ ثم قال : نحمل منك هذا على التَّقشُّف ، ثم تجاذبْنا الحديث ، فقال : المأمون : حدثنا هُشَيم بن بشير ، عن مُجَالد ، عن الشَّعْبي ، عن ابن عباس ، قال : قال : رسول الله ﷺ : « إذا تزوّج الرجلُ المَرْأةُ لدينها وجمالها وكمالها كان فيه[3] سَداد من عَوَز » ، قال : فقلت : يا أمير المؤمنين : أخبرني عوف الأعرابي ، عن الحسن ، عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها وكمالها كان فيه سِداد من عَوَز » وكان مُتَّكِئاً ،

(١) البيت لابن أبي الحقيق ، برواية : من سره ضرب الخ ، وهو في اللسان (رعبل) .
(٢) غسيل : أي مغسول .
(٣) كان فيه : أي في الزواج .

فجلس واستوى ، وقال : يا نَضْر ! السَّداد في هذا الموضع لحنٌ ؟ قلت : نعم، يا أمير المؤمنين، وإنما لَحَنَ هُشيم، فقال لي : ما الفرقُ بين السَّداد والسِّداد ، قلت : السَّداد : القَصْدُ في الدِّين والسَّبِيل ، والسِّداد : البُلْغَةُ في الشّيءِ أَسُدُّ به الشيء ، فقال : هل تعرف ذلك العربُ ؟ قلت : نعم ، هذا العرْجِيُّ من ولد عثمان بن عفان ، يقول :

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فتىً أَضَاعُوا   ليوم كريهةٍ وسِدَادِ ثَغْرِ
كأني لم أكن فيهم وسيطاً   ولم تك نِسْبَتِي في آلِ عَمْرِو

فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه ، وقال : قبّح الله من لا أدب له ، ثم تجاذبا الحديث ثم قال : قَبَّح اللَّهُ اللَّحن ، قلت : ما لحن أمير المؤمنين ، وإنما لحن هُشَيم ، وكان هُشَيْم لَحَّانَةً ، فَتَبع أمير المؤمنين ألفاظه ، قال : وكيف روايتك الشِّعر ، قلت : قد رويت الكثيرَ منه ، قال : فأنشدني في أحسن ما قالت العربُ في الحكم ، فأنشدته :

إذا كان دُونِي من بُلِيتُ بجهلهِ   أبَيْتُ لِنَفْسِي أن أُقَابِل بالجَهْلِ
وإن كان مِثْلِي في مَحَلي من العُلا   هَوَيْتُ إذاً حِلْماً وصفحاً عن المثل
وإن كنتُ أدْنَى منه في الفَضْل والحِجَا   فإنَّ له حَقَّ التَّقَدُّمِ والفَضْلِ

قال : ما أحسن ما قال ! فأنشدْنِي أحسن ما قالت العرب في الحَزْمِ ، فأنشدته :

على كلِّ حالٍ فاجعل الحَزْمَ عُدّةً   لما أنت باغيه وعوناً على الدَّهْر
فإن نلتَ أمراً نلته عن عزيمةٍ   وإن قصَّرت عنه الحقوق ففي عذْرِ

فقال : ما أحسن ما قال ! فأنشدني ما قالت العرب في إصلاح العَدُوِّ ، حتى يكون صديقاً فأنشدته :

وذي غيلة سالمته فقهرتُهُ فأوقرته مني بِعِبْءِ التجمُّلِ
ومن لا يدافع سيئات عدوّه بإحسانه لم يأخذ الطول من عَلِ
ولم أر في الأشياء أسرع مهلكا لضغنٍ قديمٍ من ودادٍ مُعَجَّلِ

قال : ما أحسن ما قال ! فأنشدني أحسن ما قالت العرب في السكوت ، فأنشدته :

إني ليهجرُني الصديق تَجنّباً فَأُرِيه أنَّ لهجره أسْبَابَا
وأراه إن عاقبتُه أغريته فيكون تركي للعتاب عتابا
وإذا بُليتُ بجاهلٍ متحكم يَجِدُ المحال من الأمور صَوَابا
أوليته منى السكوت وربما كان السكُوتُ عن الجواب جوابا

ثم قال : ما مالُك ؟ قلت : أرَيْضَةٌ بمرْوِ الرَّوذ أتَمَزَّزُها[1] ، قال : أفلا نفيدك مالاً ؟ قلت : إن رأى أمير المؤمنين ذلك ، فدعا بدواةٍ وقرطاسٍ وكَتَب ، ولا أدري ما كتب ، ثم قال: إذا أردت أن تُتْرِبَ الكتاب كيف تأمر، قلت : يا غلام أتْرِبِ الكتاب ، قال : فهو ماذا ؟ قلت : مُتْرَبٌ ، قال : فمن السَّحَاة[2] ، قلت : يا غلام أسْحِ الكتاب ، قال : فهو ماذا ؟ قلت : كتاب مُسْحىً ، قال : الطين ، قلت : يا غلامُ طِنِ الكتاب ، وأطِنِ الكتاب ، قال : فهو ماذا؟ قلت : مَطِينٌ ومُطَان ، قال : يا غلام اتْرِبْ واسْحِ وطِنْ ، ثم قال : امْضِ إلى الفَضْل بن سهل بهذا الكتاب ، فمضيت فأوصلته ، فقال : بم استأهلت أن يأمر لك بخمسين ألف درهم ؟ فحدّثتُه الحديث على جهته ، فقال : لَحَّنْتَ أمير المؤمنين ؟ قلت : ما

---

(١) اتمززها : أي أمتصها على مهل لقلة ما فيها .
(٢) سحا الكتاب : قشره ، وسحاه بتشديد الحاء : شده بسحاءة أي ربطه .

لحن ، وإنما لحن هُشيم ، فتبع أمير المؤمنين ألفاظه ، فأمر لي بأربعين ألفٍ أخرى من عنده ، وانصرفت بكلمة أفادوها بتسعين ألف درهم .

[تعقيب للمؤلف بشرح حال العلماء في زمنه]

قال القاضي رحمه الله : قد كان من مضى من العلماء وأهل الفضل من الأدباء ، تَمَسُّهم الفاقة ، وتنالهم العُسْرَة والإضاقة ، ثم يصلون من الخلفاء ، والسادة الرؤساء ، بيسير ما عندهم من العلم والحكمة ، والأدب والمعرفة ، إلى الحَظِّ الخطير ، والوفر الكبير ، والنَّضْرُ بن شُميل ممن اتفق له ذلك بعد شدة عظيمة لحقته ، وفاقة مُجْحِفة لزمته ، وكان أحد الأعلام ممن أخذ عن الخليل علم العربية ، وله من رواية السُّنَنِ والآثار ، والأحاديث والأخبار ، منزلته ولما أضَرَّ به إيطان البَصْرَةِ ، ونَبَتْ بها عنه المعيشة ، شرع في الظَّعْن عنها ، فذكر فيما رُوي لنا عنه من طريق لم يحضرني في هذا الوقت ، ولعلِّي أورده إذا عثرتُ عليه بعد ، أنه تَبِعَهُ سبع مائة رجل أو نحوهم من أصحابه يشيِّعونه ، وجعلوا يبكون توجعاً لمفارقته إياهم ، وأظهر لهم نحو هذا من استيحاشه وكراهته النأي عليها عنهم ، وقال : لو كان لي في كلِّ يومٍ رُبْعٌ من الباقِلَّى أَتَقَوتُه لما ظَعَنْتُ، قال الراوي : فعجبتُ من أنه لم يكن في هذا الجمع الكثير من المتفجِّعين لفقده من يكفيه هذا القدر ، ويقوم له به ، ثم إنه أتى خراسان فاستغنى وأثرى بما أسدَى إليه المأمون لمّا وصل إليه وسمع كلامه ، ووقف على أدبه ، ولقد ظهر من المأمون في هذا الخبر من النُّبْل والإنصاف لأهل العلم والتواضع لمن تجيء له من قبله فائدة ، وظهر له منه علم ومعرفة ، ما شكر الله تعالى لما أراده به ، ألا ترون إلى ما اقترحه من الأشعار في المعاني التي ذكر ، وإلى نقده إياها ، وإلى نقد استحسانه لها ، ولقد كان في

الشعراء إذا أنشده النقّاد ، والشعراء إذا أنشدوه كان من الأجواد ، ولقد رُوي لنا عنه من نقد الشعر وتبريزه في التمييز بين جيده ورديئه ، وإبرازه على أهل هذه الصناعة فيه ، وعُلُوِّهِ بالحُجّةِ عليهم عند مخالفتهم إيّاه ما يطول ذكره ،وسناتي بما يحضرنا منه في مستأنف مجالسنا هذه .

[صناعة نقد الشعر]

ونقد الشعر والتحقيق في معانيه من الصناعات التي أكثر المضطلعين لها قد عُدِمُوا وقد قَلُّوا ، وقد كان بعض من يختلف إليَّ للأخذ عنّي ، والقراءة عليَّ من أهل بعض الأطراف ، قد قرأ عليَّ شيئاً مما صنّفه ابنُ السِّكِّيت في هذا المعنى وابن قُتَيْبَة ، وما ألفه أبو الفرج قُدَامَةُ الكاتب في نقد الشعر ، والكتاب المنسوب إلى أبي عثمان الأُشْنَانْدَانِيّ[1] عَلَّق عنّي صدراً صالحاً من الزيادة في ذلك ، وشرح مستغلقه وإيضاح شكله ، وتفسير مجمله ، وتلخيص مُهْمله ، وتَخْطئةِ من أخطأ في تأويله ، ثم غاب عنّي فانقطعت عن التفرّغ لتتبع ما بقي منه ، وقد وقع إلينا في هذا الباب فِقرٌ حسنة عن شَيْخَيْ هذه الصناعةِ في زمانهما وهما أبو العبّاس النحويّان أحمد بن يحيى ، ومحمد بن يزيد[2] ، وكان محمد بن يحيى الصوليّ يتكلم كثيراً في هذا النوع ، ويَدَّعِي فيه دَعَاوَى يَدْفعُهُ عن التقدُّم فيها ، ظهورُ تأخّره عنها ، وتَفَاحُشُ خطئِهِ فيما يورده منها ، وقد أخرج قومٌ من هذا القبيل إعجابهم بأنفسهم ، وفساد تَخَيُّلهم ، إلى تخطئةِ الفحول من الشعراء

---

(١) الأشناندانى هو سعيد بن هارون ، أبو عثمان ، كان نحوياً لغوياً اديباً ، أخذ عنه أبو بكر بن دريد ، له من التصانيف كتاب الأبيات ومعاني الشعر ، توفي عام ٢٨٨ هـ .
انظر معجم الأدباء ١١/ ٢٣٢ ، كشف الظنون ١٧٢٩ .

(٢) هما أحمد بن يحيى ثعلب ومحمد بن يزيد المبرد كما لا يخفى .

الجاهليّين ، ومَنْ بعدهم من المخضرمين ، ومن بينهم من الإسلاميّين الذين قولهم حُجّة على مَنْ بَعدهم ، ومن تأخّر عنهم ؛ فأحسنُ حَالَاتِه في هذا الباب أن يكون تبعاً لهم ، فمن ذلك أن لُغْدَةَ الأصبهاني[1] أقدم على تخطئة الطبقة الأولى ، كامرىء القيس وزهير والنابغة والأعشى ومن يجري مجراهم ، فخطَّأَهُم فيما أصابوا فيه فتفاقم خَطَؤُه ، وتعاظم خَطَلُه ، وقد كنت أمللْتُ على بعض مَنْ حَضَرني ما يتبيَّن فيه قصور معرفته ، وضَعْف بصيرته ، ثم رأيت أبا حنيفة أحمد بن داود الدِّينَوَريّ[2] قد صَمِد لكتاب لُغْدَةَ هذا فنقضه ، وأورد أشياء صحيحة تُنْبِيءُ على إغفاله وضعف تأمله ، ومع هذا فلسنا ننكر أن يخطىء الرئيس في عمله ، والسابق في فهمه ، فلا يضع ذلك من قدره ، ولا يحطُّه عن مرتبته ، إذ فوق كلِّ ذي علم عليم حتى ينتهي العلم إلى ربنا عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم .

وقد كان للمتوكل خادم يُعرف « بعرق الموت » قد شدا أشياء من الأدب ، وحفظ صدراً من الشعر إلا أنه حَلّ بقلبه من النقص نحو ما حلّ بجسمه ، فظن أنه قد اضطلع بأفانين الأدب ، واطلع على بلاغات العرب ، وأخذ في نحو ما كان لُغْدة أخذ فيه ، ونسب امرأ القيس إلى ذهابه في بعض شعره عن صحة ترتيب نظمه ، ووَصْل الشَّكْل بشكْله ، وإلْحَاقِ

---

(١) هو الحسن بن عبد الله الأصبهاني المعروف بلغدة ولكذة ، أبو علي ، كان لغوياً نحوياً أديباً ، قدم بغداد وسكنها حتى توفي سنة ٢١٠ هـ ، من تصانيفه : علل النحو ، الرد على الشعراء ، والنوادر المفيدة .
انظر معجم الأدباء ٨/ ١٣٩ ، الفهرست ١/ ٨١ .

(٢) أحمد بن داود بن وتند ، أبو حنيفة الدينوري ، مهندس ، مؤرخ ، عالم بالنبات ، من نوابغ الدهر فقد جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب ، له من التصانيف : الأخبار الطوال ، والنبات وهما مطبوعان ، وله غيرها كثير ، توفي سنة ٢٨٢ هـ .
انظر ترجمته في معجم الأدباء ١/ ١٢٣ ، وإنباه الرواة ١/ ٤١ .

المِثْل بمثله ، وحَمْلِ الفَرْع على أصله ، وتَوَهَّم عليه هذا الباب من العيب ، ونَعَاهُ عليه ، وتكلف بإغفاله إصلاحه عند نفسه ، بخطأ أتى به من عنده ، وذكر هذا في بيتين من كلمة امرىء القيس التي أولها[1] :

ألا أنْعَمْ صَبَاحاً أيُّها الطَلَلُ البَالي وهل يَعمنْ مَنْ كان في العُصُر الخَالِي

والبيتان :

كـأنِّي لم أرْكَبْ جَـوَاداً لِلَذَّةٍ ولم أتبطَّنْ كَاعِباً ذَاتَ خَلْخَالِ
ولم أسْبأ الزِّقَّ الرَّوِيَّ ولم أقُلْ لِخَيْلِي كُرِّي كَرَّةً بعد إجْفَالِ

فظن أن امرأ القيس قلبَ وَجْهَ الترتيب ، وعَدَل عن مَحَجَّةِ التأليف ، وأتى بذكر الجواد في صدر البيت وقرن به تبطُّن الكاعب ، ثم صدر البيت الثاني بسبئهِ الخمر وجعل عجزه في حَثِّه الخيل على الكر ، وتوهم أن هذا متنافرٌ غير متشاكل ، ومتخالف غير متماثل ، وأن الوجه في هذا لو تنبّه عليه هو أن يقول :

كأني لم أركب جواداً ولم أقلْ لخيلي كُرِّي كَرَّة بعد إجْفَالِ
ولم أسبأ الزِّق الـرَّوِيَّ لِلَذَّةٍ ولم أتَبَطَّن كاعباً ذات خلخال

قال القاضي رحمه الله : ولو ثاب إلى هذا الخادم عَازِبُ لُبِّه ، وفُتح له القُفْل الضَّاغط عليه ، لتيقظ للوقوف على فساد تَوهُّمِه ، ولتجلَّى له الخلل فيما آثره وقدّمه ، وتعلّم أن ترتيب امرىء القيس في هذين البيتين من أصح الترتيب وأحسنه ، وأوضح التأليف وأبينه ، وأنه مُتَّسِقٌ مُسْتَتِبّ ، ومتفقٌ مُتْلَئِبٌ ، ولاستفاد علماً جمّاً لما يتبينُهُ من اطِّرادِهِ وتلاومه ، وائتلافه وتقاومه ، وأنه من أحسن الشعراء ، وقد قال رسول الله ﷺ : « إن من

---

(١) ديوانه

الشِّعْر حكمة » وأنا مُبيِّن هذا بياناً كافياً ، وملخِّصه تلخيصاً مفيداً شافياً إن شاء الله وبه التوفيق .

إن الجواد يُركب لأغراضٍ شتّى ، منها المحاربة وشَنُّ الغارة وإدْراك العدوّ والهارب ، وفوت الثائر الطالب ، وطلب الأوتار وأخذ الثأر ، والتماس المعيشة والبرهان وزيارة الإخوان ومجاراة الأقران ، والسبق والنِّضال ، والتدرب بالفروسية والقتال ، والركض والرياضة ، والإسراع والمواشكة في الحاجة ، في لواحق هذه الأمور وتوابعها ، أو ما يقاربها ويضارعها ، كالمجازاة والمضاهاة والمباهاة ، وكانوا إذا كان لهم ذَحْلٌ[1] يُحرِّمون الخمر على أنفسهم حتى يثأروا فحينئذٍ يَسْتحلُّونها ، قال امرؤ القيس :

حَلَّتْ لِيَ الخَمْرُ وكنت امْرأً عن شُرْبِها في شُغُلٍ شاغِلِ
فاليوم أسْقَى غير مُسْتَحقبٍ إثماً من اللّهِ ولا وَاغِلِ

ومنها القصدُ لضروب اللهو والمُتعة ، والنشاط والرَّتعة ، والالتذاذُ باخْتيَالِ الجواد وقطعه الجَدَد[3] ، فالركوب الذي قصد امرؤ القيس بقوله : كأني لم أركب جواداً ؛ إنما عَنَى به بَعْضَ ما فيه التذاذ ومُتعة ، ولهو ورَتَعَة ، وقد أبان ذلك بقوله : للّذة ، فكان من أليق ما يليه ، ويقرن به ما جانسه في التمتع واللهو ، إذ لم يكن ركوبه للغارة والغزو فلذلك قال : ولم أتبطَّنْ كاعباً ذاتَ خلخال ، ولو قال بعد قوله : كأنِّي لم أركب جواداً للذة ، حسب ما اقترحه وقال الخادم وأشار به ، لكان قد أتى بمجمع من القول غير متّسق ، ومَضْربٍ من التأليف غير متفق ، ولم يُقْدم

---

(١) الذحل : الثأر .

(٢) ديوانه .

(٣) الجدد : الأرض المستوية ، وفي المثل : من قطع الجدد أمن العثار .

هذا الخادم على هذا الرأي الفَائِل[١]، والتوهُّم الباطل، إلّا بعد حذفه من قول امرىء القيس ما ينكشف المعنى بإثباته، ويزداد وضوحه بإحضاره، وذلك قوله: للذَّةٍ، ولو لم يذكر اللّذة لم يؤمن على مثل هذا الرَّادِّ الشُّبْهَة وإن كانت من المتأمل الناظر، والنِّحْرير الماهر، مأمورٌ به لوجوب حسن الظَّن بامرىء القيس في نظمه، ونسبته إلى وصل بعض كلامه بحسب ما يليق به، وكيف وقد أوضح المعنى وأومأ إليه، وأفصح به ونص عليه، وأما قوله: « ولم أسبأ الزِّقَّ الرَّوِيَّ » فإنه قد يُسْبأُ زقُّ الخمر للندام واللذَّة، والارتياح والنشوة، وقد يُسْبأ للبيع والتجارة ولإهدائه إلى ذي المروءة لتحريك الطبائع بشُرْبه على تذكر الأضغان والغَمْر[٢]، وتهيّج الحِقْد وطلب الوتر، والجد في القيام بالثأر، وتجرئة الجبان، وتنشيط الجنان، والسماحة في إدراك الشرف بالنفوس، وبذْل كُلِّ عِلْقٍ مَضَنَّةٍ[٣] نفيسٍ، وأراد امرؤ القيس بما سبأه من الخمر هذه المعاني أو ما أراد منها، فكان اللاّئق بقوله: ولم أسبأ الزِّقَّ الرَّويَّ أن يكون عجز بيته هذا ما وصفه في قوله: ولم أقل لخيلي كُرِّي كَرَّةً بعد إجفال فاغفل هذا الخادم المقصوص، والأتّي[٤] المنقوص، هذا المعنى، وأخذ من البيت الأول قوله للّذة فألحقها بالبيت الثاني، فلم يتم له بما غيره ما قدّره، وذهب عنه فهم ما رتَّبه امرؤ القيس وقرّره، وما ذكرنا من تقسُّم المعاني التي وصفنا بها سبايا الخمر أشهر في عرف الناس وكلام العرب من أن يحتاج إلى الاستشهاد عليه، وقد قال الله جلّ وعزّ ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ والمَيْسِرِ قُلْ

(١) الفائل: الرأي الضعيف الخاطىء.

(٢) الغمر: الحقد والغل المكنون.

(٣) العلق الشيء النفيس الذي يتعلق به القلب، ومضنة: أي يضن به عن البذل.

(٤) الأتي: الغريب الدعي.

فِيهما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ للنَّاسِ ، وإثمهما أكبرُ من نَفْعِهما ﴾[1] وهذا معنىً بيّن الصِّحَّة غير مشكلٍ على ذي بصيرة ، قال : حسّان بن ثابت[2] :

نُـوَلِّيهـا المـلامـةَ إنْ أَلِمْنَـا ... إذا ما كان مَغْثٌ أو لِحاءُ[3]
ونشـربُهـا فتتـركنـا ملوكـاً ... وأُسْـداً مـا يُنَهْنِهُنَـا اللقـاءُ

وقال الأعشى[4] :

لعمرك إن الرّاحَ إن كنت سائلا ... لمختلف عَشيُهـا وغَـدَاتُهـا[5]
لنا من صَحَاهَا خُبْثُ نفسٍ وكَأْبَةٌ ... وذكرُ همومٍ مـا تَغِبُّ اذاتُها
وعند العَشِيِّ طيبُ نفسٍ ولذةٌ ... ومـال كثيـر غُـدْوَةً نشـواتُهـا

وقال المتنخِّل :

ولـقـد شـربت مـن المُـدَا ... مَـةِ بـالـكبيـر وبـالصَّـغيـر
فـإذا انـتـشـيْـتُ فـإنـنـي ... ربُّ الـخَـوَرْنـقِ والـسَّـدِيـر
وإذا صـحـوتُ فـإنـنـي ... ربُّ الـشـويْهـةِ والـبـعـيـر[6]

وهذا كثير جداً ، وقول امرىء القيس : لم أقل لخيلي كُرِّي ، أراد لفرسان خيلي ، كما قالت العرب : يا خَيْلَ اللّهِ اركبي وأبشري بالجنة ، أي : يا فرْسان خيل الله ، وقال : الله جل ثناؤه ، وقوله أصدق القول وأحسنه ﴿ واسْأَلِ القَرْيَة ﴾[7] يعني أهلها ، وقال : تعالى ذكره :

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢١٩ .
(٢) البيتان التاليان في ديوانه ٨ .
(٣) المغث : الشر والقتال ، واللحاء : السباب .
(٤) الأبيات التالية في ديوانه ٣١ .
(٥) الرواية في الديوان : غديها وعشاتها .
(٦) الأبيات التالية في الشعر والشعراء ٢٥٤ ، وسمط اللآلي ٧٢٤ .
(٧) سورة يوسف ، الآية ٨٢ .

﴿ فأُشْرِبُوا في قُلُوبهم العِجْل ﴾[1] أي حُبّ العجل في قول معظم أهل التأويل ، وذكر بعضهم أنه سُحِلَ وأُلْقِي في اليمِّ فشربوه ، والقول الأول أولى بالصواب لأنه لا يقال في ما شُرِب ولُحِسَ من الماء وغيره قد أُشْرِبْتُه في قلبي ، وإنما يقال : أُشْرِبَ فلان حُبّ فلان في قلبه أو عداوته وبغضه ، وذكرتُ أبياتاً غَزِلَة لبعض المحدثين فأوردتها ها هنا لأني استحسنتُها ها هنا وفي بيت منها نحو هذا المعنى ، وهي :

وقد كنت أرجو في مغيبك سلوةً ... ولم أدْرِ أن الطيف إن غبت طالبي
ووالله لا ينكَى مُحبٌّ بمثلها ... وإن كان مكروهاً فراق الحبايب
وأُشْرِبَ قلبي حُبَّها ومشى به ... تَمَشِّي حميًّا الكأس في رأس شارب
يدبُّ هَواهَا في عِظَامي ولَحْمِها ... كما دبَّ في الملْسُوعِ سَمُّ العَقَارِبِ

(١) سورة البقرة ، الآية ٩٣ .

المجلس الثالث والخمسون

[من قال : لا إله إلا الله . . .]

حدثنا أحمد بن جعفر بن محمد بن عبدالله بن داود المنادي ، وأبو الحسين، قال : حدثنا جَدِّي ، قال : حدثنا أبو بدر شُجاع بن الوليد بن قيس السكري الكوفي ، قال : حدثنا عبدالرحمن بن زياد بن أنعم الأثري ، قال : حدثنا مالك بن قيس ، عمن حدثه ، عن عقبة بن عامر الجهني ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، وكان على كلِّ رجل منّا رعيّة الإبل يوماً ، فكان اليوم الذي أرعى فيه ، فبصرتُ بالنبي ﷺ في حلقةٍ يحدِّثهم ، فسعيت إليه فأدركته وهو يقول : من توضأ فأحسن وضوءه ثم ركع ركعتين لا يريد فيهما إلا وجه الله تعالى غفر الله تعالى ما كان قبلهما من ذنب[1] ، فكبّرت فإذا رجل يضرب على كتفي فالتفتُّ فإذا هو أبو بكر الصديق ، فقال أبو بكر : التي قبلها يا ابن عامر أفضل منها ، قلت : وما

---

(١) الحديث الشريف في الجامع الكبير ١/ ٧٦٨ برواية : « من توضأ فأحسن وضوءه ثم صلى صلاة غير ساه ولا لاهٍ كفر عنه ما كان قبلها من سيئة »، وذكر السيوطي أنه في الطبراني الكبير ومسند ابن حنبل عن عقبة بن عامر .

هي ؟ قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال : لا إله إلّا الله يُصَدِّقُ لسانَه قلبه دخل من أي أبواب الجنة الثمانية شاء »[1] .

[رواية أخرى للحديث]

حدثنا ابن المنادى ، قال : حدثنا العباس بن محمد الدوري ، وعليّ بن سهل النسائي ، قال : حدثنا عبيداللّه بن موسى أبو محمد العبسيُّ الكوفي ، قال : أخبرنا إسرائيل بن يونس عن أبي إسحاق السَّبيعيِّ ، عن عبدالله بن عطاء ، عن عقبة بن عامر الجهني ، قال : أتيتُ النبيّ ﷺ أنا ونفرٌ من جُهينة فكنّا نتناوب رَعْيَ الإبل على كلِّ رجل منّا يوم ، فجاءت نَوْبتي فَرَعَيتُها ثم رَوَّحْتُ نفسي فأتيتُ النبيّ ﷺ وهو يخطبُ ، فجلستُ إلى جَنْب عمر بن الخطاب فأدركت من كلامه وهو يقول : ما من رجل مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء ، ثم يقوم إلى مصلّاه فيعلم ما يقول [فيها] ، إلاّ انْفَل كيومٍ ولدتْه أمُّه من الخطايا » ، قال : فلما سمعتها لم أملك نفسي أن قلت : بَخٍ بَخٍ ، فقال : عمرُ ـ وهو إلى جَنْبي قاعدٌ ـ قال : أجودُ منها قبل ان تجيء ، قلت : وما هي : فداك أبي وأمي ؟ فقال : قال : « ما من رجل مُسْلم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فُتحت له ثمانيةُ أبواب الجنّةِ يدخل من أيها شاء[2] .

---

(١) وهذا في الجامع الكبير ١/ ٨٠٧ ، وقال جاء مروياً في ابن النجار عن عقبة بن عامر عن أبي بكر . وورد ثانية بتمامة كما هنا في الجامع الكبير ٢/ ٥٦٩ .

(٢) الحديث الشريف بتمامه في الجامع الكبير ٢/ ٥٦٨ ، وقد أتى فيه بتكملة كبيرة له ، فانظرها ثمة .

[معنى بخ بخ واللغات فيها]

قال القاضي أبو الفرج : قوله بخ بخ ، هذه كلمة تقولها العرب عند الشيء تفضله وتمدحه وتعجب به ، وفيها لغتان : التسْكين والكسر والتنوين ، فمن سكّن فعلى الأصْل فيما يُبْنى ولا يُعرب ، والكسر على الباب في الساكن إذا حُرِّك ، والتنوين في قول مُحققي نُحاة البصريين يُؤْذِن بالتنكير ، وحذفُه يدُلّ على التعريف ، وأكثر ما تستعمل هذه الكلمة بالتكرير ولها نظائر فيما وصفنا من حكمها ، قال الشاعر :

بين الأَشَجِّ وبين قَيْسٍ باذخٌ   بَـخْ بَخْ بـوالـدِهِ وبـالـمـوْلُـودِ[1]

ومثل هذا صَهٍ صَهٍ ومَهٍ مَهٍ .

وفي القصة التي رويناها بهذين السَّنَدَيْن ما يُرغب في العمل بما أنبأت بفضله، ويدلّ على سعة إحسان الله تعالى وتفضله، وقد روي لنا هذا الخبر من وَجْهٍ فيه عِلَلٌ عارضته في سنده ، وأنا ذاكره ليحصُل لمن وقف عليه الفائدة منه إن شاء الله .

[العلل التي في سند الحديث]

حدثنا محمد بن مخلد بن حفص العطار ، قال : حدثنا أبو يحيى محمد بن سعيد بن غالب العطار ، سنة ست وخمسين ومائتين ، قال : سمعتُ نصر بن حماد ، قال : كنا على باب شعبة[2] نتذاكر ، فقلت :

---

(١) البيت لأعشى همدان ، انظره في الأغاني ، والبرصان والعرجان .

(٢) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي مولاهم ، الواسطي البصري ، أبو بسطام ، من أئمة رجال الحديث ، حفظاً ودراية وتثبتاً ، ولد ونشأ بواسط ، وسكن البصرة إلى أن توفي ، وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين ، وجانب الضعفاء والمتروكين ، قال

حدثنا إسرائيل بن يونس ، عن أبي إسحاق ، عن عبدالله بن عطاء ، عن عقبة بن عامر ، قال : كنا نتناوب رعية الإبل على عهد رسول الله ﷺ ، فجئتُ وحوله أصحابه ، قال : فسمعته يقول : « من توضا فأحسن الوضوء وصلّى ركعتين ، واستغفر الله تعالى غفر الله تعالى له » ، قلت : بخ بخ ، فحدثني رجلٌ من خلفي فإذا عمر ، فقال : الذي قال قبلُ أحسن ، قلت : ما قال ؟ قال : « من شهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله قيل له ادخل من أيّ أبواب الجنة شئت» ، قال: فخرج شعبة فلطمني ثم رجع فدخل من ناحية الباب تم خرج ، فقال : ماله بعدُ يَبكي ، فقال له عبدالله بن إدريس : إنك أسأت إليه ، قال شعبة : انظر ما يحدِّثُ عن إسرائيل ، عن عبدالله بن عطاء ، عن عقبة بن عامر ، عن النبيّ ﷺ ؟ قلت لأبي إسحاق : من حدّثك ؟ قال : حدثني عبدالله بن عطاء ، عن عقبة بن عامر ، عن النبي ﷺ ، قلت : سمع عبدالله بن عطاء ، عن عقبة ، فغضب ، ومِسْعر بن كِدَام حاضر ، فقال مِسْعَر : أغَضِب الشيخُ ؟ قلت : يصحّحن هذا الحديث أو لأرْمِيَنَّ بحديثه ، فقال لي مِسْعر : عبدالله بن عطاء بمكة . قال شعبة : فرحلت إلى مكة لم أُرِدِ الحج أردتُ الحديث، فلقيت عبدالله بن عطاء فسألته، فقال: سعد بن إبراهيم حدّثني ، قال شعبة : فلقيتُ مالكاً ، فقال : سعدٌ بالمدينة لم يَحُجَّ العام ، قال شعبة : فرحلتُ إلى المدينة فلقيتُ سعد بن إبراهيم ، فقال : الحديث من عندكم زياد بن مخراق ، قلت : إيش هذا الحديث ؟ بينما هو كوفيٌّ إذ صار مكيّاً ، إذ صار مدنيّاً ، إذ صار بَصْريّاً ، قال شعبة : فرحلتُ إلى

الإمام أحمد : هو أمة وحدة في هذا الشأن ، توفي سنة ١٦٠ هـ .
ترجمته في تهذيب التهذيب ٤/ ٣٣٨ ، وتاريخ بغداد ٩/ ٢٥٥ .

البصرة فلقيتُ زياد بن مخراق فسألته ، فقال : ليس هذا الحديث مما تبغي ، قلت : حدّثني به ، قال : لا تُرِدْه ، قلت : حدثني ، فقال : حدثني شهرُ بن حَوْشَب[1] ، عن أبي ريحانة ، عن عقبة بن عامر ، عن النبي ﷺ فلما ذكر شهراً ، قلت : دَمَّرْ على هذا الحديث ، لو صَحَّ لي هذا الحديث عن رسول الله ﷺ لكان أحبَّ إليّ من أهلي ومالي والناس أجمعين .

وقد حدثنا أبي رضي الله عنه ، عن العباس بن الفضل البغدادي ، عن محمد بن سعيد ، وساق القصة على اختلاف ألفاظها مع تقارب معانيها وفي آخر الحديث أعني حديث أبي ، عن العباس بن الفضل ـ قال : محمد بن سعيد : قدم علينا مغني بن معاذ ، فذكرت له هذا الحديث ، فقلت له : عندكم أصل ، قال : نعم ، حدثني بشر بن المفضل ، عن شعبة ، كهذه القصة ، وزاد فيها حرفاً هو ، قال محمد بن سعيد : لم أحفظه .

[التدليس في الحديث]

قال القاضي أبو الفرج : والتدليس في الحديث كثير ، والمدلِّسون

---

(١) هو شهر بن حوشب الأشعري ، فقيه قاريء ، من رجال الحديث ، شامي الأصل سكن العراق ، وكان غريباً يتزيى بزي الجند ويسمع الغناء بالآلات ، وولي بيت المال مدة ، وهو متروك الحديث ، ومن الأمثال : « خريطة شهر » ويضرب فيما يختزله الفقهاء من خرائط الودائع وأموال الناس ، قال القطامي الكلبي :

لقد باع شهر دينه بخريطة ... فمن يأمن القراء بعدك يا شهر

وكان ظريفاً ، قال له رجل : إني أحبك ، فقال : ولم لا تحبني وأنا أخوك في كتاب الله ، ووزيرك على دين الله ، ومؤونتي على غيرك .

انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٤/ ٣٦٩ ، وثمار لقلوب ١٣٣ ، الأعلام (٣/ ٢٥٩)

من أهله كثير ، وكذلك الإرسال وكان شعبةُ ينكر التدليس ، ويقول فيه ما يتجاوز الحدّ مع كثرة روايته عن المدلِّسين ، وشاهدت من كان مدلِّساً من أعْلَام أهل العلم المحدّثين كالأعمشِ وسُفيان الثَّوْريّ وسُفيان بن عُيَيْنة وهشيم بن بشير وغيرهم ، والمدلِّس من هؤلاء ليس بكذّاب في روايته ، ولا مجروح في عدالته ، ولا مغموصٍ في أمانته ، وأعلام الفقهاء يحتجون في الدين بنقله ، وكان الشافعي لا يرى ما يرويه المدلِّسُ حُجّة ، إلا أن يقول في روايته : حدَّثنا أو أخبرنا أو سمعت ، وقد وجدناه لشعبة مع سُوء قوله في التدليس في عدة احاديث رواها ، وجمعنا ذلك في موضع هو أوْلَى به ، قال القاضي : وفي ظاهر هذه الحكاية عن شعبة أنه قد انتهك من حُرْمة هذا الرجل ما هو حِمىً مَحْظور ، وإلى الله تصير الأمور ، وفي ما يصلح إثباتُ مثله في هذا الكتاب ، من الأخبار المدلّسة وأحوال المدلِّسين ما يتسع ، فلعلنا نأتي منه بجملة فيما نستقبل إن شاء الله .

[أحكم ما قالته العرب وأوجزه]

حدثني محمد بن الحسين بن دريد ، قال : أبو عثمان الأُشْناندانيي ، قال : أخبرني العتبيّ ، قال : دخل الشَّعبي على عبدالملك ، فقال : يا شعبيّ ! أنشدني أحكم ما قالت العرب وأوْجَزَه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قول امرىء القيس :

صُبَّتْ عليه وما تنصبُّ من أَمَمٍ إنّ الشَّقاء عَلَى الأشْقِين مَصْبُوبُ[1]

وقول زهير :

ومن يجعل المعروفَ من دون عرضه يَفِرْهُ ومن لا يتقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ[2]

---

(١) البيت في ديوان امرىء القيس .

(٢) البيت في شرح ديوانه ٣٠ .

وقول النابغة :

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أخاً لا تلمُّهُ   على شعثٍ أيُّ الرجالِ المهذَّبُ[1]

وقول عدي بن زيد :

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه   إنّ القرين بالمقارنِ يَقْتَدِي[2]

وقول طرفة :

سَتُبْدي لك الأيَّامُ ما كنت جاهلاً   ويأتيك بالأخبار من لم تُزَوِّدِ[3]

وقول عَبِيدِ بن الأبْرَص :

وكــلُّ ذِي غَــيْـبَــةٍ يَــؤُوبُ   وغــائبُ المــوتِ لا يَؤُوبُ[4]

وقول لَبِيد :

إذَا المرءُ أسْرَى ليلةً ظنَّ أنَّهُ   قضى أملاً والمرءُ ما عاش عَامِلُ[5]

وقول الأعشى :

ومن يَغْتربْ عن قومه لا يزلْ يَرَى   مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجَرّاً ومَسْحَبَا[6]

وقول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يَعْدِمْ جَوَازِيَهُ   لا يذهبُ العُرْفُ بين اللّه والنَّاسِ[7]

---

(١) ديوانه ١٤ .

(٢) البيت في بهجة المجالس ١/ ٥٥٦١ ، ٣٠٣/ وانظر المراجع في هوامشها .

(٣) ديوانه ٤٥ .

(٤) انظر بهجة المجالس ١/ ٢٣٧ بتحقيقنا ، وانظر المراجع في هامشه .

(٥) انظر شرح ديوانه .

(٦) هذا البيت ملفق من بيتين هما :

متى يغترب عن قومه لا يجد له   على من له رهط حواليه مغضبا
ويحطم بظلم لا يزال يرى لـه   مصـارع مـظلوم مجـرا ومسحبا

(٧) ديوانه ٧ ، ٨ .

(٨) ديوانه ٥٣ .

وقول الحارث بن عمرو :

فمن يَلْقَ خيراً يحمد الناس أمره ومن يَغْوَ لَا يَعْدم على الغيِّ لَائِمَا

وقول الشمّاخ[1] :

وكلُّ خليلٍ غيرِ هَاضِمِ نَفسِهِ لوصْلِ خليلٍ ، صَارِمٌ أو مُعَارِزُ

فقال عبدالملك : حججتُك يا شعبيّ بقول طُفَيْل الغَنَويّ[2] :

ولا أُخَالِسُ جَاري في حليلته ولا ابنَ عَمِّيَ غَالَتْنِي إذاً غُولُ

حتى يُقالَ إذا دُلِّيتُ في جَدَثٍ أيْن ابنُ عوفٍ أبو قَرَّانَ مَجْعُولُ

قال القاضي أبو الفرج : بيتا طُفَيل اللذان أنشدهما عبدالملك وفَضَّلهما وزَعمَ أنه حج الشعبيّ من أشعار الشعراء غير مقصِّر عنهما ، ومن تأمّل ما وصفنا وجده على ما ذكرنا ، من غير أن يحتاج إلى تكلّف تفسير ذلك ، وإطناب في الاحتجاج له ، فأما بيت الشماخ فإن معنى قوله : غير هاضم نفسه ، أي حامل عليها لخليله والهَضْم : النقص ، يقال : هضم فلانٌ فلاناً حقه أي نقصه ، قال الله جلّ جلالُه : ﴿ ومَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً ولا هَضْماً ﴾[3] وأما قوله : أو مُعَارِز ، فالمُعارز المتقبِّض ، يقال : استعْرَزَ عليَّ فلان إذا انقبض ، وألقيت البُضْعة على النار فَعَرَزَتْ ، وكأنّ الشماخ سلك سبيل النابغة في بيته الذي أنشده الشعبيُّ في هذا الخبر ، وأصل الغرض في هذه الجملة ، على ما بين البيتين مما لأحدهما من الشَّفِّ من تَنْقِيح ألفاظ الشِّعْر ، وفضل استغناء أجزاء أحد البيتين على أجزاء الآخر ، وأنا قائلٌ في هذا قولاً يُبين

(١) ديوانه ٤٣ ، اللسان (عرز).

(٢) ديوانه ٥٨ مع اختلاف في ألفاظ الرواية .

(٣) سورة طه ، الآية ١١٢ .

صحته ويُوضح حقيقته إن شاء الله ، وأقول وبالله التوفيق : إن جملة الألفاظ للبيتين التي تجمعهما على معنى واحد ، هو أن الذي يحفظ الأخوة بين الأخوين ، ويحرس الخلة بين الخليلين أن يَلُمّ أحدهما صاحبه على شَعَثِهِ ويَهْضِمَ له نفسه ، ومتى لم يفعل هذا لم يكن على ثقة من استبقائه وكان بعرض مُصارمته ، وانقباضه عنه ومعارزته ، وبيت النابغة في هذا الباب أفحل وأوفى ، وأجزل وأشفى ، وقد كشف عن العلّة فيما أتى به بقوله : أيّ الرجال المهذّب ، فأحسن العبارة عن هذا المعنى : « مَنْ تك يوماً بأخيك كُلِّه » ، وقد نَوَّه بيت النابغة هذا رُواةُ الشعر ونَقَلَتِه ، ونُقَّاده وجهابذته ، واستحسنوا تكافُؤَ أجزائه ، واستقلال أركانه ، واشتماله على فِقَر قائمة بأنفسها ، كافية كل واحدة منها ، وهذا من النوع المُسْتَفْصح ، والفن المستعذب ، من أعلى طبقات البلاغة ، وقد أتى القرآن منه بالكثير الذي يقل ما أتى منه في الشعر إذا قيس إليه ، فتبيّن للمميزين كثير فضل ما في القرآن عليه ، فمن ذلك قولُ اللّهِ جلّ وعَزّ : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ واسْتَقِم كَمَا أُمِرْتَ ولا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُم وقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ من كِتَابٍ وأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُم ، اللَّهُ رَبُّنَا ورَبُّكُمْ ، لَنَا أَعْمَالُنَا ولَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بيننا وبينكم ، اللَّهُ يَجْمَعُ بيننا وإليهِ المَصِير ﴾[1] ولنا في هذا الباب رسالة أبَنَّا فيها رُجحان ما في القرآن من هذا الجنس على كثرته ، على ما أتى منه في الشعر على قلته ، فلم نُطِلْ كتابنا هذا بإعادته ، وقد ضممنا معه شطراً صالحاً كتابنا المُسَمَّى « البيان المُوجَزُ في علوم القرآن المعجز » ومن نظر فيه أشرف على ما يبتهج بدراسته ، ويغتبط باستفادته بتوفيق الله تعالى وهدايته .

---

(١) سورة الشورى ، الآية ١٥ .

[ثمامة وهو سكران ومحاورته للمأمون]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا القربي ، قال : حدثني صالح بن سعيد الضبعيُّ ، قال : حدثني أبي ، قال :

قال الوليد بن عيّاش بن زُفر ، خرج ثمامة من منزل محمد بن نوح العمركي مع المغرب وهو سكران ، وإذا هو بالمأمون قد ركب في نَفَر ، فلما رآه ثُمامةُ عدل عن طريقه ، وبَصُر به المأمون فضرب كـفَلَ[1] دَابَّته وحاذاه ، فوقف ثمامة فقال له المأمون : ثمامة ؟ قال : إي والله ، قال : سكران ؟ قال : لا والله ، قال : أفتعْرِفُني ؟ قال : إي والله ، قال : من أنا ؟ قال : لا أدري والله ، فضحك المأمون حتى تثنّى عن دابته ، ثم قال : عليك لعائنُ الله ، قال : تَتْرى يا أمير المؤمنين ، قال : فعاد في الضحك ، وأمر له بخمسين ألف درهم .

[متى حلّت له الخمر]

حدثنا محمد بن أبي مَزْيد ، قال : حدثنا الزبير ، قال : حدثني عبدالله بن الحُسَين ، قال : حدثني الضحاك بن عثمان ، قال :

أتى عبدالملك بن مروان بفتىً من قريش قد شرب نبيذاً ، فقال : له أين شربت ؟ فقال :

شربتُ مع الجوزاءِ كَأْساً رَوِيَّةً وأخرى مع الشِّعْرى إذا ما اسْتَقلَّتِ
مُعَتَّقَـةً كانت قُـريشٌ تصـونُهـا فلما استحلُّوا قتلَ عثمان حَلّتِ

قال : فَخَلاَّه ، وأعطاه عشرة آلاف درهم .

---

(١) الكفل بالتحريك : العجز .

[في أقل من هذا ما يُحفظ لك]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا أحمد بن عبيد ، عن الحِرْمَازِي ، قال : أتى رجلٌ من الأنصار عُمَر بن عبيدالله بن مَعْمَر التَّيْمِيّ[1] بفرس فتعرَّض له فلم يُصِبْ منه طائلاً ، فانصرف وهو يقول :

رأيت أبا حفص تَجهَّمَ مَقْدَمِي ... فَلَطَّ بقولٍ عِذْرةً أو مُوَارِبَا
فلا تحسبنّي إن تجهّمتَ مَقْدمي ... أرى ذاك عاراً أو أرى الخير ذاهبًا
ومثلي إذا ما بلدة لم تُواته ... تنكب عنها واسترام العَوَاقِبا

قال : فبلغت الأبياتُ عمر بن عبيدالله ، فقال : عليّ بالرجل فجاءوا به ، فقال : يا عبدالله ! ما أخرج هذا منك ؟ أبيني وبينك قرابة ؟ قال : لا ، قال : أفلك عندي يدٌ أسْدَيْتها ، قال : لا ، قال : فما دعاك إلى هذا ؟ قال : أفضل الأشياء ، كنت أدخلُ مسجد المدينةَ أحْفَلَ ما يكون فأتجاوزُ من الحَلَقِ إلى حَلَقَتِك فأجلس فيها وأوثرك ، فقال : في أقل من هذا والله ما يُحفظ لك ، كم أقمت ؟ قال : أربعين ليلة ، فأمر له بأربعين ألفاً وجهزه إلى أهله .

---

(١) هو سيد بني تيم في عصره ، ومن كبار القادة الشجعان الأجواد ، كان على البصرة لمصعب بن الزبير ثم ولى له بلاد فارس وحرب الأزارقة سنة ٦٨ ، وبعد قتل مصعب ، تولى لعبد الملك ابن مروان قتال أبي فديك الخارجي سنة ٧٣ هـ ، فدحره وقتل من رجاله نحو ستة آلاف وأسر ثمانمائة ، ثم عاد إلى عبد الملك فكان من جلسائه ، قال عنه قطري بن الفجاءة زعيم الخوارج الكبير : بطل ، يقاتل بعزيمة لم أر مثلها لأحد ، وما حضر حرباً إلا وكان أول من يقتل قرنه ، توفي سنة ٨٢ هـ .
انظر المحبر ٦٦ ، ١٥١ ، والكامل لابن الأثير ٤/ ١٠٤ ، ١٠٩ ، العقد الفريد ٤/ ١٠٤ .

[بيتان يلغيان قراراً للأمير]

حدثنا الحسين بن محمد بن خالويه النحوي ، قال : حدثني اليزيدي ، قال : حدثني أبو موسى ، عن دَمَاذ ، عن الأصمعيّ ، قال :

حَرَّم خالدُ بن عبدالله القَسْري الغناء فأتاه حُنَيْنُ بن بَلْوَع[1] مع أصحاب المظالم ملتحفاً على عُود ، فقال : أصلح الله الأمير شيخ كبير ذو عيال ، كانت له صناعة حِلْتَ بينه وبينها ، قال : وما ذاك ؟ فأخرج عُودَه وغَنّى[2] :

أيها الشَّامِتُ المُعَيِّر بالشَّيْـ ـب أَقِلَنَّ بالشَّباب افْتِخَارَا
قد لبستُ الشبابَ قبلك حيناً فوجدتُ الشباب ثوباً مُعَارَا

فبكى خالد ، وقال : صدق والله ، إن الشباب لثوبٌ مُعَار ، عُد إلى ما كنت عليه ، ولا تجالس شابّاً ولا مُعَرْبِداً[3] .

---

(١) حنين بن بلوع الحيري ، شاعر غزل ومغن كبير ، ولد في الحيرة وكان نصرانياً ، وكان يحمل الفاكهة في صغره ويطوف بالرياحين على بيوت الفتيان وأصحاب القيان والمطربين وكانت في روحه خفة ، فأحبوه واستبقوه معهم حتى أتقن هذا الفن بعد أن أخذه على علمانه وصار علمه الذي لا ينازع في العراق ، وقد دعاه المغنون في الحجاز وكانوا ثلاثة ابن سريج والغريض ومعبد إلى الحجاز ليغني فيه ، وهناك سقط البيت من شدة تزاحم الناس فلم يمت إلا هو ، وكان عمره قد تجاوز المائة بسبع سنوات ، توفي سنة ١١٠ هـ .
انظر الأغاني ٢/ ٣٤١ .

(٢) في الأغاني أنه غنى الأبيات المشهورة الآتية :

أيها الشامت المعير بالدهـ ـر أأنت المبرأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الأيـ ـام بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير

وهي لعدى بن زيد العبادي كما هو معروف .

(٣) في الأغاني أنّ الأمير إذن له خاصة وقال : فلا تجالسن سفيهاً ولا معربداً ، فكان إذا دعى قال : أفيكم سفية أو معربد ؟ فإذا قيل له : لا ، دخل .

[قل : إن شاء الله]

حدثنا الحسن بن علي بن زكريّا البَصْري ، قال : الحسن بن عليّ بن راشد ، قال : سمعتُ القاضي شَرِيكَ بن عبداللّه ، يقول : كنتُ ذات ليلة أصلّي في السطح وإلى جنب سطحي امرأة تُطْلَق وقد عَسُر عليها ولادها ، فكادت تموت فَشَغَلَتْ قلبي ، وزوجُها في ناحية السطح يسمع صُراخها ، فسمعتُه يقول : واللَّهِ يا هذه لئِن خَلَّصكِ الله تعالى لا أعود أُضَاجِعُك أبداً ، فقالت له مسرعة : قُل إن شاء الله يا مَشُوم ، فأضحكني قولها ، وما ذكرتها وأنا في الصلاة إلاّ وضحكتُ من قولها .

[معلومات أبي حنيفة في التاريخ]

حدثنا محمد بن الحسين بن زياد المقري ، قال : حدثنا ابن خزيمة بنيسابور ، عن المزني ، عن الشافعي ، قال : مضى أبو يوسف القاضي ليسمع المغازي من أبي إسحاق أو من غيره فأخَلَّ مجلس أبي حنيفة أياماً فلما أتاه ، قال له أبو حنيفة : يا أبا يوسف من كان صاحبَ راية طالوت ؟ قال له أبو يوسف : إنك إمام وإن لم تُمْسِكْ عن هذا سألتك والله على رؤوس الملأ أيّما كانت أولى بدراً أو أُحداً ، فإنّك لا تدري أيهما كان قبل ، فأمسك عنه .

[بعض ما رثى به البرامكة]

حدثنا محمد بن مَزْيَد ، قال : حدثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدّثني عمِّي مصعب بن عبداللّه ، قال : لما قُتِل جعفر بن يحيى وصُلِبَ بباب الحَسَن رأسُه في ناحية وجَسَدُه في ناحية ، مرّت به امرأة على حمارٍ فارهٍ

فوقفت عليه ، ثم نظرت إلى الرأس ، فقالت بلسان فصيح : واللّهِ لئن صِرتَ اليوم آيةً لقد كنت في المكارم غاية ، ثم أنشأت تقول :

بكيتُ على يَحْيى وأيقنتُ أنما قُصَارَى الفَتَى يَوماً مُفَارَقَةُ الدُّنْيَا
ولما رأيتُ السَّيف خَالَطَ جعفراً ونادى منادي للخليفةِ في يَحْيَى
وما هي إلاّ دولةٌ بعـد دَوْلةٍ تُخوِّلُ ذَا نُعْمى وتعقُبُ ذا بَلْوَى
إذا أنـزلتْ هـذا منازلَ رِفْعةً من الملك حَطّت ذا إلى غاية سُفْلَى

ثم حركتِ الحمارَ فكأنها كانتْ رِيحاً لم تُعرف .

قال القاضي أبو الفرج : قد روى لنا فيما رُثي به البرمكيُّ بعض من وقف على خشبته غير حكاية ، وستأتي بعد ان شاء الله .

[أضمر الملك لنا شرّاً]

حدثنا أحمد بن كامل ، قال : حدثني محمد بن موسى بن حماد القيسي ، قال : حدثنا محمد بن أبي السرى ، قال هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبيه ، قال :

خرج كسرى في بعض أيامه للصيد ومعه أصحابه ، فعنّ له صيدٌ فتبعه حتى انقطع عن أصحابه وأظلته سحابة فأمطرت مطراً حال بين أصحابه وبين اللحوق به فمضى لا يدري أين يقصد ، فرُفع له كوخٌ فقصده فإذا عجوزٌ بباب الكوخ وأدخل فرسه وأقبل الليل فإذا ابنةُ العجوز قد جاءت معها بقرة قد رعتها بالنهار ، فأدخلتها الكوخ وكسرى ينظر ، فقامت العجوز إلى البقرة ومعها آنية فاحتلبت البقرة لبناً صالحاً وكسرى ينظر ، قال : فقال في نفسه : ينبغي أن يجعل على كُلِّ بقرة إتاوة ، فهذا حِلَابٌ كثيرٌ وأقامَ بمكانه ، فلما مضى أكثر الليل ، قالت العجوز : يا فلانة ! قومي إلى فلانة

فاحتلبيها ، فقامت إلى البقرة فوجدتها حائلاً لا لبن فيها ؛ فنادت أُمَّها : يا أُمَّتاهُ قد والله أضمر لنا المَلِكُ شَرّاً ، قالت : وما ذاك ؟ قالت : هذه فلانة حائلٌ ما تُبِسُّ بقَطْرة ، قال : فقالت لها أمها : امكُثي عيها قليلاً ، قال : فقال كسرى في نفسه : من أين عَلِمَتْ ما أضْمرتُ في نفسي ؟ أما إني لا أفعل ذلك ، قال : فمكثت ثم نادتها : يا بُنيّة ! قُومي إلى فلانة ، قال : فقامت إليها فوجدتها جافلاً ، فنادت أمّها : يا أمّتاه ! قد والله ذهب ما كان في نفس الملك من الشَّرِّ هذه فلانة جافل فاحتلبتُها ، وأقبل الصُّبْح وتتبَّع الرجال إثْر كِسْرى حتى أتوه ، فركب وأمر بحمل العجوز وابنتها إليه فحملتا ، فأحسن إليهما ، وقال : كيف علمت أن الملك قد أضمر شَرّاً ، وأن الشر الذي أضمره قد عَدَل عنه ، قالتْ العجوز : أنا بهذا المكان من كذا وكذا ما عُمل فينا بعدْلٍ إلاّ خَصُبَ بلدُنا واتّسع عيشُنا ، وما عمل فينا بجَوْرٍ إلاّ ضاق عيشُنا وانقطعت موادُّ النفع عنّا .

قال القاضي : قول المرأة في هذا الخبر فلانة يعني البقرة ، قال كثير من أهل اللغة : إنما يقال فلانة في المرأة ، فأما ما عداها من البهائم وغيرها فَوَجْهُ الكلام أن يقال : الفلانة ، والوجه الآخر عندي غير مستنكَرٍ ، إذ قد كانوا يخصُّون كلَّ واحدٍ منه التلقيب والتَّسْمية .

المجلس الرابع والخمسون

[من أدب المؤاكلة]

حدثنا أحمد بن محمد بن سعد أن الصيداني ، قال : حدثنا جعفر بن محمد الوراق ، حدثنا عبيدالله بن موسى العبسي ، قال : حدثنا عبدالأعلى بن أعين ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن عروة ، عن ابن عمر ، قال(1) :

قال : رسول الله ﷺ : « إذا وُضعت المائدةُ فليأكلْ أحدُكم مما يليه ، ولا يتناول مما يلي جليسه ، ولا يأكل من ذروة القصعة فإن البركة تأتيها من أعلاها ، ولا يرفع الرجل يَدَهُ حتى يفرغ القومُ ، فإن ذلك يُخجل جليسَه فيمتنع من الطعام ، ولعله أن يكون له فيه حاجة » .

[تعليق للمؤلف]

قال القاضي : وفي هذا الخبر من أدب الطعام وحسن الأكل

---

(1) الحديث التالي في الجامع الكبير ١/ ٩٣ ، وقال : رواه البيهقي في شعب الايمان عن ابن عمر ، وقال : أنا أبرأ من عهدته .

والمؤاكلة ، ما يحقّ على كلّ ذي لُبٍّ وحِجًى الأخذ به ، والله تعالى يُجازي نبينا ﷺ على تعليمه إيّانا أَوْلَى الأُمور في دِيننا ودُنيانا ، أفضلَ ما جَزَى نبيّاً عن أمته .

[سوف يبحث عنه سنة كاملة]

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال : أخبرني الحسن بن الخضر ، قال : أبو بكر ـ أظن عن أبيه ، قال[1] :

كتب الحسن بن سهل إلى محمد بن سماعة القاضي : أما بعد فإني قد احْتجتُ في أموري إلى رجلٍ جامعٍ لخصال الخير ، ذي عفةٍ ونزاهةِ طُعمة ، قد هذّبته الآداب ، وأحكمتْه التجارب ، ليس بظنين[2] في رأيه ، ولا بمطعون في حسبه ، إن أُؤْتمِن على الأسرار قام بها ، وإن قُلِّد مُهِمّاً من الأمور أدّى قبولَهُ[3] ، له سِنٌّ مع أدبٍ ولسانٍ ، تُقْعده الرَّزانة ، ويسكته الحلم ، قد فُرَّ عن ذكاء وفِطنة ، وعضَّ على قارحةٍ من الكمال ، تكفيه اللّحظة ، وتُرشده السَّكْتة ، قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها ، وقام بأمورهم فحذقها[4] ، له أناة الوزراء ، وصولة الأمراء ، وتواضع العلماء ، وفهم الفقهاء ، وجواب الحكماء ، لا يبيعُ نصيب يومه بحرمان غده ، يكاد يسترق قلوبَ الرجال بحلاوة لسانه ، وحسن لفظه ، دلائل الفضل عليه لائحة ، وأمارات العلم له شاهدة ، مُضطلع بما

---

(١) في الجامع الكبير : تأتيه .
(٢) الخبر التالي في أمالي القالي ١/ ٢٤٩ .
(٣) الظنين : المتهم .
(٤) في الأمالي : أجزأ فيه .
(٥) في الأمالي : فحمد فيها .

استُنْهض ، ، مُسْتَقِلاً بما حُمِّل ، وقد آثرتُك بطلبه وحبوتك بارتياده ، ثقة بفضل اختيارك ، ومعرفة بحسن تَأَتِّيك ، فكتب إليه : إني عازم على أن أرغب إلى الله حَوْلاً كاملاً في ارتياد هذه الصفة ، وأفرِّق الرُّسُلَ الثقاتِ إلى الآفاق لالتماسه ، وأرجو أن يَمُنَّ الله تعالى بالإجابة ، وأفوز لديك بقضاء حاجتك إن شاء الله .

قال القاضي أبو الفرج : قوله : في هذا الخبر : ونزاهة طِعمة بكسر الطاء الطاعم وهو هيئة على فِعلة للتَّطعم مثل الرِّكبة والجِلسة ، والطُّعمةُ بالضم الشيءُ المطعوم وما جُعل للإنسان من ضدّ الطعمة[1] ، قال الشاعر :

ومـا إن طِبُّنـا جُـبْنٌ ولـكن مَنَـايَـانـا وطُعْمَـةُ آخـرينـا[2]

ويقال : قد جُعِلتْ هذه الأرض لفلان طُعمة أي جعلها لطُعْمه ، والطَّعْمة بالفتح المرة في القياس من طَعِمْتُ طَعْمَةً واحدةً مثل الرَّكبة والجَلْسَة .

[لا آمن أن يكون معه حديدة]

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي ، قال : حدثنا ابن أبي سعد ،

---

(١) أي من غير الطعام ، فهي تطلق أيضاً على الكسب مطلقاً فيقال هو خبيث الطعمة أو طيبها إذا كان خبيث الكسب أو طيبه .

(٢) البيت ضمن ثلاثة أبيات لفروة بن مسيك المرادي ، والأبيات هي :

فـإن نغلب فغـلّابـون قـدمـاً وإن نـغـلب فـغـير مـغـلبينـا
فـما إن طـبنـاجـبـن ولـكـن مـنـايـانـا ودولـة آخـريـنـا
كـذاك الـدهـر دولتـه سجـال نكـر صـروفـه حينـا فحينـا

وهو يقول : ليس من طبنا أي من شأننا وعادتنا الجبن ، ولكن هكذا شاءت الأقدار أن تكون في المرة منايانا ودولة للآخرين ، وهي بمعنى طعمة الواردة في النص . انظر اللسان (طب) و (طعم).

قال : حدثنا أبو زكريا يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ، قال : حدثني محمد بن القاسم .

قال : دخل الربيع على المهديِّ وأبو عبيداللّه جالسٌ يَعْرض كُتُباً ، فقال له أبو عبيدالله : يا أمير المؤمنين يتنحى هذا ، يعني الربيع ، فقال له المهدي : تنحّ ، قال : لا أفعل ، قال : كأنك تراني بالعين الأولى ، قال : بل أراك بالعين التي أنت بها ، قال : فلم لا تتنحى إذ أمرتك ؟ قال : لا آمنُ أن يكون معه حديدة ينالُك بها وأنت سعرة المسلمين وقد قَتَلْتَ ابنه ، فقام المهدي مذعُوراً وأمر بتفتيشه ، فوجدوا بين جَوْربه وخُفِّه سِكِّيناً ، فَرُدَّتْ الأشياءُ إلى الربيع ، فجعل كاتبه يعقوب بن داود [illegible] ، فقال فيه الشاعر :

أدْخَلْتَهُ فَعَلاَ عَلَيْـ ـك كذاك شؤمُ النّاصيَهْ
يعقوبُ يحكمُ في الأمُو رِ وأنت تنظرُ ناحيَهْ

[محمد البيدق ينتقم من النمري]

حدثنا محمد بن مُزْيَد البُوشنجي ، قال : حدثنا الزُّبير ، قال : حدثنا محمد البيدَق[1] ـ وكان أحسن الشعراء إنشاداً كان إنشاده أحسن من الغناء ـ قال :

دعاني هارون الرشيد، في عشي يوم وبين يديه طبقٌ وهو يأكل مما فيه ومعه الفضل بن الربيع ، فقال لي الفضل : يا محمد ! أنشد أمير المؤمنين

---

(١) البيدق : الصغير الخفيف ، وكان محمد البيدق قصيراً فلقب بذلك ، انظر الخبر في الأغاني ١٣/ ١٤٧ ، ١٤٨ .

ما يُسْتَحْسَنُ من مديحه ، فأنشدته للنمري ، فلما بلغت إلى هذا الموضع .

اىُّ امرىءٍ بات من هارون في سَخَطٍ فليس بالصَّلَواتِ الخَمْس ينتفعُ
إن المكارمَ والمعروف أوْدِيةٌ أحَلَّكَ الله منها حيث تجتمع[١]
إذا رفعْت امْـرأً فاللَّهُ رافِعُـه ومن وضَعْتَ من الأقوام مُتَّضِعُ
نفسي فداؤك والأبطال مُعْلَمَةٌ يوم الوغى والمنايا بينهم قُرَعُ[٢]

قال : فأمر برفع الطعام ، وقال : هذا والله أطيب من كُلِّ الطعام ومن كلِّ شيء ، وأجاز النمريَّ بجائزة سنية ، قال محمد البيدق : فأتيتُ النمري فعرفتُه أنِّي كنتُ سببَ الجائزة فلم يعطني شيئاً[٣] ، وشخص إلى رأس عين فأحفظني وأغاظني ، ثم دعاني الرشيد يوماً آخر ، فقال : أنْشِدْني يا محمد ، فأنشدته :

شَاءُ من الناسِ رَاتِـعٌ هامِـلْ يُعَلِّلُون النفـوسِ بـالبَـاطِـلْ

فلما بلغتُ إلى قوله :

إلاّ مَسَـاعِيـرُ يَغْضَبُـون لهـا بِسَلَّةِ البِيضِ والقَنَا الـذَّابِـلْ

قال : أراه يُحرِّض عليَّ ، ابعثوا إليه من يجيئني برأسه ، فتكلّم الفضل بن الربيع فلم يُغْنِ كلامه شيئاً ، فوجّه الرسول إليه فوافاه في اليوم الذي مات فيه وقد دُفن ، فأراد نبشه وصَلْبه فكُلِّم في ذلك فأمسك عنه .

قال القاضي أبو الفرج : النَّمِريُّ منسوب إلى النمر بن قاسط والميم

---

(١) في الأغاني : تتسع .
(٢) المعلمة بكسر اللام التي أعلمت نفسها في الحرب بعلامة ، وبالفتح أيضاً ، أي أعلمت بذلك ، وقرع أي تتخطفهم واحداً من هنا وواحداً من هناك فكأنما تقترع بينهم .
(٣) زاد في الأغاني : فلم يعطني شيئاً يرضيني .

من النمر مكسورة إلّا أنها فُتِحَتْ في الإضافة استثقالاً للكسرتين واليائين ، وقد أتى ذلك عن العرب مستفيضاً مطرداً في ثلاثة مواضع ، قالوا : النَّمري والشَّقَري في النسب إلى شِقرة بن تميم ، والسَّلَمي في النسب إلى بني سَلمة من الأنصار ، وقد يأتي النسب كثيراً على غير القياس ، وقد قالوا الدُّهَرِيٍّ في النسب إلى الدهر إذا وصفوا الرجل بِطول العمر ، وهو كثير جداً وعِلله وشواهده مذكورة في مواضعها .

[من المفاخرة بين المدن]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباريٍّ ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا محمد بن أحمد ، حدثنا عمرو بن علي بن بحر بن كثير السَّقَّا ، مولى باهلة أبو حفص ، قال : حدثنا محمد بن عبّاد المهلبي ، عن أبي بكر الهُذلي[1] ، قال :

كنت بباب أبي العباس حين ولي الخلافة فخرج آذِنُه فأدخل من كان بالباب من أهل الكوفة ، فدخل عليه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى[2] ، والحجاج بن أرطاة[3] ، والحسن ابن زياد[4] ، وأدخل من كان

---

(١) أبو بكر الهذلي هو عبد الله بن سلمى كما ذكره الجاحظ في البيان ١/ ١٦٨ ، ووصفه في صفحة ٣٥٧ بأنه كان خطيباً قاصاً وعالماً بينا ، وعارفاً بالأخبار والآثار ، قال : وهو الذي لما فاخر أهل الكوفة قال : لنا الساج والعاج ، والديباج والخراج والنهر العجاج .

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى (يسار ، وقيل داود) ابن بلال الأنصاري الكوفي ، قاض فقيه من أصحاب الرأي ، ولي القضاء والحكم بالكوفة لبني أمية ثم لبني العباس ، واستمر ثلاثا وثلاثين سنة فيه . توفي سنة ١٤٨ هـ بالكوفة .
انظر تهذيب التهذيب ٩/ ٣٠١ ، والوافي بالوفيات ٣/ ٢٢١ .

(٣) النخعي ، قاض ، من أهل الكوفة ، كان من رواة الحديث وحفاظه ، استفتي وهو ابن ست عشرة سنة ، وولي قضاء البصرة وتوفي بخراسان أو بالرى سنة ١٤٥ هـ .
انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٢/ ١٩٦ ، تاريخ بغداد ٨/ ٢٣٠ .

(٤) في ب : ابن زيد ، والصحيح ما أثبت ، وهو الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي ، أبو علي ،

من أهل البصرة ، فقال محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى : نحن أكثرُ من أهل البصرة خَراجاً وأوسعُ منهم أنهاراً ، فقال لي : ما تقول يا أبا بكر ؟ قال : قلت : مَعَاذ الله من ذلك يا أمير المؤمنين ، وكيف يكونون كذلك ولنا كِرْمان[1] ومُكْرَان[2] وفارس والأهواز والسِّنْد والهند والقَرْصُ والقُرْص ، افتتحناها بالبيض القواضب ، حتى ربطنا أعنة الخيل بأصول القنا بأرض الفُلفل ، قال : فقال محمد بن عبد الرحمن : نحن أكثر منكم علماً وفقهاً ، قال : فما تقول يا أبا بكر ؟ قال : قلت : بل هم أعظم كبرياء وأقل أتقياءً وأكثر أنبياءَ كان منهم المغيرة الخبيث السريرة ، وبيان وأبو بيّان ، والله يا امير المؤمنين ، ما رأيت شيئاً قط أكثر بدناً مصلوباً ولا رأساً منصوباً من أهل الكوفة ، وما لنا إلاّ نبيٌّ واحد ﷺ ، قال : فتبسم أبو العباس ، فقال الحسن بن زياد : أتشتم أصحاب علي ؟ وقد سِرتُم إليه لتقتلوه ، فإن قلت : نحن والله أصحاب عليّ سرنا إليه لنقتله فكفّ الله تعالى شوكتنا

قاض ، فقيه ، من أصحاب أبي حنيفة ، أخذ عنه وسمع منه ، وكان عالماً بمذهبه بالرأي ، ولي القضاء بالكوفة سنة ١٩٤ هـ ، ثم استعفى ، وله عدد من المؤلفات في الفقه والقضاء توفي سنة ٢٠٤ هـ .

انظر ترجمته في ميزان الاعتدال ١/ ٢٢٨ ، تاريخ بغداد ٧/ ٣١٤

(١) كرمان : بكسر الكاف وسكون الراء : ولاية مشهورة وناحية كبيره معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان ، وهي بلاد كثيرة النخل والزروع والمواشي والضرع ، تشبه بالبصرة في كثرة التمور وجودتها وسعة الخيرات ، انظر معجم البلدان ٤/ ٣٦٤ .

(٢) مكران بضم الميم وسكون الكاف : ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى ، وتقع بين كرمان في غربيها وسجستان شماليها والبحر جنوبيها والهند في شرقيها ، والغالب عليها المفاوز والقحط . وبها نخيل كثير وقصب سكر .

انظر معجم البلدان ٤/ ٦١٤ .

(٣) القرص بفتح وسكون الراء والصاد مهملة : مدينة أرمينية من نواحي تفليس يجلب منها الابريسم . معجم البلدان ٤/ ٥٧ .

(٤) القرص بضم الكاف : تل بأرض غسان ، ، المرجع السّابق .

وسلاحنا عنه حتى أخرجه من بين أظهرنا ، فقتله أهل الكوفة من بين أظهركم فأيّنا أعظم ذنباً ، فقال الحجَّاجُ بن أرْطَاة : بلغني أن أهل البصرة كانوا يومئذٍ ثلاثين ألفاً وأهل الكوفة تسعة آلاف فلما التقتْ حَلَقَنا البِطان ، وتناهد النَّهدان ، وأخذت الرّجال أقرانها ، ما كانوا إلّا كرمادٍ اشْتدَّتْ به الريحُ في يوم عاصف ، قال : ما تقول يا أبا بكر ؟ قلت : معاذ الله تعالى من ذلك يا أمير المؤمنين ، ومن أين كنا ثلاثين ألفاً وقد خرجت ربيعة [illegible]عين علينا ، وخرج الأحنفُ بن قيسٍ في سعدٍ والرِّباب وهم الشام الأ[illegible]ظم [illegible] والجمهور الأكبر ، ولكنْ سَلْهُم كم كان عددُنا يوم استغاثوا بنا ؟ فلما التق[illegible] حلقتا البِطان ، وتناهد النَّهْدان ، وأخذت الرِّجالُ أقرانها ، شُبِخَ منهم في صعيدٍ واحد تسعة آلاف وذُبحوا ذَبْح الحُمْلان ، قال : فقال محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى : يا أمير المؤمنين نحن أكثر منهم أشرافاً ، وأكرم منهم أسلافاً ، قال : ما تقول يا أبا بكر ؟ قلت : معاذ الله يا أمير المؤمنين ، هل كان في تميم الكوفة مثل الأحنف بن قيس الذي يقول فيه الشاعر :

إذا الأبصارُ أبصرت ابنَ قيسٍ ظَلَلْنَ مهابة منه خُشُوعَا

وهل كان في قيس عَيْلان الكوفة مثل قُتَيْبة بن مسلم الذي يقول فيه الشاعر :

كلُّ يومٍ يَحْوِي قُتَيْبَةُ نَهْباً ويزيدُ الأموالَ مالاً جديداً
بَاهِليٌّ قَد عَصَبَ التاج حتى شابَ منه مفارقٌ كُنَّ سُودَا

ويُرْوَى : كل يوم يُجْرِي قتيبةُ نهباً ، وهل كان في بكرِ بن وائل

الكوفة مثل مالك بن مِسْمع[1] الذي يقول له الشاعر :

إذَا ما خَشِينَا من أميرٍ ظُلامةً　　دَعَوْنا أبا الأيتام يوماً فعَسْكرا

وهل كان في أزْد الكوفة مثل المهلب بن أبي صُفْرة الذي يقول له الشاعر :

إذا كان المُهَلَّبُ من ورائي　　هَـذَا لَيْلِي وَقَـرَّ لَـهُ فؤادِي
ولم أخْشَ الدَّنِيَّة من أناسٍ　　ولـو صَالُـوا بقوةِ قـومِ عـادِ

وهل كان في عبد قيسِ الكوفة مثل الحكم بن المنذر بن الجارود[2] ، الذي يقول له الشاعر :

يا حَكَمَ بنَ المُنْذِرِ [بن][3] الجارودْ　　أنت الجوادُ ابنُ الجواد المحمودْ
سُـرَادِقُ المجدِ عليـك مَمْدُودْ

[حكم نذر الكتابي إذا أسلم]

قال : فقال أبو العباس ما رأيتُ مثل هذه الغلبة .

قال : وقال أبو حفص : حدثني عون بن أبي سنان الرَّاسبي ، عن

---

(١) البكري الربعي ، سيد ربيعة في زمانه ، كان رئيساً مقدماً ، وإليه تنسب المسامعة ، وكان ممن خرج على ابن الزبير فقاتلهم مصعب وهزمهم ، فانحازوا إلى الشام ، وتوفي في أول خلافة عبد الملك سنة ٧٣ هـ ، وكان يقال : ساد الاحنف بحلمه ، وساد مالك بن مسمع بمحبة العشيرة له .
انظر الإصابة الترجمة ٨٣٦١ ، والمعارف ، والكامل لابن الأثير ٤/ ١٠٤ .

(٢) كان سيد عبد القيس في زمانه ، ويكني أبا غيلان ، ومات في سجن الحجاج الذي يعرف بالديماس ، وهو سجن بناه للحجاج بواسط . انظر المعارف ٣٣٩ .

(٣) ساقط من الأصل ، والأبيات للكذاب الحرمازي ، وقد وردت في المعارف مع اختلاف في الترتيب ، وزيادة بيتين .

أبي بكر الهُذلي ، قال : سألنا أبو العباس في هذا المجلس عن يَهُوديّةٍ مرضت فنذَرَت في مرضها إن الله سَلَّمَها لتُسْرِجَنَّ في كنيسةٍ من كنائس اليهود ، ولتطعمن مساكين من مساكينهم ، فقامت من مرضها وقد أسلمت ، قال : فسكت القوم ، فقلت : يا أمير المؤمنين سألت عنها الحسن بن أبي الحسن ، فقال : تُسْرِجُ في مسجد من مساجد المسلمين وتُطعم مساكين من مساكينهم ، وسألت قتادة وهو إلى جانبه ، فقال : لي مثل مقالة الحسن ، فلقيت محمد بن سيرين فسألته عن ذلك ، فقال لي : ليس عليها شيء ، هدم الإسلام ما كان قبله ، فلقيت الشَّعْبي فأخبرته بما قال الحسن وقتادة ، فقال لي : فأين أنت عن الأصمِّ ابن سيرين ؟ فقلت له : قد سألته عن ذلك ، فقال لي : ليس عليها شيء هَدَم الإسلام ما كان قبله ، فقال : أصاب الأصمُّ وأخطأ الحسن وقتادة ، وقال : يعني محمد بن أحمد : حدثني جعفر بن عبد الواحد ، قال : كنتُ أتغدّى مع المتوكل فسألت عن نصرانيّ حلف على يمين ونذر نذراً ثم أسلم ، هي يجبُ عليه ؟ فقال له : حدثني عبدالله بن بكر السَّهْمي ، قال : حدثنا بَهْزُ بن حكيم ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : قلت : يا رسول الله ! ما أتيتُك حتى حلفت بعَدَدِ أُولاء ، وجمع بين أصابع يده ، على أن لا آتيك ولا آتي دينَك ، فقَبِل رسُول الله ﷺ إسلامه ولم يأمره بكفارة يمينه .

قال القاضي أبو الفرج : قد اختلف أهلُ العلم في الكافر يُنذرُ نذراً في هذه أو يحلف يميناً ثم يسلم ، فأسقط عنه الكفّارةَ والإتيانَ بما نَذَره كَثيرٌ من فُقهاءِ الحجازِ والعراق ، وأوجب ذلك عليه عددٌ منهم ، واحتجُّوا بأن الإسلام يَجُبُّ ما قبله ، وأن الكافر في كفره لا تصحُّ منه قُربة إلى ربّه قبل إسلامه ، وأن الأسباب التي تؤدي إلى وجوب أسباب الطاعات تجري مجرى مواقيت الفُروض والنّوافل في خصوصية المسلمين بها ، ومفارقة

اهل الكفر لهم فيها . واعتل في ذلك بعضهم بقول الله عزّ وجلّ : ﴿ قُل لِلَّذِين كَفَرُوا إن يَنْتَهُوا يُغْفَر لهم ما قد سَلَف ﴾[1] واحتجَّ مخالفوهم بأن العبادات التي أتت شريعةُ الإسلام بها لازمة لكلِّ ذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ فِعلها والرجوع إليها والأخذ بها ، وما أسقط اللَّهُ عنهم بعد الإسلام أداءه وقضاءه سقط دون غيره ممّا لم يَنْصِبْ دلالةً على إسْقاطه ، إذ الواجب إقراره على أصله ، واحتجّوا أيضاً بأن عمر بن الخطاب ، قال : نذرت أن أعتكف ليلةً في الجاهلية ، فلما أسلمتُ سألتُ رسول الله ﷺ ، فقال : « أوْفِ بنذرك » ، ورأيتُ شيخنا أبا جعفر ذكر في الكافر يحلفُ في حال كُفره ثم حنث فيها بعد إسلامه أنه لا كفارة عليه ، واعْتَلَّ بأنّ الكافر يحلف بالإله الذي يعبُده ، ومن مذهبه أنه من حلف بغير الله تعالى ثم حنث فلا كفارة عليه ، فكأنه أسقط الكفارة عمن حلف بغير الله من الكفار ، وقال في حديث عُمر ، لمّا رواه . أنه يدلُّ على وجوب النَّذْر فيما وَرَدَ خبرُ عمر فيه ، وقد شرحتُ مذهبه في هذا وأتيت بما حضرني فيه فيما صنّفتُه من كتب الفقه ، وكرهتُ الإطالة في هذا الموضع بإعادته ، وأما ما أفتى فيه الحسن وقتادة من الإسراج في مسجد من مساجد المسلمين مكان نذر الناذرة في كفرها أن تُسْرِج في كنيسة من كنائس اليهود فإن إبطال نَذْرها في الكنيسة صواب إذ هو معصية ، وقد قال رسول الله ﷺ : « من نذر أن يطيع الله فليُطِعْه ومن نذر أن يعصيَ الله فلا يَعْصِه » ، وقال : « ولا نَذْر في معصية ، وكفارته كفَّرةُ يمين والكفّارة في هذا عندنا غير واجبة ، وقد ضعّف شيخنا سند هذا الخبر الآتي بها وجمهور فقهاء الكوفيّين يوجبونها ويوجبون معها كفارة يمين إذا كان النَّاذِرُ يميناً والإسراج في مسجد من

---

(١) سورة النساء ، الآية ٣٨ .

مساجد المسلمين غير واجب عندنا في هذه المسألة إذ لم يكن نَذْرُه ولا أتت حُجّةٌ بوجوبه ومن أوجبه فقوله : مُضَارِعُ لمن أوجب على الناذر أن ينْحرَ ولده ذبح شاةٍ من الغنم أو نَحْر شيءٍ من الإبل ، وأما ما أفْتيا به من إطعامِ مساكينَ من المسلمين مكان من منذرت إطعامه من مساكين اليهود فإن إطعام مساكين اليهود يجزىء في النذر إذا جُعِل لهم ، وفيه قُربةٌ إلى الله جلّ وعزَّ ، وقد أجاز كثيرٌ من فقهاء المسلمين صرف صدقة الفطر وكفارة الأَيْمَان والجهاد إلى أهل الذِّمَّة ، ومن أجاز إطعام مساكين المسلمين ما نَذَرَ إطعامه مساكين أهل الذّمة ، فَشَاهِدُه من القياس جوازُ صلاة القادر أن يصلِّي في مسجد سمّاه وعيّنه إذا صلّى في مسجدٍ غيره هو مثلُه أو أفضلُ منه ، فأمّا إبطال نَذْرِ إطعام مساكين أهل الذِّمة وإيجاب نقله إلى مساكين أهل المسلمين فلا وجه له في الصحة ، وأما فُتْيا الشَّعْبي وابن سيرين فهي جاريةٌ على أصل مذهب من قدمنا حكاية مذهبه ، ممن يُبطل أصل نذر الكافر في أصل كفره ، وأما الخبر الذي رواه جعفر بن عبد الواحد للمتوكل فلا حجّة له فيه ، وذلك أن جدَّ بَهْزِ بن حكيم القشيري وهو معاوية بن حيدة ذكر للنبيِّ ﷺ أنه حلف ، وقال له : حلفتُ ولم يذكر الذي حلف به ، وجائز أن يكون حلف بغير الله جلّ وعزّ ، ومن حلف بغير الله تعالى فلا كَفَّارة عليه عندنا بعد حِنْثه ، وأيضاً فإنه قال : حلفْتُ ، ومن قال حلفتُ لأفعلنّ كذا وكذا ، أو لا أفعل كذا فليس عليه عندنا ما على القائل : أحلف بالله من الكفارة إذا حنث ، حتى يقول : أحلف بالله وأقسم بالله أو أولي بالله أو أَشْهَدُ بالله ، وإن كان من أهل العلم من يجعل قول القائل : أشهد وأحلفُ وأولي وأقسم يميناً ، ويُسوِّي بين هذا وبين ما وصله باسم الله تعالى ، فقال : أَشْهَدُ بالله وأحلف بالله وأُولي بالله وأقسم بالله .

[هل يتلازم الجود والشجاعة]

حدثنا محمد بن يحيى الصُّولي ، قال حدثنا البربري ، قال :

من كلام أحمد بن أبي خالد[1] : لا يُعَدَّنَّ شجاعاً من لم يكن جَواداً ، فإن من لم يقدرْ على نفسه بالبذل لم يقدر على عدوِّه بالقتل .

قال القاضي : ذكر عن بعض أهل العلم أنه قال : كان الناس يقولون إن الشجاع لا يكون بخيلاً ، وإن الشجاعة والبخل لا يجتمعان ، وذلك أن من جاد بنفسه كان بماله أجود ، حتى نشأ عبدالله بن الزُّبَير فكان من الشجاعة بحيث لا يدانيه كبيرُ أحد ، وكان من البخل على مثل هذا الحدّ ، ونحو قول من استنكر اجتماع الشجاعة والبخل ، قول الشاعر :

يَجُودُ بالنَّفْس إذْ ضَنَّ الجوادُ بها والجودُ بالنَّفْسِ أقْصَى غايةَ الجُودِ[2]

[خليفة يأمر ابنه بكتابة بيتين]

حدثنا أبو النضر العُقَيلي ، قال : أخبرني أحمد بن محمد بن عيسى ، قال : حدثني عمر بن عبدالله الإخباري ، قال :

سمعتُ المهتدي يقول : كنتُ أمشي خلف أبي الواثق على ميدان من البستان في الهارُوني[3] فالتفت إليّ ، فقال : اكتب هذين البيتين واحفظهما :

---

(١) أحمد بن أبي خالد ولاه المأمون الوزارة بعد مقتل الفضل بن سهل ، وكان ذلك قبيل دخوله بغداد بعد انتصاره على أخيه الأمين ، انظر المعارف ٣٩٠ .

(٢) البيت لأبي تمام ، وهو في ديوانه ٣١١ .

(٣) الهاروني : قصر قرب سامراء ينسب إلى هارون الواثق بالله ، وهو على دجلة بينه وبين سامراء ميل . معجم البلدان ٤/ ٩٤٦ .

تنـح عن القبيـح ولا تُـرِدْهُ ومـن أوليتَـهُ حَسَنـاً فِـزِدْهُ
ستلقى من عـدوِّك كل كيـدٍ إذا كـادَ العدوُّ ولم تَكـدْهُ[1]

[لا يفرح إلا بما تحت يده]

حدثنا أحمد بن محمد بن الجراح ، قال : العباس بن محمد الهاشميّ مولًى لهم ، قال : عبد الرحمن بن أبي البختري الدلّال الكوفي ، قال :

سمعتُ يحيى بن آدم[2] يقول لأبي بكر بن عياش[3] : يا أبا بكر ! ما أصبحتَ تفرحُ بشيءٍ من الدنيا ؟ فقال : ما أفرح إلّا بدرهمٍ في كميٍّ مَصْرُور ، وقِدْرٍ قد جعلتْها الجاريةُ في التَّنُّور .

[رب نصح خير من مال]

حدثنا أبو هاشم الحمصي ، عن عبد الغافر بن سلامة الحضرميّ ، قال : حدثنا أبو حميد ، قال : حدثنا أبو حبوة ، قال : حدثنا أبو عتبة ، قال : حدّثني أبو سبأ عتبة بن تميم التنوخي ، عن أبي عمير الصُّوري ، قال :

---

(١) البيتان لمنصور الفقيه ، انظرهما في بهجة المجالس ٢/ ٢٥٩ .

(٢) يحيى بن آدم بن سليمان الأموي ، من ثقات أهل الحديث ، وفقيه واسع العلم ، من أهل الكوفة ، وكان ينعت بالأحول ، توفي بالكوفة سنة ٢٠٣ هـ . له من المؤلفات كتاب الخراج وهو مطبوع ، وله الفرائض ، والزوال .
انظر فهرست ابن النديم ٢٢٧ ، تهذيب التهذيب ١١/ ١٧٥ .

(٣) هو عبد الله بن عياش بن عبد الله الهمداني الكوفي ، المعروف بالمنتوف ، روى عن الشعبي وروى عنه الهيثم بن عدى ، وكان رواية للأخبار والآداب ، نديماً للمنصور يحادثه ويضحكه ، أنظر لسان الميزان ٣/ ٣٢٢ ، هامش البيان ١/ ٢٦٠ .

كلمةٌ لك في أخيك خيرٌ لك من مالٍ يُعْطيك ، لأن كلمته تُحيِيك ، والمال يُطغيك .

[من نوادر المعلمين]

حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي شيبة ، قال : حدثني أبو يَعْلى المعروف بالبربري ، قال : جاءني رجلٌ ، فقال : أشْغِلْنِي في موضعٍ أؤَدِّبُ فيه ، قلت : ما تحسن حتى أطلب لك على قدر ذلك ؟ قال : أحْفَظُ القرآنَ وليس عندي من العربيّة شيءٌ ، فشغَّلْتُه عند رجل فأنشده :

من يَذُقِ الحَرْبَ يجدْ طَعْمَها مُـرًّا وتَتـرُكـهُ بِجَـعْجَـاعِ[1]

فقال له : هذه الآية في أيّ سُورةٍ هي ؟ قال : هي في : ﴿حم عسق﴾[2] .

---

(١) الجعجاع : المكان الضيق الخشن الغليظ ، والبيت لأبي قيس بن الأسلت ، وهو في اللسان (جعع) والرواية فيه : يذق مكان يجد ، وتبركه مكان تتركه .

(٢) هاتان الآيتان هما أول سورة الشورى .

المجلس الخامس والخمسون

[من جوامع الكلم]

حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل أبو بكر الناقد ، بِسُرَّ من رأى ، سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، قال : حدثنا إبراهيمُ يعني ابن الهيثم ، قال : حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيديّ الحِمْصِيّ ، حدثنا إسماعيل بن عيّاش ، حدثنا مُطْعَمُ بن المقدام ، عن نُصيحْ القَيْسيّ ، عن ركب المصريّ ، قال :

قال رسولُ الله ﷺ : « طُوبَى لمن تَوَاضع في نفسه من غير مَنْقَصة ، وذَلَّ في غير مسكنة ، وأنفق مالاً جَمَعَهُ في غير معصية ، ورحم أهل الذُّلِّ والمسْكَنة ، وخالط أهلَ الفِقْهِ والحكمة »[1] .

---

(١) الحديث الشريف التالي في الجامع الكبير ١/ ٥٦٧ ، وقال رواه البغوي والباردودي وابن قانع ، والطبراني والبيهقي وابن عساكر عن ركب المصري .

وقد ورد في الجامع الكبير بالصيغة التالية :

« طوبى لمن تواضع من غير منقصة ، وذل من نفسه من غير مسكنة ، وأنفق من مال جمعه من غير معصية ، وخالط أهل الفقه والحكمة ، ورحم أهل الذل والمسكنة ، طوبى لمن ذل من نفسه ، وطاب كسبه ، وحسنت سريرته ، وكرمت علانيته ، وعزل عن الناس شره ، طوبى =

[رواية أخرى للحديث]

حدثنا إبراهيم بن سليمان بن حَمْدَوَيْهِ الدّهان المروزيّ ، بالنّهروان ، قدم للحجِّ سنة تسع عشرة وثلثمائة ، قال : حدثنا أحمد بن علي بن سلمان أبو بكر ، قال : حدثنا محمد بن ثميلة ، قال : حدثنا محمد بن عيسى ، عن أبان ، عن أنس ، قال :

سمع النبيُّ ﷺ قَهْقهةً عند القبور ، فقال : ما يُؤمنُ هذا بيوم الحساب ، ثم خطب فقال[1] : يا أيّها الناس ! كأنّ الموتَ فيها على غيرنا كُتِب ، وكأن الحقَّ فيها على غيرنا وَجَب ، وكأن الذين نشيِّعُ من الموتى يعني في نفرٍ وهم إلينا راجعون ، وكأنّا مخلدون بعدهم[2] ، طُوبَى لمن شَغَله عيبُه عن عيوب الناس ، طوبى لمن تواضع لله في غير مَنْقصة ، وأنفق مالاً جمعه في غير معصية ، ورحم أهل الذُّل والمسكنة ، وخالط أهل الفقه والحكمة ، طوبى لمن ذلّ في نَفْسه ، وطاب كَسْبُه ، وصَلُحت سريرتُه ، وحسنتْ علانيتُه[3] ، واعتزل[4] عن الناس شَرُّه ، طُوبَى لمن عمل بعلمه ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسِعَتْهُ السُّنَّة ، ولم يتعدَّها إلى بدعة .

قال : القاضي : لقد أبلغ رسولُ الله ﷺ في هذه الموعظة ، وضمَّنها

لمن عمل بعمل ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله .

(١) وهذا الجزء من الحديث إلى تمامه في الجامع الكبير ١/ ٣٧٣ ، مع بعض اختلاف في ألفاظ الرواية .

(٢) في الجامع الكبير : وكأن ما نشيع من الموتى عن قليل إلينا راجعون ، (نبوئهم أجداثهم ، ونأكل تراثهم كأنا مخلدون من بعدهم .

(٣) في الجامع الكبير : وحسنت خليفته وكرمت علانيته .

(٤) في الجامع الكبير : وعزل .

أصولاً من الحكمة ، وأرشد فيها إلى ما يكسب النجاة والعِصمة ، ويأمنَ العاملُ به المتقبِّلُ له العطبَ والهَلَكة .

وقد رُوي أن عبدالله بن مسعود سمع رجلاً ضحك في المقبرة ، فقال له : لا أكلِّمك أبداً .

وحُكِيَ لنا عن بشر بن الحارث[1] مثلُه ، ولَعَمْري إن المقبرة لمحلَّةٌ يدعُو حضورُها ذَا اللُّبِّ وسلامة الصَّدْر والقلب ، إلى الرَّهبة والدعاء ، والتذكر والبكاء ، رُوي أن النبيّ ﷺ استأذن ربَّه في زيارة قبر أُمِّه ، فأذن له وأنه زارها في ألف مُقَنَّع ، فلم يُرَ باكٍ ولا باكية أكثر من يومئذ .

[مجاهدٌ تلفظه الأرض]

حدثنا محمد بن الحسن بن دُريد ، قال : حدثنا العكلي ، قال : أخبرني رجلٌ من أهل البصرة ، قال : رأيت رجلاً له هيئة وسَمْتٌ وعليه الصُّوف ، فسألته عن اسمه ، فقال : اسمي عليُّ بن محمد فجلست إليه فحدثته فخبرني أنه مضى إلى المصِّيصة[2] غازياً ، فرأى في مسجدها شيخاً جميلاً هَيِّباً ، وحوله قومٌ يسمعون من حديثه ، قال : فجلستُ إليه فسألنى عن حالتي ، فقلت : رجلٌ من أهل العراق قدِمتُ أريدُ وجْهَ الله تعالى والدَّارَ الآخرة ، فقال : رَزَقَك اللَّهُ حياةً طيِّبة ومنقلباً كريماً ، ثم قال لي : إن لي إليك حاجةً لا تردَّني عنها ، قلت : نعم ، قال : تتحوّل إلي

---

(١) هو بشر بن الحارث المعروف ببشر الحافي وقد سبقت ترجمته .

(٢) المصيصة : مدينة على شطي جيجان من ثغور الشام ، بين أنطاكية وبلاد الروم ، تقارب طرطوس ، وكانت من مشهور ثغور الإسلام ، وقد رابط بها الصالحون قديماً . أنظر معجم البلدان ٤/ ٥٥٨ .

وتنزل عليّ فما كان إلّا ساعةً ، ثم نزلتُ برجلٍ قد وهب اللّهُ له قوةً على الصِّيام والقيام وطلب الخير ، فأقمتُ عنده حتى تهيأ لصاحب الثّغر الغَزْوُ ، وخَفّ معه عشرة آلاف من المُطَوِّعَة ، فقدم ابنه وكان حَدَثاً ، وكان ربُّ منزلي فيمن خرج فخرجتُ بخروجه ، فلما أوغلنا في بلاد العدوّ ، دَلَف إلينا جمعٌ عظيمٌ فوقفنا لهم وأقبل الفتى يحرِّض الناسَ ثم برز الشيخ فتكلّم ، وقال : هذه أبواب الجنة فافْتحوها بسيوفكم ، فحمل الفتى فأصيب ، وحمل الشيخُ ربُّ منزلي فأصيب رحمهما الله ، ثم إن الله تعالى منحنا أكتاف العَدُوِّ فقتلنا وأسرنا ورجعنا إلى مواضعنا ، فخفرْنا لمن أكرمهم اللّهُ بالشهادة فدفنّاهم ، ودفنّا الشيخ ، وسوّينا عليه لحده ، فارْتَجَّتْ الأرضُ ورجَفَتْ بنا ، ثم لَفَظَت الشيخ فوقع على عشرة أذرع من قبره ، فقلنا : رجفة أو زَلْزَلة ، فحفرنا له قبراً آخر وسَوَّيْنا عليه ، فسمعنا ما هو أهول وأفظع ، ولَفَظَتْ به الأرض أبعد من ذلك الموضع ، فحفرنا له قبراً ثالثاً ودفنّاه ، فجاءتْ هَدَّةٌ طاشت منها عقولنا ولفظته الأرض ، وسمعنا هاتفاً يقول : أيتها العصابة ! إن هذا الرجل لم يزل يدعو الله أن يجعل مَحْشَرَهُ مِن بُطون السِّباع وحواصل الطير ، فدعُوه إن الله جل جلاله قد سمع نداه ، فتركناه وانصرفنا .

[ابن صفوان ينصح السفاح بالاستمتاع بالنساء]

حدثنا الحسين بن القاسم بن جعفر الكوكبي ، قال : حدثنا أبو الفضل الرَّبَعيّ ، عن العباس بن الفضل ، قال :

قال : إسحاق يعني ابن إبراهيم الموصلي ، قال شبيبُ بن شيبة[1] :

---

(١) الخبر التالي نقلاً عما هنا في ثمرات الأوراق ٢/ ٢٩٢ ، أخبار الأذكياء .

دخل خالد بن صفوان التميمي على أبي العباس وليس عنده أحد ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إني والله ما زلتُ منذُ قلَّدك الله تعالى خلافة المسلمين إلّا وأنا أحب أن أصير إلى مثل هذا الموقف في الخلوة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإمساك الباب حتى أفرغ فعل ، قال : فأمر الحاجبَ بذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إني فكرت في أمرك ، وأَجَلْتُ الفكر فيك فلم أر أحداً له مثل قَدْرِك ، ولا أقل استمتاعاً في الاستمتاع بالنساء منك ، ولا أضيق فيهنّ عيشاً ، إنك ملّكتَ نفسك امرأةً من نِساء العالمين واقتصرت عليها ، فإن مَرِضَتْ مَرِضْتَ ، وإن غابتْ غبت ، وإن عَرَكَتْ عَرَكْتَ[1] ، وحَرَمْتَ نفسك يا أمير المؤمنين التلذُّذ باستطراف الجواري وبمعرفة اختلاف أحوالهن ، والتلذُّذ بما يُشتهى منهن ؟ إن منهن يا أمير المؤمنين الطويلة التي تُشتهى لجسمها ، والبيضاء التي تحبُّ لروعتها ، والسَّمْراء اللَّعْسَاء ، والصَّفْراءُ العجزاءُ ، ومولّدات المدينة والطائف واليمامة ذوات الألسن العذبة والجواب الحاضر ، وبنات سائر الملوك ، وما يشتهي من نظافتهن وحسن هندامهن ، وتخلل بلسانه فأطنب في صفات ضُروب الجواري وشَوَّقَهُ إليهن ، فلما فرغ خالد ، قال : ويحك ! ما سلك مسامعي والله كلامٌ قطُّ أحسنَ من هذا ، فأعدْ عليَّ كلامك فقد وقع مني موقعاً ، فأعاد عليه خالد كلامه بأحسن مما ابتدأه ، ثم قال : انصرف ، وبقي أبو العباس مُفكِّراً فيما سمع من خالد يُقَسّم أمره ، فبينا هو يفكِّر إذ دخلت عليه أم سَلَمة ، وقد كان أبو العبّاس حَلَفَ أن لا يتخذ عليها ووَفَى لها ، فلما رأَتْه مفكراً مُتغيِّراً ، قالت له : إني لأنكرك يا أمير المؤمنين ، فهل حدث أمر تكرهه أو أتاك خبرٌ ارتعْتَ له ؟ فقال : لا ،

---

(١) عركت : حاضت .

والحمد لله ، ثم لم تزل تستخبره حتى أخبرها بمقالة خالد ، قالت : فما قلت لابن الفاعلة ؟ فقال لها : ينصحني وتشتمينه ! فخرجت إلى مواليها من البخاريّة فأمرتُهم بضرب خالد ، قال خالد : فخرجتُ إلى الدار مسروراً بُما ألقيتُ إلى أمير المؤمنين ، ولم أشك في الصُّلَة ، فبينا أنا مع الصَّحابة واقفاً إذ أقبلت البخاريّة تسأل عني ، فحقّقتُ الجائزة والصّلة ، فقلت لهم : هأنذا ، فاسْتَبَقَ إليّ أحدُهم بخشبةٍ فلما أهوى إليّ غمزتُ بِرْذَوْني ولحقني فضرب كفله ، وتنادى إليّ الباقُون وغمزتُ البرذون فأسرع ، ثم راكضتهم فَفُتُّهم ، واختفيتُ في منزلي أياماً ـ قال القاضي : الصواب : اسْتخفيتُ ـ ووقع في قلبي أني أُتِيت من قِبَل أم سَلَمَة ، فطلبني أبو العباس فلم يجدني ، فلم أشعر إلاّ بقوم قد هجموا عليّ ، فقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فسبق إلى قلبي أنه الموت ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، لم أَرَ دَمَ شيخٍ أضْيع ، فركبتُ إلى دار أمير المؤمنين ، ثم لم ألبث أن أُذن لي فأصبته خالياً فرجع إليّ عقلي ، ونظرتُ في المجلس ببيتٍ عليه سُتُورٌ رِقاق ، فقال : يا خالد لم أرك ! قلت : كنتُ عليلاً ، قال : ويحك ! إنك وصفت لأمير المؤمنين في آخر دَخْلةٍ دخلتها عليٌّ من أمور النساءِ والجواري صفةً لم يخرق مسامعي قطُّ كلام أحسن منه ، فأعِدْهُ عليّ ، قال : ـ وسمعتُ حِسًّا خلف السِّتْر ـ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، أعلمتك أن العرب إنما اشْتَقَّتْ اسم الضُّرَّتين من الضُّر ، وأن أحداً لم يكن عنده من النساء أكثر من واحدة إلاّ كان في ضُرٍّ وتنغيص ، قال له أبو العباس : لم يكن هذا في الحديث ، قال : بلى والله يا أمير المؤمنين ، قال : فأُنْسيت إذاً ، فأتممْ الحديث ، قال : وأخبرتُك أن الثلاث من النساء كأثَا فِيٍّ القِدْرِ يُغْلى عليهن ، قال : برئتُ من قرابتي من رسول الله ﷺ إن كنت سمعتُ هذا منك ولا مرَّ في حديثك ، قال : وأخبرتك أن الأربع من النساء شَرٌّ

مجموعٍ لصاحبهنّ يُشَيِّبْنَهُ ويهْرِمْنه ويحقرنه ويقسمنه ، قال : لا والله ما سمعتُ هذا منك ولا من غيرك ، قلت : بلى والله ، قال : أفتكذِّبُني ؟ قلت : أفَتَقْتُلُني ! نعم والله يا أمير المؤمنين ، وأخبرتك أن أبكار الإماء رجال إلا أنهن ليستْ لهنّ خُصًى ، قال خالد : فسمعتُ ضَحِكاً من خلف السِّتر ، ثم قلت : نعم ، وأخبرتك أن عندك ريحانة قريش ، وأنك تطمح بعينيك إلى النساء والجواري ، قال : فقيل لي من وراء الستر : صَدَقْتَ والله يا عمّاه ، بهذا حدثته ولكنه غيّر حديثك ونطق عن لسانك ، فقال أبو العباس : مالك قاتلك الله ، وفعل بك وفعل ؟ قال : وانسللْت ، قال : فبعثت إليّ أُم سَلَمة بعشرة آلاف درهم وبرذون وتَخْت .

قال القاضي أبو الفرج : قوله في هذا الخبر : السَّمراء اللَّعْساء التي في شفتها سُمرة وسواد ، ومن ذلك قول ذي الرُّمة :

لمياءُ في شفتيها حُـوَّةٌ لَعَسٌ وفي اللِّثاتِ وفي أنْيَابِهَا شَنَبُ

اللُّما مقصور : سمرة الشفة ، والحوة : الحمرة إلى السواد شبيه به ، واللعس مثل ذلك ، والشنب برد وعذوبة في الأسفان ، ويقال : امرأة لمياء ورجل ألمى ، وذكر عن الأصمعيّ أنه قال : اللَّعس السَّواد الخالص ، ويقال : ليل ألعس ، ولا أدري يقال : لَعِسٌ أم لا ؟ ويقال : حَوِي يَحْوَى وقياسه في اللُّمالَمِيَ يَلْمى ، وقوله : ينصحني وتشتمينه الكلام الفصيح السائر : وينصح لي ، قال الله تعالى : ﴿ إنْ أردتُ أنْ أنْصَحَ لكُم ﴾[1] ويقال : فنصحت لكم ، ونصحتُ فلاناً : لُغة قد حُكِيَت ، وهي دون هذه في الفصاحة من ذلك قول الشاعر :

---

(١) سبق البيت فيما مر .
(٢) سورة هود ، الآية ٣٤ .

نصحتُ بني عوف فلم يتقبَّلُوا رسولي ولم تَنْجح لديهم رسَائِلي(٢)

وأصل النصح : الإخلاص والمناصحة المخالصة ويقال : هذا شيءٌ ناصح أي خالص ، كما قال الشاعر :

تركْتَ بنا لَوْحاً ولو شئتَ جادنا بعيدُ الكرى ثَلْجٌ بكِرْمان نَاصِحُ

[أأزرع انا ويحصد يوشع]

حدثنا أحمد بن العباس العسكري قال : حدثنا عبدالله بن أبي سعد ، حدثنا أبو الأصبغ ، قال : حدثنا ضمرة ، عن ابن عطاء ، عن أبيه ، قال : أوحى الله إلى موسى بن عمران أن يُوشَع هو القائم على الناس بعدك ، فقال : يا ربِّ أأزرعُ أنا ويحصد يُوشَع أأرعى أنا الغنم حتى إذا صلحت واستوت صارت إلى يوشع ، فقال الله تعالى : إن أيام يوشع مُخْحتك من الدنا ، فقال : يا ربِّ كنتُ أكون من قِبَل يوشع ، فقيل له : فاصنع به كما كان يصنعُ بك ، فقال : نعم ، وكان من رسْمِ يوشع إن يُنبِّه قبل الشمس ، فجاء موسى إلى باب يُوشع ، فقال : يا يوشع ! فضرب الله على أذنه فلم يَنْتبِه ، وجعل بنو إسرائيل يمرُّون على موسى ، فقال : يا ربِّ مائةُ مَوْتةٍ أهون من ذُلِّ ساعة ، وانتبه يُوشع فلما رأى موسى فَزِع ، وقال : يا نبيَّ الله أنت واقفٌ هاهنا ، ومضى موسى إلى الجَبَل واتَّبعه يوشع فجعل موسى يُوصيه : اصْنع ببني إسرائيل كذا وافعل كذا ، ثم قال له : ارجعْ فأبى فخلع موسى نعليه ورمى بهما ، وقال : جئني بنعليّ ، فذهب

---

(١) البيت للنابغة الذبياني ، وهو في ديوانه ٩٣ برواية وصاتي مكان رسولي ، واللسان (نصح) بالرواية التي هنا .

ليجيء بهما فأرسل الله نوراً حال بين يوشع وموسى فلم يصل إليه ، فرجع يوشع إلى بني إسرائيل فأخبرهم فجاءوا إلى الموضع من الجَبل فإذا موسى قد قُبض ، ورصفتْ الحجارة عليه .

[قد قاربتك جهدي]

حدثنا عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوي ، قال : حدثنا أبو العباس محمد بن يزيد ، عن المازني[1] ، قال :

اجتمعت مع يعقوب بن السكِّيت[2] ، عند محمد بن عبد الملك الزيات ، فقال لي محمد بن عبد الملك : سَلْ أبا يوسف عن مسألة ، فكرهتُ ذلك وجعلتُ أتباطأ وأدافع ، مخافةَ أن أُوحشه لأنه كان لي صديقاً ، فألحَّ عليَّ محمد بن عبد الملك ، فقال لي : لم لا تسأله ؟ فاجتهدتُ في اختيار مسألةٍ سهلة لأقارب يعقوب ، فقلت له : ما وزن (نكتل) من الفعل من قول الله تعالى : ﴿ فأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ ﴾[3] فقال لي : نفعل ، فقلت : ينبغي أن يكون ماضيه كتل ، فقال : ليس هذا وزنه إنما هو نفتعل[4] ، فقلت له · نفتعل كم هو حَرْفٌ ؟ قال · خمـ ـة

---

(١) هو بكر بن محمد بن بقية ، أبو عثمان المازني ، أحد أئمة ـ ـ من اهل البصرة ، له مؤلفات منها : ما تلحن فيه العامة ، والتصريف ، والعروض ، والألف واللام وغيرها ، توفي سنة ٢٤٩ هـ ، ترجمته في معجم الأدباء ٢/ ٢٨٠ ، وإنباه الرواه ١/ ٢٤٦ .

(٢) هو يعقوب بن إسحاق من بني السكيت، أبو يوسف ، إمام في اللغة والأدب ، من كتبه إصلاح المنطق ، قال عنه المبرد : ما رأيت للبغداديين كتاباً أحسن منه ، والألفاظ ، والأضداد وغريب القرآن ، والنبات والشجر ، ومعاني الشعر ، وغيرها ، توفي سنة ٢٤٤ هـ .

ـر ـمه ـي معجم ـ ـدباء ٧/ ٣٢٠ ، النجوم الزاهرة ٢/ ١٧٩ .

(٣) سورة يوسف ، الآية ٦٣ .

(٤) نكتل وزنه نفتل كما لا يخفي ، إذ هو محذوف العين لالتقاء الساكنين ، وأصله نكتال من =

أحرف ، فقلت له : فنكتل كم حرفٌ هو؟ قال : أربعة أحرف ، فقلت : له أيكون أربعة أحرف بوزن خمسة أحرف ، فانقطع وخجل وسكت ، فقال محمد بن عبد الملك : فإنما تأخذ كلَّ شهر ألفي درهم على أنك لا تحسن ما وزن نكتل ؟ فلما خرجنا ، قال لي يعقوب : يا أبا عثمان ! هل تدري ما صنعت ؟ فقلت له : والله لقد قاربتُك جُهْدي ، ومالي في هذا ذنبٌ .

قال القاضي أبو الفرج : نكتل في هذا الموضع هو في أوَّليته وابتدائيته في ماضيه ومستقبله : كال يكيل على فَعَلَ يَفعِل ، مثل مال يميل وقياسه في أصل تقديره كَيَل يَكْيِلُ ، نظيره من الصحيح ضَرَب يَضْرِبُ ، إلاّ أن الياء في كَيَل انقلبت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، والألف لا تكون إلاَّ ساكنة إلا أنها في نية حركة ونقلت كسرة الياء في المضارع ونقلتْ كسرتُها إلى الكاف وكانت ساكنة ، فكسرت إذ لم يستقم التقاءُ الساكنين فصار نكتل ، وقيل في الجمع : كِلْنا نكتل ، ثم لما زيدت التاء دلالة على الإفتعال قيل : اكتال نكتال وأصله اكتيل يكتيل ، نحو افتعل يفتعل نظيره من الصحيح : اكتتب يكتتب واكترث يكترث واستبق يستبقُ ثم قلبت الياء من اكتيل ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فصار اكتال ومضارعه يكتال ، وأصله يكتيل ، وفي الجمع نكتيل وزنه نفتعل ، فلما قيل نكتل فأعرب بالجزم إذ هو جوابُ الأمر اقتضى الجزم سكون اللام ، فالتقى ساكنان اللام والألف المنقلبة من الياء فأسقطت الألف لذلك فبقي نكتل ، ووزنه في الأصل نفتعل ثم لما حُذفتْ الألف المنقلبة من الياء وهي عين الفعل صار

الفعل كال فأصوله الكاف والألف واللام وقد حذفت الألف التي هي عين الفعل ، وهي تحذف أيضاً حين الوزن ، وقد أخطأ ابن السكيت بإثباتها كما نرى ، وسوف يزيد المؤلف المسألة شرحاً وتوضيحاً .

نكتل فوزنه نفتل ، على طريقة التحرير وتمييز الزوائد من الأصول بالعبارة عن الأصليات بالفاء والعين واللام وتسمية الزوائد بأنفسها ، ألا ترى أنّا نقول في وزن جهور أنه فعول فيعبر عن الجيم والهاء والرّاء الأصليّات بالفاء والعين واللّام ، وتأتي باسمها الواو فهي الزيادة إذ ليست من الفعل فاءً ولا عيناً ولا لاماً ، ويعقوب لما رأى نكتل موافقاً لوزن نفعل تسرّع إلى ما أجاب به مع ذُعْر المحنة وإزعاج البديهة وهيبة الحاثِّ لسائله على شراسة خلقه وإشفاقه من تَشَعُّثِ منزلته عنده ، وقطع مادة المعيشة من جهته .

ووزن ألفاظ الكلم تأتي على جهات مختلفة بحسب بحسب أغراض الوازنين ، وعلى قدر ترتيب الصناعة من المقابلين ، والنحويّون يزنون الحروف على أخْصَر من وزن العروضيِّن ، لأنهم يقابلون في الزِّنَة الحركة بجِنْسها من التحريك الذي هو خلاف السكون ونوعها إنْ ضَمًّا وإن فَتْحاً وإن كَسْراً ، على اختصاص كلٍّ واحد من هذه الأنحاءِ دون صاحبه ، والعناية بذات الحرف دون الإعراب والتنوين وما يزاد ويحذف خَطًّا ولفظاً ، والعروضيُّون يراعون ذلك كُلَّه ويَسُوقُونه ويبنون وزنَهُم على اللفظ ، ويُجْرون وزنهم على مقابلة الحركة جنساً لا نوعاً ، فيسوون فيها بين الضَّمّ والفتح والكسر ، ولما تساوى نكتال واكتال في عدد الحروف وسبيل حرف المضارعة أن تجري به الزيادة على حروف الماضي ، فلأن همزة اكتال زائدة للوصل تذهب إذا تحركت فاء الفعل وليست بلازمة للكلمة ، وقد اختلف فيما زاد من الأسماء من الثلاثي الذي هو فاءٌ وعَيْنٌ ولام فأتى رباعيًّا أو خماسيًّا من غير أن يكون فيه شيءٌ من حروف الزيادة كقولك جعفر وفرزدق ، فحكم بعضُهم على هذا بأن الحرف والحرفين منه مما أتى بعد الفاء والعين واللام مجهول ، وقضى بأن الطرف أوْلَى منه بباب الزّيادة ، وذهب آخرون إلى مثل هذا في العين ، وميزوا بين تجانس الحرفين في

آخره ، وذلك كفَعْلَل الذي هو وزن قَرْدَد ، وبين ما اختلفا فيه نحو جعفر ، وهذا باب لا يحتمل كتابنا هذا الإتساع فيه ، وله موضع هو أوْلى به .

ومما اتفق في هذه القصة مع ما ذكرنا من الأحوال العارضة أن يعقوب كان في صناعة النحو ذا بضاعة مُزْجَاةٍ نَزِرة ، وقد صنف مع هذا في النحو كتاباً مختصراً لم يعدُ فيه القَدْرَ الذي تناله يدُه ، وإن كان إماماً علماً في اللغة ، وقدوة سابقاً مُبرزاً في اختلاف أهلها من البصريِّين والكوفيّين ، وله فيها كتبٌ مؤلفة حسنة ، وأنواع مصنفة مفيدة ، وأبو عثمان المازني وإن كان قد قصد الجميل من مقاربته وتسهيل مناظرته فإنما أتى بما هو متيسِّر له دونه ، وقد كان الأَوْلى بما قصده تنكُّب ما فيه اعتلالٌ وقلب ، والعُدول به عن التصريف الكادِّ للقلب الشاقِّ على اللُّب ، وقد ردّ المازني على سيبويه مسائل في بعضها حُججٌ وفي بعضها شُبَهٌ ، وسأل الأخْفَش عن مسائل نسبه إلى التقصير والإنقطاع في بعضها ، وحكي أن الأخفش رجع عند أول توقيف منه عليها في البعض منها ، وقد ذكرنا من هذا طرفاً في موضعه .

[بنو الأحرار تهجي وتمدح]

حدثنا محمد بن يحيى الصُّولي ، قال : حدثنا الغلابيّ ، قال : حدثنا الضَّبّي ، قال :

سمع أعرابيٌّ رجلاً يقول : ﴿ الأعرابُ كُفْراً ونِفَاقاً ﴾[1] ثم سمعه يقول : ﴿ ومِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يؤمنُ باللَّهِ واليوم الآخِرِ ﴾[2] الآية ، فقال : هجا ومدح ، لا بأس ، ثم أنشد :

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٩٧ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ٩٩ .

هجوتُ بُحَيْراً ثم إنّي مدحتُهُ   كذاك بنو الأحْرار تَهْجُو وتمدحُ

[كيف يفعل مع هذه الأنف ؟]

حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المُقْري ، قال : حدثنا عبداللَّه بن محمود ، قال :

رأيت قاضي القضاة يحيى بن أكثم بمكة وقد وقف يلاحظ حجّاماً عليه أنف كأنه أَزَجٌ(١) ، فقلت له : أيها القاضي ! ما هذا الوقوف ، فقال لي : ذَرْني فإني أريد أنظر إلى هذا كيف يستوي له مَصُّ المحجمة مع هذا الأنف ؟ وقد كان رجلٌ جالسٌ بين يدي الحجّام ففطن به الحجّام ، فقال له : مالك قائم تنظر إليّ ؟ ليس ونورِ اللَّهِ أضرب في قفا هذا بمعولي وأنت واقف ، فتوارينا عنه فإذا هو يعطف أنفه بيده اليسرى ويمسك المحجمة بيده اليُمنى ويَمُصُّ بفيه ، فقال يحيى : أما هكذا فنعم ، قال عبدالله : وكان يحيى بن أكثم أعور .

[شعر مكتوب على حائط]

حدثنا محمد بن القاسم الأنباري أبو بكر ، حدثنا أبو عليّ العَنَزِي الحسن بن عليل ، قال : حدثنا علي بن الحسين الدِّرْهمي ، قال :

كنا عند محمد بن عبيد الطَّنافسيّ(٢) ، فقال : قرأت على حائطٍ بالحِيرة منذ أربعين سنة :

---

(١) الأزج : بناء مستطيل مقوس السقف .

(٢) هو محمد بن عبيد بن أبي أمية عبد الرحمن الطنافسي ، أبو عبد الله ، من حفاظ الحديث الثقات ، من أهل الكوفة ، كان يحفظ أربعة آلاف حديث ، توفي سنة ٢٠٥ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٨/ ٣٢٧ ، تاريخ بغداد ٢/ ٣٦٥ .

إن البليـة أن تحـب ولا يحبك من تحبه
فيصد عنك بوجهه وتلح أنت فلا تغبه
أقلل زيارتك الصديـق يراك كالثوب استجده
إن الصديـق يمله ألا يزال يراك عنده

قال أبو بكر : هذا مما لا يُعاب فيه الشاعر .

قال القاضي أبو الفرج : في هذا الشعر موضعان فيهما قوله (يراك) ، وذاك أن وجه الكلام يَرَكْ بالجزم ، لأنه جواب الأمر ، وهو قوله : أَقْلِل ، ولو أنشد يَرَاك على من يقول هو يرآني كما قال الشاعر :

أُرِي عَيْنَيَّ ما لم تَرْأَيَاهُ كِلاَنَا عَالِمٌ بالتُّرَّهات[1]

لكان جيداً وزحَافه جائزاً ، وما (يزال) فإنه لم يَحْذِف فيه الألف ، على ردِّه إلى الأصل في التقدير ، وله نظائر في الكلام وقد قرأ بعضُ القُرّاء في غير موضع من القرآن على هذه اللغة ، وقد ذكرنا في بعض مجالس كتابنا من هذا الباب ، وما أتى فيه من شواهد الشعر ما لا طائل في إعادته ، وروينا هذا لأبياتٍ عمّن ذكر أن الشافعيّ تمثل بها ، وأما الوجه الآخر فإن منه ما قد جاء مثله ، وهو من عيوب الشعر المعروفة ومنه ما لا يجوزُ البتة .

(١) البيت لسارقة البارقي ، وهو في ديوانه ٧٨ ، ومغني اللبيب ٢٧٧ .

فهرس المجالس والموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة
المجلس الأربعون	**٢٢٧**
لن يدخل الجنة شحيح أو بخيل	**٢٢٧**
تعزية بليغة	
مخارق يهاجم إسحاق الموصلي	
ابن بيض يتحقق له حلمه	**٢٣٤**
توصي لشاعر بثلث مالها	**٢٣٦**
من جود عبدالله بن جعفر	**٢٣٧**
إبليس يعلم الغناء	**٢٣٧**
من أخبار ابن جدعان	**٢٣٨**
العلم من ظهور الدفاتر	**٢٣٨**
أعرابي يسأل عمر	**٢٣٩**
نمو النبات مرتبط بطاعة الله	**٢٣٩**
بكاء الشعراء على الشباب	**٢٤٠**
فتح أول الإسم في النسبة وعلة ذلك	**٢٤١**
ممازحة	**٢٤١**
يعاف المشرب المشترك	**٢٤٢**
أبيات لحسان في مدح الخمر وذمها	**٢٤٣**
نصيحة أب لابنه	**٢٤٣**
فليغننا أصواتاً بدلاً من العطاء	**٢٤٤**
المجلس الحادي والأربعون	**٢٤٦**
وجوب ضبط العلم وتقييد الحكمة	**٢٤٦**

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة